جيلاني

مذكرات هندنبورج

بقلم

المارشال بول فون هندنبورج «
رئيس أركان حرب الجيوش
الألمانية

ترجمها
[illegible]

عني بنشرها

يوسف توما البستاني

صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

سنة ١٩٢٣ المطبعة اليوسفية



الجنرال فِلد مرشال فون هندنبورج

رئيس اركان حرب الجيوش
الالمانية

حياتي

أو

ـاً أن أضع مؤلفاً في التاريخ لكن آن أصف التأثيرات التي
بها في غضون حياتي وأظهر مليا المبادىء التي رأيت من الواجب
د بمقتضاها أفكاري وأفعالي . وما خطر لي قط ببال أن أعمد
ر أزكي به نفسي أو أناظر به غيري ولا سيما أن أخط بيدي
فعالي . فأنا انما فكرت وعملت كانسان وكانسان اقترفت أغلاطاً
ني في حياتي وفي اعمالي اعتقاداتي الشخصية وقادني واجبي وقادني

الجنرال فلد مرشال „ فون هندنبورج "

رئيس أركان حرب الجيوش

الالمانية

ترجمة

منصفان

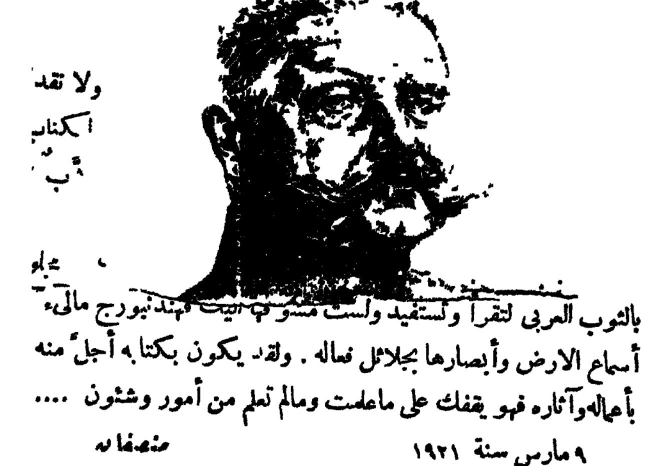
١٩٢١

المطبعة اليوسفية بمصر

ولا تقد

الكتاب

ب



بالثوب العربى لتقرأ وتستفيد ولست مسوقها اليك فهندنبورج مالىء أسماع الارض وأبصارها بجلائل فعاله . ولقد يكون بكتابه أجلّ منه بأعماله وآثاره فهو يقفك على ماعلمت ومالم تعلم من أمور وشئون ....

٩ مارس سنة ١٩٢١   منصفا له

مقدمة

فى كتابتى هذه التذكارات لم أنقد الى لذة الكتابة بل ساقتنى ليها المطالب والرغائب الكثيرة التى انتهت الي

لم أشأ أن أضع مؤلفاً فى التاريخ لكن أن أصف التأثيرات التى شعرت بها فى شئون حياتى وأظهر ملياً المبادىء التى رأيت من الواجب ن أسدد بمقتضاها أفكاري وأفعالى . وما خطر لى قط ببال أن أعمد لى سفر أزكي به نفسى أو أناظر به غيرى ولا سيما أن أخط بيدى متد ح فعائلى . فأنا انما فكرت وعملت كانسان وكانسان اقترفت أغلاطاً وانما قادني في حياتى وفي اعمالى اعتقاداتي الشخصية وقادنى واجبي وقادنى ضميرى لم تطمعني الرغبة في تحبيذ الغير لى

وهذه التذكارات خطت في عهد هو أمر عهد يجتازه وطننا وأشجاه غير أنى كتبتها لم أشعر بثقل اليأس المر أنوء تحته فانى التفت لن أنفك التفت الى فوق والى الامام لا يحوانى عن ذلك أمر

وأنا أقدم هذا الكتاب الى جميع من حاربوا معى على جبهة القتال فى داخل البلاد لحفظ كيان الامبراطورية الالمانية وعظمتها

سبتمبر سنة ١٩١٩

ولادة

مراتبي

في مساء يوم من أيام الخريف من سنة ١٨٥٩ ، وأنا ابن أحد عشر ربيعاً ، ألقيت كلمة الوداع الى أبي من درابزين مدرسة الضباط النبلا في ولستات في سيليزيا . وهذا الوداع لم أوجهه الى أبي العزيز فقط . بل الى جميع حياتي الماضية وأثرت في هذه العاطفة فاستنزفت من عيني دموعاً رأيتها تنحدر على « قميصي » ومر بخاطري فكر مر البرق اللامع أن : « في هذا الموقف لا ينبغي أن أكون ضعيفاً ولا يجمل بي البكاء » وانتزعت من نفسي هذه الحسرة حسرةَ الولد وانضممت ، ولكن ليس بغير صعوبة ، الى رفاق الجدُد

ما كنت لأجهدَ عقلي في تخيُّري الجندية وانما ميلي اليها كان عفوَ الطبيعة . فاني حين كنت صبياً اذا لعبت أو فكرتُ وعنّ عليَّ انتقاء حالة لي في المستقبل انتقلت أفكاري فوراً الى فنّ الحرب وارتاحت اليه لانه من التقاليد القديمة التي توارثناها عن الاجداد في أسرتي هو أن نخدم الملك والوطن بحد الحسام

وأجدادنا نحن آل بنكندروف من اقليم مركة [1] القديمة حيث ظهروا بادىء بدء سنة ١٢٨٠ . ومن ثمة على توالي الايام أخذوا ينتقلون الى اقليم مركة الجديدة ثم الى بروسيا . وفي بروسيا اشتهر منا غير رجل يتسمون باسمي حاربوا في صفوف الفرسان التيوتون كاخوان سيلاح أو « كضيوف حرب » ضدّ الوثنيين والبولونيين

ثمّ لما بدأ الناس يقتطعون الاراضي زادت علائقنا توثقاً مع أقاليم « الشرق » بينما كانت تتناقص شيئاً شيئاً مع أقاليم الحدود حتى انقطعت تماماً في مستهل القرن التاسع عشر

وانضم اسم « هندنبورج » الى اسمنا لاول مرة سنة ١٧٨٩ وكنا قد اتحدنا مع هذا البيت بصلة الزواج يوم كانت أسرتي في اقليم مركة الجديدة وكانت جدة جدي — وجدي هذا كان قد انخرط في ألاي « فون تيتنبورن » وقطن هيليجنبيل في بروسيا الشرقية — من آل هندنبورج . وكان أخوها أعزب — وقد حارب برتبة كولونيل تحت ألوية فردريك الكبير — فأوصى لابن أخيه ، بشرط أن يضم اسم بنكندورف الى اسم هندنبورج ، بأملاكه في نودِك ولمبسي الواقعة

(١) وهي لفظة جرمانية قديمة Marka ومعناها التخوم الحربية لدولة أو مملكة تحميها من العدى . واستعمل هذه الحدود يعود به العهد الى ماقبل شارلمان الى عهد الرومان الذين اقاموا في أوائل الجيل الثاني للميلاد حدوداً على ضفاف الدانوب صداً لغارات الجرمانيين وشاع استعمالها فيما بعد في جرمانيا وكان أشهرها مركة النمسا ومركة براندنبورج « م »

في منطقة روزنبرج وهذه المنطقة انتقلت الى براندنبورج مع ارث بروسيا الشرقية وكانت من قبل مضمومة الى بروسيا الغربية

المسمى ... غليوم الثاني على ضم اسمينا ومن ثم اطلق ... براندنبورج و...

وعلى أثر اتصال هذا الارث بنا ببعث أملاكنا في ... أرغمنا اضطراراً أن نتنحى عن أملاكنا في ... الى أيد ... حروب «الخلاص». لكن عائلتنا لاتزال الي اليوم مالكة أراض ... وهي الآن لارملة بكر أخوى وهذا الولد لم تكن تنقص ... عامين تماماً حتى أننا قضينا حياتنا معاً بأتم محبة وأوصل ولاء ... ربيع ثاني اخوته وقد خدم ملكه برتبة ضابط أعواماً طويلة في السادس ... في ولستات في سيليزيا . وهذا الوداع ... ال... حياتي الماضية وأثرت في هذه العاطفة فاستنزفت ... درج ... من عيني دموعاً رأيتها تنحدر على « قميصي » ومر بخاطري فكر مر البرق اللامع أن : « في هذا الموقف لا ينبغي أن أكون ضعيفاً ولا يجمل بي البكاء » وانتزعت من نفسي هذه الحسرة حسرةَ الولد وانضممت ، ولكن ليس بغير صعوبة ، الى رفاقي الجدُد

ما كنت لأجهدَ عقلي في تخيُّري الجندية وانما ميلي اليها كان عفوَ الطبيعة . فاني حين كنت صبياً اذا لعبت أو فكرتُ وعنَّ عليَّ انتقاء حالة لي في المستقبل انتقلت أفكاري فوراً الى فنّ الحرب وارتاحت اليه لانه من التقاليد القديمة التي توارثناها عن الاجداد في أسرتي هو أن نخدم الملك والوطن بحد الحسام

مرور الفرنسويين بنودلك وضربهم الخيام في تلك البقعة واقامتهم بها وكان عمي فون در جروبن — وكان قاطنا على نهر « باسرج » — يحلو له كثيرا أن يحدثنا عن المواقع التي جرت سنة ١٨٠٧ في هذه الضواحي فقد عبر الروس الجسر القريب الا أنهم ردوا بعد ذلك على الاعقاب وأن ضابطا فرنسويا كان يدافع برجاله عن أملاك عمي ، قتل في مخدع برصاصة أنفذت اليه من النافذة وفي سنة ١٩١٤ كاد الروس لولا القليل يجتازون هذا الجسر مره ثانية

وبعد أن نفي أجدادي المنايا انتقل أبواى الى نودلك يتخذانها مقرا . وهذا المكان صار لنا من ذلك الحين البيت العائلي بما فيه من تذكارات لطيفة وهذه الاماكن حيث ربيت من قبل وحيث درجت وحيث قضيت سني صباى النضرة قد عدت اليها مرارا فيما بعد ومعي امرأتي وأولادي لارتاح من شغلي

وهكذا أصبحت نودلك لي البيت العائلي حيث كان يجتمع ذوو قرباي الادنون تربطهم أشد أواصر الرحم والمحبة والى هذا البيت كنا متعلقين بأوصال القلوب

ومتى يكن بعض رحالي الذى دعتني اليه حرفتي في وطننا الالماني فاني قد شعرت داتما أني بروسي محض

ولدت في ٢ ١٨٤٧ في بوزن ابن جندي وكان أبي حينئذ ملازما في فرقه الرجاله الثامنة عشرة وأمي ابنة شويكرت الطبيب المفتش وكانت

فى ذلك العهد قاطناً بوزن :

ان الحياة البسيطة — لئلا أنعتها بالحيـاة الخشنة — التى عاشها فتى بروسي من أشراف الارياف أو ضابط مصون المكانة . هـذه الحياة التي انما قوامها النشاط في العمل وفي تتميم الواجب . قد وسمت بميسمها آبائى من قبل وأجدادى . ولهذا السبب انقطع أبى كل الانقطاع الى حرفته غير أنه لم يعدم قط وقتا كافيا ليتخصص الى تربية أولاده واضعاً في ذلك يده في يد أمى . وكان لى أيضا اخوان دوني سناً وأخت وحالة المعيشة التى اتخذها والدى العزيزان — وهي معيشة أدبية محض لـكنها متشوفة أيضا الى أمور الحيـاة العمليه — كانت تبدو ظاهرة للعيان على أكمل توافق : فاذا كانت أمى تنظر الى الحياة نظر زاهدة فيها لوفرة ما يعتورها من المشقة وأحيانا كثيرة تبدو لها موفورة الهموم نظر اليها أبي او ثر دثاراً واصفى صفحة الا ان كليهما كانا متحدين على محبتنا محبة صميمة حتى انهما تضامنا أفضل تضامن على أن يربيا أولادهما تربية أدبية وعقلية وانه ليصعب عليّ كثيرا أن أعرف من له سبق الفضل عليّ فى تربيتى منهما وأن أبين الوجهة التى شاء أبى وشاءت أمي أن أجري فيها فكان كلاهما مجتهدا جهده ليجعلا جسمنا نشيطاً ويربيا فينا ارادة قوية تكفل لنا قضاء الواجبـات التى تنتظرنا في هذه الحياة مهمة لا يداخلها سأم ولكنهما كانا يبذلان أيضا أقصى مقدور فيهما — اذ ينبهان وينميان فينا أرق مشاعر العواطف البشرية — ليقدما

لنا أفضل مايسع الأباء أن يقدموه لأبنائهم : ألا وهو الايمان والثقة بالله ربنا ثم حب لاحدّ له لوطننا ولما كانا يحسبانه أقوى دعامة لهذا الوطن وهي مملكتنا بروسيا .

ومن انضر أيام طفوليتنا جعلنا والدنا نتلمس حقيقة الحياة : افاق فينا في حديقتنا وفي أثناء تنزهاتنا حب الطبيعة واراانا الحقول وعلمنا ان نعرف الرجال وتقدرهم أقدارهم في كيانهم وفي فعالهم . واذا قلت « نحن » فانما اعني بكرَ اخوتي وانا . أما تربية اختي التي هي دون أخي البكر سناً فقد نيطت بامي ـ كما يتبادر الى الذهن ـ أكثر مما نيطت بأبي وأما أخي الاصغر فانه رأى هذا الوجود قبيل دخولي المدرسة الحربية بزمن قريب

حظ الجندي الذي يتنقل بصاحبه من مكان الى مكان دعا ابويّ من بوزن الى كولونيا ثم الى جرودنز فالى بين (في اقليم بوزن) فالى جلوجو فالى كُتبوس . وثمة ترك أبي الجندية وتنحى الى نودِلك منزوياً فيها .

لم يبق في مخيلتي الا بعض تذكارات من بوزن في ذلك العهد . فان جدي لامي توفي الى ربه بُعيد ولادتي . انه في سنة ١٨١٣ في واقعة كولم استحق صليب الحديد وكان طبيباً عسكرياً في احدى الوحدات المقاتلة لانه عاد فنظّم واسترجع الى النضال كتيبةً من « اللندور » قُتل قوادها فتفرقت وتقهقرت . وجدتي كثيراً ما كانت تحدثنا اموراً عن « أيام الفرنسويين » وكانت يوم ذاك في بوزن لاتزال بنتاً في بيت أبيها .

واني أرى الآن ـ كأنه رأي العين ـ بستانيا لأجدادي كان قد خدم اربعة عشر يوماً تحت أعلام فردريك الكبير وهكذا كأنه انبسط عليّ آخر شعاع من شمس الماضي المترع بامجاد فردريك الكبير

وفي عام ١٨٤٨ وقعت الثورة البولونية وامتدّ شررها حتى الى بوزن فانطلق أبي بآلايه لقمعها فاستولى البولونيون زمناً على المدينة وحكموها . ولزم ان توقد أنوار التزاويق (١) ليلاً احتفاءً بدخول قائدهم ميروسلوسكي اليها منصوراً وما وسع امي ان تمتنع عن القيام بهذا الفرض فدخلت الى داخل البيت وانزوت الى جانب سريري يعزيها أن تذكر ان هذا اليوم ٢٢ مارس انما هو عيد « امير بروسيا » حتى ان الانوار الموضوعة على نوافذ الغرفة وكانت ضاربة الى الشارع تضيئه انما كانت في قلبها موقدةً اكراماً لهذا الامير

وبعد ثلاثة وثلاثين حولاً هذا الولد الذى كان اذ ذاك ضجيع السرير شهد فى قاعة المرايا في فرسايل تتويج الامبراطور غليوم الاول وهو « أمير بروسيا » لذاك العهد

وما طال بنا المقام في كولونيا وفي جرودنز وحفظت من ذلك العهد من كولونيا ذكرى كنيستها الكاتدرائية الكبرى ولم تكن قد تمت بعد .

أما في يين فان ابي جرياً على عادة تلك الأيام ـ فات مدد اربعة

---

(١) عن صبح الاعشى في الجزء الرابع عشر وهي التي نعبّر عنها اليوم بأنوار الزينة

أعوام كلازم أول في الاحتياط سرية من « اللندور » وما كان له بهذه المهنة شغف ملحف حتى انه في غضون هذه الاعوام قد تخصص لتثقيف أولاده وكنت انا في زمن من الطفولة بدأت اتنبه فيه الى احوال الدنيا . فعلمني علم الجغرافية واللغة الفرنسوية بينما كان كوبلت معلمي في الكتّاب ـ الذى احفظ له حتى الى اليوم ذكر عرفان فضله ـ يعلمني القراءة والكتابة والحساب

من هذا الحين بدأت افضّل علم الجغرافية تفضيلاً ساعدني عليه ابي بطريقة للتعليم فيها جلاء واستحثاث همة

والفتْ عليَّ ابي التعاليم الدينية الاولى بكلمات كانت تلج قلبي ولوجاً وفي غضون هذه السنين وبفضل أسلوب التهذيب والتربية كانت روابط الالفة مع والديَّ تزداد توثقاً وتقرباً يوماً فيوماً وانها لروابط مرتكزة على ساطة مطلقة لكنها في الوقت عينه كانت تثير فينا ، نحن الابناء، شعوراً بثقة لايحدها حدّ اكثر مما تثير فينا خضوعاً اعمى لتسلط قاسٍ غليظٍ

وبين مدينة صغيرة تتاخمها ارض شريفة وهذه الارض كانت للسيدة فون رابرت التي تعودنا الذهاب اليها غير مرة وهذه المرأة لم ترزق اولاداً غير انها كانت تحبهم محبة شديدة . وكان اخوها م. دى ماسنباخ يقيم غير بعيد منها فى ارض بيالوكوسك الشريفة فكنت اجد لي بين اولاده العديدين رفاقاً في الالعاب كراماً . وقد استمرّ ذكر بين في نفسي حياً

في خريف ١٩١٤ كنتُ عائداً من بورن فزرت هذه المدينة الصغيرة ودخلت متأثراً الى البيت الوضيع الصغير الذي كان قائماً في ناحية من القرية حيث قطعنا من قبل مرحلةً من الحياة العائلية ما كان اسعدها . وصاحب هذه الارض اليوم هو ابن احد رفاقي في الالعاب وهذا الرفيق قد مات

ومن ايام جلوجو دخلت في هيأة الضباط النبلاء . وقبل ان دخلها قضيت في هذه المدينة عامين في الكتّاب وفي المدرسة الانجيلية . وقد حفظوا لي في جلوجو ، كما سمعتهم يقولون ، ذكراً جميلاً لانهم قد علّقوا بلاطة تذكارية على البيت الذي كنا نقطنه من قبل ذكراً لاقامتي بهذه المدينة . ولما كنت قائد سريةٍ في مدينة فروسناد المجاورة شاهدت جلوجو وشاقتني واستهوتني

فاذا ما القيت نظرة الى الوراء على شطرٍ من حياتي التي وصفتها آنفاً الى الآن وجب عليَّ القول ان تربيتي الأولى كانت مركوزة على اصح الدعائم واسلمها . ولذلك لما تركت بيت ابي شعرت اني تارك ورائي امراً جليلاً لكن تولاني ايضاً شعور بجليل ما كانوا زودوني به لاستطراد مسيري في طريق هذه الحياة وقد لزمني هذا الشعور مدة حياتي

ولقد استمتعت زمناً طويلاً بحب ابويَّ حباً يزينه شكر فضلهما ولا يعلوه سآمة ، حباً تسرّب فيما بعد الى امرأتي واولادي . وقد فقدت

الدتي ايام كنت لاازال بعد امير آلاي . وورثت بموت ابي قبيل تسميتي قيادة الفياق الرابعة

ويمكن القول ولا خوف من لوم ان الحياة فى المدرسة البروسية لضباط النبلاء كانت فى ذلك العهد خشنة شاقة . وكان اساس التربية واساس التعليم تنشيط الجسم وتنشيط الارادة. وكانت قوة العمل والفرح بالمسئولية ممتدحين كما يمتدح العلم والمعرفة فلم يكن في اسلوب التعليم هذا مايسمونه « التحيُّز exclusivismo » لكن بعض القوة . وفي طاقة كل واحد بل من واجبه ان يوسع ، بحسب اختياره ، اخلاق شخصيته الخاصة بشرط أن تكون سليمة ، وفي هذه التربية شيء من روح يورك ـ من هذا الروح الذي كثيراً ما اساء فهمه النقادون السطحيون . أجل ان يورك كان بازاء نفسه كما كان بازاء غيره جندياً ومربياً قاسياً . ولكنه كان أيضاً ذلك الرجل الذي يوجب لجميع مرؤوسيه حق وواجب العمل باستقلال كما كان هو يظهر هذا الاستقلال نحو كل احد . وان روح يورك صار من أجل مميزات جيشنا واثمنها ليس فقط في قساوته الحربية بل أيضاً فى حريته

لست استطيع ان اتفهم جيداً الأهمية الكبرى التي تمسك بها سائر المدارس في تعليم اللغات الميتة ، في هذا التعليم الذي يسمونه « تعليم الآداب »

فان المنفعة العملية من هذه اللغات لاتبدو لي جلياً . فاذا اتخذنا

هذه اللغات كوسيلة تؤذن بالبلوغ الى غاية فانها تستوعب مجالاً واسعاً جداً في برامج التعليم وتتطلب شغلاً طويلاً مجهداً

واما كونها درساً قائماً بذاته فانها ليست من متعلقات الشبيبة . وكنت اود، وان عدوني جاهلاً غليظاً، ان تميز وتقدم اللغات الحديثة وعلم التاريخ الحديث واللغة الالمانيـة والجغرافية والرياضة البدنية في هذه المدارس على لغتي اليونان والرومان

أمن اللازم ان تـقدم الى المقام الاول، في أيامنا هذه . المسألة الوحيدة التي كانت وحدها أساس التربية في الاجيال المتوسطة أم نضع نحن لنا من ذلك الحين، بحروبٍ مرةٍ وشغل منصبٍ . تاريخاً خصيصاً بنا وآداباً وفنوناً خصيصة بنا ؟ أليست حاجتنا أمس الى اللغات الحية من اللغات الميتة لنتخذ مقامنا الحقيقي في علاقاتنا مع العالم ؟

فلا ينبغي ان يُرى فيما قلته آنفاً احتقار للاقدمين . بضد ذلك ان تاريخهم، من أول حداثتي، قد اجتذبني اليهم اجتذاباً ولاسيما تاريخ الرومان الذي كلفت به ولوعاً . وكان له علي شيء من القوة حتى لاحسبها كأنها من السحر وهذا الشعور ازداد في حياة وظهوراً فيما بعد لما زرت رومية وبان لي ان آثار المدينة القديمة الخالدة كانت لعيني اجذب من آثار النهضة الايطالية الحديثة

ان دقة المعرفة التي خصت به رومية في تبين الصفات والعيوب في أخلاق الشعوب وان اثرتها العظيمة التي ما استهانت بوسيلة أياً ما دنت

ازاء أصدقائها وازاء أعدائها فيما يعود الى صلاحها وان الحفيظة التي تكظمها ثمّ توقظها بمهارة لتستعملها على أعدائها اذا ما عاملوها كذلك وان حذاقتها في الانتفاع من جميع أهواء الشعوب المعادية ومن جميع ضعفهم ومعايبهم — وهذه الحذاقة توسلت بها خصوصا بحكمةٍ غريبة على القبائل الجرمانية ونفعتها أكثر مما نفعها السلاح — ان كل هذه الامور لقيتُ ـ بحسب اختباراتي المقبلة ـ صورتهـا وكمالها في حكمة الحكومة البريطانية التي توصلت الى ابلاغ هذه الامور في فن السياسة حداً من الاتقان والحيل بعيداً حتى انها استطاعت أن تخادع العالم بأسرهِ

وعلى عظم احترامي للاقدمين كنت أبحث وأنقب وأنا في سن الحداثة عن الابطال بين مواطنيّ واني لابسط رأيي بكل حرية وصراحة الى أنه لا ينبغي لنا أن نغالي بالتحيّز ونكران الجميل حتى ننسى ـ ونحن نعجب بمثل ألسيبياد وتمستكل وكاتون وفابيوس ـ من تاريخ وطننا ذاته رجالاً لعبوا دوراً يماثل على الاقل دور هؤلاء الرجال في تاريخ اغريقية ورومية . ومن الأسف اني قد لاحظت مراراً كثيرة ملاحظات ادمت فؤادي في اثناء محادثاتي مع الشبيبة الالمانية فتبين لي منها ، على وفرة علومها ، انها بعيدة بعض البعد عن حقائق هذا العالم

واذ كنا في هيأة الضباط النبلاء كان اساتذتنا ومربونا ينبهوننا الى التحفظ من هـذا الجهل بأحوال العالم واني اشكر تحذيرهم لي الى اليوم . واخص بهذا الشكر الجنرال فون ويتيخ الذي كان في ذلك العهد

ملازماً في المدرسة . فلما اتيت الى ولستات جئته بوصاة من أحد الامراء فعاملني دائماً اثناء اقامتي هناك معاملة الصداقة والمؤاتاة فانه كان قد تخرج من قبل بسنين معدودة في مدرسة الضباط النبلاء فكان يشعر شعورنا ويشاركنا برغبة في العابنا ولا سيما في لعبة الترامي بكرات الثلج ويبسط في كل مكان نفوذاً يوقظنا ويدفعنا الى الامام وكان فوق ذلك حائزاً على صفات عملية يزدان بها الاستاذ الحاذق

في سنة ١٨٥٩ علمني وانا في الصف السادس علم الجغرافية وبعد ست سنوات علمني في برلين في معهد سلكنا علم الطبوغرافية . ولما دخلت بعد ذلك بأعوام الى المدرسة الحربية العليا وجدته فيها استاذاً واذا هو الجنرال ماجور فون ويتيخ . وحين كان برتبة ملازم كان معتنياً بتاريخ الحرب وطالما كان يعرض علينا ، في تنزهات الآحاد في مواضع يعهدها خصيصاً للتمرينات الحربية الصغيرة ، صوراً بينة جداً عن مواقع كانت قد جرت سنة ١٨٥٩ في ايطاليا العليا مثلاً عن موقعة ماجنتة وموقعة صولفيرينو . وفيما بعد استحثني ، وانا في برلين وكنت لا ازال ضابطاً صغيراً ، على درس التاريخ الحربي وهكذا سيرني منذ صباي على الطرق التي كانت لها أهمية جلى في مستقبلي لان التاريخ الحربي هو اجلُّ استاذٍ لدرس سير الحروب الكبرى . ولما التحقت فيما بعد بهيأة أركان الحرب كان الليوتنان كولونل فون ويتيخ يشغل فيها منصباً عالياً وأخيراً سُمّينا كلانا معاً قائدين لفيلقين من الجيش

إن هنالك أمراً ما كان التلميذ الحدث السن وهو في الصف السادس في ولستات يحلم به قط اذ كان الملازم فون ويتيخ فى أثناء درس الجغرافية يضربه بخشبة ضربات غير مؤلمة بالمسطرة على أصابعه لانه خلط في القول بين الجبل الابيض والجبل الوردي .

فى حياة الضباط الصعبة فى المدرسة لم يكن ما يقبض فينا دماثة الخلق وهشاشة الوجه . وانه ليجوز لى أن أشك في أن زهو الشباب الذي كان آخذاً منا مأخذاً نحن صغار الضباط ، والذى كان فى بعض الاحيان يتخطى كل الحدود ، قد يكون ظهر بهذا المظهر فى أي معهد آخر من معاهد التربية . فاننا كنا نرى في غالب الاوقات فى معلمينا قضاة كبار الاحلام يعرفون أن يفهمونا

أما فيما يخصنى فانى ما كنت قط فى السنين الاولى ذلك التلميذ الذى يسمونه مثالاً وقدوة . ففى بادىء الامر انصرفت الى مغالبة ضعف فى جسدي كان من آثار مرض قديم . واذ كنت أتقوى رويداً رويداً بفضل طرق التربية الصحيحة في المدرسة بدا فيّ أولاً ميل الى الانقطاع الى استيعاب العلوم خاصة ولم يتنبه فىّ حب التشوق الى العلى الا على مهل وعلى أثر النجاح الذى كنت أحتازه في سنىّ المقبلة وكان يتزايد فيّ هذا الشوق حتى انتهى بى الى أن أكسبنى شهرة لا أستحقها : وهو أنى طالب جم المزايا والفضائل

ومهما يكن افتخاري باسم « الضابط الملكى » الذي كنت أتلقب به فاني كنت أرحب، أيما ترحيب، بأهازيج الفرح وأصوات السرور، بكل يوم عطلة تُمنحه لنذهب فيه الى البيت الوالدي . وفي ذلك الحين لم تكن الاسفار ولا سيما فى فصل الشتاء هيّنة سهلة

فان المسافة التى تقطع بتباطؤ في السكة الحديدية فى غرف غير مدفأة كانت تقطع فى « الحافلة » بأبطأ منها وأصعب

لكن هذه الصعوبات كانت تتناقص أمام الامل برؤية البيت العائلي ورؤية الاب والأم والاخوة والاخوات . وعلى اشتياق الولد كان قلب الأم أشوق وأشد ضراماً . وهكذا أنا أذكر لاول مرة إذ ذهبت من المدرسة الى جلوجو في عطلة عيد الميلاد : ركبت من لينتز مع بعض الرفاق عربة بريد وقضيت فيها ليلي كله ثم لم نتتهِ الي جلوجو الا فى الليل لان تساقط الثلوج أعاقنا في الطريق وكانت أمي جالسة في الحجرة الصغرى التى يسمونها « حجرة المسافرين » وفيها ضوء ضئيل والدفء فيها أقل وهي تحيك جوارب صوف ، كما لو كانت لا تريد أن تعكر علي الغير صفو عيشهم ، وقد ذهب الجزع في نفسها مذاهبه تنتظر أن ترى ولداً من أولادها عائداً اليها

فى السنة الاولى التى دخلت فيها الى مدرسة الضباط جاء الامير فردريك غليوم الذى صار فيما بعد الامبراطور غليوم وعقيلته يزوران ولستات فى صيف ١٨٥٩ . فكانت هذه الزيارة أول فرصة لرهط منا

من الطلاب غير قليل ليروا فيها أعضاء عائلتنا الملوكية فلما سرنا في الاستعراض لا أذكر أننا أوسمنا خطانا في استعراض ورفعنا أفخاذنا كما فعلنا في ذلك اليوم ولا أذكر أيضاً أننا أجرينا تمرينات أشد خطراً الا فى ذلك اليوم في أثناء حفلة الالعاب الرياضية التى تلت عرض الطلاب الجنود . وكثر التحدث فيما بيننا مدة طويلة عن لطف الامير والاميرة ورقة شمائلهما

وفي اكتوبر من تلك السنة احتفي لاول مرة بتذكار مولد الملك فردريك غليوم الرابع ففى عهد هذا الملك الذى نكب أشد النكبات ارتديت الثوب العسكري البروسي الذي يجب أن يبقى ثوب نخارى الى يوم موتى . وفي سنة ١٨٦٥ نالني شرف الانضواء الى حجّاب الملكة اليزابت أرملة ملكنا . والساعة التى أهدتها الىّ الملكة اليزابت رافقتني خير رفقة أثناء ثلاث حروب

ولما وقع عيد الفصح سنة ١٨٦٣ ارتقيت الى الصف الثانى فلزم أن أنقل الى برلين وكانت مدرسة الضباط النبلاء في هذه المدينة قائمة في « فردريك ستراس » غير بعيدة من « الكسندر بلاتز » وهذه أول مرة تعرفت الى عاصمة بروسيا وأمكنني أن أرى ، بعد طول انتظار، مولاى المعظم الملك غليوم الاول أثناء الاستعراضات الفخمة التى تقام فى فصل الربيع وهي استعراض فى « لندين » وآخر فى ميدان «الاوبرا» ورأيته أيضاً في استعراضات الخريف فى ميادين « تمبلهوف »

ولما كانت سنة ١٨٦٤ وسمت حياتنا المدرسية بسمة من الرزانة والحماسة ونشبت الحرب بين الدانمرك فاستأذننا فريق من الرفاق لينضووا الى صفوف المقاتلة غير أنه كان من دواعي الاسف أن سني حالت بيني و بين الانضمام الى زمرة هؤلاء الرفاق الذين حسدناهم . ولا حاجة بي الى وصف الاماني الصادقة التي شيعنا بها رفاقنا الذين ذهبوا الى حومة الوغى

ولم نكن في ذلك الحين لنقدح زناد الفكرة في تعرُّف البواعث السياسية التي حملت على قدح شرارة الحرب لكن قد داخلنا شعورُ تفاخرٍ بهبوب ريح بليلة توقظ الممالك الجرمانية من حياة واهنة مستكينة وبأن سيكون للاعمال قيمة فوق قيمة الكلام وأضابير المستندات . غير أننا تتبعنا باهتمام كبير الحوادث الحربية وشهدنا ، وملء البال نشاهزة الفرح ، وصولَ المدافع التي ربحناها على العدو وشهدنا أيضا رجوع جيوشنا الظافرة . وكنا نظننا على حقٍ اذا حسبنا أن فينا جزءاً من ذلك الروح الذي اقتاد جيوشنا الى الظفر في ميادين القتال في أرض الدانمرك . فهل من عجب بعد ذلك اذا شق علينا انتظار ذلك اليوم الذي يتاح لنا فيه الانضمام الى صفوف جيوشنا ؟

وقبل هذه الواقعة قد سرَّنا أن فزنا بشرف المثول بين يدي ملكنا وعلى هذا الغرض أدخلنا القصر وكان يجب على كل واحد منا أن يقول لجلالة الملك اسم أبيه وحرفته . وكثيراً ما اتفق أن ضابطاً يُرتَج عليه في باديء الحال فلا يتحركُ لسانه بكلمة واحدة من شدة ما تولاه

من المهابة ثمّ يلقي عبارته متداخلة كلماتها الواحدة في الاخرى . ولا غرابة في ذلك لاننا لم نكن من قبل قد تقربنا من مليكنا الذي ابيضت شعوره ولم نكن قط نظرنا اليه تتفرس في عينيه توحيان الينا العطف. ولم نكن قط سمعنا صوته، كما فعلنا اليوم ، فقال لنا الملك كلمات جليلة استحثنا على القيام بالواجب فى الساعات الصعبة الحرجة . وعما قليل سانحة لنا الفرصة لنضع كلماته موضع العمل . وانى لأعرف غير واحد منا ختم حياته بخاتم الامانة لمليكه .

وفي ربيع ١٨٦٦ تركت هيئة الضباط وما انفككت من ثمّ ذاكراً فضل هذا المعهد الذى تلقى فيه التربية الحربية موفوراً ولأبي له،وقوفة حياتي عليه يدعوني الى ذلك ميلٌ فى النفس وخبرة قد اكتسبتها . وكان يتولاني فرح كثير اذ أرى رفاقى الفتية وهم يمتلئون آمالاً عليهم بزة الملك في أثناء الحرب العالمية كنت أحب أيضا أن أرى على مائدتى أبناء أعواني ومعارفي أو رفاق الذين سفكوا دماءهم في ساح الشرف والفخار

ومن جميل الصدف أنه اتفق لى أن أبدأ عيد مرور السبعين سنة الذي وقع في ابان الحرب بأن استقدمت ثلاثة ضباط من النبلاء كانوا سائرين في أحد شوارع كرزنباخ ودعوتهم يتناولون معي طعام الافطار على مائدتي وكانت متناثقة عليها الاطعمة وأنواع الحلوى وهي هدايا جاءتني فى ذلك اليوم فتقدموا اليّ كما أحب الشباب بحرية وبغير كلفة صوراً حية لى عن أعوام طال عليها الامد وتذكارات أيام أحييتها من قبل

في الجهاد لعظمة بروسيا والمانيا

في ٧ ابريل سنة ١٨٦٦ دخلت « ملازماً ثانياً » في آلاي الحرس الرجالة الثالث . وهذا الآلاي منسوب الى الوحدات التي انشئت سنة ١٨٥٩ — ١٨٦٠ حين زيد عدد الوحدات العاملة زيادة كبرى . وحينما انتظمت في سلك هذا الآلاي الحديث عهده كان قد طوق بقلائد الفخار في حرب ١٨٦٤ . ان الماضي المجيد اذا شمل بمجده جيشاً من الجيوش ضم بروابطه جميع الاعضاء التي تكوّن ذلك الجيش ووثق فيما بينهم روح اتحاد يثبت على الشدة في اشق مواقف الصدام وأروعها . ان في هذا الروح شيئاً من الاتحاد لايتفكك بل يظل يبسط نفوذه ويؤثر به حتى في الآلايات التي يجري فيها تبديل وتغيير ، كما حدث ذلك في الحرب الاخيرة ، لانه اذا احتفظت فلول الآلاي بالروح القديم امتد في زمن قريب الى سائر العناصر الجديدة التي دخلت عليه وانعشها

ولقد وجدت في الآلاي ، الذي أنشأه آلاي الحرس الرجالة الاول بمدرسة بستدام القديمة الجميلة، ذلك الروح المتسلسل من تقاليد الجيش البروسي القديم وهي من خير التقاليد وافضلها . في ذلك العهد لم يكن لهيئة الضباط البروسية أموال محشودة وان في ذلك لصلاحاً . وكان قوام ثروتها عدم الحاجة . اما الضباط، وكانوا يدركون جلّ الادراك ان رابطة شخصية تربطهم بمليكهم وهي — كما عبر عنها أحد مؤرخي الالمان — « أمانة الامير » ، فكانت هذه العاطفة تعيضهم من خسائر مادية وفيرة . وكانت لهذه الفكرة فائدة ثمينة جداً لجيشنا وهكذا فان كلمة « خدم » كان لها في ذلك الحين مفاد مخصوص . وكثيراً ما ادعوا أن هيأة الضباط في تمسكهم بهذه النظرية في حرفتهم قد اعتزلوا عن سائر الحرف . فاني ما شاهدت قط في هذا المحيط « تصوّناً » اظهر من التصوّن الذي يرى في سائر المهن حيث يتساندون بالمرافق حتى انك لترى رجال هذه المهنة لايطيب لهم مقام الا اذا اجتمعوا

برفقه متداولا . ومن أبين الأمثال وأجدها لأعظم دلائل الروح الذي كان سائداً يوم ذاك بين هيئة ضباط بروسيين ما جاء في مخطوط ورد الكلام فيه على زون وزير الحرب .

ان فيلق الضباط في ذلك العهد ممثل فيه في ذلك المخطوط كأنه طائفة من النبلاء محكمة التآلف والتضامن الا انها ما كانت قط متحجبة او بعيدة عن الحياة العمومية وما كانت قط محرومة من ان يشوبها خليط من الاحرار على شرط ان يكونوا معتدلين أغنياء بالمعارف الاختصاصية . وقد نشأ في هيأة الضباط هذه مطمح جديد ينزع الى أعلى درجات الكمال مرتكز على التشدد في التأدب اللازم للمهنة ، قام في وجه ذلك المطمح القديم الذي اعتاده الناس من قبل

وقد كان النشط المتذرعين بهذا المطمح والراغبين فيه أبناء الأسر القديمة من المحافظين واعوان الامبراطورية في بروسيا وقد دعمه وايده شعور بقوة الحكومة وسطوتها متأصل في النفوس . وساعدته النهضة التي نهضها فردريك يرجو ان يفتح لبروسيا بجيشه مجالاً للعمل جديداً على سطح البسيطة

ولما انتهيت الى آلايي وكان يوم ذلك مرابطاً في دانتزيج كان الافق قد بدأ يعلوه قتام من جراء الحوادث السياسية التي وقعت في الاشهر المقبلة . ولم يكن بعد قد صدر أمر بتعبئة الجيش زحفاً على النمسا بل كان هناك أمر بزيادة الفرق العاملة والزيادة قائمة على قدم وساق

وقام في الخواطر ان القتال انما يكون بين بروسيا والنمسا فصل الخطاب . فتوجهت جميع أفكارنا الحربية والسياسية الى فردريك الكبير . وعليه فانه لما تمت تعبئة الآلاينا انتقلنا به الى بستدام وقادنا القذافين منا الى امام ضريح هذا المليك الذي لا ينسى وان النشرة التي اذيعت على جيشنا قبل دخوله الى بوهيميا قد استدركت فأشارت في ختامها الى تلك الحالة النفسانية فقالت « أيها الجنود كونوا واثقين بقوتكم واعلموا انه لا بد لكم من احراز الغلبة على ذلك العدو نفسه الذي قهره قدماً

مليكنا الأكبر بجيش صغير ! »

اما من الوجهة السياسية فقد داخلنا شعور بضرورة عمل فعال يقوم ﺤﻜﻢ في من تكون أقوى الامتين : النمسا أم نحن؟ لانه كان يستحيل بالكلية على دولتين كبيرتين ان تتوسعا بحرية وهما متلاصقتان جنباً الى جنب في داخل الممالك الجرمانية . فكان لابد لواحدة أن تعنو للاخرى وتتنازل لها . وبما ان مثل ذلك لا يستطاع مناله بمعاهدات رسمية لزم ان ينطق الحسام

وعلى هذا النظر في الحالة لم يكن يخطر ببال أحد عندنا ان يرى في النمسا عدوا وطنياً وان روح توحيد الذرية كان قد امتد وانتشر بحيث أصبح من المحال ان تتسرب عواطف البغضاء بين الامتين اذا عرفنا ان العناصر الالمانية كانت الى ذلك الحين اكثر العناصر عدداً في الامبراطورية الدانوبية، وقد دل سير الحرب على هذا مرات عديدة. فعومل أسارى النمسويين فيما بيننا في أغلب الاوقات معاملة واطنيين لا يلبث ان تضع الحرب أوزارها حتى نعود الى قديم صلاتنا بهم . وكان سكان بلاد الاعداء ، وان تكن الاكثرية فيها من الشعب التشيكي ، يستقبلوننا غالبا بمظهر الولاء حتى ان المعيشة في مضاربنا كانت أشبه شيء بما كانت عليه في المانيا أثناء الاستعراضات الكبرى

اذا انطلقت بنا الافكار في أبان المعارك الى الملك فردريك نذكره فان أعمالنا سيرتنا على آثار ذلك الملك العظيم ننهج منهاجه فان فيلق الحرس السائرة من سيليزيا خلال بوهيميا قرب « برونو » من مواضع للحرب كثيرة كانت جيوشه قد ارتادتها من قبل وجالت في مناحيها . وأول وقيعة اذ كينا نارها وهي وقيعة صور ، أوقفتنا يوم ٢٨ يونيو على الموضع الذي حارب فيه الحرس البروسي في ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٤٧ وسرنا منه في الوجهة التي رسمها ايتل زاحفاً على بوكرسدرف وقد سار عليها الحرس اثناء وقيعة صور يتقدم في وسط جيش الملك العظيم ، ذلك الجيش الذي كان يسير في أساليب الفنون الحربية القويمة لا يحيد عنها قيد شعرة

وكتيبتنا الثانيـة — وكنت فيها قائد ثلة الرماة الاولى من السرية الخامسة ـ وهذه الثلة منشأة بحسب نظام ذلك الزمان من الصف الثالث ، عسر عليها تحين الفرصة لتتداخل على الخط الاول لانه ـ على مقتضى الخطط الفنية المتبعة حينذاك ـ كنا جزءاً من الوحدات الاحتياطية التي كانوا يعينونها قبل نشوب القتال. على انه سنحت لنا فرصة نتداول فيها والمشاة النمسو بون اطلاق الرصاص من غابة صغيرة واقعة الى شمال بوكرسدرف الغربي ونأسر الاسارى و بعد ذلك اتيح لنا ان نهزم بنيراننا كتيبتين من « الاوهلان » الاعداء كانتا قد انحصرتا في قاع عدمتا فيه أسباب السلامة. وتمكنا من الاستيلاء على عجلات النقل فوجدنا في هذه العجال صندوق الآلاي فدفعناه الى القيم وأخذنا مقادير من الخبز حملها رماتنا على أطراف الاسنة الى معسكر بوكرسدرف وكذلك وجدنا جريدة الآلاي التي يدون فيها أخباره فاذا حوادث هذه المعركة مدونة في الدفتر الذي سطرت فيه حوادث حرب ١٨٥٩ التي نشبت على ايطاليا

ومن نحو اثنتي عشرة سنة تعرفت الى رجل مسنّ من مكامبو رج كان كلازم في احدى الكتيبتين النمسو يتين من « لاوهلان » اللتين سلف الكلام عنهما فباح لي انه في ذلك الموقف اضاع قيصاً جديداً كان محتفظاً به ليوم دخوله برلين دخول الظافر

ولما لم يكن لي من يد مشكورة في وقعـة صور اكتفيت ان استنشق رائحة البارود وان اتفهم شيئاً من التأثر الادبي الذي يأخذ من الجنود اذا التحموا مع العدو

ومن الغد فارقتني حماسة القتال وتعرفت الى ما يمكن ان يلقبوه بظهر المجن فانتدبت الى مهمة تشجي الاسى وهي ان اجمع مع ستين رجلاً من القذافة جثث القتلى المطروحة في ساحات القتال فندفنها. ذلك عمل شاق يزيد في مشقته ان الحصاد لايزال على قدم

و بعد بذل جهد عنيف وسعي ان التحق ورجالي بعـد الظهر بكتيبتي التابعة للبة الجيش وكانت قد بدأت تزحف نحو الجنوب ولزمني في غالب الاوقات أن اتجاوز

الوحدات، ونحن نسير في حفائر الطريق المخددة ، الا انني بلغت في الزمن المضروب لاشهد طلائعنا يستولون عنوة على مسالك إلب في كونيجينوف

ان يوم ٣٠ يونيو أوقفني على ما في الحرب من أمور وحقائق وضيعة فقد اضطررت ان اقتاد ليلاً الى تروتنو نحو ثلاثين عجلة فيها أسرى وليس معي من الحراس الا النفر القليل ثم اذا انعتقت من هؤلاء الاسرى شحنت عجالي اقواتاً وميراً وعدت بثقلي الى كونيجينوف وما استطعت ان انضم الى سريتي الا في اليوم الثاني من يوليو وكان وجودي ضربة لازب لان فرقتي اشتركت من غد في وقعة كونيجرتز

وفي غضون الليلة القابلة قمت مع ثلتي نعس ونتلمس الاخبار في جوار قلعة جوزفستاد ومن صباح ٣ يوليو وانا غير متريب مما كان مزمعاً ان يحدث اذا أنا قد بلغت طلائع الجيش وهم في معسكر بارد رطب بقرب مخارج كونيجينوف الجنوبية. وفيما نحن على هذا اذ سمعنا صوت « البدار » ثم جاءنا الامر ان تتعجل عمل القهوة وان نكون مستعدين للسير الى الامام . ومن اصغى باذنه امكنه ان يسمع قصف المدافع داوياً من جهة الجنوب الغربي فتبودلت الآراء فيما تكون أسباب هذا القتال وفاز رأي من رأى ان الجيش الرابع ، وهو جيش الامير فردريك شارل الذي زحف من لوزاس ودخل أرض بوهيمياء قد التحم مع جيش نمسوي منفرد ، ونحن انما كنا من رجال الجيش الثاني

وفيما نحن بين تداول هذه الآراء اذ انتهى الينا الامر بالتقدم فقابلناه بهتاف الفرح وان رجال الحرس كانوا ، والحق يقال ، قد شابهم حسد وأخذتهم غيرة من الانتصارات الباهرة التي تصيدتها من على يسارنا ، فيلق الجيش الخامسة يقودها الجنرال فون ستنمتز . وكنا نتقدم بمشقة تحت هطل الامطار ونحن صفوف طويلة في طرق مخددة والعرق، على رغم برودة الهواء، يتصبب منا واشتد التغاير بين صفوفنا وأما انا فقد بلغ مني مبلغاً خشيت معه أن ربما نرانا وصلنا متأخرين عن الموعد كثيراً

ثم تبين لي ان قلقي لم يكن في محله . وبعد ان تسلقنا منحدرات وادي إلب أصبح دوي المدافع أبين في الآذان . وفي نحو الساعة الحادية عشرة رأينا رجال أركان حرب هام قد وقفوا على نجوة قائمة في جوار طريقنا ينعمون النظر ملياً بالمنظار في الافق المتجه نحو الجنوب . وكان هذا أركان حرب الجيش الثاني يقوده أميرنا وارث العهد الذي صار فيما بعد الامبراطور فردريك

وبعد مرور أيام طويلة قص عليّ الجنرال فون بلومنتال الذي كان حينذاك رئيس أركان حرب ذلك الجيش عن هذه الساعة التاريخية ما يلي قال :

« في حين كانت فرقة الحرس الاولى تمر امامنا في طرق محددة سألت الامير ولي العهد ان يصافحني يداً بيد ولما التفت اليّ يتفرسني كأنه يسألني عن السبب اردفت أقول له أن اردت ان اهنئه على انه ربح الموقعة . كانت نيران المدفعية النمسوية مصوبة دائماً الى الغرب مما كان يدل على ان العدو منتشب قتاله على طول الخط مع الجيش الاول فنتج من ذلك ان جيشنا الثاني يهاجمه الآن من خاصرته وبفريق من مؤخرته واذا كانت الحالة على ما قدمنا لم يبق من خطة لفيلق الحرس والفيلق الرابعة الا ان تتابعا حركتهما فتسر الاولى من اليمين والثانية من يسار نجوة واقعة قرب هورانوس وتلك النجوة منظورة من بعيد على رغم الضباب وثابت عليها شجرتان كبيرتان من الزيزفون . أما الفيلقان الاولى والخامسة اللتان فكانتا أيضاً تسيران الى مكان القتال تتأثران خطوة خطوة فيلق الحرس والفليق الرابعة · وفي ذلك اليوم ما كان على الامير ولي العهد أن يصدر غير هذه الاوامر . »

واستمررنا على التوغل في الحقول ثم انتشرنا فما عتم ان قابلتنا أول قنابل مدفعية العدو المركزة على النجاء الواقعة على مقربة من هرنيوز . وقد اثبتت المدفعية النمسوية طيب احدوثتها القديمة وشهرتها فمن أولى القذائف التي ترامت علينا أصابت قذيفة قائد سريتي فجرحته وأخرى نالت صف الضابط الملحق بي فأردته على الفور قتيلاً وهو ورائي ثم ثالثة انفجرت في وسط خطنا تقريباً فاقعدت خمسة وعشرين رجلاً عن

القتال . ولما هدأت نيران العدو بعد ذلك وقعت تلك النجاء بين يدينا بغير قتال - - لأن هذه النجاء ما كانت الا موقعاً نائياً اقتعده العدو على عجل حين بوغت اكتساباً للوقت فلم يعززه بالجند — تولانا شعور ازاح عنا الاوهام . لكنه لم يطل طويلاً لانه تيسر لنا بعد قليل ان نرى قسماً كبيراً من مكان قتال واسع . فلى امامنا والى منعطف اليمين فى الجو المضطرب المغبر كانت تلوح غمائم كثيفة من الدخان ينبعث من مرامي مدافع جيشنا الاول ومن جيش العدو الرابض على ضفاف بيستريتز . وكان برق المدافع ولمعان أشعة النيران المتسعرة تلتهم القرى يكوان هذا المشهد ثوباً من الالوان غير مألوف

ان تكاثف الضباب وارتفاع سوق الحصيد وانخفاض الارض امل كل هذا كان يخفى حركاتنا عن أعين العدو ثم إن مدافعه أخذت تقذف الى جهة الجنوب ناراً ضعيفة جداً لم تصدنا عن التقدم وقد انتزعنا منهم على التوالي معظم هذه المدافع بعد ان دافعت دفاعاً مجيداً . فكنا نتقدم بجميع السرعة التي سمحت بها تلك الارض بصقالة ثراها ومزالقها ومزدرعاتها والكازا والشمندر السكري . وهجومنا كان مدبراً بمقتضى قواعد فنون الحرب جميعها المتبعة فى ذلك الزمان لكنه لم يمر الا اليسير حتى تفكك وتدابر فان الجند سراياه وثلاثه شرعوا يتخيرون لهم كل واحد خصماً والوحدات تتقاذف الى الامام ! ولم يكن من رابطة تربطهم الا تلك الارادة المشتركة :
« الى الامام ! ويحاً للعدو ! »

و بين كلوم و بين نِدليتز وقع « نصف كتيبة » لنا — وتلك التعبئة كانت فى القتال كثيرة الشيوع والاستعمال حينذاك — على جريدة من رجالة العدو مقبلة من الجنوب ولم يكن يتوقع ذلك بسبب الضباب والمزدرعات فارغم العدو على النكوص على أعقابه امام تفوق بنادقنا ذات الابر . فتأثرت هذه الجريدة مع رجالي وقد تحولوا في اثناء الوقيعة رماة فوقفنا على حين غرة على بطاربة نمسوية كانت قد اسرعت بجرأة عز مثيلها فر بضت امامنا وصوبت فوهاتها وانفذت الينا القذائف ،

ونفذت قنبلة قبعتي فخدشتني فسقطت الى الارض ساعة استرخاءي ولما استعدت رشدي هجمنا على البطاربة عنوة فأخذنا خمس قطع وانهزمت الثلاث الأخر . أخذتني عاطفة كبر لما رأيني منتصباً بين مدافعي التي ربحتها وأنا استنشق النسيم بملء رئتي والدم ينز من جرحي الخفيف في رأسي

لكن لم يتسع لي المجال طويلا فارتح ملء عيوني فان صيادة من الاعداء تعرفناهم من ريش الديوك على قبعاتهم طلعوا علينا من بين السنابل فهزمناهم وتأثرناهم الى طريق عميق

وقد شاءت الصدف في ابّان هذه الطامة الكونية الكبرى أن تعرف في النمسا هذه الحادثة الاولى التي وقعت لي في الحرب في حياتي الجندية . فان ضابطاً نمسوياً متقاعداً من رجال ١٨٦٦ كتب اليّ من ريشمبرج في بوهيميا انه كان في وقعة كونيجراتز كضابط آلاي في البطارية التي ربحتها واتم قصته بكلمة مستحبة . وكما انه ختم كتابه ببعض كلمات تشف عن ولاء ومودة أجبته شاكراً له من صميم الفؤاد ! فنرى ان تراسل الرفاق الاوفياء قد تم بين خصوم الماضي

ولما بلغت الى الطريق العميق الذي اسلفت عليه الكلام أجلتُ نظري في الافق فاذا الصيادة الاعداء قد استتروا بالضباب الممطر . والقرى المحدقة — الى امامي وستار والى يميني روسبريتز والى يساري سويتي — كانت لاتزال، كما يظهر، في أيدي العدو والقتال ناشباً في روسبريتز وكنت وحدي مع فصيلتي ولم يكن رأني رجل من رجالنا مرئياً . أما الافراد المنظمون فلم يتبعوني نحو الجنوب لكنما تبين انهم توجهوا الى اليمين فعزمت العزم ان أضع حداً للعزلة التي كنت فيها في ساحة القتال الواسعة وأنا قاصد الى روسبريتز في الطريق المجوف . وقبلما انتهيت الى هذه القرية مرت امامنا جملة كتائب نمسوية ولم يلمحونا أنا ولا رجالي . وقطعوا الطريق المجوف من مكان تساوى سطحه والارض المجاورة ثم بعد قليل اصطدموا — دلني على ذلك تجاوب دوي البنادق في الناحية الى الشمال الشرقي من روسبريتز — بكوكبة من

خيالتنا ما كنت استطيع ان ابصرهم . وما هو الا اليسير حتى عادت من هذه الوجهة افراس بغير فرسانها ثم رأيت الجمهور قافلاً يمر من امامي فأرسلت اليه بعض رصاصات لان اردية الفرسان البيضاء كانت في الضباب اغراضاً بينة

واذ وصلت الى روسبريتز كانت الحالة فيها حرجة فان ثلالا وسرايا من آلايات مختلفة من فرقتي كانوا قد انقضوا على هذه القرية واستهدفوا لقوات تكثرهم عدداً ولم يتلقوا على قلتهم امداداً لان مجموع الفرقة أسرع الخطى الى قرية كلوم الواقعة على رابية وقد دار فيها قتال عنيف فكان نصف - فصيلتي التي كنت من طالع السعد قد انضممت اليها على أطراف روسبريتز الشرقية هي أول من وصل لمساعدة هذه الوحدات

فمن كان أعظم دهشاً منا النمسويون أم نحن ؟ ذلك ما لا يسعني قوله . وعلى كل حال فان جموع العدو أغاروا علينا في صفوف متراصة غارة شعواء من ثلاث نواح ليستردوا منا القرية . وعلى ما كانت عليه نار بنادقنا ذات الابر من الهول فان صفوفاً جديدة من الأعداء كانوا يقتحمونا يدوسون على جثث القتلى من الصف الاول ولا يبالون و وقعت اذ ذاك معركة دامية في ازقة القرية و بين البيوت قد ذكت النار في سقوفها التي من قش التبن . وفقد النظام في الصدام فمن مسدد بندقيته يطلقها ومن شاهر نصله يطعن به يميناً وشمالاً . وقد سقط الامير انطوان هوهنزولرن من لواء الحرس الاول من جرح بالغ أصابه وان فون ويرش حامل العلم — وهو المرشال الحالي — أقام بالقرب منه في نفر من الرجال قتالاً تراوح فيه الفوز وجاؤا اليّ بساعة الامير الذهبية لئلا تقع في أيدي أحد لصوص العدو . ثم دهمنا خطر من ان نُشطر شطرين في زقاق منعطف ينطبق على مؤخرة رجالنا وقد سمعنا صوت الابواق النمسوية وضجيج طبول العدو انكر من ضجيج أبواقنا وطبولنا وضايقنا العدو في إطباقه على مقدمتنا فارغمنا على الارتداد ولولا سقف من القش يسقط على الثرى فيقوم حائلاً من اللهيب والدخان الكثيف دوننا ما نجونا . وفيما نحن نمتنع في هذا السياج لجأنا الى

رابية واقعة تواً الى شمال القرية الشرقي

انا وطنا العزائم على ان لا نتقهقر اكثر من ذلك وندافع أو نُكاد . أما الماجور الكونت ولدرسي من آلاي مشاة الحرس الاول — الذي جندل قتيلاً سنة ١٨٧٠ امام باريس وكان قومندان آلاي القذافة في حرس « الملكة أوغستا » — فأصدر الينا أمره بصفة كونه اقدم ضابط موجود ان نركز في الارض العلمين اللذين معنا فاركز العلمان وتألبت حوليهما الوحدات وانتظمت . وكانت الامداد تأتينا من المؤخرة فضرب الطبل وكررنا كرة على العدو الذي قنع من القتال باحتلال القرية فما هو الا ساعة حتى جلا عنها لاحقاً بجيشه المهزوم

ورجعنا الى روسبريتز فوجدنا الامير دي هوهنزولرن لكن ما لبث ان فاضت روحه في مستشفى كونيجينوف النقال متأثراً من جراحه فواسفا عليه ! وكان العدو قد أسر بضعة الرجال الذين دافعوا عنه آمن دفاع . ونال نفراً من قذافة ثلتي بعد ان أبلوا أحسن بلاء في أحد مصانع القرميد ما نال رفاقهم من قبل . وقد لحقوا بنا في الغد التالي في السهرة في ساعة كنا نضرب معسكرنا الى الجنوب الغربي من قلعة كونيجراتز . غير ان قومندان القلعة قد وجههم نحو مواقد المعسكر البروسي ليزيح عنه كلفة اطعامهم فساعدهم الحظ فنزلوا حالاً بين رجالهم

وفي مساء الوقيعة تقدمت فرقتي حتى وستار وظلت فيها الى يوم تركت فيه ميدان القتال . وأراد الطبيب ان يعثني الى المستشفى النقال بسبب الجرح في رأسي لكني لما كنت موقناً بانتشاب معركة ثانية فيما وراء إلب قنعت من العلاج بلفافة عصبت بها الجرح عصبة خفيفة على اني اضطررت في مسيري من قبل ان استبدل الخوذة بالقبعة

وتنوعت العواطف التي ثارت في نفسي في مساء ٣ يوليو تنوعاً متبايناً فأنا ان كنت شعرت بحمدالله ربنا وشكره على ما أفاض عليّ من نعمه فقد ملأت جوارحي هزة كبرى اذ فكرت اني اشتركت في عمل يضيف صفحة مجد جديدة الى تاريخ

الجيش البروسي والى تاريخ وطننا البروسي . وقدأدركنا أيضاً ان لهذه المعركة نتائج هو أجلّ وابلغ من المعارك السالفة وكنت افكر أيضاً متأثراً في رفقي القتلى أو الجرحى أما ثلتي فقد فقدت نصف رجالها العاملين مما يدل على انها قد عملت جميع واجبها

وفي ٦ يوليو انتظر الامير ولي العهد في بردوبتز آلاينا على مقربة من جسر السفين من حيث لزمنا ان نعبر إلبب وامتدح سلوكنا الباهر في اثناء المعركة فشكرناه بأصوات التهليل واستطردنا السير وكلنا فخور بالتهاني ء التي قد وجهها الينا قائد جيشنا وارث تاج بروسيا وكلنا مستعد لنتبعه مسرورين الى وقائع جديدة

أما سائر ما جرى في هذه الحرب فلم يكن الا التنقل ولم يحدث في هذه الغضون من الحوادث ما يستحق ذكراً

وأمضيت المدنة في ٢٢ يوليو ونحن في لمسا السفلى على مسيرة أربعين كيلومتراً من فينا ولما ان قام آلايي آيباً الى المانيا رافقنا في مسيرنا ضيف نحس هو الكوليرا . ولم يتركنا الا شيئاً شيئاً بعد أن الحق بنا غير قليل من الخسران

واسترحنا بضعة أسابيع على الجر وفي هذه الغضون التقيت في براج بأبي الذي ألقيت اليه مهمة في أحد مستشفيات ميدان القتال في كونيجراتز بصفته عضواً من أعضاء جمعية « سان جان » فلم ندع هذه الفرصة تمر ولانزور في جوار المدينة ساحة القتال في براج حيث جاهد مليكنا الاكبر. وقدأدهشنا جداً أن رأينا ، الى جانب النصب الذي أمرت الحكومة البروسية بتشييده بعد حروب الخلاص تذكاراً للمرشال الكونت فون شوبرين الذي قتل قرب براج ، نصباً آخر كان الامبراطور جوزف الثاني المعجب بفردريك الاكبر قد أعلاه من قبل اكراماً لهذا البطل عدوّ وطنه القديم

ان ذكرى زيارة ساحة القتال هذه قد ظلت حية جداً في اثناء الحرب الاخيرة . فحالة بروسيا سنة ١٨٥٧ يمكن ان تكون أشبه شيء بحالة المانيا سنة ١٩١٤ وكما ان واقعة كولين قد وليها انتصار براج هكذا ولي معركة المارن انتصارات

عديدة . وفي الحالين فان حبوط خطتنا الهجومية الكبرى قد اضطر وطننا الى اطالة صراع مبيد ابقاء على كياننا . لكن يبنا بروسيا قد خرجت من حرب « السبع السنين » قوية خرجت المانيا هضيمة الجناح من الحرب الاخيرة وهي حرب استيئاس طالت أربعة أعوام . او لم نكن اذاً مستأهلين لآبائنا ؟

واجتزنا في ٢ سبتمبر ، في أثناء عودتنا ، حدود ساكس و بوهيميا . وفي ٨ سبتمبر قطعنا على طريق جروسيهين — الستر مقاطعة « مركة برندبورج » وكانوا قد رفعوا انا قوس نصر على ثغر هذه المقاطعة فمررنا تحته على نغم « هيل دير ايم سيجركرانز » (Hiel Dir im Siegerkranz) (١) وهكذا عدنا الى بلادنا . فما من حاجة لاقول ما هي العواطف التي شعرنا بها اذ ذاك !

ودخلنا دخولنا الحافل الى برلين يوم ٢٠ سبتمبر . واستعرض العرض في ميدان « كونيج — بلاتز » الحالي ولم يكن في ذلك العهد الا ميداناً للتمرينات كثير الرمال . وعلى الأرض المشيدة عليها اليوم بناية هيأة أركان الحرب الكبرى كان مستودع احطاب يصله بالمدينة طريق قامت على جانبيه أشجار السرو . غير ان « بناية » كرول كانت قائمة . وحينما ترك الجنود ميدان الاستعراض صعدوا (لندين) يتوجهون نحو الاوبرا مجتازين باب برندبورج ومن ثمت اقبل جلالة الملك يستعرضنا نمرّ امامه . وشهد الاستعراض بلوخر وشرنهرست وجنزينو جالسين على دكات عالية . لعلهم كانوا مسرورين بنا !

اما كتيبتي فمن قبل ان تتقدم الى الاستعراض اجتمعت في « فلورا ـ بلاتز » ودفع اليّ قومندان الآلاي وسام النسر الاحمر من الدرجة الرابعة مع سيوف وقال لي

(١) نشيد وطني نمسوي للامبراطور فرنسوى جوزف على لحن النشيد الملكي الانجليزي وترجمته « سلام عليك تحت ظل اكليل المجد » أيها الامبراطور فرنسوى جوزف ...

أن اعلقه حالاً على قبصي لان الاوسمة الجديدة يجب ان تحمل للدخول الى برايب وتلفتُ حولي وفيَّ بعض اضطراب فخرجت اليّ من الحشد امرأة مسنة وعلقت الوسام بدبوس على صدري . و بعد ذلك كنت كل مرة اجتاز فلورا — بلاز راجلاً أو راكباً افكر، بعاطفة الجميل ، في تلك البرلينية الكريمة التي علقت على صدر الملازم الثاني وعمره ١٨ ربيعاً وسامه الاول !

و بعد الحرب ترتب على آلاي الحرس الثالث ان يقيم في هنوفر حامية . و بذا أرادوا ان يكرموا هذه المدينة التي كانت الى ذلك الحين عاصمة . فمضينا الى هنوفر على الكره منا لكن بعد انقضاء اثنتي عشرة سنة لما بدل الآلاي الى برلين وعزمنا على الرحيل شقّ الوداع على كل واحد منا . أما انا فقد كانت هذه المدينة الجميلة كريمة علي عند ما فارقتها في سنة ١٨٧٣ حتى اني فيما بعد لما اعتزلت الخدمة انقطعت اليها هياماً

وكان علينا ان نتبادل العلائق في حاميتنا الجديدة . والحق يقال ان غير واحد من قطين هنوفر تنحى عنا لاسباب سياسية . لكننا نحن لم نأتم الى أحد اذ أقمنا على ولاء الاسرة القديمة المالكة واذ كنا مقتنعين بضرورة ضم هنوفر الى بروسيا ولم نعتبر كخصوم في الحزب « الجلف » (١) الا بعض الافراد الذين انقادوا الى الاخلال فالاهانة فالعصيان على ان يتحملوا بلواهم باناة وسداد

وعلى تمادي الايام ازددنا اتحاداً واندماجاً في حياة هنوفر التى ، لحسن الطالع، نعمت بمزايا المدن الكبرى ولم تبلَ بمضارها . وكان لنا فيها معشر جميل طيب زاد رونقاً وازدهاراً بعد الحرب على فرنسا لما جاء صاحبا السمو الملكي الامير ألبر البروسي وقرينته يقطنان هنوفر وقضيا فيها سنين طويلة . وتداولنا هذه الحياة بين معشر و بين ارتياد مرسح القصر البديع مباحاً للضباط الفتيان دخوله بمرتب هيّن . وتكتنف المدينة صفوف جميلة من الاشجار بين الخمائل البديعة تزينها أفضل الغابات

(١) هو حزب ينتمي بسياسته الى تأييد البابوات مناهضاً السياسة البروسية

الالمانية وهي غابة « ايلنريد » وكنا نستطيع ان نروّح فيها الحياة متنزهين على أرجلنا أو ركوباً على الخيل في ساعات الفراغ التي تخولناها الخدمة

ولما كنا نبقى في هذه المقاطعة للحركات الحربية لانذهب الى بستدام نشهد فيلق الحرس في تمارينها التي تقوم بها في الخريف أتيح لنا على مرور الايام ان نخبر رغد الحياة وطيب الاقامة التي عليها ساكس السفلى جميعها من أعلى جبالها الى شاطىء البحر ونقدرها اقدارها

أما التمرينات اليومية فكانت تجري في ميدان واترلو . وهناك في مدى ثلاثة أعوام متوالية دربت رجال الرديف وهناك اتخذت لي في احدى القشلاقات الضاربة على هذا الميدان أول مسكن عسكري وهومكتب اشغال وحجرة منام . والآن أيضاً عند ما أتجول في هذا الحي من المدينة اذكر بالفرح ايام شبابي الذهبية. ان كل رفقي تقريباً في ذلك العهد قدأصبحوا اليوموقداجتمعوا تحت لواء جيش الاموات الكبير . على اني رأيت حديثاً ذلك الذي كان قومندان سرية مدة سنين عدة الماجورالمتقاعد فون سيل . ان لهذا الرجل علي فضلاً كبيراً — وهو اليوم قد تجاوز الثمانين — لانه كان لي مثالاً ومدرباً علمني على التوفيق الدقيق في الاعمال

في صيف ١٨٦٧ زار جلالة الملك هنوفر زيارته الاولى وشهدت وصوله مع ثلة الشرف امام القصر في جورجسبارك فتسرفني مليكي أن سألني بمَ استحققت وسام النسر الاحمر مع سيوف . وفيما بعد لما نلت اثناء حرب ١٨٧٠ — ١٨٧١ صليب الحديد طرح علي امبراطوري ومليكي مراراً عديدةذلكالسؤال كلما مثلت امامه إما بمناسبة تغيير منصبي وإما بمناسبة ترقيتي وفي كل مرة شعرت بذات الكبرياء وذلك السرور كما جرى لي سنة ١٨٦٧

وتمكنت، بعد ذلك، العلائق السياسية والحربية والاجتماعية بين بروسيا وهنوفر وصارت اروى صفاءً وما عتم ان اثبتت هذه المقاطعة الجديدة في ساحات القتال الدامية انها جزء لا يتجزأ من بروسيا شأنَ سائر مقاطعاتها

وحين شبت حرب سنة ١٨٧٠ مضيت الى القتال برتبة ضابط ملحق ...
الكتيبة الاولى وهو الماجور فون سيجنبرج الذي كان قد حارب سنة ١٨٦٤ و ١٨٦٦
في الآلاي كقومندان سرية . فكان رجل حرب ومراس بروسياً صميماً شديداً .
ما لاحدّ له ونشيطاً لاينأله النصب ذا عطف على رجاله وكانت علاقتنا حسنة

وكان بدء الحرب فآلمنا ما خدعنا به أنا وسائر فيلق الحرس من قد سرنا مسيرة عدة أسابيع لانعثر على العدو · وكان بعد ماعبرنا الموزل الى نحو بنتاموسون وانتهينا الى جوار الموزه أن دعينا الى الوقيعة في ١٧ اغسطس بسبب الحوادث التي كانت تجري غرب متز . أما فرقتي فقد غيرت وجهتها نحو الشمال وبعد مسير مجهد جداً بلغت ميدان القتال في فيونفيل في سهرة اليوم السابع عشر · وظهرت لاعيننا آثار الوقيعة الرائعة التي تحملت أوزارها فيلقانا الثالثة والرابعة في عشية ذلك اليوم. ولم نعلم شيئاً تقريباً عن الحالة الحربية ومن صباح غد في ١٨ اغسطس حين زايلنا خيمتنا في هنونفيل غرب مارس — لاتور دخلنا وكأنا دخلنا الى عالم المجهولات ووصلنا دنكور نحو الظهر . ان المسيرة ، وهي بنسبتها قصيرة ، التي كان علينا ان نقطعها لنبلغ هذه النقطة قد حملتنا مشقة جسيمة لاننا سرناها صفوفاً متراصة تحت حر لافح بين عثير كثيف ولم نوفق من العشية الى وجود ما يكفينا من الماء مؤونة فضلاً عن اننا اضطررنا ان نتقاطع في السير مع الفيلق الثانية عشرة السكسونية · أما أنا فكنت قد ذهبت اثناء المسير الى مقبرة مارس — لاتور ازور قبر أحد أبناء عمي من فرسان الحرس الثاني الذي قتل في ١٦ اغسطس وتحينت الفرصة اتجول على حصاني في الارض التي هجم فيها لواء الرجالة الثامن والثلاثون وفرسان الحرس الاول · ان هناك خطوطاً كاملة ، وفي اماكن ، اكداساً مكدسة من جثث القتلى الفرنسويين والالمان مطروحة في قعر وادٍ وعلى منعطفاته الشمالية. ذلك دليل على روعة المعارك التي التحم فيها العدوان في هذا الموضع على تقارب المسافات

ووقفنا بقرب دنكور وفكرنا في طبخ الحساء وشاعت اشاعات ان بازان قد

جدٌ في السير نحو الغرب وتمكن من النجاة . وسكنت حماسة الصباح سكوناً محسوساً ثم، على غير انتظار، بدأت أصوات المدافع تقصف من جهة الشرق قصفاً منكراً وذلك ان الفيلق التاسعة استهدفت للعدو فبعث نشاط الهيجاء حياةً جديدة في جميع مايحيط بنا وتنفسنا الصعداء وخفق القلب خفقاناً أشد وادعى للفرح وقمنا نستطرد السير نحو الشمال الشرقي وفينا شعور يقوى بين دقيقة ودقيقة : أن ستدور رحى معركة عنيفة فانتشرنا في تلك النواحي. واذ نحن في جوار باتيلي انتهى الينا الامر ان ننشر أعلامنا من اجفانها فنشرت لحينها ثلاثاً بأصوات الهتاف . انها لدقيقة مؤثرة ! وفي هذه الوقفة مرت كتائب من الحرس امامنا خبباً سائرة الى الشرق تنتحي مواقع الاعداء

مشهد الوقيعة يزداد شيئاً فشيئاً روعة وهيبة ! على المشارف من امانفيلر حتى سان — بريفا تصاعدت غمائم من الدخان متلبدة كثيفة وهناك تحصنت دفاعة العدو ورجالته على عدة خطوط متفاوتة أبعاداً يصوبون جميع نيرانهم فى هذه الساعة على الفيلق التاسعة . اما التفاصيل فلا سبيل الى استيعابها وتمييزها

وانتحينا ناحية الشمال نسير في سفح خضر لنتقي الهجوم على مواقع العدو مواجهة . سرنا على سانت ـ ماري ـ أوشين وقد تحولنا نحو خمسة كيلو مترات من جبهة العدو على خط مستقيم . اما سانت ماري فقد هوجمت واحتلت : هاجمها طلائع فرقتنا وبعض نفر من الفيلق الثانية عشرة التي كانت سائرة الى يسارنا على أوبوه . وبعد احتلال سانت ماري انتشر لواؤنا حالاً في جنوب القرية بجانبها وارحنا . غير ان قنابل طائشات يرسلها دفاعة العدو المتقدمون من سان — بريفا تسقط من حين الى حين بين وحداتنا المرصوصة . فقتل الليوتنان فون هلدرف من آلاي الحرس الاول بالقرب مني وكان أبوه قومندان كتيبة في الآلاي ذاته قد صرع غير بعيد مني سنة ١٨٦٦ في روسبريتز في اثناء معركة كونيجراتز . وجرح عدة رجال

وتلفتُّ حولي يمنة ويسرة فاذا انا أرى ، من ناحية الشرق على الجناح الايمن من ميداننا الحالي وعلى نجوة ترتفع قليلاً قليلاً ، قرية سان — بريفا . وهي على نحو

كيلو مترين من سانت — ماري — أوشين يصلها بهذه القرية طريق رحب مستقيم غرست على جانبيه اشجار الحور . والارض الواقعة الى شماله محجوب جزؤها الا كبر عن انظاري بصفين من أشجار هذا الطريق غير انه يلوح للناظر أنها مغروسة كالارض الواقعة الى جنوب الرصيف . وعلى مرتفعات سان — بريفا نفسها خيم سكوت يبعث على القلق على انه على غير ارادة منا ، كانت عيوننا ترقى الى تلك المرتفعات تحاول استطلاع الاسرار التي وهمنا انها مستورة هناك . اما قيادتنا فما بدا انها رأت ضرورة تمزيق الحجاب فترسل الرواد تستكشف

فبقينا في اما كنتنا رتّيقي الخواطر

وفي المساء في نحو الساعة الخامسة والنصف نفذ الامر الى لوائنا بالهجوم . فوجب علينا، ونحن نحاذي طرف سانت ـ ماري الشرقي في السير ما قدرنا ، ان نتجه الى ناحية الشمال ثم نتقلب لنواجه سان — بريفا تواً ثم نحمل على العدو فمن على خاطري حالاً انه في أثناء هذه الحركات الملتبكة يسع العدو المرابط في سان — بريفا ان يهاجمنا من جناحنا الايمن

فقبيل ان بدأت كتائبنا في المسير نشطت جميع الارض المحدقة بسان — بريفا نشاطاً فجائياً ثم استترت بدخان تصاعد من الخطوط الفرنسوية التي أخذت تقذف النــار . وكان اللواء الرابع من الحرس ، وهو ليس من فرقتنا ، قد بدأت حركته جنوبَ الطريق الكبير . فاتجهت جميع قوة نار العدو نحوه ساعة . وكاد يندثر كالهباء في أقل من طرفة عين لولا اننا ، نحن اللواء الاول من الحرس ، لم نهاجم باعجل ما استطعنا شمالي الطريق الكبير ولو لم نخفف عليهم بتوسطنا

لكن بدا لي انه يكاد يكون من المستحيل ان نجتاز من الطريق الى جانبه الآخر فانفرد بي قومنداني لنخبر الارض ونعين للكتيبة وجهة السير التي يجب ان يتأثروها في منطقة العمل التي فيها لواؤنا

والآن فالعدو يصوب الينا ناراً لا تنقطع تجرف الارض جرفاً على انه يجب ان

نحاول اتمام الحركة التي بدأناها. فأفلحنا في اجتياز الطريق. والى الجانب الآخر من هذا الطريق وقف رجالنا وقد حشدوا صفوفاً متراصة يجابهون خطوط العدو حتى اذا جاء دورهم انقضوا على سان-بريفا. وغرضنا الاول ان ندنو من العدو ما وسعنا الدنو لنتمكن من استخدام بنادقنا التي انما مرماها اقصر من مرمى «شاسبو» (١) [illegible] الموقف يدعو الى الهيبة والتأثر والانفعال. لقد غطت الا[illegible] الجرحى من جموع رجالنا الذي اقتحموا [illegible] عمار يزخ البرد غير ان جنودنا البسلا[illegible] والضباط وصفوف الضباط يقبلون ثم [illegible] رجالهم [illegible] يلوحون بهم الى الامام ليخلفوا خير القذافة وافضل الرماة. [illegible] فيلق الحرس الامير أوغست-دي ورتمبرج راكباً جواداً على [illegible] سانت-ماري وهو ينظر الى المأزق الحرج الذي قذف فيه رجاله الشجعان [illegible] ماوبرو ويخشى عليهم من الهلكة. وقبالته كان واقفاً المرشال كنروبر، على ما يظهر، على مدخل سان-بريفا

اما قومنداني فانه، رغبة في ان ينقذ كتيبته من الجموع المحشودة في شمال سانت-ماري الشرقي ويخولها الحرية التي تحتاج اليها في القتال، لم يتجه بها تواً نحو سان-بريفا لكنه ظل في بادىء الأمر يسيرها، وهو يتلطى في طية من الارض، في الوجهة التي تتبعناها الى الآن اعني: ننتقل شيئاً فشيئاً الى ناحية الشمال. فبقينا-وان كنا بالنسبة مكشوفين — نسير غير بعيدين كثيراً، على خاصرة آلايبنا. حتى اننا بعد ان عطفنا السير أصبحنا ونحن على ميسرة لوائنا

وعلى وقفتنا هذه بلغنا الاماكن الواقعة على منتصف الطريق بين سانت-ماري وبين دنكور بعد ان تكبدنا خسائر غير طفيفة

وقبل ان نفكر في الاحداق بسان-بريفا لزمنا من قبل ان نرى ملياً فيما هو

---

(١) هو اسم مخترع لنوع من بنادق الابر في زمن الحرب استخدمت في فرنسا من ١٨٦٦ - ١٨٧٤ وقد سميت باسمه

واقع فى دنكور التي لم يكن السكسون المقبلون من أو بوه ، على ما يظهر ، قد انتبهوا لها فخيبت ذاهبا فى تلك الوجهة فما رأيت فى القرية رجالاً أصدقاء ولا اعداء لكن لمحت رجالة فرنسويين فى مقالع حجارة الى شرق القرية . وتوقفت فى زمن المناجم أن اقتادالى دنكور سريتين من آلالاي وما هو غيرقليل حتى خرج العدو من مكامنه وهجم علينا هجمة رددناها . أما السريتان الاخريان من الآلاي فلم يبق عليهم من هم على خاصرتهم ومؤخرتهم فأمكنهم ان يرصدوا مدخل سان ـ بريفا من الشمال حتى يزيحوا بهجومهم بعض الروح عن رجال لوائنا الملتحمين فى قتال عنيف على جبهة الميدان . وفيما بعد لما احتل دنكور فصائل من الفيلق الثانيةعشرة حملت أيضاً السريتان الاخريان من الآلاي اللتان استخدمتا فيهذه القرية على سان ـ بريفا

وفي هذا الزمن استمرت الواقعة الدامية لاراحة فيها على جبهة القتال من جانب العدو نار مضطرمة يقذفها الرجالة من عدة خطوط يرمون الى اهلاك جميع ماهو حي على ساحة الهجوم الواسعة التي لايقيها واق . اما من جانبنا فلا يرى الا فلول وحدات على خط اتسع فيه الفراغ على ان هذا الخط لايلتصق بالثرى مستقيماً لكنما يبدو وفيه ارتعاشات متوالية كانما هو يحاول ان ينقض على العدو انقضاضاً . فامتلكت على صدري انفاسه ووقفت أتأمل مشاهد هذه الواقعة وتساءلت وأنا فى قلق مقلق: ألا يكر العدو كرة فيوقع فى جندنا اضطراباً ويضعضعه ؟ على ان الفرنسويين لايتحركون من مواقفهم بيد ان الخيالة حاولوا الخروج مكتنفين سان ـ بريفا من جهة الشمال لكنهم اقتنعوا من هذه المحاولة بحركة اقتراب

وكانت ساعة سكون في نزال الرجالة . ونهكت قوى الفريقين فوقفا متقابلين يكادان لايطلقان رصاصة . واطبق السكوت على ساحة القتال حتى اني استطعت أن اسير محاذياً خط النار من الجناح الايسر الى لبة اللواء وأعود الى الموضع الذي خرجت منه لم يداخلني خوف من خطر . غير أن مدفعيتنا التي تقدمت الى الامام بدأت أعمال التدمير ثم أقبلت وحدات جديدة من لواء الحرس الثاني من سانت ـ ماري

تمد من بقي من الرجال الخائرة عزائمهـم من اللوائين الرابع والاول في حين تقدم السكسون من الشمال الشرقي سراعاً الى تأييدهم ٠حينئذ خف ثقل الضغط عن الرجالة الذين يقاتلون قتالاً شاقاً ٠ وفي ساحة القتال هذه حيث بدا للعين برهة أنه انمـا الآمر الموت والدمار ظهر نشاط جـديد بعث الحياة في صفوفنا وبدت همة للنزال جديدة فحمل جنودنا على العدو حملة شعواء

وقفة تحرك النفوس وما هي من الوصف على منال عندما نهض رجالنا في صفوفهم المتقدمة ، والشمس قد أرخت الى البحر حبائلها ، وتحفزوا ينقضون انقضاضة أخيرة فلم يكن من أمر بالحملة على العدو وانما هو شعور أدبي واحد وانما هي ارادة قدت من الحديد في بغية النصر حركتهم .وهذه النخوة المقدسة حملتهم الى الامام فاحتملوا معهم كل شيء فوقع جانب من حصون العدو عند هجوم الليل فتولانا فرح لا يوصف

ولما وقفت ، والليل يرخي سدوله ، اعدُّ بقايا كتيبتي ولما رأيت من غد فلولاً أضعف من سائر وحدات آلايي ثم لما اختلج قلبي في حباته اختلاجة الشجي أفرخت في نفسي عواطف أحن وارقُّ ففكرت آنئذ ليس فقط فيما اكسبتنا الواقعة لكن في ما كلفنا النصر. فان مجموع ما لحق من الخسارة بلواء الحرس الثالث بالغ ٣٦ ضابطاً و ١٠٦٠ صف ضابطاً وجندياً بينهم ١٧ ضابطاً و ٣٠٤ رجال قتلى ٠ وفي سائر آلاي الحرس كانت الخسارة على النسبة ٠ وفي اثناء الحرب الاخيرة ابتليت آلاياتنا مثلما ابتلي الحرس في سان بريفا ٠ ان اختباراتي سنة ١٨٨٠ قد اكسبتني معرفة ما يكون لامثال هـذه الخسائر من التأثير في جيش.كم ضمة من القوى وكم من خيار الرجال الذين يبعد ان يكون لهم عوض قد ذهبوا الى القبور ! لكن من جهة أخرى أيُّ روح جميل قد احتفظ به شعبنا حتى ظلت جيوشنا في اثناء هذا الصراع مدة أربعة أعوام — على الرغم مما حاق بهم — كفوءاً للقتال !

وفي ١٩ اغسطس دفنا قتلانا وفي ٢٠ اغسطس بعد الظهر بدأنا المسير نحو الغرب ٠ ففي بعض الطريق وقف بنا قومندان فرقتنا الليوتنان — جنرال فون باب

وامتدح واثنى على الفوز الذي نلناه ثم افهمنا اننا لم نعمل الا واجبنا وختم قائلا : « ما في ما هو من شأننا — فانه لا اصح واصدق من المثل القديم السائر على ألسن الجنود : « اذا سقط منهم الف عن اليسار واذا سقط منهم الف عن اليمين واذا سقط جميع أصحابنا فانما نحن نريد على رغم ذلك ان نواصل القتال . » فهتفنا هتافا عاليا تعظيما لجلالة الملك وكان الهتاف جوابنا

مهما يكن الانتقاد الذي يمكن ان يوجه الى القتال في سان-بريفا من الوجهة الحربية فانه لا ينتقص في شيء من عظمته الادبية . فان هذه العظمة قائمة في الروح الذي احتمل به رجالتنا ثقل قتال رائع ساعات طويلة ثم لما يرجعوا حتى تغلبوا وقبضوا على ناصية النصر . وظلت هذه العظمة أقوى شعور سائد على تذكاراتي التي احفظها من يوم ١٨ اغسطس . ان الازمة الادبية التي استولت على رجالنا على أثر المعركة اضمحلت سريعاً غير ان العجب بالآثار الشخصية وباعمال الجميع قد ظل حياً الى أيامنا هذه . ولقد امكنني ان احتفل سنة ١٩١٨ بذكرى سان-بريفا وكان الاحتفال بها من جديد في أرض الاعداء وكنت مع آلاي القديم وهو آلاي قذافة الحرس الثالث الذي أقمت عليه بفضل مليكي وكرمه . وكثير من « قدماء الرفاق » رجال سنة ١٨٧٠ ، وبينهم الماجور المتقاعد فون سيل الذي اسلفت عليه الكلام ، قد سارعوا الى مزايلة بيوتهم والحضور الى ساحة القتال يشهدون هذا الاحتفال . وكانت آخر مرة رأيت فيها آلايي الفخور

وبناء على ما سمعت فان أنصاب الحرس البروسي المشيدة على مرتفعات سان-بريفا قد يكون هدمها أعداؤنا . فان صح ذلك فما أحسب هذا العمل يمكنه أن يقلل من بهاء شجاعة أجنادنا . وغالباً ما رأيت ضباطاً وعساكر المانيين يقفون سكوتاً ، حتى في البلاد الالمانية ، امام أنصاب فرنسوية وشعرت مثلهم باحترام عميق اذ أفكر في الاعمال التي أتاها خصومنا وفي الضحايا التي بذلوها

وبعد الوقيعة تقلد رئيس الكتيبة ، وهو الضابط الكبير الوحيد الذي لم يجرح ، قيادة

آلاي فلزمته أما لزوماً قريباً لاساعده كملحق في منصبه الجديد

أما سير الحوادث التي كان نصر صيدان خاتمتها المجيدة فلم يكن لي فيها شأن يضاف الى حياتي . ففي ٣٠ اغسطس في أثناء موقعة بومون التي انما هي نزع الستار عن وقيعة صيدان كنا في الاحتياط وكنا محض متفرجين . وكذلك في أول سبتمبر كنت أطالع الموقعة كما يطالعها ناقد وملاحظ . فان فيلق الحرس كانت تؤلف القسم الشرقي من كلاَّبة الحديد التي أخذت تنضم في أثناء النهار حول جيش مكماهون. وأما لواء الحرس الاول خاصةً فبقي من مطلع الصباح الى ما بعد الظهر في موقف الانتظار وراء مرتفعات غورجيفون فاغتنمت من الرجال وقفتهم فانصرفت الى بطاريات الحرس التي كانت قد اتخذت لها مواقع في خط طويل على ذروة مجاورة وقذفت القذائف الى ما وراء مدافع الفرنسويين الضاربين على المرتفعات المتباينة ومعظمها مشجرة . ومن النقطة التي وقفت فيها ينبسط النظر على جميع الضواحي من غابة الاردين الى السفوح المنحدرة حتى الى عقيق الموز . ولا سيما نجد ايللي وموقع الفرنسويين القائم الى الغرب من غورجيفون وفيه غابة جارين فقد كانت كلها « على نوع ما » قيد يدي . ان حطمة الجيش الفرنسوي وقعت تحت عينيّ واستطعت ان أرى حلقة النار التي أوقدتها المدافع الالمانية تكتنف رويداً رويداً خصمنا المسكين واستطعت ان أرى ما حاول الفرنسويون من أعمال الشجاعة ليفصموا حلقة اكتنافنا لهم اذ يهجمون هجمات منفردة لكن كان ذلك من بدء الامر على غير جدوى. وفيما خلا ذلك فقد كان للمعركة في نظري غرض خاص . في عشية المعركة وأنا أقطع كارينيان عرفت من سرّاج فرنسوي ثرثارة كنت قد اشتريت منه في طريقي سوطاً أن أمبراطور الفرنسويين كان في وسط جيشه فأبلغت رؤسائي الخبر فما صدقوني فلما رأيت الجيش الفرنسوي يجهز عليه في أثناء المعركة ويلحّ في عمل الفناء فيه قلت : « في هذا الاتون نبوليون أيضاً » فضحكوا مني لكن فيما بعد اذ تحققت أقوالي عظم شأني

فهذا لم يأت آلاي علاً جداً. فني نحو الساعة الثالثة بعد الظهر تبعنا آلاي الفوس الاول الى ما وراء هودجيغون وفي هذه الساعة كانت مدفعيتناء التي ترسل الى جميع الجهات مقذوفاتها قد سحقت عدة الفرنسويين المانعة ولم يبق ، بعد ان زد العدو على صيدان ، إلا ان يفهم ان كل مقاومة من الآن فصاعداً لاتجدي فتيلاً

ان مشاهد الخراب التي رأيتها على أطراف غابة جارين الشمالية في أثناء تقدمنا الى الامام فاقت كل الاهوال التي شهدتها في ساحة قتال

ومن الساعة الرابعة الى الخامسة أخذنا نتحول الى مضاربنا . ان المعركة كانت قد انتهت غير انه في غضون السهرة أطلقت طلقة واحدة من بندقية ومرقت من فوق رؤوسنا رصاصة . وفيما نحن نسرح الطرف في أطراف الغابة لمحنا جزائرياً يهز بندقيته هزة عنيفة ثم توارى وهو يوسع الخطى في الغابة المظلمة

اني ما قضيت قط ليلة في ساحة قتال ، لاقبل صيدان ولا بعدها ، وشعرت بارتياح نفس أتم من الارتياح الذي بت فيه في مساء أول سبتمبر . ولما ضج الجند بانشودة « الآن اشكروا الله جميعكم » لم يفكر أحد الا في نهاية الحرب قريبة لكنا خدعنا خداعاً مراً لان الحرب ظلت مستعرة اللهيب . أما عندنا فقد عدوا متابعة الفرنسويين المقاومة بعد موقعة صيدان بذلاً في النفوس ضائعاً . فما كنت مشاطراً لهم في هذا الرأي وما تمالكت ان استحسنت ما أبداه من بعد النظر والروية أصحاب النهي والامر الفرنسويون في ذلك العهد . فني رأيي أن الامر الذي أتته الجمهورية الفرنسوية في انتضاء الحسام بعد أن ارغمت الامبراطورية على غمده لاينبغي ان نرى فيه فقط مظهراً من مظاهر الوطنية شريفاً بل تقديراً صحيحاً لما يمكن ان يكون من التأثير في مستقبل فرنسا السياسي . واليوم أيضاً أظن أنه لو ان فرنسا رجعت في تلك الآونة عن كل رغبة في مواصلة الصدام والنزال لكانت فقدت من عظمتها الوطنية شطرها الاكبر وبمن ثم كل أمل بمستقبل خير وافضل

في صباح يوم ٢ سبتمبر جاء الامير ولي العهد يتفقدنا وكان أول من أعلمنا أن

نبوليون وجيشه في الاسر. و بعد الظهر زارنا مليكنا قائدُ جيوشنا الاعلى. وانه ليشق كثيراً على القلم ان يصف الحماسة التي قوبل بها المليك وكان من الصعب ان يحتفظ الرجال بأماكنهم في صفوفهم فاقبلوا على مليكهم المحبوب يقبلون يديه ورجليه • وكانت المرة الاولى التي رأى فيها جلالته حرسه من بدء القتال. فشكرنا على ما أتينا في سان — بريفا والدمع في عينيه مترقرق فأية مكافأة أغلى مما كافأ بها المليك عن الساعات الشاقة التي احييناها ! وكان بسمرك في جملة من استصحب الملك فتقدم على جواد والهدوء سائد الى آخر الموكب الملوكي لكنه عرف فحياه جموعنا بالهتاف تحية خاصة نقابلها مغضباً اما مولتك فلم يكن حاضراً

وفي ٣ سبتمبر صدر الامر الى آلايي ان نسير على صيدان وندفع الى القلعة كل الفرنسويين الذين هم خارج الحصون . والغرض من هذه الحركة ان نمنع الاعداء الكثيرين المشتتين يهيمون في أطراف مواقع القتال من الاستيلاء على البنادق العديدة المطروحة على الارض وأن نحاول فتح فرجة لنا وان لم يكن لها أقل حظ من النجاح فتقدمتُ رجالي على جواد متنحياً غابة جارين الى المرتفعات الضاربة تواً على صيدان . ان الاكسية الحمراء التي تشكل مشاهد الغابة لم تكن الا بالنسبين يضربون في تلك الانحاء يبحثون عن أردية واغطية يحملونها معهم الى الاسر . فلم يكن تداخل آلايي ذا فائدة في الأمر لان بعض رجال العسس التابعين لوحدات مخيمة في الجوار تداركوا الامر وكفوه. وفيما أنا عائد الى الآلاي حاملاً اليه هذا الخبر لمحت غمامة غبار على الطريق الكبير المؤدي الى الشمال وقال لي طبيب عسكري فرنسوي كان واقفاً امام عزبة كيريمون وقد حوّلت الى مستشفى وقد رافقني فى بعض الطريق ان الامبراطور نبوليون يواكبه رجال من الاوصار السود هو في وسط هذه الغمامة من الغبار ذاهباً فى مركبة الى بلجيكا. لو وصلت الى الطريق قبل دقيقتين فلعلي استطعت ان اشهد هذه الساعة التاريخية

وفى سهرة ٣ سبتمبر زايلنا ساحة النزال ومضينا نعسكر في الجوار واسترحنا

يوماً واحداً ونهضت فرقتي تسير على باريس فاجتزنا أولاً بمكان موقعة يوموث ثم بالاراضي التي كانت ، في أثناء الحرب الاخيرة ، أماكن معارك شاقة

وفي ١١ و ١٢ سبتمبر نزل آلاي في كراون وكربني وهما مدينتان صغيرتان جميلتان واقعتان على سفح ونتر برج (١)

وفي ٢٨ مايو سنة ١٩١٨ في أثناء واقعة سواسون ـ ريمس كانت مع امبراطوري المعظم على سفح ونتر برج هذا فانتهزت هذه الفرصة لاسترعي نظر جلالته الى هذا الامر وهو انى — لثمان وأربعين سنة مضت — قد نزلت في سفح هـذا النجد ولم يبق من هاتين المحلتين الا بعض الخرائب

أما في كربني فما استطعت أن أجد البيت الذي نزلت فيه وكان قائماً في ميدان « مارشه » فقد صار هباء وأما ونتر برج الذي كان في سنة ١٨٧٠ نجداً أخضر مشجراً شطره الاكبر لم يبق منه في سنة ١٩١٨ الا منحدرات جرداء قاحلة قد أذهبت القذائف والمعاول والمجارف منه آخر مدر ينبت فيه كلأ أخضر . منظر يدمي العين على الرغم من سكرة النصر التي لعبت بنفوسنا في تلك الايام

في ١٩ سبتمبر من قمة نجد جونيس القائم على ثمانية كيلو مترات من شمال سان ـ دنيس بشرق شهدنا لاول مرة العاصمة الفرنسوية . وقباب « الانفليد » وقباب سائر الكنائس تتلألأ ضياء على أشعة شمس الصباح الطالعة

أظن أن الصليبيين شعروا عند ما رأوا أورشليم بمثل ما شعرنا به نحن اذ رأينا باريس تحت أقدامنا . وبعد ما تركنا مضربنا في الساعة الثالثة صباحاً في جنح الدجى الدامس أفنا اليوم كله ، وكانت السماء أجمل ما تكون في أيام الخريف ، في موقف الانتظار في حقول حصدت مزروعاتها مستعدين ، نحن ورجال الفرق المجاورة ، للتداخل اذا استهدفت طلائعنا المتقدمون في التنقل من مواقعهم للمصاعب

(١) وهو اسم يطلقه الالمان على نجد كراون

والمشاق . فما وسعنا أن نعود الى معسكرنا الا في هجعة من الليل متأخرة وفي أيامنا الاول كنا في جونيس وقد اكتسبت هذه القرية شأناً تاريخياً خطيراً في سنة ١٨١٥ لان بلوخر وولنجتون لما وصلا على أبواب باريس التقيا فيها ليتداولا في خاتمة الاعمال الحربية

وقد كنا نحسب أننا ننال فوزاً عاجلاً فاصلاً لكن لم يكن ما حسبنا بل لزمنا مدة أشهر أمام باريس أن نقوم على مراقبة الحصار مراقبة دقيقة حذرة شاقة أما على خط قتالنا فلم تنقطع هذه المراقبة الا نادراً اذ كان يحاول العدو الخروج بهجمات تكاد لا تستحق تدويناً . ولم يكن الا حوالى عيد الميلاد أن نشطت القلاع الى اطلاق النيران فغيرت ما ألفنا من حياتنا الحربية بعض التغيير

وفي أواسط يناير وقع لي في حياتي حدث ذو شأن وهو أني أخترت وجاويشاً لتمثيل الالاي في حفلة تتويج الامبراطور وتداولت الامر بهذا الشأن في ١٦ يناير في السهرة وفي هذا الامر أن أسير في هذه الليلة مسيرة خمسة عشر كيلو متراً الى مرجنسي وهى القرية التى أعدَّ فيها أركان حرب جيش الموز منزل لجميع الوفود الآتية من جهات الشرق . وكان علينا أن نزايل مرجنسي في السابع عشر ذهاباً الى فرسايل في فوج واحد لنمرّ بسان جرمان. فما كان يسعني أن أطوف على الجواد هذه الاربعين كيلوا متراً ومعى أثقال لزمني ان احتملها . فصح للوقت عزمي واخذت موضعي مع الجاويش ومراسلتي في عجلة اثقال من عجال سرية من آلاي الحرس النازل معي في محلة واحدة وقد اعدت للذهاب الى فرسايل . فمشت بنا العجلة سريعاً في ليلة قارسة البرد جداً نتجه الى مرجنسي فبلغناها وقد اعدت لنا نار اصطلاء مستعرة وفراش قش وثير وشاي فى احدى « الفيلات»

وفي صباح اليوم الثامن عشر ابلغني قومندان سرية من سرايا الفيلق انه انتهى اليه الساعةَ امر بالرجوع عن الذهاب الى فرسايل والانضمام الى الالايه وكان من حسن طالعي ان رفيقاً آخر رضي ان يحملني انا ومراسلتي على مركبة له ذات عجلتين

اما الجاويش فقد لقي مُضافا عند الرفاق فضينا نخب في صباح صبيح نحو سان جرمان اول مرامي سفرنا. لكن المقادير قد لا يطول بها عهد وفاء ابشر فان مركبتنا على كثرة ما اثقلها العبء سقطت احدى عجلتيها فهوينا على الحضيض لكن اسعدنا ان راينا بعد قليل في محلة قريبة دكان حداد اصلح ما اختل حتى اننا وافينا اصحابنا رفاق السفر في سان جرمان في موعد كأنه مضروب لتناول طعام الافطار معهم في فسطاط هنري الثامن العجيب بموقعه على سطح يشرف على نهر السين. ما رايت اغرب من موكب العجلات والمركبات التي دخلت فرسايل والشمس تدخل في الافق. كل انواع النقالات التي امكن اجتلابها من القصور والدور والمزارع الواقعة في ضواحي باريس كانت ممثلة في هذا الموكب والعربة التي كان لمنظرها اعظم وقع وتأثير هي عربة ضخمة انقل البطاطا كان صاحبها قد اشر الى يمنة و يسرة المعقد عليين بروسيين كبيرين امام وجود اعلام المانية لانها لم تكن قد نشرت بعد. وما كدت اصل حتى نزلت في منزل حسن على سيدة مسنة كريمة في شارع باريس. وفي السهرة اجتمع جميع الضباط في نزل « الاحواض » على حساء طيب حرمناه من زمن بعيد

اما حفلة ١٣ يناير فهي اعرف من ان احدث عنها هنا. وقد حملت معي منها تأثيرات عدة واولها كما هو واضح شخص مليكي وسيدي المعظم الذي حرك نفسي و رفعها. فهابته في سكون ووقار وابن حاشية وعزة جانب قد اعارت الحفلة من العظمة فوق ما اعارتها الابهة الخارجية. لكن سورة الحماسة التي احسسنا بها لمليكنا كانت عظيمةً هي. شاركنا فيها جميع المشاهدين مهما تكن العشيرة التي ينتسبون اليها في المانيا. وكان اخواننا من المانيا الجنوبية قد اظهروا فرحهم ابين اظهار بان يروا «الامبراطورية الالمانية» قد نودي بها. اما نحن البروسيين فقد ابدينا ما لا يحده حد ولا وصف وذلك لبواعث تاريخية لان الماضي كان قد افسح لنا لندرك مكانتنا في زمن لم تكن بعد فيه المانيا الا عبارةً جغرافية

فمن الآن فصاعداً يجب ان تكون على غير ما كانت عليه

وفي مساء ١٨ دعي القواد الذين في فرسايل الى دار البلدية الى مائدة جلالة الامبراطور أما الوفود فقد قوبلوا باسم الامبراطور في فندق فرنسا

وفي ١٩ يناير بدأنا نزور القصور القديمة التي لملوك فرنسا وما فيهامن مجموعات نفائس الصور التي تخلد مجد فرنسا وزرنا أيضا الحديقة الواسعة . وسمعنا على حين غفلة صوت اطلاق المدافع فاضطررنا أن نعود في الحال الى داخل المدينة

وتيقظت حامية فرسايل وكانت قد أخذت في المسير وقد حملها على هذه اليقظة والحيطة خروج الفرنسويين بمظهر فخم ينتقلون من جبل فالريان . فاستتبعنا برهة منذهلين متعجبين سير القتال . وبعد الظهر أخذنا الطريق لنلتحق بوحداتنا وما بلغتُ الا في غلس الليل الى مضارب آلايي في فيليه — ليل وهي قرية واقعة على مسافة ثمانية كيلومترات من سان — دنيس وكنت موفور البهجة لاني استطعت أن أشهد هذه الساعة الجلى من تاريخنا ولاني استطعت أن أحيي بهتاف الفرح مليكي ومن الآن امبراطوري

ان عبث الخروج من جبل فالريان كان آخر مظهر عظيم من قوة فرنسا فقد عقبه في ٢٦ يناير تسليم باريس وفي ٢٨ منه الهدنة العامة . وعلى أثر تسليم الحصون تقدم لواؤنا غرباً الى شبه الجزيرة يصونها نهر السين ما بين جبل فلريان وسان دنيس فتوقفنا الى مساكن بهجة أنيقة المبنى على شاطىء النهر قبالة باريس وفي جوار جسر نيللي .

وفي هذه الغضون أتيح لي أن أزور العاصمة ولو زيارة سطحية . في ٢ مارس رافقني مراسلة من هوصار الحرس فعبرت الجسر الذي تكلمت عنه آنفاً واتجهت على جواد وجهة قوس النصر ومررت تحته مثلما مرَّ في العشية صديقي فون برنهردي الذي كان حينذاك ملازم الهوصار وهو أول من دخل باريس ثم هبطت

شانزايزه واجتزت ميدان الكونكورد والتويلري وانتهيت حتى الى فناء اللوفر الداخلي ثم حذيت شاطىء السين وعدت الى محلتي من غابة بولونيا . وفي بعض الطريق استوقفتني آثار عدونا التاريخية عن ماضيهم الحافل الغني بالمآثر تطبع في نفسي تأثيرها وطلع عليَّ من السكان نفر نزر فالتحفوا الرزانة والتحصن دوني

ولا يسهلن عليَّ أن امتدح الاممية (١) التي تحاميت دائما عن ذمها بشأن سائر الشعوب . اما وان تكن صفاتهم متباينة عن صفاتنا فانا لا انتقص ابداً ما في شمائلهم من جليل. فمن رأيي ان للشعب الفرنسوي مزاجاً حاداً جداً غير أنه سريع التقلب جداً لكنني من وجه آخر أعتبر ان هذا الشعب يستخلص له منفعة خاصة من تحمسه لانه فى أشق ساعات الحياة واحرجها قد يصيرهذا التحمس فيه قوياً للغاية والذي اقدره اقداره خاصةً في فرنسا هو أن افذاذاً من الرجال صلابَ الارادة يمكنهم ان يؤثروا فى عمة الشعب و يملكون عليه قياده و يسيرونه خلفه حتى ان الامة بأسرها لتنسى جميع المصالح الذاتية وحتى لتبذلها طوعاً فى سبيل مطمح سياسي . غير ان السلوك الذي سلكه الفرنسويون في اثناء الحرب الاخيرة بشأن الاسارى العزّل قد بالغوا فيه سواءً فبلغوا حد التبذل والتهتك مما لا يصح ان تقوم شدة ثوران الدم وسورة الحماسة عذراً عليه . وهو على طرفي نقيض مما قدمت الكلام فيه

وفي غد زيارتي باريس نال فيلق الحرس الشرف الباذخ بأن تمرّ امام أمبراطورها ومليكها في لونشان فمر آلايي الذين بلتهم الهيجاء وما زالوا على ما كان عليه قدماء البروسيين من صلابة عود امام رئيسهم الاعلى وهم الكاملة من فمه مستعدون فى كل طرفة عين لان يعرضوا بحياتهم من جديد دفعاً عن وطنهم واعلاءً لمنار فخاره

(١) نسبة الى رجل امّع وامّعة وهو من يتابع كل أحد على رأيه أردناها لمؤدى لفظة (cosmopolitisme) الفرنجية التي معناها محبة جميع البلدان . وان لم تؤدِ جميع المعنى المقصود فان فيها قرينة قريبة

وامجاده.ولم يتحدّث قطّ عن دخولنا نحن الى باريس دخولاً رسمياً على حدّ ما أتيح لغيرنا من فيالق الجند من قبل وذلك لأن مقدمات الصلح كانت قد أبرمت ولأن المانيا لم تشأ ان تحرج خصومها المقهورين في مجال شريف على ان يشربوا كأس العار حتى الثمالة

وامام باريس أيضاً احتفينا في ٢٢ مارس بمولد جلالته وكان في صباح يوم من أيام الربيع جميل دافيء فأقيمت حفلة صلاة في الفضاء الوسيع واطلقت المدافع من القلاع تحيةً وقدم للضباط والجند طعام انيق على ان فرجة الامل بالعودة قريباً الى الاوطان ، بعد ان قضينا حق القضاء وأجبنا ، كانت تزيد فرحنا وتضاعف في كل واحدٍ منا مسرته وحبوره. لكن وقع خلاف ما أمّلنا ولزمنا ان نبقى على شمال باريس في سان دنيس وضواحيها واذ كنا في تلك الناحية شهدنا القتال الذي شهرته الحكومة الفرنسوية على « الشيوعية »

وقد كنا وقفنا ، في غضون الحصار ، على بدء هذه الحركة الثورية وكان لنا علم بتضعضع الاحزاب السياسية من الشمال المتطرف ازاء حاكم باريس ولما أمضيت المدنة أخذت الحركة الثورية تزداد قوةً وجرأة . ان بسمرك قد قال لولاة الاحكام الفرنسويين « ان الثورة قد أوصلتكم الى الحكومة جديدة تحطكم عنه » ويظهر انه كان على حق . وعلى الاجمال ان هذه الحركات الثورية لم تكن لتسترعي انظارنا في بدءها لكن من منتصف مارس فصاعداً عندما بدأت « الشيوعية » تستأثر بالسلطة والاحكام وبدأت الحالة تلبس من يوم الى يوم ثوب العدوان بين فرسايل وبين باريس أعرناها الاسماع والابصار . وكانت الجرائد والفارّون يطلعونا على كل ما يحدث في داخل المدينة . وبينما كانت الفيالق الالمانية يحصرون باريس شمالاً وشرقاً يعملون كأنهم اعوان لجنود الحكومة كان هؤلاء الجنود يأتون من الغرب والجنوب سائرين لمهاجمة باريس وقد التحموا في وقائع عنيفة . وكان أفضل موقف يمكننا ان نرقب فيه الحوادث التي تقع داخل أسوار المدينة هي مرتفعات سانوى القائمة على

شاطىء السين مسافة ستة كيلومترات شمال باريس الشرقي". وان تجاراً من الفرنسيين حذاقاً وضعوا في هذه النقطة « مراقب » (تلسكوب) مقابل مال ينقدونه لاستعمال العساكر الالمانية يرقبون منها مأساة الحرب الاهلية . أما انا فما استعملت هذه المراقب قط" بل قنعت من ذلك بأن امضي كل يوم الى سان ـ دنيس استطلع الاحوال اما من نافذة عالية في فندق « سردور » « غزال الذهب » وإما ان اركب جواداً أسير عليه في جزيرة السين الكبرى قريب سان ـ دنيس

ومن أواخر مارس كانت الحرائق الكبرى المنبوثة تدلنا على الاماكن التي يقع فيها القتال في داخل المدينة واذكر انه في ٢٣ مارس خصوصاً حسبت ان داخل باريس كله سيكون مطعم النيران . وقد وصف لنا الفرنسيون الذين هجروا العاصمة الحالة في داخل المدينة وصفاً مشوماً ويظهر ان الحوادث لم تكن أقل شؤماً من الاحاديث. فهناك الحرائق والسرقات وتقتيل المعتقلين وقصارى القول كل اعراض هذا الداء الذي ينزل بحكومةٍ فككتها الحرب والذي ينعتونه اليوم « بالبلشفية »

ان زعيماً من الشيوعيين اعتقلته الحكومة ثم خلت سبيله فقال : « ان الحكومة لم يكن لها شجاعة لتأمر بقتلي رمياً بالرصاص لكني انا سيكون لي الشجاعة فأرميها بالرصاص واردبها » ويبدو ان هذا الوعيد كان لاشك واقع

ان المقاصد التي عقد الشيوعيون عليها العزم تبين الى أيّ حد قد احتجب في نفوس الثوريين الشعور الوطني فيحين انه في فرنسا قوي حساس. ففد قالوا : « إنا نفاخر ان نضرب حكومتنا في قفاها على أعين أعدائنا » فيرى ان المنهاج الذي تريد ان تنهجه البلشفية لاعادة نظام العالم، هذا المنهاج الذي حاولوا أن يدخلوه علينا في هذه الايام الاخيرة، لا يمكن ان يسموه كما يدعون « بدعة جديدة» في بابه

وقد أتيح لي ان اشهد من نافذتي في فندق سان ـ دنيس آخر ساعات « الشيوعية » فان جنود الحكومة تقدموا من خارج الاسوار واكتنفوا مونمرتر من القرب ثم تسلقوا سفوح الرابية من الشمال ، ولم تكن قد بنيت بعد ، وهجموا على

آخر مستحكم للشيوعية فأخذوه عنوة

واني لأعتبر أنه من مر السخرية وهزء القدر أن الحزب السياسي الوحيد في أوروبا في تعاميه جهلاً عن مرمى الحوادث ومعناها الحقيقي قد رفع شأن الحركة الثورية في ذلك العهد ومجد أبطالها ثم اضطر في أيامنا هذه ان يقف عندنا وقفة الحزم الاكيد يصد مجهودات الشيوعيين باقصى ما فيه من قوة . فهذه الوقائع تدل الى أين يقود استئثار مذهب طالما ان التجارب العملية التي نقصته الى الآن لم تفتح عينيه بعد ايرى

غادرنا ضواحي باريس ، ونحن نحفظ في اعماق قلوبنا التحذير الذي استفدناه من الحوادث التي وصفت آنفاً ، في أوائل يونيو وبعد أن استغرق سفرنا في سكة الحديد ثلاثة أيام بلغنا وطننا الظافر وهو اسعد حالاً

وقد مضينا هذه المرة لندخل برلين دخولنا الرسمي الحافل من ميدان الاستعراضات من « تمبلهوف » واشترك فيه وفود من جميع الوحدات الالمانية وقوفاً الى جانب فيلق الحرس . وقد حفظت في اعمق طيات قلبي ، ليس لي بل لامبراطوري ومليكي ولوطني ، املاً بأن أرى يوماً جنودنا المظفرة تجتاز مرة ثالثة باب برندبورج : إلا ان هذا الامل لم يكن له من التحقق نصيب

العمل في زمن السلم

عدنا الى وطننا بعد ما أحرزنا في فرنسا معلومات واسعة في جميع فروع الفن الحربي . وفي حين حققنا لوطننا الوحدة السياسية قد حققنا في الجيش وحدته فن مبادىء تنظيمه الاساسية لم يلحقها الا بعض مخالفات سطحية ارضاء لامتيازات بعض الحكومات فقد صارت الوحدة الهجومية والفنية مضمونة كوحدة التنظيم والتسليح والتعليم ومن النتائج الطبيعية من تكوين المانيا التاريخي هو أن الخبرة التي اكتسبها الجيش البروسي وتنظيمه قد اتخذا أساساً لتنظيم الجيش الالماني في المستقبل

ان العمل في زمن السلم بدىء به حالاً . في السنوات الاولى كنت لا انفك اخدم في احدى فيالق الجند لكني رغبة في ارضاء الميل الذي كان يحدو بي الى احراز علم الحرب علماً أوفى وأعلى اخذت استعد للدخول في اكاذمية الحرب وقد قبلت فيها سنة ١٨٧٣

فالسنة الاولى من التعليم لم تأتِ على طبق رغائبي واماني فبدلاً من ان يلقونا التاريخ الحربي والتعاليم المستفادة من الحروب الحديثة حشوا ادمغتنا ، في ما يتعلق بالعلوم الحربية ، بدروس في تاريخ الفن الحربي والفنون القديمة وما هي الا أمور ثانوية : على انه كان يجب علينا ان نحضر دروساً في الرياضيات لم تنفع في المستقبل الا عدداً قليلاً جداً منا وهم الذين التحقوا كحاسبين في كتائب طبوغرافية غير ان السنتين الاخيرتين من سني الدراسة وسني التدرب التي تمضيها في سائر الاسلحة بين سنة وسنة من سني الدراسة قد اتمت ، على الضابط الفني الراغب في الاستزادة من التعلم والاستفادة ، رغائبه

فقد درست على أساتذة اعلام اريد ان اذكر منهم ، الى جانب الماجور فون وينيخ الذي أسلفت الكلام عليه ، الكولونل كسلر والكابتين ويلوم من أركان الحرب — ومن اساتذة التاريخ المستشار الحميم دنكر والاستاذ ريخر وكنت اعاشر أيضاً

من جيلي رفاقاً ألباء كفون بيلوف وفون ايشرن اللذين صارا فيما بعد قائدين وفون برنهردي الذي صار قائداً في الخيالة . فبفضل هذه الظروف وسعني ان أوسع كثيراً دائرة معارفي . وساعدني كثيراً على ذلك أيضاً اتصالي برجال برلين ومجتمعاتهم المختلفة وقد نالني شرف الدعوة الى ان اكون عضواً في النادي الخاص بصاحب السمو الملكي الامير اسكندر البروسي فهيأ لي دخولي في هذا النادي ان اكون على اتصال ليس فقط مع كبا ررجال الحرب بل مع رجال علم ورجال حكومة واعوان البلاط

وبعد ان اتممت دروسي في اكاذمية الحرب عدت أولاً الى آلايي القديم في هنوفر مدة ستة أشهر ثم الحقت في ربيع ١٨٧٧ باركان الحرب الاعلى

وفي شهر افريل سنة ١٨٧٨ عينت في اركان الحرب وفي الوقت ذاته سميت « كابتن » وما هي الا شهور حتى عينت لأركان حرب الفيلق الثانية في ستيتين . اذ ذاك بدأت حياتي الحربيـة خارج الجند ومن ذلك الحين والى حين تسميتي قومندان فرقة لم أعد الى فيلق جنودٍ الا مرتين

كان اركان الحرب من أفضل الادارات في جيشنا الالماني وأجلها تنظيماً .وفيه، ماخلا تبويب الرتب الدقيق ، نظام خاص مستند على سمو المدارك العقلية التي غني بها رئيس اركان الجيش المرشال دي مولتسك . وان التعليم الذي يلقى في زمن السلم على ضباط اركان الحرب يضمن فى زمن الحرب أن يسود تعليم واحد على جميع أعضاء القيادة وأن ينفذ الى افكار جميع الرؤساء سيّال يوّحد آراءهم . على ان عمل اركان الحرب على القيادة لم يكن مقيداً بتعليمات قاسية بل كان على الخصوص منوطاً من كل ضابط بطبعه الحربي والشخصي فيبدو أثره فيما بعد على درجات كثيرة التباين والتوازن. وأول أمر كان يتقاضى من ضابط في اركان الحرب ان يبقى مجهولاً في شخصيته وفي أعماله . كان يجب عليه ان يعمل وهو قائم الى الظل فواجبه اذن كان الكيان لا الظهور

اظن ان اركان الحرب الالماني في مجموعهِ عرف ان يتمم مهمته الشاقة للغاية التي القيت اليه وان أعماله قد جاءت آية في الكمال حتى الى النهاية وان يكن قد وقعت

منه غلطات وزلات متفرقة . ولا اعرف من شهادة ابقى لمجده وفخاره من ان خصومنا قد أوجبوا حذّه في شروط الصلح

وكثيراً ما افترضوا ان في اعمال اركان الحرب علماً سرياً فليس ابعد عن الصواب مثل هذا الرأي فكما ان اعمالنا الحربية أساسها الرشد كذلك اعمال اركان الحرب قوامها الرشد يطبقه على جميع المسائل التي يدرسها . فلم يكن عليه ان ينظر فقط في الاعمال العظيمة الاهمية بل ان يقطع رأياً في طائفة من الامور الطفيفة بحكمة ودقة

عرفت ضباطاً عدة ذوي شمائل ومواهب لم يكونوا اهلاً للقيام بهذه الامور الاخيرة ولو نيطت بهم لضج منهم الجند وتألموا

واذ كنت في اركان حرب الفيلق وكنت اطرّ ضباطه إهاباً لزمني ضبعاً ان اتفرغ الى الاعمال الطفيفة من النوع الذي وصفته آنفاً . ففي بدء الحال شعرت بصيعة أمل عظيمة ثم ما لبثت ان تذوقت هذه المسائل والفتها لاني ادركت المنفعة التي تنطوي عليها في اتمام المسائل التي هي من الاهمية في غاية مثلى ومن صلاح الجنود في مكان . ولم اتمكن من الاشتغال بمسائل أهم وارفع الا في اثناء الاسفار السنوية التي يقوم بها أركان الحرب وكنت في هذا اركان الحرب ملحقاً

وفي هذا العهد انتقلت لانضم الى اركان حرب قلعة كونجسبرج في سفرتهم الاولى يتولاها القائد الكونت وبدرسي رئيس اركان حرب الفيلق العاشرة وكان جنرالي قائد الفيلق قائدَ الخيالة كَهن فون دايهرن جندياً له سن وتجربة كان قد خدم وهو حدث الايام في شلسويج—هلنستين ثم قاد فرقة خيالة سنة ١٨٦٦ وفرقة رجالة سنة ١٨٧٠—١٨٧١

وكان من بواعث البهجة ان نرى على جوادٍ يبذلة هوصار بلوخر قائدنا الشيخ وكان فارساً هماماً واني احيل الفضل في إحسان اشغال اركان الحرب واعماله على رئيسي في اركان الحرب وهما الكولونل فون بترمسد رف ثم الليوتنان كولونل فون زنجلر في ١٨٧٩ شهدت الفيلق الثانية التمرينات العسكرية بحضرة الامبراطور

واستحقت امتداح جلالته . وفي هذه المناسبة تعرفت الى سكوبلف القائد الروسي وكان في هذا الحين قد بلغ ذروة المجد بعد انتهاء الحرب على تركيا . فوقع مني موقع القائد الحزوم الجليد له خبرة ومراس . غير أن صلفه كان عليّ اسوأ وقعاً

ولا يخلق بي ان انسى ذكر زواجي في ستينين . تنتسب امرأتي ايضاً الى رجال حرب فهي ابنة الجنرال فون سبرلنج الذي توالى على رئاسة اركان حرب الفيلق الرابعة سنة ١٨٦٦ وعلى الجيش الاول سنة ١٨٧٠ — ١٧٧١ وتوفي بُعيد الحرب على فرنسا . وكانت لي امرأتي زوجاً محبة قاسمتني بأمانة وجلد افراحي واحزاني وهمومي واشغالي وكانت أوفى صديق لي وافضل رفيق ورزقت منها ولداً وابنتين . فالولد اتمّ واجبه في الحرب . وابنتاي متزوجتان وقدذهب رجلاهما كلاهما الى جبهة القتال في هذه الحرب

وفي سنة ١٨٨١ عينت في الفرقة الاولى في كونجسبرج فهذه الوظيفة جعلتني أوسع حرية واستقلالاً وقربتني من الجنود واعادتني الى المقاطعة التي تقطنها عائلتي

بين الحوادث الحربية التي وقعت اثناء وجودي في كونجسبرج يجب ان اذكر هذا وهو ان الكاتب الحربي المعروف الجنرال فردي دي فرنوى كان مدة من الزمن قائد فرقتي وكان هذا الجنرال رجلاً طيب الشمائل طيب الاحدوثة والحديث وبما انه قد قضى مدداً طويلة في هيئات أركان الحرب العامة في اثناء حرب ١٨٦٦ و١٨٧٠ — ١٨٧١ فقد كان له علم غزير بالحوادث الفاصلة التي حدثت في ذلك العهد . على انه كان قد اتصل من قبل باركان حرب القيادة الروسية في فرسوفيا في اثناء عصيان بولونيا سنة ١٨٦٣ حتى انه اكتسب في هذه المواقف معرفة دقيقة بالحالة السياسية في أراضي تخومنا الشرقية . فكان جميع ما يقصه علينا من حياته — وكان يقصه بلهجة مستملحة وانسجام رشيق — مفيداً مليحاً إن كان من الوجهة الحربية أو من الوجهة السياسية . وفوق ذلك فقد كان الجنرال فردي دي فرنوى صاحب بدعة جديدة في فرع تطبيق التعليم الحربي . فكنت اشتغل تحت ادارته ونتداول

أحياناً كثيرة اراءنا حتى اني اقتبست منه أموراً كثيرة نفعتني نفعاً جزيلاً للدروس التي لزمني ان القيها فيما بعد في اكاذمية الحرب . فهذا الرجل المفرط الذكاء كان له عليّ اذن من وجوه متعددة نفوذ وأي نفوذ اهاب بي الى الجد والعلى وكان لي دائماً رئيساً رفيقاً بي واشعرني دائماً منه بثقة تامة

واني لاذكر كذلك بالشكر الكثير رئيس أركان حرب فيلقي الكولونل فون برتنورفر فان اسفاره مع أركان الحرب ومباحثه في اشغال الشتاء كانت مصوغة صيغة تامة ولا سيما انتقاداته فقد كانت مفيدة جداً

وعلى أثر انقضاء ثلاث سنوات تركت اركان حرب الفرقة الاولى واتصلت كقومندان سرية في آلاي الرجالة الثامن والخمسين في حامية فروستاد في بسنانيا. فرجوعي هذا الى ما بين الجنود اضطرني الى تقلد قيادة السرية التي كانت مؤلفة من رجال الا قليلهم من أصل بولونى . وبهذه الفرصة توصلت الى تعرف جميع المصاعب التي تعترض تعليم وتثقيف مثل هذه الوحدة حيث الرؤساء والمرؤسون لايتوصلون الى التفاهم فيما بينهم لان هؤلاء وأولئك لم يكونوا يعرفون الا لغة واحدة أما أنا فما كنت اعرف اللغة البولونية ماخلا بعض عبارات كنت اتعلمها في أيام صباي . اما العمل الذي باشرته في سريتي فقد زاد تعقداً وتصعباً بسبب تشتت رجالي للسكنى في ثلاثة وثلاثين مضرباً متفرقاً حتى فى طواحين الهواء القائمة في ضواحي المدينة وكان هؤلاء الرجال مجتهدين ذوي رغبة وحسن نية ويخلق بي القول انهم كانوا شديدي التعلق بمن يعرف ان يراعي المصاعب التي كان عليهم ان يذللوها لتعلم حرفتهم وبمن يلحظهم بالعناية فى حين يكون عليهم ذا قسوة . وفي هذا العهد كنت احسب ان اكثر حوادث السرقة والسكر التي تكثر عند البولونيين يجب ان تعزى لا الى منزلة أدبية دون ، بل الى نقص في التربية وهم احداث، فانى آسف جد الاسف ، وقد سمعت الآن عن الفظائع التي أوقعها المتمردون العصاة على رجال عزل ، على ان أراني مضطراً ان ارجع عن حسن الرأي الذي رأيته في بولونيي بسنانيا.

وما كنت لاصدق هذا واقعاً من مواطني رجالي القدماء حملة البنادق !

اني أعيد اليوم بالفرح تذكار تلك الايام اذ كنت قومندان سرية ولكن من دواعي الاسف انها لم تطل الا خمسة عشر شهراً

لأول مرة امتزجت بحياة حامية صغيرة هي في معيشتها بين بداوة وحضارة فلقيت في هذه المدينة الصغيرة قبال مودة وإخاء ليس فيما بين رفاقي فقط بل عند ملاّك الجوار وفوق ذلك فقد تيسر لي ان أجد حياتي مع الجنود حياةً شديدة التلاصق . فاجهدت نفسي في تعرف طباع كل رجل من رجالي بمحادثتي له فأدى بي هذا الى ايجاد صلة متينة بيني وبين مرؤسيّ

وقد عزّ عليّ كثيراً فراق سريتي على الرغم من كثرة المنافع التي تعود عليّ من رجوعي الى اركان الحرب

وقد وقع هذا الفراق في صيف ١٨٨٥ اذ الحقت في اركان الحرب وبعد انقضاء بضعة أشهر سميت قومنداناً واتصلت بقسم الكونت فون شليفن وهو حينذاك كولونل ثم رقي قائداً ورئيس اركان حرب الجيش ثم وضعت على تصرف الكولونل فوجل فون فلكنستين الذي صار فيما بعد قومندان الفيلق الثامنة ورئيس فيلق المهندسين وممهدي الطرق : واشتركت في اكثر من سنة مع ضباط هذا القسم في وضع النظام للخدمة في القتال . وهو نظام جديد وله أهمية اساسية . وهكذا خالطت عن كثبٍ رئيسَي قسم اركان الحرب الاعلى اللذين كانا في هذا العهد يتقلدان أهمّ المناصب وأجلها

انذا السمو الملكي الامير غليوم البروسي قد اشترك هو أيضاً في ربيع ١٨٨٦ في تمرين دام بضعة أيام في ناحية زوسن وكان الغرض منه تفتيش عملي لجملة رجال اكتتبوا للخدمة في الميدان وذلك قبل ان ينخرطوا في السلك وكانت هذه أول فرصة تشرفت فيها بمقابلة أمبراطورنا العتيد الملك والعاهل غليوم الثاني . وفي أبان الشتاء القابل شهد الامير تمريناً على خارطة اركان الحرب الاعلى وبهذه المناسبة

كنت انا اقود القسم الروسي

وفى غضون هذه السنوات ولو ان المرشال دي ملتك كان قد وضع على عاتق الكونت ولدرسي ، الذي انضم اليه كملحق ، ان يهتم بتنظيم عمل الاقسام المختلفة فى اركان الحرب الاعلى فان روحه ورأيه كان تأثيرهما لا ينفك ظاهراً موسوماً

وبديهي ان جميع الضباط كانوا معجبين بالكونت دي ملتك اعجاباً لاحد له . ولم يكن فى موسوع احد منا ان يتخلص من سطوة نفوذه العجيب

اما انا شخصياً ، فى هذه الظروف التي وصفتها آنفاً ، فلم يتسع لي مجال الدخول في صلات رسمية مع المرشال الا نادراً لكن اسعدني الطالع ان اقابله من حين الى حين خارج العمل . قد حضرت ، في سهرة عند الامير اسكندر ، مشهداً يعرّف أبين تعريف شخصية دي ملتك ومدارك عقله . وقفنا بعد الطعام نعجب بصورة من صناعة كهوزن تمثل مقابلة الامير فردريك — شارل والامير ولي العهد في ساحة القتال في كونيجراتز . وكان بين الحضور الجنرال فون وتترفلد وكان قد رأى رأي العين هذه المقابلة فحدّث ان الامير فردريك — شارل صاح لما لمح الامير ولي العهد : « الحمد لله يافردريك على انك وصلت . والا لربما كان انقلب عليّ ذلك شراً ! » فلما سمع الكونت ملتك هذه الرواية وكان يبحث عن سيجار ليتعاطه : اقبل علينا ثلاث خطوات واسعة وقال هذه الكلمات وهو يتلفظ بها واحدة واحدة: « لم تكن في الامير حاجة الى لفظ هذه الكلمات . فقد كان يعلم حق العلم ان الامير ولي العهد بلغه الامر بالمجيء وانه كان منتظراً وصوله الظهر الى ساحة القتال وهكذا كان مضموناً له النصر ! » قال المرشال قوله وعاد يبحث عن سيجار

في عيد تذكار مولد الامبراطور اجتمع قواد اركان الحرب الاعلى وضباطه ضيوفاً على المرشال فادّعى أحد المدعوين وهم على الطعام ان النخب الذي يشربه دي ملتك على ذكر الامبراطور لا يتجاوز عشر كلمات من أول كلمة يلفظها الى اول « هتفة » ترتفع الاصوات بها فتخاطروا عليه وما شاركتهم. إلا ان الذي ضمن

الرهان خسر لان المرشال اكتفى ان قال : « ياصحب هتفةً لاجل الامبراطور ! » كلمات كانت، والحق يقال، كافية وقد وقعت من فم ملتك على مثل معشرنا .!

وفي العام القابل وقع التخاطر ذاته غير أن الخاسر القديم ابى ان يتقدم اليه ولو فعل لربح لان الكونت دي ملتك قال : « ياصحب عاشت جلالته ! عاش امبراطورنا وعاش مليكنا ! فاهتفوا له ! » وقد قال احدى عشرة كلمة

على ان الكونت دي ملتك لم يكن قطُّ سكوتاً في معشر الناس بل بعكس ذلك هو فكه الحديث حُلوه لبق الرواية فصيح اللهجة

وفي ١٨٩١ رأيت المرشال آخر مرة وكان على سرير الموت وأدخلت عليه في غد وفاته فاذا هو على سرير الابهة وليست عليه الغفرة (١) التي اعتاد لبسها فبدا رأسه بتركيبه الجميل وما تقصه الا اكليل غار على صدغيه فيكون رأسه رأس قيصر مكمل . لكم تولَّد في هذا الرأس من افكار سامية ! وأيّ مطمح رفيع حوى ! وبأي نبل افكار ونصح واخلاص جدّ وعمل للخير وطننا وخير مولانا ! من ذلك العهد ايقنت ان شعبنا لم ينجب رجلاً في عقله وفي طبعه أعظم من المرشال . اجل ان دي ملتك لعله هو الرجل الفرد الذي اجتمعت فيه هاتان الخصلتان بالغتين هذا المبلغ من العظمة !

وكان امبراطورنا الاول والاعظم قد انتقل عنا من قبل ثلاثة اعوام فأمرت ان اسهر على جثمانه في الكاتدرائية وهكذا قدرت ان اقوم بآخر خدمة لمولاي الامبراطور والملك المحبوب فوق كل شيء ! وبينا انا في عدد الحراس حملتني افكاري بطريق ِكل وكونيجراتز وصيدان الى مهرجان يوم فرسايل العظيم . ثم الى يوم أحد من آحاد العام الماضي وكنت مزدحماً بين الحشد المتحمس تحت النافذة المشهورة

(١) ما غطى الرأس من الشعر والمراد بها هنا كلمة « perruque » التي شاع استعمالها في ايام لويس الرابع عشر بين رجال بلاطه وكبار مملكته لانه هو استعملها لصلع ٍ في رأسه وهي الشعر المستعار.

في زاوية القصر الامبراطوري . وثارت الى نفسي حماسة المحتشدين فرفعت بذراعي ولدي وعمره اذ ذاك خمس سنوات واريته مليكنا المبيضة شعوره وقلت له : «لا تنس أبداً هـذه الساعة في حياتك فتعمل دائماً واجبك ! » والآن فقد مضت نفسه الكبيرة مليكاً ورجلاً لتنضم الى رفاقنا الذين أرسل اليهم قبل سنوات قليلة سلامه مع المرشال دي روبن المحتضر !

على طاولة شغلي موضوعة قطعة رخام أر بد ! هي من الكاتدرائية القديمة من المكان الذي يرتاح فيه نعش أمبراطوري . ما رأيت أعزّ على قلبي من هذه الهدية ! لا حاجة الى استعمال الفاظ لاصف الانفعالات التي يبعثها فيَّ حتى اليوم منظر هذا الحجر !

ان مُلك ابن غليوم الاول الامبراطور فردريك فخر المانيا وأملها لم يطل كثيراً نزل به داء عضال فذهب بحياته بعد موت أبيـه بثلاثة أشهر وكان اذ ذاك اركان الحرب الاعلى في سفر دروس في بروسيا الشرقية حتى اننا قد أقسمنا في غومبينن يمين الامانة لجلالة الامبراطور والملك غليوم الثاني . لقـد حلفت هذا قسم الامانة الحافل في مكان أتيح لي بعد مرور ست وعشرين سنة في زمن حرج بل زمن عظيم ان ابرهن له بأفعالي على هذه الامانة

وكان من صلاح الحظ لي أني وجدت في هيأة اركان الحرب وظائف مختلفة واذ ذاك حين كنت لا أزال بعد في اركان الحرب عهد اليَّ انالقي دروس الخطط الحربية في اكاذمية الحرب فشعرت من هذه المهمة بارتياح عظيم وقد مارستها خمس سنوات متوالية. أجل ان العمل الذي وجب عليّ ان أوديه كان، والحق يقال، عظيماً لانه ماخلا دروس الاكاذمية لزمني ان أقوم بأشغالي اليومية في اركان الحرب الاعلى أولاً ثم فيما بعد في فيلق الجيش الثالثة حيث سميت في أركان الحرب ضابطاً أول

وعليه فان اليوم بساعاته الاربع والعشرين كان أحياناً أقصر من ان يفي بالمرام فكنت اقضي الليل ساهراً مشتغلاً حتى الفت شغل الليالي فصار بي عادة

وفي الأيام التي قضيتها مدرّساً في الاكاذمية تعرّفت الى ضباط فتيان حدة كانوا من الذكاء ورجاحة العقل على جانب عظيم والامل بهم كبيراً فان اسماء عدد كبير منهم قد دوّنت في صفحات التاريخ

لا اذكر هنا الا لوهنستين ولوتويتز وفريتاج — لورنجوفش وستين وهوتيه .

وقد كان يستمع عليّ الدروس التي القيها ضابطان تركيان من اركان الحرب وهما شاكر بك وتوفيق افندي حضراها مدة سنتين فقط وقد صارا فيما بعد في بلادهما أحدهما مشيراً والثاني قائداً

وفي اثناء اقامتي في اركان حرب فيلق الجيش الثالثة كان قائد هذا الفيلق ثاني القائدين الآخوين فون برونسار وهوضابط جمّ المواهب استخدم سنة ١٨٦٦ وسنة ١٨٧٠—١٨٧١ في اركان الحرب ثم صار فيما بعد كاخيه البكر وزير حرب

ان تعييني في وزارة الحرب هيأت لي ضرباً من الشغل لم آلفه من قبل فكان جديداً عليّ وقد كلفت بدائرة من ادارة الحرب العمومية . والفضل في ذلك معزوٌّ الى أن قومنداني القديم في الفرقة الجنرال فون فردي كان قدسمي وزير الحرب فاستدعاني اليه على أثر تبديل وتشكيل أدخل في الوزارة ثم مالبثت ان سميت رئيس دائرة وان كنت لم ابلغ بعد من المراتب الا رتبة قومندان

وفي بدء حالي بقدر ما كانت هذه المصلحة بعيدة عن رغباتي ونزعات قلبي بقدر ما عرفتُ فضل المنافع التي اكتسبتها فيما بعد لاني استطعت بهذه الوسيلة ان اتعمق في فرع من الاشغال وفي مسائل كنت الى ذلك اليوم أجهلها جهلاً تاماً

وقد سنحت لي فرص عديدة لاخبر ذلك « الترسّم » الذي يصعب على المرء اجتنابه في الخدمة واعرف نظرية بعض الموظفين في الدواوين وتلك النظرية هي نتيجة ذلك الترسم لكني لاحظت أيضاً ان كل واحد كان يشتغل باذلاً اقصى جهده وغيرة وتنهك قواه ولا يبالي

وبين أهمِّ الاعمال التي وجب عليّ ان آتيها في هذا العهد ينبغي ان اذكر

وضع نظام لمهدي الطرق في وقت القتال وتعليمات على استخدام المدفعية الضخمة في حرب العراء . وكلا هذين النظامين قد وضعا موضع الاختبار في غضون الحرب وعجيا عوداً

ان الخدم التي أسدتها الوزارة في زمن السلم ولا سيما في اثناء الحرب الاخيرة لما يستأهل ان تدون فتقدر اقدارها . لكن لا بد من بحث دقيق يستوفي كفاءته وأيامه فيدعم رأيي ويؤيده تأييداً

اذا كنت على مرور الايام قد أدركت كل المنفعة من خدمتي في وزارة الحرب فما كنت إلا لاحيي بهزة الفرح وارحب بانقاذي من نير الدواوين وذلك حين سميت قومندان آلاي الرجالة الحادي والتسعين في أولدنبورج سنة ١٨٩٣

ان منصب قومندان آلاي لهو أجمل ما يُشتاق في الجيش . ان رئيس الفيلق رسم بسمائه آلايه الذي يتوارث تقليداته تالداً عن تالد. ان أهم واجبات رئيس الفيلق هو ان يعلّم هيأة ضباطه ليس فقط ما يتعلق بفن الحرب بل أيضاً ما هو من خصوصيات فن الاجتماع وان يدرب سير الجنود ويسهر على تعليمهم ذلك جلّ واجبه فقد بذلت قصارى جهدي في تثقيف هيأة ضباطي على الفروسية وكتائبي على محبة القتال وعلى الشدة في مراعاة النظام لكنني كنت اجتهد أيضاً ، وأنا أعلمهم ضرورة التحصن بالقانون والتدقيق في حفظه ، ان احبب اليهم واجب الخدمة وحب الابتكار

وبفضل هذا ، وحامية أولدنبورج فيها الرجالة والخيالة والدفاعة ، قد امكنني ان أقوم بتمرينات عديدة بين جرائد مختلفة من جميع الاسلحة

فان صاحبي السمو الملكي الغرندوق والغرندوقة قد أبديا لي أعظم عطف وارتياح وكذلك صاحبا السمو الملكي ولي العهد وابنته . على اني قد لاقيت في كل مكان وطئته اكرم وفادة وسررت كثيراً في أولدنبورج المدينة الجميلة ذات البساتين. ان رصانة سكان أولدنبورج ورزانة أخلاقهم كانت تؤانيني ولذا فانه يلذّ لي ان أعيد عليّ ذكرى الايام التي قضيتها في تلك المدينة واذكرها بالجميل . ومن بواعث فرحي

العظيم أنه أتيح لي أن عدت الى إحكام صلاتي مع آلايي القديم اذ سماني أمبراطوري بفرط عطفه عليّ « تابعاً » للالاي الحادي والتسعين بمناسبة عيد ميلادي السبعيني فأنا الآن معدود بين سكان أولدنبورج .

في ١٨٩٩ لما تقلدت مهام رئيس اركان حرب الفيلق الثامنة صرت على اتصال بمقاطعتنا الرينية لاول مرة فوقع في خيرَ وقعٍ مالقيني به الرينيون من كرم خلق وحسن وفادة . على أني ، وأقرّ بذلك بحرية فكر ، أجهدت النفس جهداً في تعويدها على أسلوبهم الخفيف في معالجة جلائل أمور الحياة وعلى طريقة شعورهم وهي أرخى من طريقة الشعور والتفكير عند الماني الشمال . ان نشأتنا التاريخية واختلاف المواقع الجغرافية والاقتصادية تفسر تماماً ان البروسيين لايفكرون كما يفكر الرينيون ولا يشعرون مثلهم في نقط كثيرة . لكنه في رأيي أنه من الجرم ونكران الجميل والظلم ان يلجأ اليوم الى اتخاذ هذه المفارقات ليستنتج منها ضرورة فصل البلاد الرينية عن بروسيا

ان بهجة الحياة على ضفاف الرين قد قنصتني أنا أيضاً بحبائلها فقضيت في هذه المقاطعة ساعات طيبة مستحبة وكان قائدي الاول في فيلق الجيش الجنرال فوجل فون فلكنستين الذي كنت قد عرفته في اركان الحرب الاعلى رئيس دائرة وفي وزارة الحرب حيث كان مدبر الديوان الذي كنت فيه على ان صاحب السمو الملكي الغرندوق ولي عهد باد خلفه في منصبه بعد قليل

تيسر لي ان ابقى ثلاثة أعوام ونصفاً الى جانب هذا الرجل العظيم واني أعد هذه السنوات أجمل سني حياتي . إن نبل عواطف الغرندوق حيث امتزجت العظمة بصفاء مودة ساحرة وأمانة خلصت للقيام بالواجب لاينالها كلل وهيبته وصفاته التي يزدان بها الجندي الكامل جميع هذه الفضائل قد ملكت له حبّ مرؤوسيه وثقتهم وحبّ سكان الرين أيضاً

في ١٨٩٧ أيام كنت رئيس اركان حرب شهدت الفيلق الثامنة التمرينات

الامبراطورية . فارتاح جلالة الامبراطور والملك الى تمرينات الاستعراض و... س القتال . و بين الحفلات التي أقيمت في كوبلنس يحسن ذكر تدشين النصب الذي رفع تكريماً للامبراطور غليوم الاول في دشت ايتك وهو موقع انيق المنظر يشرف على مصب الموزل في الرين قبالة قلعة اهرنبرتستين

و بما انى قضيت أربع سنوات رئيس اركان حرب فقد تقادم عهدي بمراتب حتى لم يبقَ من مجال لتسميتي في قيادة لواء رجالة ولهذا بعد هذه السنوات الاربع سميت سنة ١٩٠٠ لقيادة الفرقة الثامنة والتسعين في كرلسرو

اذعنت لهذا الامر النافذ اليّ من مولاي المبجل بسرور خاص . فان علائق الخدمة التي اتصلتُ بها الى ذلك الحين بالغرندوق ولي عهد باد هيأت لي ان أنال عطفاً لاحدّ له لدى صاحبي السمو الملكي الغرندوق والغرندوقة وقد تناول هذا العطف أيضاً امرأتي وصيرنا كلا الاثنين من السعادة في مكان عظيم . أضف الى هذه السعادة أنواعَ المسرات التي جلبتها علينا بلاد باد الجميلة بجمال احراجها الرائع وضيافة أهليها الاجواد وكذلك كرلسرو بمواردها الفنية والعلمية وطيب معاشر سكانها التي كان يرتادها جميع الناس على اختلاف مقاماتهم ومراتبهم

ان فرقة الرجالة انما هي الوحدة الاولى التي تجمعت تحت قيادتها أنواع الاسلحة الثلاثة وعليه فان مهمة قائد الفرقة متشعبة الاطراف فهي لاتتناول جزئيات الامور بل تتخطى الى المسائل التي لها في الحرب شأن ومنزلة

وقد تركت كرلسرو في يناير سنة ١٩٠٣ وانا حافظ في صميم قلبي أحسن جميل لها تلبيةً للثقة التي وثقها مني رئيسي الاعلى اذ استدعاني على رأس الفيلق الرابعة فاذا أنا قد تقلدت منصباً جليلاً تبعته تكون الخدمة فيه على الاجمال أطول زمناً منها في غيره . ان قومندان فيلق جيش ، مثل رئيس فيلق ، لايسم مجموع وحدات الاسلحة جلائل الامور ورفيعها فأنا تابعت عملي بمقتضى المبادىء التي كنت الى الآن قد أجريتها واظنُّ انه قد نتج عنها نتائج محمودة

ان ولاء مرؤوسي الذي علّقت عليه أهمية جلى لانه ، على ما يرجح ظني ، هو احدى الدعائم التي يترتب عليها حسن العمل وجمال النتيجة في الجنود ، قد ظهرت لي تباشيره ، على الاقل بمظهر الوفاء حين زايلت منصبي الجليل بعد ثماني سنوات وربع

ومن اول سنة استلمت القيادة كان لي الشرف بأن أقدم فيلق جيشي لجلالته في اثناء التمرينات الامبراطورية التي بدأت باستعراض على مكان القتال في رسباخ! فهنأني مولاي تهانيء عطفتها على سلفاني وعلى جنودي

وفي اثناء هذه التمرينات تشرفت بالمثول لاول مرة بحضرة جلالة الامبراطورة (١) وفيما بعد في أيام كانت الحالة حرجة علينا قضيت ساعات تيسر لي فيها ان ادرك ما كانت هذه الامرأة النبيلة لرجلها العظيم ولوطنها ولي أنا

وعلى زمني كانت الفيلق الرابعة تحت إشراف صاحب السمو الملكي الامير ليوبولد البافاري وقد عرفت فيه رئيساً محنكاً وجندياً كريماً . وقد شاءت الاقدار ان نتلاقى فيما بعد على ساح القتال في الميدان الشرقي .

---

(١) وقد توفيت صباح ١١ ابريل سنة ١٩٢١ في دورن (هولندا) على أثر علة في القلب وهي في الثالثة والستين من سنها

ولدت في ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٥٨ واقترنت بملك بروسيا وامبراطور المانيا سنة ١٨٨١ ورزقت منه ستة أولاد ذكورهم الامراء فردريك غليوم ولي العهد وايتل فردريك وادلبرت فردريك واوغست فردريك واوسكار فردريك ويوا كيم فردريك والبرنسس فكتوريا لويز وهي من اسرة شلويج هلنستين

ونقل جثمانها الى برلين وكانت الجنازة مقرونة بمظاهرة عطف على النظام العسكري الملكي فقد اشترك ثلاثون الف شخص في الموكب الذي سار الى المدفن وحضر الحفلة بعض الوزراء وبعض رجال البلاط السابقين ورجال طبقة الاشراف وملك بلغاريا السابق فردينان والمرشال هندنبورج والمرشال لودندرف والجنرال ماكنسن والجنرال كلوك والاميرال فون تربتز . ومما يجدر بالذكر ان الجمهور هتف للمرشال هندنبورج بعد الجنازة

ولئن كان الامير يفوتني فوتاً محسوساً في السن فقد رضي بكرامة نفس ان يكون تحت امرتي لخير وطننا وصلاحه

وفي شهر دسمبر سنة ١٩٠٨ بناء على أمرجلالة الامبراطوراشتركت ، في مونيخ مع الجنرل فون يلوف الذي كانت فيلق جيشه تحت إشراف أمير بافاريا ، في حفلة اليوبيل التي أقيمت اكراماً لمرور خمسين عاماً على سموه الملكي وهو في خدمة الجيش . وبهذه المناسبة نالنا شرف المثول بين يدي صاحب السمو الملكي الامير النائب ليوبلد فنلنا منه اكرم رعاية

ان مجد بورج مركز فيلق الجيش الرابعة قد طالما حطّ من قيمتها أولئك الذين لا يعرفونها . فهي مدينة قديمة جميلة فيها « بريتروبج » والكاتدرائية النفيسة اللتان تجدران بالزيارة والنظر . ومن يوم تقضت اسوارها شيد عليها ضواحٍ هي من الابداع في مكان تفي بكل رغبات الحياة الحديثة ومطالبها . ولئن كانت المحاسن الطبيعية مفقودة من ضواحي مجدبورج فقد اغنى عنها ماعلا فيها من سامق الأشجار الظليلة في صفوف منتظمة في الخمائل الجميلة والحدائق الغناء . أما فيما يختص بالفنون والعلوم فقد بذل الجهد في تشييد المسارح والاندية والمتاحف والمحاضر وسواها . فيرى من ذلك انه يمكن المرء ان يقضي في هذه المدينة ساعات هنية اذا فرغ من أشغاله ، ولا سيما اذا وسعه ان يتخذ له معشراً لطيفاً كالذي توفقنا اليه وطابت لنا معه الحياة

ولم تنقض علينا الحفاوة في المدينة فقط بل اتيناها في بلاط برنزويك وديسو وألتنبورج وفي أماكن كثيرة في غير المدن . فليس بمقدوري ان آتي على كل الزيارات التي قمنا بها فان ذلك يطول بي شرحه وايراده . على ان هنالك واحدة أريد ان أوردها تلميحاً لاني حفظت منها ذكرى طيبة هي الزيارة التي كنا نقوم بها كل سنة الى كروف فنقضي فيها أياماً قرب قائد الخيالة الكونت ورتنسلبن صديقي الوقور الكريم الذي قد بلغ اليوم من العمر ٩٣ عاماً

وفي مجدبورج لم تنقصنا فرص الصيد والقنص فانه ما خلا أيام القنص المشهورة

التي يذهب فيها لصيد الارانب والديكة في مقاطعة ساكس كانت أيام القنص التي يخرج فيها رجال البلاط الى آنزنجن وموزيجوقرب ديسو وبلنكنبورج في جبال « هرز » وألتنبورج وكذلك أيام الخروج الى الغابات في أراض مختلفة يصطادون فيها الخنازير الوحشية والظباء والايائل والاوعال

على ان العزم الذي عزمت على ترك الجيش كان يزداد نضوجاً في عقلي . فاني في اثناء خدمتي الحربية قد نلت فوق ما كنت ارجو

وفي ذلك الحين لم يكن من بارقة بحرب تنشب وحسبت كواجب عليّ ان افسح المكان لرجال فيهم نخوة الشباب وقواه واني في سنة ١٩١١ سألت التقاعد وبما انه اذيع من الاشاعات اغربها على هذا الحادث الذي لا أهمية له فاني أعلن صريحاً ان طلبي لم يحملني عليه باعث شخصي أوخلاف في الخدمة من أي نوع يكون

لقد شق عليّ جداً ان اقطع علائق كانت قد صارت عزيزة علي كثيراً وقد طال عليها العهد ولا سيما ان أهجر فيلقي الرابعة التي علق بها قلبي علاقاً متيناً وهو بها لكن وجب ذلك ان يكون ! وفي ذلك العهد ما عنّ قط على بالي انه بعد بضعة أعوام يعطى لي ان امتشق حسامي واخدم ، من جديد على منوال فيلق جيشي القديمة ، أمبراطوري وأمبراطوريتي وملكي وبلادي

وفي أبان خدمتي الطويلة تعلمت ان ادرس كل القبائل الالمانية تقريباً وعليه فاحسبني أستطيع ان أقول اليوم ان الخصال الفائقة المزادن بها شعبنا لهي ثروة حقيقية وانه ما من بلاد في البسيطة هي في درجة المانيا من احتياز الشروط الجوهرية لبثق حياة حافلة بالمآثر أدبياً وعقلياً

في التقاعد

تركت الخدمة العاملة على اني بقيت جندياً في اعماق قلبي تركتها وأنا شديد الوفاء عارف جميل أمبراطوري ومليكي اتمنى لجيشه خير التمنيات وفيّ كبير أمل بمستقبل بلادي

ان الحوادث الكثيرة التي شهدتها وأحييتها في جميع مناصب خدمتي كانت تسمح لي ان الفي على عملي الماضي نظرة ارتياح واستحسان. فما من شيء كان يستطيع أن يعكّر على صفاء الصورة الجامعة التي ارتسمت عليها أحلام حداثتي التي تحققت، فألقت عليها غشاوة . وما أملحها غشاوة ! فانه لما انقطت الى التقاعد الذي طلبته أنا بنفسي لم انقطع اليه الا وفيّ أسف على تركي وَسط العمل الذي عشت فيه وفي قلبي صبابة الى صفوف الجنود التي نأيت عنها

ان الامل بأن أمبراطوري سيستدعيني ، اذا دهم بلادنا خطر، ورغبتي في تخصيص آخر قواي لخدمتها قد ظلا في باطن نفسي متقدين استعاراً في سكون حياتي الجديدة الهادئة

وفي الحين الذي تركت فيه الجيش كانت حياة فكرية شديدة القوة تعمل فيه وتحركه . ففد قام صراع عنيف بين المذاهب القديمة و بين المذاهب الحديثة بين أشد انصار الترقي وأوسعهم جرأة و بين اعوان التقهقر القلقين وانتهى الامر بالركون الى أحدث التعاليم الحربية العملية • ان هذه التعاليم بالرغم من السبل الجديدة التي تفتحها لنا لم تبق لنا من شك في هذا الامر وهو أنه في هذه الايام حيث كل وسائل القتال تزداد تقدماً يجب ان يكون لتعليم الجندي وتثقيفه على التربية الادبية من الاهمية ما كان لها من قبل. فان النشاط في العمل قد كان له في كل زمن فضل التقدم على العقل والتعقل وان حضور الذهن وثبات الجأش كان لهما التفوق في اثناء الحرب على لطافة التربية ودقة الفكر فان الحرب، بالرغم من تحسين سلاح التدمير، ما انفكت

حافظة أشكالها البسيطة ، ويمكني القول ، أشكالها الخشنة الغليظة فلم تكن الحرب اذن لتطيق أن يتجبوا بالطبيعة البشرية وجهة فاسدة وان يلطفوا التربية الحربية . وأول ما تتطلبه ، وقبل كل شيء : هو أن يجعلوا من الرجل رجلاً مستقلاً قويُ الارادة

وقد ظنوا في زمن السلم انهم يقدرون ان يلوموا الجيش على انه عقيم . قد يكونون على جميع الصواب لو انهم أرادوا بالانتاج خلق الامور المادية لكنهم لايكونون أقلّ خطأ اذا اعتبروا الانتاج بمقاصده الادبية السامية . فكلٌ من لم يستنكر ، بداهةً لغرض في النفس وسوء قصد ، عملنا الحربي في زمن السلم كان واجباً عليه ان يعترف ان الجيش كان أفضل مدرسة لتهذيب الارادة والعمل بل هي مدرسة تعلم مسرة العمل ولذته . فكم الف والف رجل انما في هذه المدرسة تعلموا ما استطاعوه من الاعمال أدبياً ومادياً ولم يكتسبوا ألا منها الاعتماد على النفس والقوة الذاتية الباطنة التي حافظوا عليها مدى حياتهم جميعها ! أين وجدت فكرة المساواة وعاطفة الاتحاد اللتان احتازهما شعبنا مظهراً يفتن الالباب ويخلب الا في المدرسة الوطنية الكبرى التي هي مدرسة جيشنا هذه المدرسة التي جعلت جميع أعضائها متساوين ؟ في هذه المدرسة كان الميل الى الانانية الشخصية التي لاحد لها الانانية التي تنزع الى تقويض المجتمع البشري وأساس الحكومة ، قد تنقّى من كل شائبة بفضل النظام الدقيق القاسي الذي يسير بموجبه الرجل الجندي وذلك لاجل خير الجماعة .

ان الجيش كان يربي ويقوي هذا العاملَ القوي الى التنظيم ذلك العامل الذي نراه في كل مكان من بلادنا ، في الحياة السياسية ، وفي الحياة العادية ، في التجارة ، وفي الفنون ، في الصناعة وفي الطبقة العاملة في الزراعة وفي سائر الحرف والصناعات المختلفة

ان الجيش ومن ورائه الشعب الالماني ذاته قد أدركا جد الادراك ان مبدأ امتثال الفرد لخير الجماعة انما هو ضرورة بل خير وصلاح . هذا المبدأ وحده قد

بجعل ممكنةً تلك المجهردات الفريدة في بابها التي لزمنا واستطعنا بذلها لنقف في وجه أعدائنا العديدين في أزمنة صعبة

فانه على ساحات القتال في أوروبا وأسيا وأفريقيا قد برهن الضابط الالماني والجندي الالماني على ان تهذيب جيشنا هو هـذا الذي يجب أن يكون قد تلقاه . على أنه وان تكن اطالة أيام القتـال في الحرب الاخـيرة ، لأسباب متباينة ، قد أحدثت في بعض النفوس تأثيراً سيئاً يهدم الاخـلاق وان تكن المبادىء الادبية قد اضطربت في بعض أجزائها بسبب مفاعيل موهنة للقوى جلبهاالإعنات الادبي والمادي، وان يكن لوقوع نكبات عـديدة ، قد وجدت نفوس وهنت وكانت الى ذلك الحين لاغبار لوم عليها فإن النواة الكامنة في جيشنا قد ظلت من الوجهة الأدبية سليمة على مستواها بالرغم من العبء الثقيل الذي يبهظه

لقد عابوا على جيشنا من قبل أنه اجتهد ان يحوّل الرجل الحرّ الى حالة آلة لا ارادة لها . لكن على ميادين القتال في الحرب العظمى العالمية بين العوامل المثبطة العزائم في الوقائع التي لانهاية لهـا قد أمكنهم أن يلاحظوا النفوذ القويّ الذي ينشره تهذيبنا في تثبيت العزائم وشد ازر الارادة وان هناك أعمـالاً كثيرة عجيبة ـ وفي الوقت نفسه تشجي القلوب ـ تدل على مبلغ ما كان يستطيعه الجندي الالمـاني الباسل من البـذل عن نفس طيبة مهما عظمت الضحايا لا لانه كان يقول: « يجب عليّ » بل لانه كان يقول : « أريد »

ان تبدُّل الحوادث الحالية يستلزم الانتفاع من تفكك أوصال الجيش القديم للسير في سبل جديدة لتهذيب الشعب وتربية قوته المسلحة

وفي مسألة التهذيب هذه ما انفكُّ مستمسكاً أشد استمساك بالمبادىء القديمة التي لها تجاربها . ان غرضنا انما هو ان نفسح لشعبنا مجال العمل ليأتوا بمفاخر أشبه بمفاخر الماضي فلعل البعض لا يوافقون على الاهمية الاولى للوسائل والطرق الواجب اتخاذها بلوغاً لهذا الغرض لكنهم جميعاً يتفقون معي على عظم أهمية هذا الغرض نفسه.

حاجتنا ان نعرف أنريد ان نتخلى عن مركزنا في العالم وان ننحط الى محط السندان ؟ لانه لن يكون لنا فيما بعد شجاعة ولا قوة لنعمل عمل المطرقة في الساعة التي تسنح لنا فيها فرصة موفقة

امل المسألة التي يتعلق بها ليس فقط النجاح السياسي بل أيضاً ازدهار وطننا الالماني اقتصادياً هي ان نعرف كيف نتوصل الى اعادة مدرسة التنظيم الكبرى ومدرسة قوة العمل التي كنا نحوزها في جيشنا القديم

ان كان من بلادٍ على الارض لايسعها الازدهار والاحتفاظ بعقام يحسن الوقوف فيه ، فيما بين سائر بلدان المعمور ، إلا بجمع شتيت قواها المنتجة واستخدامها في ماهو نافع فانما هي البلاد الالمانية. ان عوامل التخريب في حرب مشومة والشعور الخدّاع في ان امتثال جميع قوى الامة لارادة واحدة لم يمكنه أن يدفع شقاء وطننا قد سببًا عندنا ، يا للاسف ، معارضةً قوية ضدّ النظام الشديد الدائم . ان الخروج على الخضوع المسيّر أو المخيّر الذي كان سائداً فيما بيننا منذ سنين قد تخطى كل الحدود المعروفة الى ذلك الحين وتاه لا قائدَ له في سبلٍ جديدة . أمن الممكن ان تحصل نتيجة من هذه السبل الجديدة ؟

على كل حال والى الآن ان نتائج تفككنا الوطني قد افقدتنا من قيمتنا الأدبية أكثر مما افقدتنا عوامل الحرب نفسها . فاذا كنا لا نعجّل في انشاء قوىً جديدة مهذّبة واذا كنا نظل — كما فعلنا الى الآن — على قتل القوى العقلية والأدبية في شعبنا فاننا نستنفدُ قبلَ الأوان من حياتنا القومية ثرواتها الثمينة ثم نصل بها الى حدّ القحل المجدب ثم نحوّلها خراباً يباباً !



القسم الثانى

قيادتى فى الميدان الشرقى

الجهاد لأجل بروسيا الشرقية

نشوب الحرب : القيت الىّ القيادة

منذ سنة ١٩١١ كان لي من الانفراد وهدوء الحياة سبيل الى التفرغ الى الحوادث السياسية العالمية على ما اهوى على ان الملاحظات التي قمت بها بهذه الفرصة لم تكن، والحق يقال ، لترتاح اليها النفس كلّ ارتياحها . ان التخوف كان أبعد ما يكون من نفسي لكنه ما كان يسعني ان اتخلص من بعض احساس بعدوان

ان الفكرة التي كنا نلقيها في محيط السياسية العالمية الخضمّ الزاخر ، وان لم تكن قد تأصلت كل التأصل في أوروبا ، فقد كان لها أثرٌ في نفسي

لئن بدت الغمائم المثقلة بصاعقة السياسة متلبدة فوق سماء مراكش أو تتكوم في سماء البلقان فقد كان فيّ وفي مواطنيّ شعور معمّى بأن نرى المانيا يتمخض

وفي السنوات الاخيرة قمنا واذا نحن واقفون من الرعونة الفرنسوية امام مدّ يتعالى صعوداً ثم هو يتجدد على ميعاد. أما مبدأها فعلوم وقد سعت ولقيت عوناً لها في روسيا وفي انجلترا لاتباليبالرجال وبالحوادث اللذين انما هما فيهذه الممالك منابضها الظاهرة أو المستورة المتعقلة أو غير المتعقلة

اني ما تعاميتُ قطّ عن المصاعب الخصوصية التي تعترض مَن يدير السياسة الالمانية وقد كادت تُلمس باليد الاخطارُ الناتجة عن موقعنا الجغرافي وعن حاجاتنا الاقتصادية، والذي ليس هو أقلّ أهمية من ذينك الامرين، عن مقاطعات التخوم المشكّلة الالسن والسكان

ان سياسة أحد أعدائنا قد جمعت علينا واطمعت فينا المطامع الاجنبية ولم يحوجها النجاح الى المهارة والحذق الكثير فاقتادتنا الى الحرب اقتياد قدَر فامتنعنا عن مداركة هذا الخطر وقد ارشدنا الى سياسة التوافق والتعاهد قانونُ الشرف اكثر مما ارشدتنا اليها احتياجات شعبنا وموقعنا العالمي

انه في نحو سنة ١٨٩٠ بينما كان أحد الذين صار فيما بعد مستشاراً في الدولة الالمانية يرى في حليفتنا السلطنة الدانوبية التفكك متزايداً كأنه امرٌ طبيعيٌ كنا نرى من مستخلفات الامور أن سياستنا لم تستخرج منه النتائج المنطبقة المعقولة

فقد كنت دائماً احسّ بعاطفة الولاء والمودة نحو النمسويين ـ الالمان اخواننا في العشيرة . وكنا نقاسمهم من مصاعبهم في داخلية وطنهم شطراً موفوراً لكني أرى ان هذه العاطفة قد انتفعت بها كثيراً السياسة النمسوية ـ المجرية

ان كلمة « وفاء نيبلونجن » كانت حقيقة كلمة صادقة جداً حين لفظت . لكنه لم يكن يسعنا ان نتوهم وننخدع ان النمسا ـ المجر قد اقتادتنا، على غرة وبغير اتفاق سابق مطابق لتعاهدنا، الى ازمة البوسنه —وهي التي من أجلها لفظت هذه

الكلمة — وانها فيما بعد طلبت منا ان نسند مؤخرتها . فكان واضحاً انه لم يكن في مقدورنا أن نترك حليفتنا ونخذلها . فان مثل هذا المسلك قـد يكون من نتائجه تقوية الصنم الروسي الذي قد كان يسهل عليه بعد ذلك سحقنا من أهون السبل

ان عدم التوازن القائم بين مطامع النمسا ـ المجر السياسية و بين قواتها الحربية والداخلية ما كان إلاَّ ليؤثر فيَّ خصوصاً بصفة كوني جنـدياً فانه ازاء التسليح العظيم الذي هيأته روسيا يوم استنهضت عزائمها بعد حرب الشرق الاقصى كنا ، نحن الالمان، قد زدنا وسائط الدفاع عنا لكننا لم تتطلب ذلك الجهـد كله من حلفائنا النمسويين المجريين فقد كان من اسهل السهل على رجال حكومة السلطنة الدانوبية ان يعتصموا وراء صعوبات حالتهم الداخلية كلما دعوناهم الى زيادة تسليح بلادهم . لـكن لماذا لم نجد من وسيلة لنوقف النمسا ـ المجر امام هذا البرهان ذي الحدين : « إماذا وإما ذا ؟ » إما التسليح وإما التسريح . على اننا كنا نعلم من خصومنا العرضيين تفوقهم العظيم علينا بعديد رجالهم ! أفكان يسعنا بعـد ذا أن نتساهل مع حليفتنا تترك شطراً عظيماً من قواتها القومية جامداً هامداً عن الدفاع المشترك . فما كان ينفعنا أن يكون لنا في النمسا ـ المجر حصن محصّـنٌ يمتدّ الى الجنوب الشرقي اذا كان في هذا الحصن ثقوبٌ ذاهبة في كل مكان وليس له كـفايته من المدافعين يحرسون اسوراه ؟

وقد بدا لي دائماً أمراً مشكوكاً فيه أن نعوّل على ايطاليا في مساعدتنا مساعدةً فعالة بالسلاح وهـذه المساعدة كان مشكوكاً فيها حتى ولو بدا من رجال الحكومة الايطالية حسن نية و رغبة . وقد سنحت لنا فرصة لنرقب من كل وجه ضعف الجيش الايطالي في اثناء حملة طرابلس ، ومن ذلك الحين لم تكد تتقدم الحالة في هـذه البلاد بسبب تضعضع ماليتها العظيم وعلى كل حالٍ فان ايطاليا لم تكن على أهبة للعراك

ان أفـكاري ومسائلي كانت متجهة اذ ذاك الى هذه النقط المختلفة . وقد خبرت الحرب الى اليوم وخبرتني مرتين وفي كل مرة كانت سياستنا حازمة بمقـدار ما كانت

اغراضنا بسيطة وصريحة . ما كنت اخشى الحرب ولا أنا بالذي يخشاها الآن أيضاً لكني كنت اعرف حق العرفان ، بازاء مفاعيلها السامية ، عوامل التدمير والخراب التي تجرها على الجنس البشري لانه لم يشأ ان يتحاشاها ما استطاع منها بعداً

وحينئذ انفجرت الحرب علينا ! ان تعذر الاتفاق مع فرنسا على الأرضين المتنازعة وتعذر التخفيف من حسد انجلترا التجاري ومنافسها التي تشغل الخواطر . وتعذر إمكان إشباع روسيا مطامعها من غير ان ننكث عهدنا مع النمسا كان قد سبب من زمن بعيد في المانيا تهيجاً أدبياً ما كان اقواه! حتى انشعبنا عند اعلان الحرب كان ، اذا جاز القول ، كأنه قد شعر بأنه قد انفذ من حمل كان يبهظه دائماً واثر في جميع حياته

أسرع الجيش الامبراطوري الالماني الى اعتقال السلاح : ما أفخر هذه القوة الحربية وما أعظم ! ان العالم عزَّ أن شهد لها مثيلاً !

اذ رآها جميع الشعب الالماني خفق قلبه و زاد خفقاناً . غير أننا ما استهنا أقل استهانة بما كان ينتظرنا في هذه المهمة لانه لا بسمرك ولا دي ملتك تركانا نعمه ونجهل العبء الثقيل في أمثال هذه الحرب وكان كل امرىء بعيد النظر في الامور يتساءل عندنا أنحن قادرون ان نثبت سياسياً واقتصادياً وحربياً وأدبياً ؟ ومع ذلك فلم يكن من يرتاب بأن عاطفة الثقة كانت اذ ذاك اغلب على عاطفة الجزع والقلق

ان نبأ حل الحرب من عقالها وجدني أنا أيضاً في هذه الافكار وهذه العواطف. ان الجندي قد استعاد فيَّ حياته بقوتها الناهضة. أيكون لامبراطوري ومليكي حاجة بي ؟ انفضت السنة الحالية عليَّ ولم تبد اشارة رسمية بهذا الشأن . وبان أن رجالا افتى مني قوة ونشاطاً تهيأوا للعمل وكفى عديدهم فاستسلمت للاقدار و بتُّ صابراً متشوقاً

على جبهة القتال

المانيا فى اضطراب واقفة تسترق الاسماع

ان الانباء الواردة من ميادين القتال كانت تُطمع آمالنا وأمانينا. أخذت لياج وكان لنا من وقيمة ملهوز نصرٌ وميمننا والقلب يستطردان السير في أراضي بلجيكا ووصلت الاخبار الاولى عن معركة اللورين الى المانيا . فثلجت الصدور . ومن الشرق أيضاً سمعنا الانباء تتجاوب كأنها ابواق تنفخ اصوات الظفر

ولم يكن من الحوادث ما يحمل على اضطراب وقلق

وفي ٢٣ اغسطس فى الساعة الثالثة بعد الظهر سألوني من مركز اركان حرب جلالة الامبراطور أ كنتُ مستعداً لقبولٍ منصب في الساعة

فاذا جوابي هذا نصه : « مستعدٌ »

ومن قبل ان ينتهي الى مركز اركان الحرب الاعلى جاءني منه تلغراف ثانٍ يستدلّ منه انهم موقنون بقبولي منصباً في ساحة الميجاء وفيه يعلموني ان الجنرال لودندرف سيوافيني قريباً

فانقشعت لي الحالة بعيد ذلك على أثر التعليمات التي وردت اليّ من مركز القيادة العامة أن يجب عليّ ان اذهب شرقاً كقائد جيش

ففي نحو الساعة الثالثة صباحاً ، ولم يكن قد اتسع لي الزمن في تعجلي لاتمّ تأهبي، انطلقت الى المحطة انتظر بذاهب صبرٍ في رَحبةٍ ضئيلة الأضواء . ولم تنتزع أفكاري من أهلي و بيتي ، وقد أرغمت على مغادرتهم بغتةً ، إلاّ حين ولج المحطة القطار الخصوصي القصير . فنزل منه الجنرال لودندرف بقدم نزقة وتقدمّ اليّ كرئيس اركان حربي وهو اركان حرب الجيش الثامن

الى هذه الساعة كان الجنرال مجهولاً لديّ وكنت جاهلاً أيضاً مسلكه الباهر الذي سلك في لياج فأفادني في بدء الحال معلومات عن حالة ميدانا الشرقي كان

قد ا بلغها شخصياً في ٢٣ اغسطس في مركز اركان الحرب الاعلى في كوبلنس ابلغه اياها رئيس اركان حرب الجيش في الميدان الكولونل ـ جنرال دي ملتك . وعلى هذه المعلومات فان أعمال الجيش الثامن في بروسيا الشرقية كانت قد وقعت كما يلي : ان رئيس هذا الجيش كان ، في بدء الاعمال ، قد ابقى في أماكن حشد الجنود الفيلق العشرين يمدها بحاميات الحصون و بعض رجال اللندور . وكان قد عهد اليه ان يحمي التخوم الجنوبية لبروسيا الشرقية والغربية من نهر الفستول حتى منطقة بحيرات لوتزن . اما معظم الجيش (الفيلقان الكاملتان الاولى والسابعة عشرة وفيلق الاحتياطي الاولى وفرقة الاحتياطي الثالثة وحامية حصون كونجسبرج وفرقة الخيالة الاولى) فقدحشدمن بروسيا الشرقية على تخومها الشرقية . وفي ١٧ اغسطس في ستالو بونن وفي ١٩ و ٢٠ اغسطس في جومبينن كان قدهاجم جيش نيامن الروسي الزاحف من الشرق بقيادة الجنرال رننكامف . وفي اثناء قتال جومبينن وصلت إفادة أن جيش نارِف الروسي بناءً على أوامر الجنرال سمسونوف بدأ سيره على خط حدود صلدو ـ ولنبرج وهذا الخط في أيدي جنودنا . ان قائد الجيش الثامن ظنَّ أنه يجبُ التسليم بان الروس قد يجتاز ون الحدود منذ ٢١ اغسطس فنظراً الى هذا التهديد الوافد من الجنوب زاحفاً على خطِ مواصلاته كفَّ عن وقيعة جومبينن وأبلغ مركز القيادة العامة أنه ليس في حالةٍ تمكنه من الاحتفاظ طويلاً بالارض شرقيّ الفستول

ان الكولونل ـ جنرال دي ملتك لم يكن قد وافق على هذا القرار وكان من رأيه انه تمكن أيضاً محاولة عملٍ يمحق به جيش نارِف قبل التفكير بترك مواقع بروسيا الشرقية العظيمة أهميتها حربياً واقتصادياً وسياسياً ٠ ان تباين آراء هيأة أركان الحرب العليا وقائد الجيش الثامن كان قد أحدث في قيادة الجيش الثامن العليا تغييراً في الرجال

وفي هذه الساعة يظهر أن حالة الجيش كانت كما يأتي : كان قد توفق الى

الانسلال من العدو . وكانت فيلق الجيش الاولى وفرقة الاحتياطي الاولى تنتقلان نحو الغرب في حين كانت فيلق الجيش الاحتياطي الاولى وفيلق الجيش العامل الثامنة عشرة تتقدمان في مراحل تسرعان نحو خط الفستول وكانت فيلق الجيش العشرون أيضاً في مواقعها على الحدود

وفي بعض الساعة كنت قد اتفقت أتم اتفاق مع رئيسي الجديد في أركان الحرب على كيف نواجه الحالة . وكان قد وسع الجنرال لودندورف من كوبلنس أن يصدر التعليمات الاولى التي لا يمكن التسويف فيها وكان مرماها ضمانة مثابرة أعمال القتال شرقي الفستول . وفي أول أمر كان يجب على فيلق الجيش الاولى ألا تتوغل في التقدم الى الغرب لكن ان تتجه نحو دنش - إيلو أي في وجهة العدو وراء ميمنة فيلق الجيش العشرين

اما سائر الخطط فلم يكن في الامكان ولا من اللازم القطع بها إلا بعد انتهائنا الى مركز أركان الحرب العام في مورينبورج

ان حديثنا لم يكد يستغرق أكثر من نصف ساعة ثم انصرفنا نستريح فاستفدت من الوقت جميعه الذي وسعني ان استعمله لهذا الغرض

اذن نحن سائران أنا والجنرال لودندرف أمام مستقبل مشترك ونحن متفهمان حراجة الموقف وخطورته لكننا في الوقت عينه مفعمان من خالص الثقة بالله ربنا وبجنودنا الشجعان ولاسيا بالواحد منا بأخيه . فمن الآن والى سنين ستجمعنا وحدة الفكر والعمل

أريد ان أقول هنا ما أراه في العلائق التي كانت بيني وبين الجنرال لودندرف رئيسي في اركان الحرب في ذلك الحين ثم فيما بعد رئيسي الاعلى

لقد حسب البعض انه يمكن تشبيه هذه العلائق بالتي كانت مابين بلوخر وبين جنزينو . لاشأن لي فأبحث عن مقدار بعدهم عن المبادىء التاريخية الصادقة اذا قالوا بهذا التشبيه. اني قد مارست انا بذاتي في سنين طويلة ، كما ذكرت ذلك فيما تقدم ،

اشغال رئيس اركان حرب. فان شأن رئيس أركان الحرب بالنسبة الى الرئيس المسئول ليس محدوداً حـداً في الجيش الالماني بقواعد نظرية كما خبرت ذلك بنفسي . فان طبيعة تضامنهما في العمل والمقدار الذي يتتامان فيه المساعدة ويتراوحان الاشغال انما هما منوطان بشخصيتهما . فليس لمناطق أعمالها المتبادلة حدودٌ موضوعة وضعاً فاذا كانت علائق الرئيس مع رئيس أركان حربه ما يجب ان يكون سهل وضع هذه الحدود بسلامة الذوق الحربي والشخصي وبصفات كليهما واخلاقهما طائعاً ومطيعاً.

كثيرا ما عرّفتُ انا العـلائق التي كانت بيني و بين الجنرال لودندرف اذ شبهتها بزواجٍ سعيدٍ . فكيف يريد الناظر أو يقـدر ، والاتحاد على ما وصفتُ ، أن يجزىء تجزئة عدلاً استحقاقَ كل واحـد منا ؟ فكلانا تتلاقى في الافكار وفي الاعمال وان كلمات أحدنا انما هي في غالب الاحيان تعبيرٌ عن أفكار وانفعالات الآخر

ولما ادركت فضل الجنرال لودندرف وعظيم قـدره ، وما اقتضى لي الزمن الكثير ، اعتبرت أنّ من أهم واجباتي عليّ ان اترك لرئيس اركان حربي الحرية التامة واذا قضت الضرورة أن افتح الطريق لافكارهِ المبتكرة وللجلده العجيب على الشغل ولارادته التي لا تكلّ أبداً . حريةً تامةً بما تعنيه مطامعنا المشتركة ألا وهي نصر أعلامنا وخير بلادنا وصلحٌ مستأهل للضحايا التي رضي بها شعبنا وعاهد عليها

كان يجب علي ان أحفظ للجنرال لودندرف ولاء رفيق قتالٍ لرفيق قتالٍ ولاءً نعلمناه من طرير حداثتنا في تاريخ الشعب الالماني ولاء القتال الذي غنيت به فكرتنا الادبية . وفي الحقيقة ان عمله وارادته وجميع اخلاق الرجل تستأهل هـذا الولاء . ليتقولِ الغير في هذا الشأن وليحتكموا ماشاؤوا ! فله أيضاً ولسواه من كبار رجالنا ولا كبر رجالنا لم يأتِ الزمن ولكنه سيأتي فينظر اليـه الشعب باسره ويعُجب ! لكن أملي هو ان يستطيع وطني ، في أوقات صعبة كالتي مرت بنا ، ان يجدوا مثـله رجلاً كاملاً قد استجمع فيه الصفات . أجـل انه جافٍ غليظ الخلقة لكنه مبني الجسم كما ربما لا يكونه أحد في التاريخ لامرٍ عظيم جليل

وفي الحقيقة ان خصومه ابغضوه وهم اعرف العارفين باقداره

ان وحدة نظرياتنا في اتخاذنا وسائل القتال كانت مركوزة على اتفاقنا في عقيدتنا الحربية والسياسية . وان الاختلافات التي كانت تطرأ احياناً على كيفية نظرنا الى الامور كانت تجد الى الحلّ طريقاً سوياً من غير ان يشعر الواحد منا بأنه تنازل عن رأيه لغيره . ان جلد رئيسي في اركان الحرب وقوته العجيبة على الشغل قد عدّلا نظرياتنا في اعمـــال اركان حرب جيشنا ثم في جميع هيأة اركان الحرب العامة حينما عهدت الينا . وان نفوذه كان يبعث فى الجميع الحياةَ وما من أحد وسعه ان ينعتق منه الاّ اذا غامر بنفسه يزيحها عن الجادة العامة التي يجب على الكل ان يتبعوها

فبأيّ نوع آخر كان في الامكان ان نقوم كما قمنا بالمهمة العظيمة الملقاة على العواتق؟

وبأي نوع آخر كان في الامكان ان ندفع القوة المحرِكة الدافعة فتفعل فعلها ؟

ان مساعدينا في العمل قاموا بواجبهم بالبساطة كما يجب ان يعمله الجنود ذوو الارادة المخصبون من الافكار وقد انضموا حولينا كلينا انضماماً وثيقاً . فاني لأحفظ منهم ذكر ولاءٍ في قلبي الشاكر العارف بالجميل

تاننبرج

في ٢٣ اغسطس في الساعات الاولى بعد الظهر بلغنا مركز قيادتنا العامة بمرينبورج وهكذا دخلنا البلاد الواقعة شرقيّ الفستول التي ستكون اماكن اعمالنا.
اما على جبهة القتال فكانت الحالة الى الآن قد سارت على النمط الآتي :

تركت فيلق الجيش العشرون ،واقعها على حدود نيدنبورج فعطفت على إلجنبورج والمنطقة الواقعة شرقاً واتصل بها من الغرب حاميات الحرب التي أخرجت من حصون ثورن وجرودنز وأخذت موقعها على طول خط الحدود الى قرب الفستول. اما فرقة الاحتياطي الثالثة المعدة لتكون للفيلق العشرين مدداً فكانت قد وصلت الى ألانستين . وكان قد بدأ نقل فيلق الجيش الاولى نحو دتش ـ ايلو لكنه بدأ متأخراً ومشت الفيلق الثامنة عشرة وفيلق الاحتياطي الاولى فادركتا منطقةجردَوين تطويان المسافات مراحل . وكانت فرقة الخيالة الاولىجنوبيّ انستربورج قبالةجيش رننكامف . وحامية كونجسبرج المتراجعة نحو الغرب كانت قداجتازت انستربورج

والامر الغريب ان جيش نيامن بقيادة رِننكامف لم يكن بعد قد دفع من خيالتـه كتائب تذكر الى ما وراء أنجراب • ومن فيلقي خيالة الروس عرف عن الواحدة انها فيانجربورج وعن الثانية غرب درِكهمن.ويظهر ان جيش نارف بقيادة سمسونوف كان قـد بلغ فى فرقة منه الى منطقة اورتلسبورج وانه قد احتلَّ أيضاً جوهنسبورج . الا انه من جهة أخرى يظهر ان مجموعهذا الجيش كان لايزاليحتشد على الحدود يؤلف الجناح الايسر في ملاقا

لقد وجد في محفظة ضابط رومي قتيل مستندٌ تبين منه نيات قائد العدو . و بناء على هذه الورقة يجب على جيش رننكامف ان يجتاز محدقاً بالبحيرات المازورية ويزحف على ميدان انستربورج — انجربورج . وعليه ان يُهاجم القوات الالمانية المفترض وقوفها وراء انجراب فى حين ان جيش نارف الجائز خط اورتلسبورج —

لوتزن يأخذ الالمان من خاصرتهم

فالروس اذن كانوا يتوخون هجمة احداق بالجيش الثامن لكن جيش سمسونوف كان قد امتد الى الغرب امتداداً ما كانت اتماسك مع هذه الهجمة المتوخاة

ماذا يجب علينا وما يسعنا عمله ضد هـذه الخطة المروّعة التي اختطها العدو علينا ؟ أجل إنها خطةٌ اخف روعاً بجرأة رسمها منها بالقوة التي يجب ان تُشرف على وضعها موضع العمل . ويظهر ان هذه القوة انما هي مقتبسة من تفوّق العدو بعديده اكثر منه بتفوقه في ارادته . ان روسيا في غضون شهري اغسطس وسبتمبر لم تستخدم فعلاً أقلّ من ٨٠٠٠٠٠ رجل و ١٧٠٠ مدفع على بروسيا الشرقية على اننا لم نستطع ، دفاعاً عن هذه المقاطعة، ان نعبيء الا ٢١٠٠٠٠ جندي المـاني و ٦٠٠ مدفع

أما خطة حملتنا على العدو فسهلة واريد ان احاول في هذه الاسطر تقريبها الى فهم القارىء حتى ولو لم يكن اختصاصياً

لم نواجه أولاً مجموع جيش سمسونوف الكثيف الا بقلب من جيشنا مستدق قلت « مستدق » ولم أقل ضعيف لانه كان هناك رجال صلاب القلوب صـلاب الارادة كالفولاذ ! تركوا وراء ظهورهم البيوت والنساء والاطفال والآباء والاخوة والاخوات وكل ما يملكون ! هي الفيلق العشرون هم شجعان بروسـيا الغربية والشرقية ! هذا القلب المستدق قد يلتوي من تدفق الجيوش الكثيفة لكنه لا ينبعج وبينما هذا القلب يصادم تجمّع على جناحيه جموعان قويان للهجمة الفاصلة

إن جنود الفيلق الاولى هم أيضاً من أبناء البلاد المهددة يؤيدهم رجال اللندور يستدعون من الميمنة أي من شمال المعركة الشرقي ويستقدم رجال الفيلق العشرين وفيلق الاحتياطي الاولى ومعهم لواءٌ من اللندور جيء به من الميسرة أي من وجهة الشمال والشمال الشرقي وجنود الفيلق السابعة عشرة العاملة وفيلق الاحتياطي الاولى هم أيضاً قد تركوا خلفهم ماهو عليهم كريمْ

فما علينا الآن ان تنال على سمسونوف نصراً خفيفاً : ألا وهو كسرة جيشــه . لايسعنا ان نكون مطلقي الايدي الا بهذه الوسيلة لنواجه عدونا الثاني جيش رِننكامف العامل يدَ السلب والحريق في بروسيا الشرقية لايسعنا الا بهذه الوسيلة ان ننقذ انقاذاً حقيقياً تاماً بروسيا القديمة ونظفر بحرية العمل التي انمـا هي لنا ضربة لازب لنأتي الى المهام المقبلة التي ينتظرونها منا ولا سيما لـكي نتداخـل في الوقيعة الكبرى الفاصلة التي اذ كيت نارها في غاليسيا و بولونيا فيما بين روسيا وحليفتنا النمسا ـ المجر

فاذا لم تكن ضربتنا الاولى فاصــلة فالخطر يظل يهدد بلادنا كداءٍ خفيّ و يظل الحريق والتقتيل في بروسيا غير مثبورين وتكون حليفتنا في الجنوب على عبث في توقّع مددنا !

اذن الى العمل وجميعنا ! وعلى ذلك يجب ضمّ ما تفرّق ممن يمكن استخدامه مهما قلّ وحقُـر ، في حرب التنقل واستقدام من يمكن استقدامه يمنةً ويسرةً . وجيءْ الى المعركة بكل مَن ضمت جدران جرودنز وتورن من رجال اللندور القادرين على القتال . ان رجال اللنـدورِ الواقفين بين البحيرات المازورية ينجدوننا في القتال شرقاً قد تخلوا عن خنادقهم أيضاً وعن الدفاع عن هذه المواقع الى عدد ضئيلٍ من رجال اللندستورم الاشداء انّنا اذا ربحنا الوقيعة لم يبقَ لنا من حاجةٍ بقلاع تورن و بوزن ونخلو من كل همٍّ ينتابنا من جهة مخارج البحيرات

أما رننكامف الذي قد يسـعه ان ينقضّ علينا من الشمال الشرقي انقضاضة الصاعقة فلا نبقي امامه الا فرقة خيالة واحتياطي كونجسبرج ولوائين من اللندور . لـكننا لا قِبلَ لنا ان نعرف من الآن أهذه القوات تـكفي حقيقة للوقوف في وجـه العدو ؟ فانها انما هي ستارٌ واهٍ يسهل على رننكامف تمزيقه اذا تحركت فيالقهُ واذا تقدّمت كتائب الخيالة هـذه المتفوقة بعديدها الى الامام وكل الدلائل تدعو الى التخوف من وقوعها . لـكن قد يكون أنهم لايتحركون واذ ذاك يكفي هذا الستار لاخفاء ضعفنا . ويجب ان يكون لنا جرأة على خواصر جيشنا ومؤخرته اذا شئنا ان

نكون أقوياء على جبهة القتال حيث تتطلب العمل الفصل . وأملنا أننا ناجحون في خداع رننكامف ولعلّه هو ينخدع بنفسه . ان موقع كونجسبرج الحصين وحاميته وفرقة خيالتنا تدخل علي مخيّلة عدونا وهماً بأهمية هي أقلّ بكثير مما هي في حقيقة الواقع

لكن اذا كان رننكامف يتراوح بالاوهام الخادعة فيا يعود علينا بصلاح ألا تدفعه القيادة الروسية العليا فيندفع بقوات كثيفة في وجهة الجنوب الغربي فيضربنا في مؤخرتنا ؟ ألا يستصرخه سمسونوف فيقبل الى مكان الوقيعة ؟ ولنفترض ان هذا الاستصراخ لايلقى سميعاً . ألا ينطلق دوي الوقيعة فيسمع حتى في خطوط الروس شمالَ البحيرات وحتى الى مركز القيادة العامة ؟

اذن من الضرورة لزوم التحذر والتحرز من جانب رننكامف لكن لايسعنا ان نخسر من هذا التحرز فنبقي امامه قواتٍ مهمةً لاننا ان فعلنا ازددنا على مكان الوقيعة ضعفاً على ضعفٍ

فلنقدر القوات المتقابلة وجهاً لوجه ، نضمّ في كفة قواتنا اللوائين من اللندور اللذين فُصلا من حَرَس شواطىء شلوسويج — هلنستين وهما في طريقهما الينا ووصلا في الوقت الموافق للمعركة ، ولنقابل ما بين قواتنا وقوات الروس المعروفة بالتخمين فيكون من هذه المقابلة فارق عظيمٌ علينا لا لنا حتى ولو سلمنا ان رننكامف لايريد التحرك ولا يريد النزال . ومما يجب التنبيه اليه ان عدداً عديداً من رجال اللندور واللندسترم عليهم ان ينازلوا في وسط وحداتنا في الخط الاول . اذن رجال متعبون ينازلون خيرة الشبيبة الروسية ! ولنا أيضاً سبب آخر في انحطاط قواتنا هو أن معظم رجالنا ، وقد دعت الحالة ان يكون هؤلاء هم الذين يقومون بالمعركة الفاصلة ، قد خرجوا من وقائع دامية شاقة ! وبما انهم اضطروا ان يتركوا للروس مكان وقيعة جومبينن لم يكن في صدورهم تحمّس الجنود الظافرين ! على انهم قد مضوا الى الكريهة وقلوبهم فرحة وثقتهم ثبتة ! وقد جاء في التقارير أن « الروح النفسية طيبة »

فهي اذن تؤذن بعزائم صادقة وحينما تهن قليلاً تنعشها العزائم الناهضة الصادقة . ذلك كان من اعرق القدم فلماذا يكون اليوم عكس ما كان ؟ ان نقص عدد رجالنا لم يوح اليَّ أقلَّ كربة وهمٍ

من لايعتمد في حساب الحرب الاّ على المقادير المرئية يرتكب خطأ فاضحاً . ان اقدار الجندي الادبية هي التي تجزم بالنجاح . وفيها دون سواها أضع ثقتي.

أريد ان أقول : « قد يستطيع الروسي اجتياح أرضنا واذا ما وطىء الارض الالمانية يمكن ان يشتدَّ فؤاده خفقاناً لكن الارض الالمانية لاتعمل منه جندياً المانياً وقائدوه لا يكونون ضباطاً المانيين . ان الجندي الروسي على ميادين النزال في مندشوريا قد قاتل بأعظم انقياد وطاعة وان كان بعيداً جداً عن المرامي السياسية التي كانت حكومته تنشدها على شواطىء المحيط الباسيفيكي

أمّا أن يكون الجيش الروسي ، في حربٍ على الدول الوسطى ، أعظم تحمساً لاغراض الحرب القيصرية فذلك ما ليس بالمستحيل على ما يظهر . على اني كنت مقتنعاً أن الجندي الروسي والضابط الروسي في ميدان الحرب الاوروبي ، لايدليان بحجة على صفات حربية أجلَّ منها في الميدان الاسيوي وكنت أحسب انه ، على أثر ذلك ، يمكنني الاعتقاد بأن ميزان القوات المتقابلة يجب ان يرجح لنا ليس عن نقصٍ منسوبٍ الى قلّتنا بل عن فضل واجب لاقدارنا الادبية

تلك خطتنا وتلك الافكار التي اعتمدناها قبل الوقيعة ولاجل الوقيعة وقد أوجزنا هذه الافكار وهذه الارادة بتقرير قصير انفذناه في ٢٣ اغسطس من مرينبورج الى مركز اركان الحرب العام

« تعبئة الجيش مرصودة ليوم ٢٦ اغسطس . رب الفيلق العشرين بقصد هجمة اكتناف »

وفي مساء ٢٣ اغسطس خرجتُ الى نزهة قصيرة ساقتني الى ضفة « نوجا »

الغربيـة . من ثمة برزت من قصر فرسان الالمان الباذخ ، وهو أعظم بنيان شـيد بالأجر على الوضع القوطي البَلتي جدرانُه الحمراء ينبسط للعين منها مشهد ما كان أبدعَ تتصوب اليه أشعة الشمس الآفلة . فداخلتني أفكار تراجعت بي الى عهد الفرسان المجيد واختلطت في نفسي ، على غير ارادة مني ، بأمور تختصُّ بمخبوئات الغد . ومرَّ امامي مرأى أبناء مقاطعة عائلتي الهاربين على وجوههم من وجه العدو فزاد في انفعالاتي جلالاً وتأثيراً . ما اشجاهُ منظراً ينبهنا الى أن الحرب لا تضرب الرجل القادر على الدفاع وكفى بل أنها ، اذا ذهبت بأسباب المعايش التي ياخذ بها الناس العزَّلُ ، تصبح آفةً تتساقط أسواطها وتتتابع فتجلد البشرية كلها جلداً

في ٢٤ اغسطس مضيت في سيارة ومعي ضابط من اركان الحرب نُقل الى مركز قيادة فيلق الجيش العشرين فانتهى بنا المسير الى الموضع الذي أعار اسمه للموقعة المنوي وقوعها قريباً

تاننبرج !

هو اسم يبعث تذكارات مُرة لقوة جمعية فرسان الالمان وهو صرخة سرورٍ وبهجةٍ بالفخار السلافي صرخة لا تزال ذكرها في النفوس على قدم العهد بها وقد انقضى عليها أكثر من خمسة قرون !

الى ذالك اليوم ما كنت وطئت الارض حيث تلاعب حظُّ الافتتاحات الشرقية للآداب الالمانية . وثمة قائمٌ بناءٌ حقير شاهداً على جهاد أبطالنا وموتهم ! فالى جوار هذا البناء كان مركز قيادتنا بعضَ الايام التاليـة وفي أثنائها انقلب حظ سمسونوف وجيشه الروسي الى كسرة تامة

على الطريق من جرينبورج الى تاننبرج تعددت علينا مناظر الشقاء الذي حلَّ من جراء الحرب بسكان بروسيا الشرقية المساكين. وقد غصت قوارع الطرق ومعابرها بحشود الهاربين ومعهم أرزاقهم حتى انهم ليعوقون أحياناً جنودنا الزاحفة على العدو في تسيارها

في اركان حرب فيلق الجيش العشرين وجدت الثقة والارادة اللتين هما الشرطان الجوهريان في نجاح خطتنا وعلى هذا الجزء من الميدان الذي كان اقلقنا اكثر من سواه كان موقف جنودنا هذه يدعو الى الاستبشار

ان ذلك النهار لم يأتنا بما يجلو الموقف جلاءً تاماً عن أعمال رننكامف ولا عن حركات سمسونوف الا ان أمراً واحداً بدا يتحقق وهو أن سرعة زحف رننكامف قد اعتدلت اعتدالاً حقاً . فلم يكن من وسعنا ان نعرف السبب . اما ما حل بجيش نارف فعلمنا انه زاحف بمعظم قواته على الفيلق العشرين التي لوت جناحها الايسر متأثرة من ضغطه. فهذا الشأن لم يكن في حد ذاته مما يرمينا بربيكةٍ بل بالضد فان العدو في اندفاعه سيعرّض شيئاً شيئاً خاصرته اليمنى لهجمة في الشمال من رجالنا الذين خططنا لهم اليوم بسشفسبورج خطَ مسيرهم غير أن حركات العدو التي كانت متوجهة ، على ما يظهر ، على جناحنا غرباً وعلى لوتنبورج انما كانت لتذهلنا وتقلق خواطرنا . فقد غلب علينا ان الروس مفكّرون ان يطموا علينا فيأخذونا من خاصرتنا بهجمة اكتناف كالتي كنا رمينا اليها برجال ميمنتنا

ان يوم ٢٥ اغسطس كان أبينَ جلاءً لنا عن حركات رننكامف فان صفوفه كانت تسير من أجراب نحو الغرب أي على كونجسبرج . أيكون الروس قد تخلوا عن خطتهم العامة ؟ أو تكون القيادة العامة قد خدعت بحركاتنا وحسبت حشد قواتنا في هذا المكان والى ضواحيه ؟ على كل حالٍ لم يبقَ فينا قطّ وهمٌ بأننا لم نقم أزاء جموع رننكامف الكثيفة الا ستاراً . أما سمسونوف الذي كانت أعماله ظاهرة فيها آثارُ التردد والارتياب فاستمرّ هو أيضاً في هذا اليوم يسيرُ معظم قواته على فيلقنا العشرين.وفيلق جناحه الايمن كانت تسيرُ بغير أقل ريبةٍ في وجهة بسشفسبورج أي الى امام فيلقنا السابعة عشرة وفيلق الاحتياطي الاولى اللتين بلغتا في هذا النهار البقعة الواقعة الى شمال هذه المدينة الصغيرة وكانت جموع أخرى روسية تحتشد حوالي ملاقا

ان يوم ٢٥ يحد منتهى انتظارنا واعداد عتادنا فدفعنا فيلق الجيش العشرين.
إذن ان الهجوم العام آن أوانه

يوم ٢٦ اغسطس هو اليوم الاول من الوقيعة الدامية تنشب من لوتنبورج الى بقعة بستشفسبورج الشمالية . المأساة التي انما يمتد مجالها على اكثر من مئة كيلومتر بدأت رحاها تدور ليس على مكان معركة لافراغ فيه بل على شكل وقائع بين جموع وجموع.ليس في عمل واحد بل هي سلسلة أعمال ومواقع منفرطة

الى الجناح الايمن قاد الجنرال فون فرنسوا جنوده الشجعان أبناء بروسيا الشرقية فهم يدنون من أوسدو ليقتحموا من الغد هذه المدينة فيستولوا عنوة على مفتاح القسم الجنوبي من ميدان الموقعة . وفيلق الجنرال فون سولتز العجيبة تسل رويداً رويداً من مواقف الدفاع و بدأت هي ذاتها تكرُّ على العدو . من ذلك اليوم التحم القتال في بستشفسبورج وفي تلك البقعة إلى المساء كنا قد أتينا عملاً فيه لنا صلاح

ان جنود مكنسن و بيلوف (الفيلق السابعة عشرة العاملة وفيلق الاحتياطي الاولى و وحدات من اللاندور) انقضوا على فيلق ميمنة سمسونوف فسحقوها بضرباً شديدة وأحرجوها فتقهقرت الى اورتلسبورج لكن ليس لنا ان نتوهم الى الآن عظم و نجاحنا. ان قواد فيالق الجيش يتوقعون من الغد مقاومة جديدة عنيفة جنوب ميدان القتال حيث وقع القتال اليوم غير انهم مزودون بالامل الجميل

أمّا من جانب رننكامف فقد هددنا خطرٌ داهم وهو أن فيلقاً من فيالقه بلغنا عنها أنها سائرة بطريق انجر بورج . ألا تجد لها وسيلة لتطبق على مؤخرة ميسرتنا وقد استعدت للهجوم ؟ ثم انه انتهى الينا أخبارٌ مقلقة عن خاصرة ومؤخرة جناحنا الغربي . فانه الى جنوب البقعة التي نحتلها تسير كتائب من خيالة الروس عديدةٌ . أيليها رجالةٌ ؟ ذلك لم يكن في مقدورنا ان نعرفه فالمعركة قد تعاظم خطرها وطما .
فتبادر الى ذهننا السؤال الآتي :

الى مَ نصير اذا انتظرنا أياماً لنقطع بأمر نعوّل عليه؛ والحالة على ماترى ، من

مسافات عظيمة ونحن امام عدوٍ رجحنا رجحاناً قوياً في عديده؟ أمنَ الغريب ان تزدحم في قلب غير واحدٍ منا هواجس الافكار؟ أيتسرب التردد الى حيث لم يكن منذ ساعة الا الارادة الصادقة؟ والرِّيب الى نفوسٍ كانت الى الساعة مقتنعة بصواب أرائها وأفكارها؟ أيجب ان نوالي ضرباتنا على سمسونوف؟ ألا يكون أجدرَ بنا إمدادُ قواتنا ازاء رننكامف ولا نعمل ضد سمسونوف الاّ شيئاً من عمل؟

أليس خيراً لنا وأبقى أن لانحاول حطم جيش سمسونوف فنأمن على أنفسنا حطم قواتنا؟ أجل نحن نتغلب على هذه الأزمة الباطنية ونثبت ثباتاً على العزم الذي قطعنا ونظل على البحث عن حلٍ له بأن نحمل على العدو بجميع قواتنا. ثم نعزم أن تتابع الميمنة زحفها غير مراجعة على نيدنبورج وان جموع الميسرة «تكون على أهبةٍ في الساعة الرابعة صباحاً فتحمل بأقصى نخوتها» هذا هو على التقريب نصّ الامر الذي أصدرنا

طلع يوم ٢٧ اغسطس فاذا الظفر الذي نلنا عشيةَ أمس في بسشنسبورج بفيلق الاحتياطي الاولى والفيلق السابعة عشرة العاملة كان ظفراً حاسماً

فالعدو لم يرتدّ فقط بل ولّى عن مكان الموقعة هرباً ولوحظ من جهة أخرى ان رننكامف لم يكن في مسيره على مؤخرتنا الا بمخيلة طيارٍ وفي الواقع انه ظلّ سائراً سيراً بطيئاً على كونجسبرج. ألا يرى أم لا يريد ان يرى ان الخطر يسرع الخطى على خاصرة سمسونوف اليمنى وانه يتعاظم أيضاً على ميسرة سمسونوف؟ ففي هذا اليوم استولى فرنسوا وشولتز عنوةً على مواقف العدو القائمة في أوسدو والى الشمال ونازلا خصمها في الجنوب وقهراه. لئن ظل قلب العدو سائراً نحو الاستين — هوهنستين فلن ينال نصراً ولن يلقى الاهلاكهُ! لقد صَرحت الحالة لنا: وفي السهرة انفذنا أمرنا بتطويق جموع لبة العدو ولا سيما فيلقى جيشه الثانية والخامسة عشرة

في ٢٨ اغسطس دامت المعركة دامية

في ٢٩ اغسطس انُحق قسم جلل من القوات الروسية العظيمة انمحاقاً. ان

جيوشنا القادمة من الشمال بلغت اورتلسبورج والآتيـة من الغرب بلغت ويلنبرج مارة بنيدنبورج وأخذت الحلقة تطبق حول ألوفٍ من الروس وألوفٍ أجل انه في هذا الموقفِ موقف اليأس صبر ابطالٌ عديدون من الروس على القتال وجالدوا لاجل القيصر . لقد صانوا شرف السلاح ولم يصونوا المعركة

ما انفكَّ رننكامف يسير على مراحل على كونجسبرج أما سمسونوف فهلك حتى ولو أن رفيقه يرجع الآن الى نظرٍ أصوبَ في الحالة . لانه قـد انفسح لنا الآن ان نبدأ باسترجاع الجنود من ميدان الوقيعة ليطبقوا على عمل الحطم الذي تتمه في قصعة نيدنبورج ــ ويلنبرج ــ بسنهيم الرحيبة والتي يبحث فيها سمسونوف في يأسهِ عن حتفهِ . فمن هـذه القصعة تخرج صفوفٌ من أسارى الروس أطولُ فأطول ويدلنا طغيانهم على عظم انتصارنا . وقد شاء القدر العجيب ونحن في استرود ، وهي أحد مضار بنا في أثناء الموقعة ، أن ألقى أحد قائدَي فيالق جيوش الروس اللذين أسرا في نفس الفندق الذي أويت اليه سنة ١٨٨١ اذ كنت ضابطاً فتياً من ضباط اركان الحرب في غضون رحلة علميـةٍ اما القائد الثاني فقد تقدم اليَّ من الغد في مدرسـة حولناها نحن مكتباً للاشغال

وكان قد تيسر لنا في سير المعركة ان نخبر مقوِّمات ــ الجندي فاذا فيـه قسم بديعٌ كان القيصر يعده لجيوشه وبناءً على انفعالاتي الخاصة إن بين هؤلاء الرجال رجالاً أهلاً حقيقةً لقبول التهذيب العسكري

وفي هذه الفرصة لاحظت كما وقع لي ذلك سنة ١٨٦٦ وسنة ١٧٧٠ في الضابط الالماني والجندي الالمـاني بعاطفتها الباطنية وأحكامها الخصوصية كم يستعجلان نسيان أن خصمهما الاسير كان بالامس عدوهمـا القديم — في رجالنا تخمد سورة غضب القتال سريعاً جداً فتستحيل اشفاقاً وعطفاً وجودةَ خلق. لكن على القوزاق وحدهم كان الغضب اذ ذاك شاملاً فلقد أُنزلوا منزلة مسببي جميع القسوات الوحشية التي قاسى منها شعب وبلاد بروسيا الشرقية الامَرّين . ويظهر ان القوزاقي لم يكن

مرتاح الضمير لانه حين كان مهدداً بوقوعه أسيراً ينزع ، ما استطاع ، الشارات التي تدل على أيّ الاسلحة منتسبٌ هو ولاسيما القطع العريضة التي على سراويله

وفي ٣٠ اغسطس حاول العدو في الشرق والجنوب ان يكسر حلقة الحصار اذ يهاجمنا من الخارج بجنود نصفها جديد ونصفها مُجدَّد فسير من ميسينيك أي من وجهة استرولنكا قوات جديدة على نيدنبورج وعلى اورتلسبورج ضد جنودنا التي أصبحت محدقة تمام الاحداق بقلب الجيش الروسي لكنها معرضة القفاء للهجوم الجديد.فالخطر دائم لاسيما وان طياراً أفاد أن قوافل من رجال العدو مقبلة من ملاقا طولها ٣٥ كيلو متراً وبالحري قوية جداً قد تكون زاحفة علينا . على اننا ما زلنا مستمسكين أشد استمساك بالغرض الذي ننشد . فان جموع سمسونوف المهمة يجب ان تُكتنف وتحطم.وقذف فرنسوا ومكنسن الى قدام العدو الجديد من بقي عندهما من الاحتياطي الضعيف فان المحاولة التي حاولها الروس ليخففوا من أهمية النكبة التي حلت بسمسونوف قد اخفقت امام احتياطي مكنسن وفرنسوا . فبينا نرى اليأس آخذاً أخذه من الرئيس المحصور نرى الجبن قد اعتقل الرئيس الذي كان يجب عليه ان يسعى لخلاصه . إذن ان حوادث ميدان قتال تاننبرج تؤيد من هذا القبيل أيضاً الاختبارات الحربية والبشرية القديمة

ان حلقة نارنا تزداد كل ساعة شدة وضيقاً حول جموع الروس المتراصة التي كانت تنتفضُ تارةً من هنا وتارةً من هناك لتفتح لها منفذاً . وفي هذا النهار بدا كأن رننكامف اراد ان يهاجم خط ديعل شرق كونجسبرج ما بين لابيو وتابيو وأخذت تدنو كتائب خيالته الكثيفة المقبلة من جهة لندسبرج—برتنستين من ساحة قتال تاننبرج لكننا كنا قد حشدنا في ألنستين ، تحرزاً من هجمةٍ تطرأ ، قوات متينةً نشوانة من خمرة النصر وان تكن منهوكة القوى

ان يوم ٣١ اغسطس هو للمقاتلة من جنودنا يوم الحصاد النهائي ولقيادة الجيش الثامن يوم تفكير في متابعة الاعمال ولرننكامف يوم ارتداد الى خط ديعل —

اللنيبورج — الجربورج

ومن يوم ٢٩ اغسطس يسّر لي سيرُ الحوادث ان ارفع الى مقام رئيسي الاعلى المعظم تقريراً عن الحطمة الكبرى التي حلّت بالجيش الروسي المرابط على ناروف

ان شكر جلالته الشكر الذي انفذه اليَّ باسم وطني أيضاً قد بلغني في ذلك اليوم على ساحة القتال . فأبلغته من صميم قلبي الى رئيسي فى اركان الحرب والى جنودنا البواسل

وفي ٣١ اغسطس امكنني ان ارفع الى أمبراطوري ومليكي تقريراً هذا نصه : « أتشرف ان أرفع بكل مجالي الاحترام تقريراً الى جلالتكم : أن الحلقة قد اطبقت أمس على القسم الاكبر من الجيش الروسي . وقد حطمت الفيلق الثالثة عشرة والخامسة عشرة والثامنة عشرة من جيش العدو والى الآن قد أسرنا اكثر من ستين الف أسير بينهم قائدا الفيلق الثالثة عشرة والفيلق الخامسة عشرة . والمدافع ما زالت في الغابات وستجمع قريباً . وغنم الحرب الذي لا يمكن الآن حصره هو من الاهمية على جانب عظيم جداً والفيلقان الاولى والسادسة اللتان افلتتا من حلقة الحصر قد نالها كثير من الخسران وهما تتقهقران بلا انتظام من ملافا وبيسينبك »

ان الجنود [illegible] قد أتموا عملاً عظيماً والآن فالفرق في مضاربها من حيث يتصاعد نشيد الشك[illegible] على موقعة لوثن

واذ كنا في مركز قيادتنا العامة في أللانستين ولجت ، في أثناء اقامة الخدمة الالهية ، الكنيسة المشيدة بجوار قصر فرسان الجمعية التتونية القديم . ولما كان المحتمل يتلو صلاة الختام خرَّ الجنود الفتيان مثل رجال الدسم الشيوخ على ركبهم وهم متأثرون أشدَّ التأثر من الحوادث التي شهدوها

ما أجلَّ ما توّجوا به أعمالهم الباهرة !

موقعة البحيرات المازورية

لما بدأنا نعدّ عتادنا لنتازل جيش رننكامف الروسي لم يكن وغى القتال قد هدأ بعدُ على ميدان وقيعة تاننبرج . وفي مساء ٣١ اغسطس تلقينا من مركز القيادة العامة المنهاج الآتي :

فيلق الجيش الحادية عشرة وفيلق احتياطي الحرس وفرقة الخيالة الثامنة موضوعة قيدَ تصرفكم . بدأت التنقلات . أول مهمة الجيش الثامن مطاردة جيش رننكامف وطرده من بروسيا الشرقية ومن المشتهى ، أزاء حركات الروس من فرسوفيا نحو سيليزيا ، ان تتأثروا العدو الذي كسر ، الى جهة فرسوفيا بما فضل لديكم من القوات

ان تنظروا كيف تستخدمون الجيش الثامن في وجهة فرسوفيا اذا سمحت بذلك الحالة في بروسيا الشرقية :

هذا الامر جاء مطابقاً الحالة كل المطابقة فهو يبين لنا غرضنا بجلاء وترك لنا حرية العمل تامةً . وكنا حسبنا اننا في حالة تمكننا من التسليم بأن جيش سمسونوف القديم انما قوامه الآن من فلولٍ لطت خلف نارف أو انها سائرة نحو هذا النهر . فكان يجب ان نحسب لاعادة تنظيمها حساباً . على انه لم يكن بدٌّ من انقضاء فترة على هذا التنظيم . فبدا لنا أنه يكفينا الآن ان نرقب هذه الفلول بقليل ما عندنا من الجنود المنتشرة على طول الحدود الجنوبية لان سائر الجنود يجب ان تساق الى المعركة الجديدة . وقد أجمعنا الرأي على انه لايسعنا ان نُنفذ قواتٍ الى ما وراء نارف لجهة الجنوب ولو وصلتنا الامداد من الميدان الغربي

ان لكلمة «فرسوفيا» المذكورة في الفقرة الاخيرة من الامر معنى واضح الجلاء لنا . فانه بناء على خطة القتال الموضوعة كان على الجيش النمسوي المجري الزاحف

ن غاليسيا ان يبدأ الهجوم في القسم الشرقي من بولونيا الروسية فيدفع معظم قواته في وجهة لو بلان في حين ان القوات الالمانية الزاحفة من بروسيا الشرقية تمدّ يدها لحليفتها جنوب نهر نارف . انها فكرة جميلة وعظيمة غير أن مواطن الضعف فيها ظاهرة فانها لم تحسب أن النمسا ـ المجر انفذت جيشاً قوياً الى حدود سربيا وان القوات الروسية المهيأة على قدم يمكنها ان تقف على الحدود بعد بضعة أسابيع من اعلان الحرب وان ٨٠٠٠٠٠ مسكوبي قد أخذوا يزحفون على بروسيا الشرقية ولكنها قد نسيت خصوصاً ان هذه الخطة قد تكون قُدّمت في كل جزئياتها وكلياتها منذ أيام السلم الى اركان الحرب الروسي

والآن إن الجيش النمسوي المجري بعد ما حاول هجمة في منتهى الجرأة على القوات الروسية المتفوقة عديداً هو الآن مشتجر في معارك ، في جبهة القتال ، شاقة جداً وليس لنا في الحالة الحاضرة يدٌ في مساعدتها مساعدة فعالة وان نكن قابضين على قوات للعدو عظيمة لاندعها تتحرك . فعلى حليفتنا ان تحاول التثبت امام العدو الى ان تقهر رننكامف. اذ ذاك يتسع لنا ان نبسط اليها أيدا إن لم يكن بكل قواتنا فعلى الاقلّ بالقسم الاكبر منها. ان رننكامف ، كما قلنا ، واقفت على خط دبم — ألنبورج — جردوين — انجر بورج . اننا نجهل ماهي قوات العدو التي يمكن ان تخبئها البقعة الواقعة الى الجنوب الشرقي من البحيرات المازورية وناحية جراجيفو لايؤمن شرها فقد اضطرب فيها حبل النظام . وأعظم طاقة الاراضي الواقعة الى ماوراء جيش نيامن لأن انتقال الجنود والعجلات في حركة دائمة ويظهر ان الحركة متجهة الى الجنوب الغربي أو الى الغرب . والجنرال رننكامف قد بلغته الامداد وفرق الاحتياطي الروسية التي في الداخل هي الآن على أهبة الدخول في النزال وقد يمكن أيضاً أن ترى القيادة الروسية العليا أنه لم يبق من ضرورة في ابقاء بعض الفيالق في بولونيا ضد النمسويين فتسيرهم علينا . فهذه الامداد المسيّرة أإلى رننكامف أم الى جواره لتؤيده تأييداً فعالاً أم لتهاجمنا على حين غرة من جهة لا نتداركها ؟

لجميع ما يسعنا الحكم فيه هو أن رننكامف موفور لديه أكثر من عشرين فرقة من الرّجالة . لكنه واقف ويظل واقفاً أيضاً بينما جنودنا الآتية من الغرب تصل في سكك الحديد وتحتشد لتصليه الموقعة . فلِمَ لا يغتنم الفرصة ليأخذنا على غرة ونحن أضعفُ منه وجيوشنا قد نالها التعب والاعياءُ أو هي مزدحمة على ساحة القتال في تاننبرج ، ولِم يفسح لنا الوقت لنعيد النظام الى جنودنا ونبدل من تعبئتهم ونريحهم ونؤتيهم الامداد ؟ ان القائد الروسي مشهود له ، مع ذلك ، بأنه قائد مدرّب وجندي باسل . فاذا كانت روسيا في حربٍ في الشرق الاقصى من بين أسماء قواد الروس أجرت اسم رننكامف على كل شفةٍ ولسان . أتكون الشهرة التي نعم بها قد بولغ فيها أو أن هذا القائد قد أضاع في هذه الفترة شمائله الحربية ؟

فغالباً ما اتفق من قبلُ أن الفن الحربي يوهن الطبائع القوية وينهكها في زمن قريب جداً فان ذكاءً متوقداً نشيطاً وارادة صادقة متحفزة تعرفهم اليوم في رجل لا تجد منه بعدعام الا دماغاً عقيماً وفؤاداً خامداً . هذا كان حظ عددٍ من كبار القواد

قد فتحنا كتاب الاغلاط التي وقعت من رننكامف ابان وقيعة تاننبرج فلنقفله وننتقل الآن الى مركز قيادته العامة في انستربورج لا لوماً عليه بل لنتفهم سرّه

ان انكسار سمسونوف دلّ الجنرال رننكامف على ان جموع الجيش الثامن الالماني ليست في كونجسبرج كما كان توهم . على انه مسلّم ان قوات هامة مازالت محتمية في ذلك الموقع الحصين فأنْ يمر بهذا المكان ويهبط بقعة النستين حاملاً على الجيش الالماني المظفر إنْ ذلك لجرأة وجرأة لا تغتفر . وخال ان ذلك انما يكون قحمةً قليلاً أمنها وبدا له أنه اروى واحزم بقاؤه في مواقعه الدفاعية الحصينة القائمة ما بين كوريش — هاف وبين البحيرات المازورية . فيمكن الالمان ان يلجأوا الى أساليبهم المدرسية من هجوم أو شنّ غارة على هذه المواقع فاذا هجموا من الشمال تعرضوا ولم ينالوا الا محالاً وان هجموا من الجنوب اعترضتهم مصاعب شتى جسيمة . وان واجهونا هجوماً ننقضُّ على جنودهم التي زعزعتها النيران بالاحتياطي القوي الذي

نكون قد ابقيناه وراءه . واذا جرؤوا على ما لا يدور بخلد عاقل واندفعوا في مضايق منطقة البحيرات انقضضنا من ناحيـة الشمال على خاصرتهم اليسرى وهم متدفقون في حين أن جموعاً من قوات قريبة العهد بالتعبئـة تترامى على خاصرتهم اليمنى وعلى مؤخرتهم من وجهة جراجيفو. فاذا لم نفلح في شيء من هـذه عدنا الى روسـيا . فالامبراطورية الروسية واسعة الاطراف وخط نيامن المحصـّن قريب مجاله . فلم يبق من ضرورة في الخطط الحربية تشوّق الى رننكامف بروسيا الشرقية . لقد اخفقت خطة الاعمال المبنية على الاشتراك مع سمسونوف وبما ان جيش هـذا القائد قد حُطمَ في أثناء هجوم كان يبشر بالآمال الجسام فخير الامور من الآن ان نلزم جانب الروية والفطنة

كذا يمكن ان تكون فكرة رننكامف وان من النقّـادين من يدّعون انه قد فكّر حقيقةً هكذا . على انه ، والحق يقال ، ليس بين هذه الخطط خطة تستوقف النظر طويلاً ودقةَ البحث لوضعها موضع العمل فهي كلها تستوجب الجرأة المتناهية. غير أن اجراءها قد يحدث في خطوطنا ارتباكات وقتيـة تلحق بنا اذىً وضرراً وتؤثر تأثيراً ذا شأن في الحالة العامة على الميدان الشرقي . فقـد كان لجيش نيامن وحده في تفوقه العظيم علينا بعديده ان يحطم جيشنا الثامن حطماً على الرغم من الامداد التي وصلت اليـه . ومن وجهٍ آخر فان رننكامف في إدباره قبل الموعد قد يذهب بثمار عملنا الجديد فيصدّنا ، الى أمدٍ غير معين ، عن الزحف على فرسونيا وبالتالي عن مساعدة النمسا

فينبغي لنا ، في وقت معاً ، ان تتدبر الحكمة وتتـدبر الإقـدام وهـذا اشترط المزدوج يستلزم خلُـقاً خاصاً في التدبير الجديد الذي اتخذنا . وبدأت الحركات تجري على مقتضاه . وأنشأنا للقتال جبهة جديدةً على المساحة الواسعة الممتدة من وللنبرج الى كونجسبرج وفي ٥ سبتمبر تحقق هذا التدبير في كليانه وبدأ مسيرنا الى الامام مشت الفيالق الاربع (العشرون والحادية عشرة العاملتان وفيلق احتياطي

الحرس وفيلق الاحتياطي الاولى) وكذلك احتياطي كونحسبرج الماء فذا قوات مهمة بنسبتها ، مشت تتقدم نحو خط انجر بورج — دبم أعي نحو خط العدو . ومنوط بفيلقين (الاولى والسابعة عشرة) ان تلجا من مضايق البحيرات في حين أن فرقة الاحتياطي الثالثة ، وهي من جناح الاكتتاف في جيشنا ساعده لابمن ، تمر من جنوب البحيرات المازورية . والفرقتان الاولى والثامنة من فرق الخيالة الموضوعتان وراء فيلقي الميمنة هما تنتظران حتى تنفتح لهما مضايق البحيرات فتخترقان : هذه هي القوات المهيأة للعمل ضد جناح رننكامف . فاذن تدابيرنا التي اتخذناها هي مباينة للتدابير التي قادتنا الى انتصار تاننبرج . وما ألجأنا الى هذا التدبير الا الضرورة التي نحن فيها من وجوب التثبت امام ما عند رننكامف من الاحتياطي القوي . ونتج من هذا أن هجومنا بالاربع عشرة فرقة رجالةً قد امتدّ على ميدان يتجاوز طوله ١٥٠ كيلومتراً . اما الخصم فهل يقطع هذا الخط ؟

وفي ٦ و ٧ سبتمبر دنونا من خطوط الدفاع الروسية و بدأنا نتبين الحالة : فاذا الروس قد حشدوا جموعاً قوية في انستربورج وفي وهلو . وربما حشدوا أقوى منها شمالَ نوردنبورج لكنها لاتتحرك ولا تعكر علينا انتشار قواتنا امام ساحة قتالهم

وفي ٧ سبتمبر بدأت فيلقا الميمنة الاولى والسابعة عشرة تقتحمان خطّ البحيرات والتحمت فرقة الاحتياطي الثالثة مع العدود قربَ بيالا فأبلت البلاء الحسن ومزّقت نصف الفيلق الثانية والعشرين الروسية كل ممزّق . نحن ندخل في طور الاحتدام في ضربتنا الجديدة فالايام المقبلة تبين انما هل رننكامف موطّنٌ العزيمة على الحملة علينا واذا فعل فهل يكون قويَّ الارادة على قدر وسائله ؟

ويظهر أنه على ما عنده من القوات الراجحة علينا رجحاناً عظيماً قد وردته تزيد قواته في ساحة القتال، ثلاثُ فرق جديدة من الاحتياطي. فهل القائد الروسي ينتظر أيضاً امداداً أخرى ؟ ان لدى روسيا اكثر من ثلاثة ملايين جندي على ميدانها الغربي وقبالتها تكاد القوات المنسوبة الجرمانية وقواتنا لاتتجاوز نلني هذا العدد

وفي ٨ سبتمبر انتشبت الوقيعة على جميع الخط . أما هجومنا على جبهة القتال فلا تقدمَ فيه لكن جناحنا الايمن هو أوفر حظاً في التقدم والنجاح وفي هذه البقعة توفقت فيلقا جيشنا ان تقتحما حواجز منطقة البحيرات وهما زاحفتان الى الشمال والشمال الشرقي وقد أصبح غرضنا من الآن مواصلات العدو ويظهر ان كتائب خيالتنا قد أصبحت مطلقة اليد في هذه البقعة . وفي ٩ سبتمبر ظلت نيران الوقيعة مستعرة استعاراً . لكن لم تكن النتيجة ذات قدر على الخط من انجربورج الى كوريش — هاف . غير اننا أوغلنا في التقدم شرقيّ البحيرات وان تكن فرقتا خيالتنا لايسعهما ان تتغلبا بسرعة مرجوّةٍ على دفاع من العدو غير منتظر وفرقة الاحتياطي الثالثة قهرت في ليك عدواً يفوقها بعديده أضعافاً واعتقتنا الى النهاية من كل قلق نخشاه من جهة الجنوب . لكن كيف يكون سير القتال في الشمال ؟ فان طيارينا يؤكدون عن ثقة ان فيلقين من جيش العدو هما في انستربورج والى غروب هذه المدينة . وشوهدت فيلق ثالثة سائرة من تلسيت . فما يكون حظ بعض فيالقنا التي تنازل مجابهةً على خطٍ طويل ممدودٍ اذا انقضت عليهم نحو مئة كتيبة روسية تقودهم ارادة واحدة صادقة ؟ وانه على الرغم من كل ذلك يدركون ما كانت آمالنا في تلك السهرة في ٩ سبتمبر اذ كنا نفكر ونقول: « بارننكامف لاتاوِ خطّ قتالك الذي لانستطيع ان ننفذ منه لكن هاجم بعلب جيشك واجمع أكاليل الغار ! » وكنا اذ ذاك واثقين كل الثقة من ان نغصبه هذه أكاليل الغار اذ ندفع جناحنا الايمن بهجم الى الامام هجمة عنيفة . لكن من الأسف أن القائد الروسي حزر فكرتنا فلم يقطع عزماً على الوقوف امامنا بالقوة وأقرّ لنا بالغلبة

وفي ليل ٩ الى ١٠ ستمبر انسلّ عسسنا الى جردوين الى خنادق العدو فوجدوها فارغةً فاذا تقريرهم « العدو يتقهقر ! » فبدا لنا ذلك التقرير بعيداً عن التصديق وارادت فيلق الاحتياطي الاولى ان ترحف على الفور من جردوين على انستربورج فدعوناها الى التؤدة ولم يكن الا اليوم العاشر من ستمبر نحو الظهر حتى

لزمنا ان نصدق بهذا التقهقر الغريب والذي لم نكن نرغب فيه . وفي الوقع ا بالعده بدأت حركه التقهقر منه على الخط كله وان كان من هنا ومن هنالك يبدي مدومة عنيفة و يتقذف علينا جموعاً قوية في كرات لاتماسك فيها . و لآن علينا ان نحده فيالق ميمنتنا وفرق خيالة الجناح الايمن الواقفة في ا .. ب ـرق على خطوط مواصلات العدو الضاربة من انستربورج الى كوفنو

الى الامام لى الامام ! اذا كان لعدم الصبر معنى فاليوم قد ادركنا معناه . وفي هذا الموقف ارنسكامف يتقهقر بغير تمهل ! و يبدو أنه هو أيضاً فارغ الصبر . غير ان عدم صبرنا يرمي الى النجاح وعدم صبره يبعث في صفوفه الاضطراب و بلبلة النظام

ان فيالق جيش نيامن تتقهقر نحو روسيا في ثلاثة صفوف يتدافعون في .. . وحركتهم متباطئة يعوزها من يحمي أطرافها من مناوءة جنود .. . .. عما الى هذا الغرض غامر العدو بقوات عظيمة حتى تحول يوم ١١ سبتمبر يوماً حميت فيه الوقائع الدامية على جميع الميدان المنبسط من جلداب الى ضفة بريجل . وفي مساء ذلك اليوم تبين لنا انه لم يبق امامنا الا أيام قلائل حتى نأتي على استئصال .. العدو . أجل ان تبدل الحالة العمومية على ساحة القتال شرقيه .. ظهر بجميع مظاهره وكان له تأثيره . ولقد آنسنا من الانباء الدقيقة ان .. حطت .. حليفتنا في بولونيا وفي غليسيا ! وفي كل الاحوال لايخالجنا شك أن تعدم .. ما .. وراء .. نيامن في مطاردتنا رننكامف لكن اذا تمنا ألا .. .. تعدمنا .. .. عليه في آخر ساعة ذيول الخيبة والاخفاق في الخطة العمومية وحب .. لا .. .. العدو يبلغ رافد نيامن الا وقد أدركه التعب والاعياء والارتباك و .. يكون معظم فرقه في حالة تمكنها من استطراد الكفاح مع الجيش النمسوي ـ المجري كما اضطررنا الى ذلك الحالة اضطراراً

في ١٢ ستمبر دخلت فرقة الحرس الثالثة سوولكي . .. دخلت الارض

الروسية . وانه يبذل قصارى الجهد تمكن جناح رننكامف الجنوبي في جنوب ستالو بونن ان يفلت من فيلقنا الاولى فلا تكتنفه

ما أمجد ما أتاه بعض فرق جنودنا من جليل الاعمال وهم يتأثرون العدو ! انهم يزحفون ويقاتلون ثم يزحفون حتى يرزح الرجال تعباً ونصباً . غير اننا في نفس هذا اليوم استدعينا من ساحة القتال فيلق احتياطي الحرس لتتأهب الى أعمال جديدة

وفي هذا اليوم انتهت هيأة قيادة الجيش العامة الى انستربورج التي عاد جنودنا فاحتلوها ثانية منذ ١١ الجاري . فبعد ما سرنا تتأثر قارعة الطريق الوطنية ابروسيا الشرقية وبعد ما مررنا قرب رجالنا الظافرين الزاحفين نحو الشمال وقرب جماعات أسارى الروس سائرين نحو الغرب كنا قد بلغنا ليس فقط بالفكر بل بالفعل الى مركز قيادة رننكامف العامة فوجدنا في الاماكن التي اخليت من قليل اثاراً جليلة عن نصف التعليم الروسي . ان الرائحة الفواحة من الطيوب ومن جلود روسيا ومن السجائر لم تكن لتخنق بعض الروائح الكريهة

في مثل هذا اليوم من قابل وكان يوم أحدٍ كنت عائداً من جولة صيد استغرقت نهاراً كاملاً فاجتزتُ انستربورج الجديدة واذ بلغت ميدان السوق اضطروا سيارتي ان تعطف نصف عطفة لأن حفلةً قد بدأت تذكاراً لليوم الذي نجت فيه المدينة من الترويع الروسي فاضطررت ان انعطف . انهم لا يعرفونني !

Sic transit gloria mondi ! هكذا يزول مجد العالم !

وفي ١٣ سبتمبر بلغ جنودنا ايدكوهنن وقذفت حشد الروس المنهزمين امامهم. ان مقذوفات مدفعيتنا تمزق هذه الجموع المتراصة لكن غريزة القطيع تجمعهم وتضمهم من جديد

ومن الاسف اننا لا نستطيع في هذا اليوم ان نقبض على ناصية الطريق الكبرى الذاهبة من فيربالن الى ويلكوفسكي والعدو مدرك أن ذلك انما يكون حطمةَ قوته على قسم كبير من جنوده المضطربة . فلكي يتقي هذه الكارثة الداهمة قذف الى

جنوب الطريق امام جنودنا المنهوكة جميع ما امكنـه لمـه من الجنود التي رضيت ان تقاتل . ولم يبقَ امامنا الآ يوم واحد للمطاردة وبعد هـذا اليوم تختفي جيوش رننكامف في المستنقعات والغابات الواقعة غرب مجرى نيامن في القسم المشيدة فيه أوليتا وكوفنو ويلني . ونحن لاتسعنا مطاردته في هذه البقعة

وانتهت المواقع في ١٥ سبتمبر ووضعت وقيعة البحيرات المازورية وزرها على الارض الروسية بعـد مطاردة على مسافة اكثر من مئة كيلو متر قطعناها في اربعة أيام . ان مجموع وحداتنا بعد انتهاء القتال كان مستعداً لقبول مهمة جديدة

ليس في وسعي الآن ان ادخل في جزئيات الاعمال الباهرة التي قامت بها في هذه الايام فرقة لندور فون درغلتز وسواها من سرايا اللندور إمّا بمهاجمتهم قوات للعدو تكثرهم كثرة عظيمةً جداً على اراضي الحدود جنوباً وإما بحمايتهم خاصرة جيشنا اليمنى على طول مجرى الفستول تقريباً

وكانت هذه المواقع لاتزال قائمة على قدم لما تركت قيادة الجيش الثامن . وحينما انتهت كانت جنودنا قد تقدمت حتى شيكونوفو وبرازنيتس واوغسطوفو .



حملة بولونيا

تركت الجيش الثامن

في غرة سبتمبر كان قد بلغنا من مركز القيادة النمسوية-المجرية العامة ان جيوشها واقعة في خطر جسيم في بقعة لمبرج بسبب قوات روسية تفوقها بعديدها فوقاً عظيماً وأن قد وقف تقدم الجيش الاول والجيش الرابع الامبراطورى والملكي

من ذلك الحين كنا نتتبع هذه الحوادث الواقعة في غاليسيا بقلق واضطراب والانباء تأتينا في كل يوم شراً وأسوأ

ان التلغرافات التي ترى تشرح افضل شرح سير الحوادث

الجيش الثامن الى اركان الحرب العام

في ١٠ سبتمبر ١٩١٤

يظهر لي شك في ان رننكامف يمكن ان يُقهر قهراً حاسما . لان الروس قد بدأوا حركة تقهقرهم اليوم قبل ماهو منتظر . ونظراً الى وقوع الاعمال الحربية لانرى بدأً من تعبئة جيش في سيليزيا . انقدر ان نعتمد على امداد جديدة آتية من الميدان الغربي ؟ يمكننا ان نقدم فيلقين

أرسل هذا التلغراف في ١٠ سبتمبر أي في ذات اليوم الذي بدأ فيه رننكامف

يتقهقر نحو الشرق على عكس ما كنا نتوقع !

أركان الحرب العام الى الجيش الثامن
في ١٣ سبتمبر سنة ١٩١٤

هيئوا باسرع زمان فيلقين من الجيش تكونان على قدم الاهبة للسير على كرا كوفيا ! ...

كرا كوفيا ! أمرٌ غريبٌ ! تلك هي فكرتنا وكلامنا يدلُّ عليه ! فبلغهم الامر فدهشوا فابرقنا ما يلي الى اركان الحرب العام :

١٣ سبتمبر سنة ١٩١٤

المطاردة تنتهي غداً ! يظهر ان الظفر تام. الهجوم نحو نارف في وجهة حاسمة ممكن بعد بضعة أيام لكن النمسا تطلب بسبب رومانيا مدداً توّاً بنقل جيشنا نحو كرا كوفيا وسيليزيا العليا . وموفور لهذا الامر أربع فيالق من الجيش وفرقة من الخيالة . والنقل في سكك الحديد وحده يستغرق عشرين يوماً . والمسافة طويلة لبلوغ ميسرة النمسويين فيصل المدد بعد فوات الفرصة . فالرجا ان تجزموا بالامر . وفي كل حال فالجيش يجب ان يحتفظ بحرية استقلاله

هذا التلغراف أرسل في نفس اليوم الذي أضاع فيه رنكامف ليس فقط بعض الحوافي بل أضاع جناحاً اجمع وضُيّق عليه الخناق من سائر الجوانب فبدأ يستتر في مستنقعات نيامن

فردَّ علينا اركان الحرب العام في ١٤ سبتمبر سنة ١٩١٤ :

العمل فيما وراء نارف في موقف النمسويين الحالي معتبر كأن لاحظّ له في النجاح . ان تأييد النمسويين مباشرة لازم سياسياً

الاعمال من سيليزيا فما وراءها منظور فيها . في حالة الاشتراك مع النمسويين يبقى الجيش مستقلا .

اذن ! فليكن !

ان كتاباً عنوانه : « عن الحرب » لم تبلِ جدتهُ الايامُ . مؤلفهُ كلوزويتز كان يعرف الحرب ويعرف الرجال . لزمنا ان نصيخ اليه سمعاً ولو عملنا بنصائحه

لكان لنا فيها خيرٌ وصلاح . ولو فعلنا عكس ذلك لكان لا بد لنا من توقع النوازل.

كان كلوزويتز يحذّر من تطاول السياسة على سير الحرب

فما ابعدني اليوم ، في العبارات التي سلفت ، عن الحكم على الامر الذي تلقينا في ذلك العهد . اذا كنت في سنة ١٩١٤ قد وسعني الانتقاد بالاقوال أو بالافكار فاني من ذالك الوقت قد أتممت تعاليمي في مدرسة الحقيقة الواقعية القاسية وفي ادارة دفة حرب عامة . فالاختبار يلين الانتقاد وكثيراً ما يبين ان الانتقاد لم يكن على اسٍ قائم ! وفي الحقيقة انه قد اتفق لنا مراراً كثيرة في أثناء هذه الحرب ان ننقاد الى تجربة الفكر فنقول : « سعيدٌ هو ذاك الجندي يكون ضميره أخفّ احلاماً من ضميرنا واسهل عليه منا الانتصار على الحرب الناشبة بين معتقداته الحربية وبين مقتضيات السياسة ! » نغماتُ السياسة نغماتٌ ممقوتة ! اما ما يلامسني أنا على الاقل فقلما وقع لي في إبان هذه الحرب أن اسمع في هذه النغمات ألحاناً امكنها ان تلقى لها صدًى في قلب جندي

فلنأمل ، اذا استدعى بخت بلادنا الشقي حرباً جديدة ، ان يكون غيرنا أسعد طالعاً بهذا الشأن مما كنا

في ١٥ سبتمبر الجئت الى فراق الجنرال لودندوف الذي سمي رئيس اركان الجيش الجديد الذي عبىء في سيليزيا العليا وهو الجيش التاسع. لكن في ١٧ سبتمبر انفذ اليَّ جلالة الامبراطور أمراً باستلام قيادة هـذا الجيش في حين ابقى لي تحت تصرفي الجيش الثامن . فهذا الجيش الثامن، بعد ان سلخوا عنه الفيلق الحادية عشرة والسابعة عشرة والعشرين وفرقة الخيالة الثامنة التي الحقت بالجيش التاسع، ظلَّ على عاتقه عبء الدفاع عن بروسيا الشرقية . فالانفصال الذي وقع بيني وبين رئيسي في اركان الحرب ما كان الآ الى أمدٍ قصيرٍ وانما أتيت على ذكره الماماً لأن الالسنة أجرت فيه الاحاديث وذهبت فيه مذاهبها

في الساعة الاولى من يوم ١٨ سبتمبر زايلت انستربورج مركز قيادة الجيش

الثامن العامة لامضي الى برسلو عاصمة سيليزيا فسرت يومين في الاتومو بيل وعرّجت في طريقي على بوزن . وكان بدء سفرتي في ميادين المعارك التي نشبت في الاسابيع الاخيرة فأيقظت فيَّ تذكارات عرفان جميـل نحو جنودنا . فأجتزنا أولاً أماكن مهجورة ومحروقة ثم امتدَّ بنا السـير الى أراضٍ لم تمسَّ بأذىً لقينا فيها سكان البوادي عائدين نحو الشرق وهم يسرعون الى بيوتهم المهجورة .الشعب سكان الجبال الذي خـبرته الحروب والذي انما هو أمتن أساس لقوتنا . ان أفكاري لتشيعه نحو خرائب منازله التي ربما قد سوّدها الدخان . ذلك مشهد قد صين عن الابصار من اكثر من مئة حولٍ بفضل اقدار جيشنا . ووافينا سيرنا حتى الفستول فيما بين القرى والمدن الحقيرة حيث يجدون بشق النفس في بعض الاماكن آثاراً عن ازدهار التهذيب الغربي القديم ! تلك الارض التي استعمرتها المـانيا وبذلت فيها بلادنا المفككةُ الاعضاء أجملَ ما فيها من قوى ومواهب . واغنى كنوزها الشغل وروحُ سكانها الطيب . ان هذا الشعب شعب سَاذجٌ مستقيم بافكارهِ وأنا متيقن أنه في هذا المحيط لم تلَـقَّن فقط دروس كَـنْتْ عن « الامر المطلق » لـكنهاقد فُهمت جلَّ الفهم وانتقلت الى عالم الحقيقة والانتاج

فان معظم الذراري الالمانية قدتلاقت هنا يجمعها عمل مجهودطويل في سبيل المدنية وبهذه المناسبة قد اختصت بنفسها هـذه الارادة الشاقة التي قدّمت خدماً جليلة جداً لوطننا في أزمنة صعبة

هذه الافـكار المهمة وأمثالها قد شغلت عقلي في غضون سفرنا ولم تفارقني فيما بعـد في اثناء صراعنا الطويل المروّع . أيها الالمـانيون دعوني أوجز أفكاري في التنبيه الآتي :

« لعقدوا حولكم كلكم ليس فقط رابطة الاتحاد المذّهب للواجب الادبي البشري بل شـدّوا رابطة فولاذ الواجب نحو الوطن وهو واجب ليس أحطّ مقاماً من الاول وشدّدوا دائماً هذه الرابطة الفولاذية حتى تصبح جـداراً من نحاس متين

تريدون ان تعيشوا بظله فهو وحـده ، فيما بين العاصفة الموجاء التي تهب على العالم الاوروبي، يمكنه ان يضمن لكم الحياة والبقاء . صدقوني ان هذه العاصفة ستدوم ! فما من صوت بشري يهلئها وما من معاهدة بشرية تخفف من شدتها ! ان تهيجات الشعوب الاوروبية قد تستخدمها ، كما يستخدم الوعل ، لتضرب الحصن الالماني الذي لاينفك قائماً ! ومن الاسف ان تاريخنا قد علمنا ذلك مراراً عديدة . »

وفي هذه المرة أيضاً لم آلقِ كلمة الوداع على مقاطعتي العائلية من قلب ريق . لكن في هذا اليوم أيضاً كان مني وداع أمرّ واشجى وهو الوداع الذي وجهته الى الاستقلال الذي تنعمت به الى الآن

أجل لئن يكن فى العبارة الاخـيرة في التلغراف الوارد من مركز القيادة العامة بهذا الشأن معنـى يسكّن الروع فاني مع ذلك قد تنبهت الى الحظ الذي ينتظرنا . فما هى الحوادث الماضية في الحرب الحالية التي تنبه فيّ هذا الشعور لاننا كنا الى الآن قد نعمنا بالحرية الحربيـة المذهبة بل هى تعاليم قبسـناها من الحروب التي تألبت فيها طوائف الدول في الايام الخوالي !

السير الى الامام

رأينا أن أفضل الطرق وأصلحها لنا هو ان نحشد جيشنا في سيلزيا الوسطى في بقعة كروزبورج . ومن ثمتَ حسبنا انه يكون لنا مجال أوسع لحرية العمل ضد خاصرة الشمال من مجموع جيوش بولونيا التي لم تكن قد استقرت بعد في مواقف معينة . « مستحيل ! »

ووددنا لو ان جيشنا استطاع التقدم زاحفاً بجناحه الايمن من كيلس (في بولونيا الوسطى) « مستحيل ! »

ووددنا لو ان قوات نمسوية — مجرية ذات شأن تؤيدنا من شمال الفستول الى مصب نهر صان . « مستحيل ! »

فاذا كانت جميع هذه الطرق من باب المستحيل اذن يكون عملنا أو يمكن ان يصير كله مستحيلاً !

فجمعنا اذن جنودنا (الفيلق الحادية عشرة والسابعة عشرة والعشرين العاملة وفيلق احتياطي الحرس وفيلق لندور وبرش وفرقة الاحتياطي الخامسة والثلاثين وفرقة لندور بريدوف وفرقة الخيالة الثامنة) شمالَ كراكوفيا متصلة اتصالاً متيناً بجناح الجيش النمسوي-المجري الايسر كما حدّد مركز اركان الحرب العام . ونقل مركز اركان حربنا العام موقتاً الى بوثن في سيليزيا العليا

وفي أواخر سبتمبر اطلقنا من منطقة حشد الجيوش قلبَ الجيش ولم نطلق جناحنا الايمن الزاحف في وجهة كيلس . ووجّه مَركز القيادة العامة النمسوية — المجرية من كراكوفيا على ضفة الفستول الشمالية جيشاً ضعيفاً قوامه أربع فرق من الرجالة وفرقة من الخيالة فقط . فهو لا يظن انه يستطيع ان يفصل قوات أعظم من جنوبيّ

النهر لانه يفكّر هو نفسه ان يهجم في هذه الناحية هجوما يكون فصل الخطاب. ان خطة حليفتنا جريئة وتعلي منار فخار واضعها . لكن المهمّ ان نعرف هل يُرجى ان يتمكن الجيش النمسوي الذي لايزال ضعيفاً بالرغم من المدد الذي وصله ان يتمّ هذه الخطة . لقد بدّد من مخاوفي الاملُ بأن الروسي متى تحقق من وجود جنود المسانية في بولونيا قذف علينا معظم قوته وبهذا يسهل على حليفتنا سبيل النجاح

ان الصورة التي نستطيع ان تتصورها عن الحالة في مبدإ حركاتنا هي مبهمة وكل ما نعرفه معرفة حقة هو انه في الايام الاخيرة لم يتأثر الروس آثار النمسويين المرتدين عنهم فيما وراء نهر صان إلاّ بتباطؤ وتلكؤ . غير انّ لدينا معلومات تدلّ على انه كان شمال الفستول ست أو سبع فرق من خيالة الروس وعدد غير محدودٍ من الألوية من أهالي تلك البقاع

ويظهر ان جيشاً روسياً يتألف حديثاً في ايفنجورود جزءٌ منه يرجح انه من الوحدات المقتطعة من الجيوش التي كانت من قبلُ واقفةً امامنا في بروسيا الشرقية والجزء الآخر من قوات حديثة آتية من روسيا الاسيوية . ولدينا معلومة أخرى وهي انهم مجتهدون حول فرسوفيا في تهيئة مواقع حصينة تكون جبهتها ضاربة الى الشمال . فالموقف الذي سيقف فيه جيشنا موقف قليلٌ أمنه والواقف فيه يجب عليه ان يتوقع المباغتات الكثيرة . دخلنا بولونيا الروسية واذ ذاك تفهمنا جميع الاهمية مما قاله قائد فرنسوي في وصف حملة نبوليون في شتاء ١٨٠٦ التي كان له فيها يدٌ ونعت العاملَ الخاص في تسيير خطط الهجوم والدفاع في هذه البقعة فاذا هو الوحل ! أجل انه هو الوحل في كل أشكاله ليس فقط في الطبيعة بل أيضاً فيما يشبهونه مساكن للناس بل في الاهلين أنفسهم . فبعد ما تجاوزنا تخوم بلادنا دخلنا تواً في عالم آخر

وتساءلنا على غير قصد هذا السؤال : « كيف يمكن ، على أرض أوروبا ، أنّ التخوم الفاصلة بين بسنانيا وبولونيا ترسم خطوطاً فارقةً بينة الظهور بين درجتين متفاوتتين من تمدّن ذريّة واحدة ؟ »

في أية حالة من الشقاء الجسدي والادبي والمادي قد تركت الادارة الروسية هذه الاصقاع ! فما كان أضعف القوى المدنية التي بها تأدب كبار رجال بولونيا بين الطبقات الواطية المظلومة ! فمن انفعالاتي الاولى بدا لي شك في انه يمكن ، مثلاً بواسطة الاكليروس ، انتزاع عامة الشعب هذا من « لا فرقيتهم » السياسية الواضحة لحملهم على ان يقطعوا معنا بارادتهم معاهدة حربية. ولقد تصعبت علينا كثيراً حركاتنا بسبب الطرق التي يتعذر السلوك فيها . وادرك العدو هذه الحركات فاحتاط لها فاستدعى من امام التسوي بن ست فيالق لقصد بين وهو أن يقذفهم الى قدامنا اذ يعبرهم الى ضفة الفستول اليسرى قبالة ايفنجورود

وفي ٦ أكتوبر بلغنا الفستول من اوبآتوف رادوم . وقد طردنا امامنا جميع قوات العدو التي كانت مرابطة على ضفة النهر اليسرى في المنطقة التي اجتزناها . لكن في بقعة ايفنجورود فرسوفيا لاح خطر على جناحنا الايسر . وفي هذه الظروف تعذر علينا في الحال ان نوالي عملنا في جهة الشرق ونعبر الفستول جنوب ايفنجورود . فيجب علينا في بدء الحال ان نحتفل للعدو المعتلن علينا من الشمال . لان مرجع سائر الاعمال متوقف على نهاية الوقائع المهمة التي يجب ان نتوقعها في هذه البقعة

ان هناك مشهداً هجومياً غريباً : بينما فيالق جيش العدو تنقض سريعاً من غليسيا على فرسوفيا على ضفة الفستول اليمنى سارت فيالقنا في نفس هذه الوجهة على ضفة النهر اليسرى . أما العدو فلكي يوقف عطفتنا الى اليسار قذف بقوات عظيمة الى شمال النهر من ايفنجورود والى البقعة الواقعة فوق هذه المدينة . فطردنا هذه القوات الى اما كنها في وقعات عنيفة لكن لم نكن في حالة تمكنا من ان نطردهم تماماً من الضفة اليسرى

وعلى مسيرة يومين من فرسوفيا اصطدم جناحنا الايسر بناء على أوامر الجنرال مكنسن بقوات للعدو تكثره فقهرها وهزمها عن مواقفها لكن هجومنا توقف على نحو

مسيرة يوم من خط الحصون

على ساحة القتال الى جنوب فرسوفيا سقط في يدنا أمرٌ روسي. ذلك غنمٌ ما أغلى وأثمن ! فقد بين لنا تماماً قوات العدو ومقاصده . فبناءً على ما في هذا المستند : امامنا من مصب نهر صان الى فرسوفيا أربعة جيوش روسية : فان نحواً من ستين فرقة روسية تواجه ثماني عشرة فرقة نمسوية — المانية . فمن قلعة فرسوفيا وحدها خرجت أربع عشرة فرقة للعدو على خمس فرقٍ منا . أي مئتان وعشرون أورطة روسية ضد ستين أورطة المانية . وقد زاد تفوق العدو بعديده بهذا وهو أن جنود رجالتنا العاملين ، على أثر المواقع التي انشبوها في بروسيا الشرقية وفي فرنسا وعلى أثر المسافات الطويلة الشاقة التي قطعوها في الايام الاخيرة ، وهي اكثر من ثلاثمئة كيلو متر في أربعة عشر يوماً وبطرق مخددة ، يكادون يبلغون نصف عددهم وبعض الاحيان ربعه في القتال الذي وقع في بدء الحملة . ثم ان جنودنا ، الذين بلغ الضعف من مقاتلتهم هذا المبلغ ، انما هم امام فيالق من رجال سيبريا نخبة رجال القيصر قد وصلوا حديثاً الى ميدان القتال ومعهم العاملون شاكو العدة والسلاح

وغرض العدو ان يصدمنا على طول نهر الفستول في حين يهجم علينا من فرسوفيا هجمة حاسمة تودي بنا جميعاً . خطة عظيمة رآها الغرندوق نقولا نقوليوفتش بل هي أعظم خطة عرفتها عنه ورأيي انها أعظم الخطط التي تصوّرها قبل ان اضطر الى التسليم في القوقاز .

في خريف ١٨٩٧ في محطة همبورج فون درهو ، بعد التمرينات الامبراطورية ، دعاني الغرندوق الى حديث دار فيه الكلام خصوصاً على استعمال المدفعية . لكنني أنا الآن في بولونيا وأنا واقف لاول مرةٍ امامه . وجهي الى وجهه . لانه ، كما يظهر ، لم يقم ببروسيا الشرقية الاّ زمناً يسيراً مشاهداً لا قائداً . فاذا نجحت طريقته فإنّ نكبة سوداء تهدد ليس فقط الجيش التاسع بل أيضاً جميع الميدان الشرقيّ وجميع سيليزيا بل جميع بلادنا . لكن ليس يخلق بنا ان ننقاد هذا الانقيادَ الى أشباه هذه الافكار السوداء . فينبغي لنا ان نتوسل بوسيلة لنحوّل عنا الخطر الذي يتهدد .

فوطّنا النفس والعزم على التثبت والاحتفاظ بخط الفستول جنوب ايفنجورودْ ولكن على أن نقتطع من هذا الميدان جميع القوات التي يمكن الاستغناء عنها فنضيفها على جناحنا الايسر الذي نرميه على قوات العدو الواقفة جنوبي فرسوفيا على أمل الايقاع بهم قبل ان يتسع الزمان للجموع الجديدة فتتداخل في هذه الناحية

اذن ليس لنا طرفة عين فنضيعها !

ثم طلبنا من النمسا—المجر ان تسير على فرسوفيا على ضفة الفستول اليسرى كل الجنود المرصودة للقتال . ان مركز القيادة العامة النمسوي—المجري يدرك حق الادراك حراجة الموقف لكنه أثار اعتراضات لاتلائم كثيراً تلك الخطورة

ان النمسا—المجر التي سارعنا الى مساعدتها كل المسارعة هي مستعدة لتساعدنا لكن باستدعائها الجنود الذين تركناهم على الفستول . تلك هي وسيلة بطيئة جداً وتضيع علينا الزمن . فاذا كان هكذا تجنبنا اختلاط الوحدات الالمانية بالوحدات النمسوية—المجرية لكن ذلك قد يوقعنا في خطر من إخفاق جميع خطتنا اخفاقاً تاماً . ولما كانت الايضاحات التي وددنا توجيهها الى القيادة العامة النمسوية لاتعود علينا بنتيجة ما رضينا اذ ذاك برغائب النمسا—المجر

الهزيمة

وقع ما نخوفنا . فان جموعاً جديدة من الجنود يخرجون من فرسوفيا وجموعاً أخرى يجتاز الفستول في النقطة الواقعة تحت فرسوفيا . وخطوطنا الامامية الممتدة طويلاً توقف قوات العدو الراجحة علينا عدداً والعدو ينشط شيئاً شيئاً نحو الغرب ويهددنا بالكرة على جناحنا الايسر . هذا الموقف لا يمكن ولا يجب ان يطول كثيراً فالعمل الذي اشتركنا فيه مع النمسا مهدد كله بخطر الترجرج بل بخطر الاخفاق . لان النجاح المأمول في جنوب الفستول الاعلى في غليسيا لم يتم على الرغم من ان العدو استدعى بقوات عظيمة من هذه البقاع ضد جيشنا التاسع واضعف بذلك رجاله الواقفين قبالة حليفتنا . وعليه فينبغي لنا ان نقدم على أمر متعب رضي به جندنا في بدء الحال على كرههم وهو ان نتخلص من الاكتناف الذي يتهددنا ونلجأ الى وسيلة أخرى ندفع بها هجمة العدو . فتُركت ساحة قتال فرسوفيا للعدو في ليلة ١٨ — ١٩ اكتوبر . ولئلا نرجع من الآن عن أعمالنا الحربية استدعينا من جنودنا أولئك الذين يقاتلون بأمرة مكنسن امام فرسوفيا الى موقع رافا — لوفيز على نحو مسيرة سبعين كيلو متراً غرب الموقع . وأملنا ان الروس يُطبقون على هذا الميدان الضارب الى الشرق . فاذ ذاك تقذف الى الشمال بفيالق الجيش التي يكون قد دعوها من جنوبي ايفنجورود . النمسويون . وهكذا نحسبنا نضربُ ضربةً قاضية، في عطفة الفستول الكبرى ، أقوى جانبٍ من مجموع الجيوش الروسية . والشروط السابقة لاجراء هذه الخطة هي ان جنود مكنسن تتحمل صدمة الجموع الروسية وتثبت لها والجنود النمسويين — المجريين الواقفين على الفستول تدافع دفاعاً صادقاً لتضمن للكرة التي نرمي اليها اماناً كافياً من هجمة للعدوِ تأتي من الشرق . فهذه

المهمة الاخيرة التي تعود الى حليفتنا تبـدو سهلة التنفيذ اذا اعتبرنا مناعة موقع الفستول. الاّ ان القيادة النمسوية تعقـّد المسألة اذ تريد ، وهو أمر في ذاته جيد ، ان تضرب من جبهتها ضربة قوية . فعزمت على ان يخلوّا مخارج الفستول من ايفنجورود ومن الشمال وينقضّوا على صفوف العدو في مسيرهم . خطة جريئة كثيرما لبعت في أيام السلم دوراً مهماً في استعمال ونقد التمرينات على الخارطة والمناورات الحربيـة. وقد استعملها على نهر كاتزباخ المرشال بلوخر وصديقه الامين جنيزنو وفازا بها فوزا باهراً . لـكن مثل هذه الكرة تظل دائماً خطرة ولا سيما متى كان القائد غير واثق كلّ الثقة من جنوده

وعليه فقد أشرنا بتركها لـكن اشارتنا ذهبت ضياعاً ! ان القوات الروسية الراجحة بعـديدها امكنها عبور الفستول في ايفنجورود فكرّ عليهم النمسويون المجريون ففازوا بنجاح اوّلي لكن كرّتهم ما عتمت أن توقفت ثمّ تحولت الى هزيمة

فماذا ينفعنا الآن أنّ هجمات الروس الاولى قد اخفقت على ميـدان قتال الجنرال مكنسن الجديد ؟ وخاصرة جيشنا اليمنى في الهجوم الذي نويناه قد انكشفت على أثر تقهقر حليفتنا . فعلينا اذن ان نرجع عن خطتنا ! وظهر لي ان خير الامور هو ان نكون أحراراً في العمل ونوالي التراجع حتى نستطيع ان نقاتل في موقف آخر في ظروف جديدة .

ان النية التي عقدتها في فكري لم تكن بعـدُ إلاّ خطرة بال . لـكنها كافية بحيث نتخذها دليلاً في الوسائل التي تنجم عنها. ان رئيسي في اركان الحرب سيعتمد هذه الوسائل وأنا متأكد من أنه بقوته الجبّارية يعمل كل ماهو لازم لاجراء هذه الاساليب وانجاحها

أجل ان نيتي قد أثارت في نفسي اعتراضات ذات بالٍ . ما تقول بلادنا اذا اقتربت جنودنا في تقهقرنا من حدودنا ؟ أغريب أن بدأت سيليزيا ترتعش ؟ انهم سيعيدون في هذه المقاطعة ذكرى الخراب والتدمير الذي أوقعه الروس في بروسيا

الشرقية ، ذكرى المغازي والآلام التي قاساها الرجال العزّل وقدهاموا في كل طريق، ذكرى سائر أنواع الشقاء والدمار . سيليزيا بلادنا الغنية بمناجمها الكثيرة المتوسعة وصناعتها المزدهرة وكلاهما ضروريّ للحرب ضرورة الخبز اليومي ! لايكفي لمن يدبر دفة القتال أن يضع يده على الخارطة ويقول : « أجلو عن هذه البلاد » ينبغي ان يتبصر ليس فقط في الامور الحربية بل في الامور الاقتصادية اذا عقد النية على أمر يجزم به

وعلى هذه المخاوف التي سردنا أضف مخاوف جديدة من وقوع الاضرار على السكان وهذه المخاوف هي التي يصعب علينا كثيراً ان نذلّلها

ان تراجعنا في وجهة كزنتوكو بدأ في ٢٧ اكتوبر ووجب علينا ان نخرّب في تراجعنا أشياء مهمة جداً على سبلنا وعلى السكك الحديدية لنوقف الجموع الروسية التي تضايقنا عن كثب إلى ان نتخلص منهم تماماً ونجد لنا من الوقت فسحة لنعمد الى وسيلة جديدة . فتراجع الجيش وراء ويدوكا وورتا والجناحُ الايسر في ناحية سيارتز ونُقل مركز القيادة العامة الى كزنتوكو

وفي بدء الامر كان الروس يتأثرونا قريباً منا جداً ثم تباعدت المسافة فيما بيننا فان حالتنا التي تبدلت على حين بغتة وصارت خطيرةً جداً قد عادت موقتاً فاعتدلت

وعلى ذكر هذا التراجع لايسعني الاّ ان أقول ان تقص الفطنة الغريب ويمكني أن أقول إن السذاجة وحسن الطوية التي بها استعمل الروس التلغراف اللاسلكي قد أتاح لنا ان نفطن في الوقت الموافق الى الخطر الذي كان يتهددنا . واذ كنا نقرأ رسائل الاعداء كنا نوفق أحياناً كثيرة ليس الى معرفة نظام الموقعة بل الى ادراك نيات أعدائنا

وعلى الرغم من هذه الظروف التي ساعدتنا كثيراً فان الحوادث الحربية، ولا سيما تفوق عدونا العظيم بعدده ، كانتنا نحن القيادة العليا مجهودات عقلية عظيمة . لكني كنت عارفاً ان القيادة التابعة لنا هي طوع البنان وكنت واثقاً ثقةً عمياء بأن

جنودنا يعملون كل ما في وسع بشرٍ ان يعمله. فهذا التضامن العام أتاح لنا ان نتغلب على أشدّ الحالات خطراً

ومع ذلك ألا يبدو، هذه المرة، ان هلا كنا النهائي انما قد أُجّلَ الى زمن ؟ فهلل أعداؤنا أيّ تهليل ورفعوا أصواتهم بالفرح والبهجة. وقد حسبونا قد كُسرنا كسرة لاجبر لها. ولعلّ هذا الحسبان كان السبب في خلاصنا. لانه في غرة نوفمبر جاء فى نبأ روسي بالتلغراف اللاسلكي ما يلي :

بعد ما طاردنا العدو مسافة ١٢١ فرسخاً قد حان الوقت ان ننيط الطراد بالفرسان. الرجالة متعبون ووسائل التموين صعبة

اذن نستطيع ان نتنفس الصعداء ونفكّر فى خطط جديدة

في غرة نوفمبر سمّاني جلالة الامبراطور قائداً عاماً على القوات الالمانية في الميدان الشرقي وقد اتسع نطاق عمل قيادتي على جميع الاراضي الالمانية على الحدود الشرقية. و بقي الجنرال لودندرف رئيسي في أركان الحرب وانتقلت قيادة الجيش التاسع الىّ عهدة الجنرال مكنسن. وهكذا قد اعتقنا من الاهتمام بقيادة جيش واحدٍ مباشرة لكن عملنا على مجموع الجيوش صار أعظم وأوسع

واخترنا بوزن مركزاً للقيادة العامة. ولكنه قبل ان نبلغ هذه المدينة وقفنا نهائياً فى كرتوكو. وفي ٣ نوفمبر بدا لنا خطة جديدة أو، اذا أردنا ان نستعمل عبارة أوضح واصحّ، صغنا لنياتنا الجديدة شكلاً نهائياً

كرّتنا على العدو

خطتنا الجديدة مركوزة على الاعتبارات الآتية : اذا حاولنا في موقفنا الحالي ان نردّ مواجهةً هجمة الفيالق الروسية الاربع فالموقعة التي نسيرها على عدو له علينا تفوّق ساحق يكون حظها حظّ موقعة فرسوفيا . فليس اذن بهذه الواسطة تخلص سيليزيا من غزوة الروس. ولا يمكن حلّ هذه المسألة الا بالهجوم. اذا وجهنا هجمتنا على جبهة عدونا المتفوق علينا عدداً تُصدّ على أهون سبيلٍ فيجب علينا والحالة هذه ان نحاول توجيه هذه الهجمة على خاصرة جيوش الاعداء المكشوفة أو المحمية حماية ضعيفةً . وفي أثناء مناقشتنا الاولى بدت إشارةُ اكتناف بيدي اليسرى دلّت على ما كانت فكرتي . فاذا أردنا بلوغ جناح العدو الشمالي في بقعة لودز وجب علينا ان نبسط هجومنا حتى الى قرب تورن . فيكون حشد جنودنا الجديد فى هذا المكان وفي جنيزن فاذا فعلنا هذا نبتعدُ كثيراً على ميسرة النمسويين المجريين

ولا نرغب ان نُبقي في بقعة كرتوكو الا قواتٍ المانية ضعيفة منها فيلق لندور ويرش التي أصيبت كثيراً بالخسائر . والشرط الاولي لانسلالنا نحو اليسار هو ان تستقدم القيادة العامة النمسوية أربع فرق من ميدانها في الكربات الذي لا خطر يدهمه فى بقعة كرتوكو فتحلّ محلّ فرقنا التي يجب عليها ان تنتقل نحو الشمال

وعلى أثر احتشادنا فى بقعة تورن- جنيزن تفرقت القوات النمسوية فى الميدان الشرقي الى ثلاثة جموع . الجمع الاول مؤلف من الجيش النمسوي — المجري يعصى بالفستول الاعلى والجمعان الآخران من الجيشين الثامن والتاسع الالمانيين

ولا يسعنا ان نسدّ الثُلَم الواقعة بين هذه الجموع الثلاثة بقواتٍ يكون لها شأن في القتال يذكر . ففي المسافة الفارغة على مئة كيلو متر التي تفصل النمسويين عن

الجيش التاسع اضطررنا ان نقيم في خط القتال وحدات من رديف جديد . فهذه الوحدات ، التي لاتملك بذاتها الا قوة دفاعية ضعيفة ، قد أرغمت ان تنتشر ،قبالة قوات روسية راجحة عليها رجحاناً عظيماً ، على مساحة عظيمة حتى انها لم يكن منها الا ستارٌ دقيق . فاذا لم نعتبر الا الوجهة العددية فليس على الروس الا ان يزحفوا على سيليزيا فيضعضعوا هذه القوة الضعيفة . وبين الجيش التاسع القائم قرب ثورن والجيش الثامن القائم الاراضي الواقعة الى شرق بروسيا الشرقية ليس لنا الا جنود اللندستورم يعززها الاحتياطي العام من ثورن وجرودنز . وقبالتهم جمعٌ كبيرٌ من القوات الروسية يبلغ نحو أربع فيالق واقفٌ شمال فرسوفيا وعلى ضفة نارف اليمنى وعلى الفستول فاذا قذفت القيادة الروسية هذا الجمع نحو الشمال في وجهة ملافا تستعيد الحالة التي كانت في أواخر اغسطس قبل موقعة تاننبرج . وظهر ان مؤخرة الجيش الثامن مهددة من جديد والتهديد يدعو الى القلق . فيجب على الجيش التاسع الموجه الى لودز على الخاصرة المحمية حماية ضعيفة من معظم قوات الروس المحشودة أن ينقذ بهجومه بروسيا وسيليزيا من هذه الحالة . وواضحٌ ان هذا الجيش اذا لم يبدأ هجومه حالاً جلبَ عليه من كل الجوانب قوات العدو الكثيفة

وهذا الخطر يعظم بقدر ما لايتيسرُ لنا قوات عديدة وشديدة لنقوم من جبهة القتال ، في زمن طويل ، بهجمات قوية متوالية أو لكي نخدع القوات الروسية التي هي شمالَ الفستول وجحافلَ العدو التي على شمالِ الفستول الاوسط . اذن سنهاجم بكل جموعنا ونشن عليهم غارة شعواء لكنه من الخطإ الفاضح ان نبني آمالاً كبيرة على هذه الوسيلة

كل الوحدات القوية القادرة على الهجوم التي يمكن الاستغناء عنها سترسل امداداً للجيش التاسع الذي عليه ان يضرب الضربة الحاسمة . والجيش الخامس ، وإن يكن هو مهدداً بالخطر ، ينقل فيلقين منه الى الجيش التاسع . أجل في هذه الظروف لم يبقَ في الامكان الدفاعُ ، على الحدود ذاتها ، عن بروسيا الشرقية التي أُنقذت حديثاً

بن غزوة العدو . ولكن تُنقل قوات الدفاع الى انجراب والى بقعة البحيرات . ان ذلك لعمل يشقُّ على النفس

بفضل الوسائل التي ذكرنا آنفاً بلغ مجموع قوات الجيش التاسع خمس فيالق ونصف فيلق وخمس فرق من الخيالة اثنتان منها وصلتا من الميدان الغربي . وعلى الرغم من البيانات المهمة التي قدمناها الى هيأة اركان الحرب العامة لايرى انه يستطيع ان يزيدنا امداداً على هذا الميدان . فهو واسع الأمل بمؤقعة ايبر أن تنتهي لنا نهاية خير وصلاح . ان مصاعب الحرب في ميدانين تظهر بجلاء ومن جديد بكل مظاهرها وكل أهميتها . فيلزمنا هذه المرة أيضاً ان نعتاض ، من القوات المحاربة التي تنقصنا ، بسرعة العمل ونشاطه . واني على يقين من هذا الوجه أن كل ما هو ممكن عمله بشرياً يعمله قوادنا وجنودنا

ومن ١٠ نوفمبر كان جيشنا التاسع مستعداً للهجوم. وفي ١١ بدأ حركته فسارت ميسرته محاذية الفستول وميمنته شمال ورثا . لقد آن الزمان ! لانه كان قد بلغنا أن العدو يفكر في استئناف الهجوم . واذا رسالةٌ من العدو بالتلغراف اللاسلكي تفشي لنا السر التالي : القوات الروسية في الميدان الشمالي الغربي أي جميع القوات المنتشرة بين البلطيق وبين بولونيا يجب ان تتقدم الى الامام في ١٤ نوفمبر لتتوغل كثيراً في أرض المانيا

نزعنا من القائد العام الروسي فكرة أعماله ولما شعر في ١٧ نوفمبر بحركتنا لم يجرؤ ان يضع موضع العمل هجومه العظيم على سيليزيا لكنه قذف كلَّ الموفور لديه امام جنودنا الهاجمة . فنجت سيليزيا هكذا الى أجل معلوم وبلغنا أول غرض أردنا من هجومنا . ومن جهة أخرى أيمكننا ان ننال نصراً حاسماً ؟ ان رجحان العدو علينا عظيم جداً ! غير انّ لي أملاً كبيراً في النجاح

اني لأتجاوز نطاق هذا الكتاب لو أردت ان أصف ، ولو وصفاً مجملاً ، المواقع المعروفة باسم « معركة لوتز »

ان هذا الصـدام ، في تعاقب هجوم ودفاع، والتفاف وخوف من التفاف علينا، واختراق وخوف من اختراق صفوفنا، يصور انا مشهداً مضطرباً ،مشهداً في وحشيته المأثورة يفوق سائر المواقع التي وقعت الى ذلك الحين على الميدان الشرقي

وكنا قد توصلنا بالاتفاق مع النمسا ـ المجر ان نحتبس سيول نصف آسيا !

ان مواقع حرب بولونيا لم تأته قرب لودز بل استطردت من الجانبين بقوات جديدة وجاءنا من الغرب امدادٌ جـديدة بينهم قِلٌ لم يذق مرارة الحرب وكثرهم تعضدهم ارادة صادقة لكنهم لم يكونوا ليستخدموا كما يجب. فقسم منهم أُخرجوا من مواقع شاقة وربما كانت أشقّ من المواقع التي انشناها نحن ولا سيما موقعة ايبر ، غير اننا حاولنا بهذه الامداد أن نردّ السيل الروسي الذي كنا احتبسناه . وظهر لنا في بعض الوقت اننا سنبلغ منه منالاً . لكن في النهاية ، كما وقع في موقعة لودز ،كانت قواتنا أقلّ من ان يقاتلوا ضدّ العدو يكثرنا كثرة عظيمة بعديده الذي وقف امامنا في ساح القتال . وقد كنا نستطيع ان نفعل أكثر مما فعلنا لولا ان الامداد أتتنا قطرةً قطرةً ولو قدرنا ان نقذفها الى المعركة معاً دفعة واحدة . ان الكتلة السلافية الضخمة التي رمنا ان ندحرجها الى الشرق لم يمكن نقلها الا الى مسافة قريبة ثم وقفت . وفي الحقيقة ان قوتنا نفدت ولم تنفد في المعركة فقط بل في المستنقعات

ان هجمة الشتاء وحدها هي التي غلّت حركة الخصمين وغطّى الثلج والجليد خطوط القتال التي كانت قد تصلّبت وجمدت. من الآن فصاعداً تردد هذا السؤال على الالسن : من تُراه ، من كلا العدوين في أثناء الاشهر المقبلة ، يوقظ هذه الخطوط من ثقلتها وخمودها ؟



١٩١٥

كيف نجزم بالامر

الاعمال التي أتمتها المانيا وجيشها في سنة ١٩١٤ لا يمكن ان تقدر في كل عظمتها السامية الا متى اهتدت الحقيقة والعدالة الى سبيلهما المستقيم ومتى أسدل الغشاء عن تشهير الخصوم الذين البسوا الرأي العالمي الكذب والخداع

ومتى أفسح الانتقاد الالماني الحالي ، الذي يمزق كل شيء ، مجالاً لتقدر الاعمال اقدارها بطريقة أهدأ روعاً وأرصن عقلاً. لاشك انه يأتي يوم يتم فيه جميع ذلك

لكن في أواخر سنة ١٩١٤ على الرغم من خطارة مآثرنا ، لم يكن العمل الذي حملناه على أعناقنا، لاننا أرغمنا على حمله، قد كلل بالنجاح الفاصل. فان البلوغ الى هذا الفصل على أحد ميداني القتال على الاقل كان أول درجة نرتقيها ادراكاً لهذا الظفر . فكان علينا ان ننعتق من الطوق العسكري والسياسي والاقتصادي الذي كان يطوقنا ويهددنا بأن يخنقنا أدبياً . ان الاسباب التي من أجلها لم نستطع ، الى ذلك الحين ، ان نفوز بنجاح حاسم كانت موضوع مناقشات شتى وستبقى الى أمد. لكن في هذه المسألة أمراً واحداً ثابتاً وهو ان مركز قيادتنا العامة رأى ضرورة أن ينقل قبل أوانه قوات من الميدان الغربي ، وهو الميدان الذي يُطلب فيه فصل الخطاب ،

الى قذفها الى الميدان الشرقي . لست محاولاً ان اعرف هل أن المبالغة في تقدير الانتصارات التي فزنا بها الى الآن لم يكن لها شأن عظيم في هذا القطع ؟ وعلى كل حال فقد نتج عنها تدابير ناقصة : تُرك أحد الاغراض ولم يُدرك الآخر . ففي أثناء المحادثات العديدة التي كانت لي مع الضباط الذين كان لهم آراؤهم في مجرى الحوادث التي وقعت في اغسطس وسبتمبر سنة ١٩١٤ في الميدان الغربي حاولت ان امحص لي رأياً مجرداً لاميلَ فيه على الحوادث التي كانت علينا سيئة الطالع في غضون المعركة التي يقال لها معركة « المارن » لا أحسب ان اخفاق خطة قتالنا الكبرى وهي خطة كانت محكمةَ الوضع كلَّ الإحكام بلا أقل ريبة ، انما كان الباعث عليه سبباً وحيداً . فان سلسلة حوادث مضادة وقفت دوننا : منها ضعف الفكرة الجوهرية في خطتنا و بمقتضاها كان يجب على جيشنا ان ينضمّ جناحاً أيمنَ منيع الجانب والبطش. ثم انحطام جناحنا الايسر البديع في تدبيره وإحكامه وانما سبب هذه الحطمة ما استبقت اليه القيادة المقيدة من ابتداء آراء غير مختمرة ثم التعامي عن خطر ينبغي التحذر من وقوعه على من يقتحم باريس وهي مكان عزيز التحصين وعقدة خطوط حديدية كبرى . ثم تداخل مركز قيادتنا العامة في تدريب حركات جيوشنا تداخلاً غير كاف ثم أيضاً عدم إنعام النظر الدقيق ، إبان المعركة العاملة ، في الحالة من لدن بعض أعضاء القيادة في حين ان هذه الحالة لم تكن في ذاتها على غير صلاحٍ لنا

ان المؤرخين والنقَدة ليجدون في هذه المسألة مادةً غزيرةً لابحاثهم وتنقيباتهم لكني راغب ان أعلن صريحاً أنه اذا كان حبوط خطتنا الاولى في أعمالنا على الميدان الغربي قد أوقع المانيا في خطر جسيم فما نتج قطّ من ذلك أنّ مثابرة القتال قد صارت عقيمة الآمال لنا . ولو لم أكن مقتنعاً بهذا لكنت رأيت ، منذ خريف ١٩١٤ انّ من واجبي وضعَ تقرير فيه أرفعه حتى الى مولاي الاعلى المعظم . وقد برهن جيشنا على صفات باهرة متفوقة على صفات أعدائنا حتى اني أرى أنه كان بوسعنا ، اذا استجمعنا قواتنا كما يجب ، ان نفوز فوزاً حاسماً على الاقل في أحد

ميداني الجهاد وذلك على الرغم من رجحان الاعداء بعددهم يزدادُ يوماً يوماً

أفي الشرق يكون عملنا الحاسم أم في الغرب ؟ هذا هو السؤال الا كبر . وحفلنا متوقف على الجواب الذي يكون

ان القيادة العامة لم تكن بطبيعة الحال لتعترف لي بالحق في حلّ هذا الاشكال. لان التبعة كل كلها على عاتقها دون سواها • غـير اني رأيت من حقي ومن واجبي أيضاً ان أبدي رأيي في هذه المسألة علانية وأدافع عنه بحريةٍ

أما ا كثرية الشعب الالماني ففي تقاليده أن يحاول الفوز بعمل حاسم في الميدان الغربي ولقد يمكن القول ان هذا العمل الحاسم هو عمـل قوميّ . ففي الغرب واقفٌ العدو الذي باغرائه الارعن لم يترك لنا من راحة في زمن السلم وفي الغرب أيضاً ماثلٌ الآن الخصمُ الذي يمثل القوة التي كانت تحرّض على سحق المانيا . هذا ما كنا على يقينٍ منه . و بعكس ذلك قد كانوا يحسبون عندنا ان رغبة روسيا في وضع يدها على الاستانة انما هو أمرٌ معروف وما كانوا ليصدقوا طمعها ببروسيا الشرقية والغربية

ان الرجال الذين أُلقيت اليهم مقاليد تدبير الحرب قد كان يمكنهم أن يتأكدوا من تأييـد قادة الامة لهم حتى من اكثرية رأي الشعب في المانيا فيما لو سعوا الى بلوغ النصر القاطع في الميدان الغربي فان ثمت عاملاً أدبياً لايحسن الاغضاء عنه

على اني لا أتجرأ على القول إن العامل الادبي قد كان له دور في تدابير القيادة العامة لكني اعرف حقّ المعرفة أن فكرة العمل الحاسم في الميدان الغربي قد أوعز الينا بها الف مرةٍ ومرة شفاهة وكتابة . ثم فيما بعدُ لما أسند اليّ تسيير الاعمـال وتدبيرها سمعت رجالاً يقترحون عليّ ان ارعى جانب روسيا رعاية خاصة

وغالباً ما حسبوا انه كان يسهل علينا نسبةً أن نتوصـل الى الاتفاق اتفاقِ مودة مع هذه الدولة .

ان الصراع الحاسم على الميدان الغربي الصراعَ الذي يرمي الى النصر النهائي كان في نظري فصل الخطاب يكون من ورائه الصلح والسلام

ولكن رأيي أنه لم يكن لنا ان نعمد الى « فصل الخطاب » هذا إلاّ بعد ان نصرع الروس . أممكن صرع الروس ؟ ان الاقدار أجابت « نعم » عن هذا السؤال. لكن أجابت بعد سنتين بعد زوال الزمان الملائم لأنه في أثناء هاتين السنتين كانت حالتنا قد تغيرت تغيراً كاملاً . ان عدد سائر أعدائنا وقوتهم كانا قد ازدادا ازدياداً عظيماً جداً وحلّ محلّ روسيا أميركا الشمالية الفتاة النشيطة اصطفّت الى جانب أعدائنا بمواردها الاقتصادية الفياضة

كنت أظن في غضون شتاء ١٩١٤—١٩١٥ ، انه يمكن ان أجيب « نعم » عن السؤال : « أيمكننا ان نقهر روسيا ؟ » واليوم أيضا ما زلت حريصاً على رأيي هذا

ان هذا الغرض ، والحق يقال ، ما كان يمكن ادراكه « بصيدانٍ » واحدةٍ شديدة رائعة لكن بسلسلة انتصارات تشبه انتصار صيدان

في هذا العراك ، والحوادث قد اثبتت صحة ما أنا قائل ، ان قلة المقدرة التي بدت ، إن لم يكن من مركز القيادة الروسية العامة ، فمن قوادجيوشها، كانت لنا عاملاً فيه صلاح لنا . أثبتها تاننبرج وقد كان يمكن أن تثبتها لودزور بما بارقام أعظم من أرقام تاننبرج ، لو لم نضطر أن نأخذ على عاتقنا القتال في بولونيا حيث ألجئنا الى الصراع ضد عدوٍ برجحنا رجحاناً عظيماً جداً بعديده ولو لم نرغم على الوقوف في وسط انتصارنا بسبب قلة القوة المقاتلة

اني ما حططتُ قطّ من اقدار الروس ومن رأيي انه من الخطإ الفاضح أن لانرى في روسيا الاّ استبداداً واستعباداً وتقصيراً وسخافة عقل وأثرةً . ان قوات أدبية سامية كانت تشتغل في روسيا لكن في بعض أوساط منفردة فقط

ان الجيش الروسي لم يكن يجهل كلّ الجهل حبّ الوطن وتفتّقَ الفِكَرِ وقوة العمل وبُعدَ النظر في الامور

فلو كان الامر على خلاف ذلك كيف امكن تحريك هذه الجموع الكثيفة وكيف

رضيت البلاد والجنود بمثل هذه الملاحم البشرية ؟

ان الروسي في ١٩١٤ و١٩١٥ لم يَبقَ روسيٌّ زُرندُرف يُصرع كالاغنام ولا يدافعُ لكن قد كان ينقص عامة الشعب هذه الفضائل البشرية والعقلية التي كانت شائعة عندنا بين جميع الشعب و بين الجيش كله

ان المعارك التي انشبناها على جيوش القيصر قد أشعرت ضباطنا وجنودنا بتفوقهم الذي لا يُنازعون فيه على خصومهم. وهذه العاطفة التي أدركها رجال الاندستورم الشيوخ وجنودنا الشبان تشرح هذا الامر: وهو أنه كان بوسعنا ان ندفع الى المعركة في الميدان الشرقي وحدات لم يكن يسمح ضعف مقدرتهم الحربية باستخدامهم في الميدان الغربي الا ببعض شروط

وقد كان لنا في هذا الامر صلاح لاننا كنا دون أعدائنا عدداً وكانوا هم الراجحين! وفي الحقيقة انه لم يكن في وسعنا ان نستخدم هذه الوحدات الا الى حد نظراً الى المجهودات الكبيرة المتطلبة من جنود الميدان الشرقي من تثبت في المواقف ومن كرٍ وفرٍ

انّ معظم القوات يجب ان يكون قوامه فرقاً لها قوةٌ على الهجوم عظيمةٌ .واذ لم يمكن الحصول على الفرق التي يُحتاج اليها للقيام بأعمال حاسمة ، وذلك بانشاء وحدات جديدة ، وجبَ ، من رأيي ، الحصول عليها باقتطاعها من جنود الميدان الغربي ولو كلفنا ذلك الجلاءَ عن جزءٍ من الاراضي المحتلة

هذه الاعتبارات ليست نتيجة خطة مدبّرة ولا هي نتيجة انتقادٍ موضوع ومدروسٍ . لقد اُعترض على ما قلت آنفاً أن الروسيّ قد كان امكنه ان يفزع ، اذا ألجأته الحالة ،الى الرجوع الى ما اتفقوا على تسميته مساحة دولته التي لاحدّ لها حتى ان قوتنا الهجومية قد كان يدركها الضعف والاعياء كلما توغلت وهي تتأثر العدو . أظن أن الذين يقولون بهذا الرأي انما هم تحت أشدّ تأثير تذكارات سنة ١٨١٢ وانهم لايحسبون حسباناً يذكر للتغيرات التي حدثت في الاحوال السياسية والاقتصادية

في الامبراطورية الروسية ولا سيا لتفرع خطوط السكك الحديدية وتوسعها

ان نابوليون لم يوغل ، بالنسبة الا في زاوية ضيقة من روسيا الواسعة التي كانت في ذلك العهد قليلة السكان وهي من الامور الاقتصادية في مهدها ومن الوجهة السياسية الداخلية في سبات عميق . فما أبعد ما يكون الفرق في هجوم عظيم حديث وما أبعد ما يكون الفرق أيضاً في الحالة الداخلية التي عليها روسيا الآن !

هذا هو تباين الآراء الذي كان أخيراً سببَ الخلاف الذي وقع في ذلك الحين بين القيادة الالمانية العليا و بين أركان حربي . ان الرأي العام قد وشى الاساطير العديدة على هذا الخلاف الذي لم يشجر منه حادثٌ يؤسف له على الرغم من شدة اهتمامي شخصياً بهذا الامر . اني أدع لعلماء الانتقاد الذين يأتون بعدي ان يقولوا قولهم الفصل في هذه المسألة لكنني على يقين من انهم لا يتوصلون الى حلٍّ يرضي الجميع على كل حال أنا لن اعرف هذا الحلّ لاني لن أكون من هذا العالم !

المعارك والاعمال الحربية في الميدان الشرقي

لا يسعني الا ايجاز الحوادث التي وقعت سنة ١٩١٥ في الميدان الشرقي في القسم الذي وقفنا فيه من ميدان القتال عادت رحى الحرب الى دورانها واستعار نيرانها بناءً على أوامرنا ولكن لم تكن قد خمدت تماماً قطُّ على انها ما اشتدت مثل هذا الاشتداد إلاّ في جبال الكربات حيث دُعيت الجيوش الامبراطورية والملكية اصون المجر من غزوة الروس. وأُرسل رئيسي في اركان الحرب مدة من الزمن، الى الميدان النمسوي في ساعة الخطر. ان الاسباب التى دعت الى هذا الحلّ لم أعرفها وقد بحثت عنها في نطاق المسائل الحربية المحض وسألت جلالته ايراد هذا الحلّ فأجابني اليه كرامة وعاد الجنرال لودندروف غِبَّ زمن قصير بعد ما أجرى اختبارات دقيقة و بعد ما استطاع ان يدقق كل التدقيق في درس حالة الوحدات النمسوية ـ السلافية

ان فكرة محاولة عمل حاسم في الميدان الشرقي لتقابلها القيادة النمسوية العليا بالفرح الجزيل وهي مضطرة اليها ليس لدواعٍ عسكرية فقط بل لاسباب سياسية أيضاً فما كان ليخفى عليها تناقص اقدار قواتها المقاتلة تناقصاً مطرداً

وكان من الواضح أن الحرب اذا طالت وطفت أنقصت من قدر جيش الامبراطورية بأسرع ما تُنقصه من قدر اعدائها بالنسبة. زد على ذلك القلق الذي حلَّ بالحكومة النمسوية تدركْ ان سقوط برزميسل المعجّل لايزيد حالة جيوشها خطورة فقط بل حالة الشعب في الداخل فإن التأثير الذي يحدثه سقوط المدينة المحصنة في أيدي العدو يتفاقم الخطر الذي بدأت اعراضه المقلقة تهدّد بتقويض البنيان الحكومي واضاعة الثقة بنهاية الحرب نهايةً خيرٍ

ومن جهة أخرى أخذت النمسا ـ المجر تحس بايطاليا تهددها من الوراء . فهجوم قوي يضمن الظفر في الميدان الشرقي كان يمكنه ان يغير الحالة في هذه الدولة السيئة تغييراً جوهرياً

ان درس هذه الحالة حدا بي الى الوقوف بجانب الجنرال فون كنراد لما اقترح على القيادة العامة الالمانية القيام بأعمال حربية حاسمة في الميدان الشرقي . ان قيادتنا العامة ما رأت ان تتمكن من ان تصرّفني بالقوات التي قضيتُ بلزومها لبلوغ هذه الغاية . ولهذا فان هجمة واحدة من الهجمات الكبرى التي كنت اقترحتها في خطتي امكن ان توضع موضع العمل في منطقة قيادتي : وقد وقعت في بروسيا الشرقية

وفي بدء السنة جاءنا بطريق سكك الحديد أربعُ فيالق من الميدان الغربي ومن داخلية البلاد . ونزلوا في بروسيا الشرقية فاستخدم منها قسم امداداً للجيش الثامن والقسم الآخر لتجييش الجيش التاسع الذي القيت مقاليد ادارته الى الكولونل جنرال ايجورن . وبعد ان عُبئوا وحشدوا ساروا الى الامام ليمدوا جناحينا في موقفهما على خط لوتزن ـ جومبينن وكان ضعيفاً . وكان مرمى خطتنا ان نحدق بالجيش الروسي العاشر وقائده الجنرال سيفرس والى جناحه حشدان قويان يضمانه ضماً من ورائه وفي التخوم الروسية . وأن نحطم آخر فلوله حطماً . ومن ٨ يناير ، وكنا لانزال في مركز القيادة العامة في بوزن ، انفذنا الى قواد جيوشنا أول فكرة عن أساليب عملنا المقبل بالترتيب الآتي :

في نيتي ان أحدق بجناح العدو الشمالي بالجيش العاشر الذي يسير جناحه على خط تيلسيت ـ ويلكويسكي وان اصدم العدو مواجهة بفرقة لندور كونجسبرج وميسرة الجيش الثامن وأن أهجمَ ميمنة الجيش الثامن على خط أريس ـ جوهنسبورج وفي الجنوب

أما الامر النافذ بالهجوم فقد أرسل في ٥ فبراير من انستربورج الى حيث وافينا لنديرالموقعة . وفيه أن يُطلق عقال جموع الجناحين وربما جاء فيه تلميحٌ الى

انتصارنا المجيد في صيدان . وحلّ بالجيش الروسي العاشر في أوغسطوفو ما حل بالجيش الفرنسوي في صيدان

وفي ٢١ فبراير أخذت كلاّبة هجومنا الواسعة تنضمّ حول الجيش فاذا اكثر من مئة الف أسيرٍ فيها سيقوا الى المـانيا وقتل من الروس عددٌ أعظم من عدد الاسارى

ان جملة هذه المواقع دعيت بأمر من جلالة الامبراطور باسم « معركة الشتاء المازورية » ألا اعفيتموني بعيشكم من وصفها . غيرأني ما أراني محدّثاً بامرٍ جديد؟ فان اسمها يذكّر البرد القارس وقساوة الموت . ان امرءاً يمعن النظر في تفاصيل هذه المعركة ثم يعيدها على فكرته لايتمالك من ان يتساءل : أولئك الذين أتوا هذه الفعائل هم حقيقةً بشرٌ أو ان جميع هذه المعركة لم تكن الاّ اسطورةً من الاساطير أو حلماً من الاحلام ؟ ان المراحل التي قطعت في ليالي الشتاء الباردة وهـذه المضارب التي نصبت بين الثلج والجليد وهذه النهاية التي حلت بالعدو في غابة أوغسطوفو ألا تكون من بنات مخيلات البشر المتهيجة ؟

على انه بالرغم من النجاح الفني في معركة الشتاء هذه لم يتيسر لنا ان نجني منها كل النتائج المرجوّة . فقد كان بوسعنا ان نحطم الى النهاية تقريباً جيشاً روسياً لكن قوات جديدة للعدو اسرعت من ساحات أخر حيث لم يكن من يصدمها فحلت في الحال محلّها . ففي مثل هذه الظروف لم نكن لنبلغ ، على الميدان الشرقي ، الى نتيجة حاسمة مع الوسائط التي تهيأت لنا اذ ذاك . فان تفوق روسيا بعديدها كان أبعد من ان يرجح

ان روسيا ردّت على معركة الشتاء التي أدرنا رحاها بهجمة التفافٍ على جزءٍ من ميداننا واقع على تخوم بروسـيا القديمة المتقدمة الى الامام. فدحرج علينا قائد قوات الأعداء العام كُتلا عظيمة كتلاً غريبـةً في ضخامتها وكل كتلة هى أثقل من جملة قواتنا متحدة . لـكن الارادة الالمانية تحملت أيضاً هذا الثقل . ان انهاراً

من الدم الروسي تدفقت الى بدء الربيع في االوقائع الرائعة التي انتشبت شمال نارف وغربَ نيايِمن

تبارك الله إنها في الارض الروسية !

لئن كان للقيصر جنود عديدة.فان عددهم لم يخرج الاّ وقد جُندل منه الكثير في مثل هذه المجازر ! ان القوات التي تجدّلت امام خطوطنا لتعوز القيادة الروسية فيما بعدُ ، عند ما يُزعزع الهجوم النمسوي-الالماني العظيم ، ثمت في الجنوب ، جميعَ الميدان الروسي

ولم يحتدم القتال فقط على تخوم بروسيا في ذلك الحين بل تناول أيضاً معركةَ الكربات وثمتَ حاول الروسي ان يستولي عنوة على حصون التخوم المجرية قبل ان يتقلص ظل الشتاء . وكان على حقٍ فى حسبانه أن طغيانَ السيل الروسي على بلاد المجر انما يضع حداً لهذه الحرب وان أمبراطورية الدانوب لن تنهض من كبوتها بعد حطمة كهذه . وهل من يشكّ ان أول مدفع روسي يدوي في سهول المجر يترجع له صدىً في جبال ايطاليا العليا وفي جبال ترنسلفانيا ؟

ان الغرندوق الروسي كان يعلم حقّ العلم المرمى الاسمى الذي يسعى اليه متطلباً من جيوش القيصر مثل هذه الضحايا الرائعة على ميادين القتال الصعبة في منطقة جبال الكربات

ان استفحال الحالة الحربية في الكربات وما تجرّه من التأثير السيء على الحالة السياسية تقاضيا منا الاسراع الى حلٍ معجّل . فعنّ للقيادة الالمانية العليا حلٌ : وهو أنْ ثغرت له ، في أوائل أيام مايو ، جبهةَ القتال الروسية في غاليسيا شمالاً وهاجمت من الخاصرة والمؤخرة ساحة العدو المواجهة للتخوم المجرية

ان الجنود التي تحت قيادتي لم تشترك في الاعمال الحربية الهامة التي بدأت قرب جُرليس اشترا كاً جداً . فقد كانت مهمتنا ، في نطاق هذا العمل العظيم ، ان نصدم قوات العدو كشبفة . ووصولاً لهذا الغرض قامت جنودنا بهجمات فيعطفة

الفستول الكبرى قرب فرسوفيا وعلى تخوم بروسيا الشرقية في وجهة كوفنو . ثم ان خيالتنا حملت حملة صادقة في ليتوانيا وكورلندا بدأت في ٢٧ ابريل وكانت واسعة النطاق اشتركت فيها ثلاث فرق الخيالة تعضدها ثلاث فرق من الرجالة فأصابت موضعاً حساساً من ميدان العدو . فأدرك الروس لاول مرةٍ ان تندم رجالنا في هذه الوجهة قد يهدّد الخطوط الحديدية التي تصل جيوشهم بقلب بلادهم تهديداً خطيراً . فقذفوا بقوات عظيمة جداً على الثغرة التي ثغرناها في ميدانه واستمرت المواقع على أرض ليتوانيا الى مطلع الصيف . وألجئنا الى ان نأتي بقوات جديدة الى هذه البقعة لنحتفظ بالارض التي استولينا عليها ونوالي ضغطنا على العدو في هذه الاقاليم التي لم تكن قد مستها الحرب . وهكذا عبىء رويداً رويداً جيش جديد اطلق عليه اسم « جيش نيامن » من اسم النهر الاكبر الذي يسقي تلك الارضين

انه ليعوزني المجال هنا لأسهب في جزئيات هذه الحملة التي بدأت في ٢ مايو في غليسيا الشمالية ثم توسعت قليلاً قليلاً على ميداننا وانتهت في الخريف شرق فيلنا . فكما أن كتلة الثلج تتألف من أجزاء حقيرٍ ظاهرها فاذا هوت جمعت اليها أجزاء جديدة تزيدها ضخامة فتجرف ما تمرُّ به هكذا ابتدأت هذه الحملة بهجمة محدودة ثم اتسعت قليلاً قليلاً حتى صارت من الاتساع بما لم يُعرف له نظير لا قبل ولا بعد . وقد ألجئنا ان نتداخل فيها تداخلاً فعلياً بعد ما نجحت ثغرة لمبرج فعطفت اذ ذاك الجيوش الالمانية لتتقدم فيما بين البوج والفستول ضاربة الى الشمال

نظرةً الى هيأة الميدان تروا نصف الميدان الروسي الجنوبي مثغوراً وقد تداعى وتزحزح . والنصف الشمالي ، وما تغيرت واجهته الشمالية والشمالية الغربية ، قد واجه الجنوب بين الفستول ومستنقعات بريبت فاذا هو جناح قويّ للدفاع . ولو توفق جنودنا الى ان يثلموا العدو ثلمةً جديدة بهوون من الشمال وينقضون على ساقته لحلت بحشد جيش الروس كارثة جُلّى

ان التدابير التي ساقتنا الى معركة مازوربا عنّت على أفكارنا مرة ثانيةً ولعلها

تكون أوسع نطاقاً فهذه المرة يطلق الهجوم من عتلته في اخصر طرفه من بروسيا الشرقية وفي الوجهة التي يكون منها تأثير أعني من أوسويتز وجردنو . لكن في هذه البقعة تصدُّ حركاتنا عن التقدم الى الامام منطقةُ مستنقعات بوبر في هذا الفصل. وهذا أمرٌ عرفناه وخبرناه في الايام الممطرة من الشتاء الماضي . فلم يبق امامنا الآ ان نتخير بين هجوم الى الغرب وهجوم الى الشرق في هذه المنطقة . ولكي نضرب لبة دفاع العدو ، ولقد يمكنني القول، في ناحية قلب الجيش الروسي، يجب ان تتخذ وجهة الهجوم البقعة اللاصقة بشرق جرُدنو. اقترحنا هذه الفكرة ودافعنا عنها والقيادة العامة لاتنكر المنافع التي تبدو منها لكن ترى ان وجهة الهجوم الغربية اخصرُ منها وتحسب انه يسعنا ان نظفر أيضاً بهذه البقعة بنتائج كبيرة . فأمرتْ ان نهاجم من نارف الاسفل فرأيتُ من الوجوب الامتناع موقتاً ، للخير العام ، عن معارضة هذا المشروع وانتظار نتيجة هذا الهجوم وما ينجم عن سائر الاعمال الحربية

غير أن الجنرال لودندوف ظلَّ في اعماق قلبه متشبثاً كل التشبث بخطتنا الاولى. ولم يكن لاختلافنا في النظر أدنى تأثير في أفكارنا ولا في أعمالنا السابقة ولا في القوة التي استخدمناها ، في منتصف يوليو ، للقيام بأمر القيادة العليا التي انما هي وحدها مسؤولة عن سير الاعمال الحربية العام

فتقدم جيش جالويتز من هنا وهناك من برزاسنيس على نارف . وقد ذهبت بنفسي في هذا الهجوم الى ساحة القتال لا لاتداخل في تدبير حركات الاعمال الحربية وقد كنت عالماً ان مدبرها لها ، بل لاني كنت عارفاً الاهمية الفاصلة التي كانت القيادة العليا تعلقها على نجاح الثغرة التي أمرت بها . وأردت ان اكون في الموضع حتى اذا قضت الضرورة أستطيع ان أتداخل حالا ، اذا احتاجت قيادة الجيش للقيام بمهمها الصعبة ، الى وسائط اضافية مختصة بقيادتي مباشرة

وبقيت يومين في الجيش وشهدت الحملة على برزاسنيس والاستيلاء عليها بعد ما تداولتها الايدي مراراً من قبل وشهدت أيضاً الكفاح الذي وقع للاستيلاء على

الارض القائمة جنوب هذه المدينة و بلغ جلوتز ضفة نارف منذ ١٨ يوليو فانهزم الروس من كل جانب يرجعون القهقرى من امام الجيوش النمسوية ـ الالمانية التي شنت عليهم غارة شعواء وهم يحاولون الافلات من الاحداق الذي يتهددهم . وتحولت مطاردتنا للعدو مهاجمة وجوه منعتنا من جني اثمار هجماتنا الدامية نجددها بلا مهل ـ ومالبثنا أن عدنا الى فكرتنا الاولى وأردنا ، نظراً الى التغير الذي أحدثته الاعمال الحربية ، ان نزحف على فيلنا من كوفنو لنزحم قلب الروس المحشود في مستنقعات بريست ثم نقطع مواصلاتهم بينهم وبين قلب بلادهم . لكن خطة القيادة العامة تقضي ان نلزّ العدو في الطراد لزّاً وهو عملٌ ينال من قوى المطارد فوقَ ما ينال من قوى المطارَد

وفي ذلك الحين كان استيلاؤنا على نوفو ـ جورجيسك . ان هذا الموقع الحصين على الرغم من تشييده على رأس جسرٍ قوي المنعة لم يكن الى ذلك اليوم قد عاق حركاتنا لكن الاستيلاء عليه الآن كان له أهمية جلّى لنا لأنه يقطع السكة الحديدية من ملاقا الى فرسوفيا

وفي ١٨ اغسطس قبيل التسلم صادفت أمبراطوري امام الموقع ثم دخلت المدينة معه فاذا الثكنات وسائر المباني العسكرية التي أحرقها الروس لاتنفك تشتعل فيها النار وحولها جموع الاسارى مزدحمةً وعزَّ علينا ان نرى الروس قد ذبحوا خيولهم جميعها لم يبقوا على واحدٍ قبل ان يسلّموا الينا لانهم كانوا يعرفون المنافع الكبرى التي يمكن ان تؤديها لنا هذه الخيول في أعمالنا الحربية على الميدان الشرقي . ان عدونا استخدم دائماً الوسائل المانعة ولا سيما فيما يختص باتلاف عتاد الحرب والميرة التي قد تعود ببعض الفائدة على أعدائه الظافرين من الوجهة الحربية

ومن منتصف شهر يوليو أطلقنا جيش نيامن متجهاً شرقاً ليكون لنا على القليل حرية التصرف اذا أردنا السير على فيلنا . وفي منتصف شهر اغسطس سقطت كوفنو بين ايدي الجيش العاشر وفتحت طريق فيلنا لكن ليس لدينا قوات تكفي لمتابعة خطتنا الهجومية الكبرى فبقيت اذن قواتنا موقتاً تتأثر العدو مواجهة وانتضت

الاسابيع ولما تصل الينا الامداد لكن الروس بين هـذه الفترة عادوا ينهزمون نحو الشرق غير آسفين على شيء حتى على فرسوفيا بشرط ان يتمكنوا من انقاذ معظم قواهم

وما استطعنا ان نبدأ زحفنا على فيلنا الاّ في ٩ ستمبر ولعلنا نتمكن أيضاً من نيل بعض نتيجة جليلة في هذه الوجهة و يسقط في أيدينا مئاتُ الالوف من أسارى الروس . لو أن آمالاً كباراً اجتمعت في قلب امرىء الى قلة الصبر وكثرة الهم لكانت اذن تلك حالتي اليوم !

أنصلُ متأخرين كثيراً ؟

وهل نحن من القوة حيث يجب ان نكون ؟ لا بأس . مهما تكن الحال ! الى الامام الى فيلنا ثمّ وجهاً الى الجنوب !

إن هو الا القليل حتى قبضت كتائب خيالتنا الكثيفة على قناة التموين الروسي فاذا احكمنا سدّها حلّ الموت بمعظم قوات العدو وادرك خصمنا الخطر فبذل ما استطاع ليحوّله عنه فالتحم القتال قتالٌ عنيف على أبواب فيلنا وكل ساعة يربحها الروسي ينقذ من جيوشه عدداً عديداً وقد أخذت جموعها تتدفق مهزومة شرقاً وارغمت فرق خيالتنا ان تتراجع امام القوات التي تدافعها وعادت الطريق فانفتحت امام الروس نحو قلب بلادهم فقد وصلنا متأخرين كثيراً وقد أعيينا ووهينا

لست مغروراً بالنفس اذا سلمت ان تباين النظر الذي قد وقع بين فكرة القيادة العامة وبين فكرتنا سيكون له شأن تاريخي . لكن لا ينبغي ان تبرح من الفكر صورة مجموع الاعمال الحربية في الدرس الانتقادي لخطط القيادة العامة . فنحن أنفسنا لم نكن لنرى في ذلك الحين الاّ جزءاً من هذه الصورة هـل كان يلوحُ لنا خطة أخرى أو كنا نفعل خلاف ذلك لو كنا عرفنا الحالة العمومية سياسياً وحربياً ؟ تلك مسألة لا يجوز عليها جدالٌ

لوتزن

وددتُ لو تركتُ جلالة هـذا العراك الفكري لانتقل الى جزالة التغني بحياتنا الحربية سنة ١٩١٥ اذ أتراجعُ بالذكر الى لوتزن

هـذه المدينة الصغيرة الحسـناء القائمة في وسط البحيرات والغابات والأنجاد اتخذناها مركزاً لاركان الحرب العام

لما بدأت معركة الشتاء المازورية وسكانها الذين نجوا من خطر الروس وهول الروس قابلونا بِقبال ولاء مؤثروا نى لاذ كر بجميـل الذكر مُقامي فى بعض الضواحي القريبة الى حيثُ كنت انصرف كل يوم لا أضيع الزمن الكثير. مقاماً كان يوسع عليَّ ، متى سمحت الحالة الحربية ، ساعات السلوى والتلهي والراحة . والصيد ما كان آخر ملاهيَّ التي اهتاجُ . وبفضل لطف جلالتهِ كانت أجمل طلقة أطلقتها من بندقية أصابت أُيلا وهو حيوان شـديدٌ قتلته في الصيد الملوكي في نيامونيان على ضفاف كوريش—هاف

وفى فصل الربيع اذ أخذ السكون يظلل شيئاً فشيئاً ميدان قتالنا ما حرمنا الزّوار من كل طائفة . وكذا قل عن فصل الصيف المقبل : امراء المـانيون ورجال حكوماتٍ ورجال اقتصاد وموظفو ادارات أتوا يزوروننا تسوقهم المنـافعُ التي كتسبتها المقاطعات الشرقية بَعد هـذه الحرب . وكانت الى ذلك الزمن بعيدة الشقة قليلة المزار . وقـدم علينا رجال فنٍ ليخلدّوا لنا آثاراً انا والجنرال لودندرف برأس ريشتهم وحدِّ منقاشهم ، تلك ميزة وددنا لو أعرضنا عنها على الرغم من ظرافة وبراعة هؤلاء الرجال ، حتى ينفسح لنا مجالٌ فنغنم من ساعات فراغنا القصيرة .

وهكذا تمكنت من معرفة سفِن هيدين الرّحالة الاسيوي الذائعة شهرته وصديق

المانيا الحيم وقدرته اقداره

ومن رجال الحكومة الذين ردوا علينا الزيارة في لوتزن يجب ان أخصّ بالذكر المستشار في ذلك العهد بتمان — هلويج وأمير البحر الاكبر فون تيربتز

وكان قد أتيح لي في غضون شتاء ١٩١٤ — ١٩١٥ في بولونيا ان أحيي المستشار في مركز قيادتي العامة . وزياراته انما دعته اليها شمائله الشخصية ولم يكن لها أقلّ علاقة بالمسائل السياسية مهما تنوعت أشكالها . ولست ذاكراً أني المعت الى هذا الموضوع في الاحاديث التي وقعت لي حينذاك مع المستشار

لكني تيقنت اني محدّثٌ رجلاً موفور الروية مستقيم السريرة . وتبين لي أن تصوراتنا على ضرورات الحرب كانت على أتمّ وفاقٍ في ذلك الحين على جميع النقاط الجوهرية وكان المستشار في كل تصريحاته يحسُّ بأن في اعماق نفسه شعوراً بالتبعات الملقاة على عاتقه . والى هذا الشعور اعزو هذا الامر ألا وهو انه في اعتباراته على الحالة العمومية كان يُدخل شيئاً من القلق ثم فيما بعد شيئاً من قلة الثقة . هذا ما لاحظته بصفة كوني جندياً

ان الشعور الذي أحسست به في بوزن قد تحقق في لوتزن

ان أمير البحر الاكبر فون تيربتز ، الذي كان في ذلك الزمن وقد تواترت الاشارة اليه كأنه سيخلف بتمان — هلويج في منصبه ، كان شخصاً من طراز آخر . في اثناء نزهة طويلة أسرّ اليّ بكل الآلام التي يقاسيها قلبه المتوقد وطنية ولا سيما قلبه التوّاق الى عرض البحار . وكان مرّاً عليه ان يرى ، في ثغور التخوم ، جامداً لاحراك له ، سلاحاً من أسلحة الحرب ماضياً كان قد اختلقه في أجمل سني حياته وأفضلها . حقاً انه كان من اعقد المصاعب على أسطولنا ان يبادىء بالهجوم لكن هذا الموقف ما كان يُتوقع له ان يتحسن على كرّ الزمن . ومن رأيي ان الاحساس المتناهي الذي كانت تدل عليه التخوم البريطانية بفكرة إنزال حملة المانية كان يبرر من جانب أسطولنا أن يبدي نشاطاً أعظم وربما قلت ضحايا أجسم

أن نرغم القيادة الانجليزية على ابقاء قوات كبيرة على تخومها وان تنفس بذلك عن جيوشنا كربة كان ، على راجح ظني، نتيجة يمكن ادراكها باستخدام أسطولنا في الهجوم

قالوا ان سياستنا أرادت ان تستبقى لها إمكان استخدام أسطول كامل العدد والعدة في حالة النظر في أمر الصلح . ان مثل هذا الحساب قد يكون بجملته خطأ لان عدة من عدد القتال لا يعرفون ان ينتفعوا بها أبان الحرب لهي أيضاً عامل لا خطر له في اثناء مطارحات الصلح

وفى ربيع ١٩١٦ قضي الامر وتمت لامير البحر الاكبر رغبته : وقد دلت معركة سكاجراك باسطع دليل على ما كان يكون من مقدور أسطولنا

وحدثني فون تيربتز أيضاً عما يراه في شأن حرب الغواصات . وهو موافق على أننا قد هددنا بهذا السلاح في غير وقته واننا فيما بعد لما ان رأينا موقف رئيس الولايات المتحدة راعنا فتركنا ، فى غير وقته أيضاً ، السلاح الذي كنا نهزه ونترنم بأناشيد الحرب العالية ، يسقط من أيدينا

ان التصريحات التي أبداها لي أمير البحر الاكبر لم يكن لها من تأثير في الموقف الذي أخذته فيما بعد في هذه المسألة . وانقضى عام ونصف عام حتى سألوني ان أقول كلمة فصل فى هذا الصدد . وفى هذه الفترة من الزمان كانت حالتنا الحربية قد تغيرت تغيراً تاماً لغير صلاحنا من جهة، ومن جهة أخرى كانت مقدرة عمل أسطولنا بشأن الغواصات قد أوفت على الضعفين

كوفنو

في اكتوبر سنة ١٩١٥ نقل مركز قيادتنا العامة الى كوفنو في بلاد العدو المحتلة ومن ثمت اضطر رئيس اركان حربي ليس ان يهتم فقط بعمله المعتاد بل بكل المسائل المتعلقة بادارة واصلاح واستثمار الاراضي المحتلة بشأن تموين جيوشنا وشعبنا وسكان هذه البلاد . فان تنظيم هذه المسائل قد كان وحده كافياً ليستغرق من رجل كلّ وسعٍ له على الشغل غير ان الجنرال لودندرف اعتبر هذه المشاغل الجديدة كأنها تبعٌ لسائر مشاغل منصبه وانقطع لها بما هو مأثور عنه من جلد الارادة والصبر على العمل

وفي غضون شتاء ١٩١٥—١٩١٦ الذي كان اسكنَ حالاً بدت لي فرصةٌ عنـد ما زايلت كوفنو فزرت غابة بجالوجس ومن بواعث الاسف ان الطرائد فيها قد نالت منها الحرب منالهـا . وقنص منها العـددَ الكثيرَ الجنودُ في مسيرهم والصيادون يرتادونها . غير أني فى ينابر سـنة ١٩١٦ في اثناء رحلة بديعة للصيد والقنص قمنا بها فى العجلات والمركبات ودامت أربعـة أيام توفقت الى رَمي أ يل وار بعة اوعال وكانت ادارة كورة الاحراش الواسعة بين يدي إشريخ مفتش الغابات البافارية وهو رجل خبرة ومراس فتمكن بدرايته ودربته من الانتفاع بموارد هـذه الغابة الوافرة من الاخشاب من غير ان يمسها بضرر

وفى ذات هذا الشتاء زرت غابة أوغسطوفو فهيأوا اكراماً لي جولة صيد للذئاب فلم نوفق الى شيء لان الذئاب كانت تعنّ لنا امام القِـترعلى ابعد من مرمى بندقيتي اما من آثار المواقع التي حـدثت في شهر فبرابر المنصرم فلم اتبين الاّ خنادق فان ميدان القتال ولا سما اجزاء الغابات التي اجتزتها كانت قد تنقت جميعها ومُهدت

وفي افريل سنة ١٩١٦ احتفلت في كوفنو بمرور خمسين عاماً على دخولي في الجندية . فرفعت شكري الى الله والى أمبراطوري ومليكي الذي قدّم لي بهذه المناسبة تذكاراً نفيساً . وفكرت في نصف القرن الذي تمكنت في خلاله من خدمة مولاي وخدمة وطني في زمن الحرب وعهد السلم

في اثناء صيف ١٨١٢ عبرت فصائل عديدة من الجيش الفرنسوي ، في زحفها شرقاً ، نهر نيامن الى كوفنو . ان ذكر هذا الماضي والعاقبة المفجعة التي حلت بهذه الحملة الجريئة قد ايقظ في نفوس اعدائنا أملاً برؤية جنودنا تُرمى صريعةَ الجوع والبرد والامراض في وسط هذه الغابات الواسعة والمستنقعات الوبيئة في روسيا على مثل ما نزل بجيوش الكورسكي الكبير المفاخرةِ بنفسها . إن أعداءنا كانوا يتكهنون لنا بهذه العاقبة ولعلهم فعلوا وهم الى تهدئة روع عامة الشعب التي لا حكم لها على الامور اميلُ منهم الى الاقتناع بها . غير أنه لم يكن ليستهان بالهموم التي أورثناها أمرُ تموين جنودنا وتقديم معايشهم في شتاء ١٩١٥—١٩١٦ أوَ ما كنا نعلم على أيّ الاراضي الفقراء بنسبتها ، على الرغم من اتساع المدنية والحضارة ، وفي أيّةِ الاقاليم التي كثرما انتابتها الامراض الوبائية القتالة ، كان علينا ان نقضيَ فصل الشتاء؟

حملة ١٩١٦ الى أواخر اغسطس

الهجوم الروسي على الميدان الالماني الشرقي

لم تنته سنة ١٩١٥ في هيأة اركان حربنا على أصوات الابواق ننفخ بها ابتهاجاً بالظفر المشتهى . فان عاقبة الاعمال الحربية والمواقع التي جرت في العام المنصرم لم تخولنا الرضى الكامل

ان الدب الروسي قد تملص من الحبائل التي أردنا أخذه وشدّه بها . لكنه والحق يقال كان الدمُ ينزفه من جراحه لكنه لم يصب في مقتل . انه استأذننا الانهزام بعد ان رمانا بضربات وحشية. أ كان يريد بهذا ان يبين لنا انه لم ينفكّ غنياً بالقوات يناوئنا بها فلا يترك لنا الحياة هنيئة ؟ لقد أوضحوا لنا اذ ذاك ان الخسائر التي لحقت بالروس رجالاً وعتاداً قد كانت جسيمة حتى ليمكننا ان نبقى زمناً طويلاً على ميداننا في راحةٍ وسكون . ولكن بناء على اختباراتنا السابقة مالقينا هذا الرأي الاّ على حذرٍ وما عتم أن دلت الحوادث على ان هذا الحذر حلَّ محله

اننا ما وسعنا انّ تقضي هذا الشتاء بسكون نسبي ورأينا ان الروس ابوا الاَّ ان يميلوا افكارهم الى الاضطراب والحركة واذا جلبةٌ وهرجٌ في خطوط العدو وفي مؤخرته على طول الميدان الالماني والى الجنوب أيضاً وتعذرعلينا في بدء الحال ان نستبطن ولو قليلاً نياتِ القيادة الروسية ورجح ظني على ان نواحي سمورجوني

وانطلق هجوم الروس من عقلته في ١٨ مارس . وبعد ان مهدوا له السبيل بالمدفعية تصبّ الصواعق على ما لم يسبق له نظير في الميدان الشرقي تدفقت جموع الاعداء كالسيل الهامى يحملون على مواقفنا وقد قلّ حماتها. لكن عبثاً تدفع مدافع الروس رجالها على الخطوط الالمانية وباطلاً يحصد احتياطيُّ العدو خطوطهم المتقدمة اذا تقهقر هؤلاء أو حاولوا الفرار والنجاة من ألسنة نارنا القتالة . وتكدّس الروس قتلاهم وجرحاهم انجاداً امام ميداننا وبالحقيقة ان المدافعِ نفسه يجب ان يبذل مجهودات جلّى في هذا الموقف . وأخذت الثلوج تذوب فحملت المياه وطغت على الخنادق وحوّلت الحواجز التي حمت الى الآن رجالنا من وحول وأمطار الشتاء سيّالاً وحلاً وأصبح كل ميدان القتال مستنقعاً موّاجاً . وبدأ حماةُ الخنادق في المياه المتجلدة يحسون بالورم يتسرب الى أرجلهم ويعدمها الحس والحركة . لكن هذه الاجسام احتفظت بالحياة وبارادة القتال لتدفع عنها بلا مللٍ هجمات العدو المتجددة . ولقد بذل الروس ثانيةً على غير جدوى ضحايا كثيرة . ومن ٢٥ مارس وثقنا من النصر فحقّ لنا الاعجابُ بحماتنا الابطال في بحيرة نارُكز

وصدر البلاغ في أول ابريل سنة ١٩١٦ وكان لنا يدٌ في تحريره فاذا فيه في آخر الموقعة :

ان الامر التالى بتاريخ ٤ (١٧) مارس نمرة ٥٣٧ من قائد الجيوش الروسية العام يبين ما هو الغرض الاكبر الذي شاء ان يطوله هذا القائد في هجومه :

« ياجنود الميدان الشرقي !

« منذ ستة أشهر ، وكنتم قد وهنتم وضعفتم وليس لديكم ما يكفي من الرصاص والبنادق ، قد صدمتم تقدم العدو وبعد ان أوقفتموه في منطقة مولودلشنو حيث كان يحاول ان يحدث في خطوطكم ثغرة وقفتم مواقفكم الحالية

« ان جلالة القيصر والبلاد يتوقعان منكم اليوم عمل فروسيةٍ جديداً :

ان تطردوا العدو من أراضي الامبراطورية ! وغداً متى استمددتم للقيام بهذه المهمة المجيدة فأنا ، على يقيني وثقتي بشجاعتكم ومفاداتكم بالنفس لاجل القيصر ومحبتكم الصادقة لوطنكم ، متأكدٌ انكم تتممون واجبكم نحو القيصر ونحو بلادكم وتنقذون اخوانكم الذين يئنون تحت نير العدو . أعانكم الله وأيدكم في مهمتكم المقدسة !

« معاون القائد

« ايفرت

والحق يقال ان كل انسان يعرف البلاد الروسية ليعجب من هذا الهجوم يقدم عليه العدو في فصل بين يومه وغده تتبدل الاحوال ويتعرض الهاجم فيه الى مصاعب جسيمة يولدها ذوبان الثلوج . فهنا ما يحمل على الاعتقاد بأن القيادة الروسية لم تختر هذا الفصل للهجوم مخيّرة بل انها انقادت الى ضرورة مساعدة حليفةٍ هي في البؤس والشدائد

وفي غرة ابريل أعلنت المصادر الروسية الرسمية ان وقوف الاعمال الحربية الحالي انما سببه الوحيد تغير حال الجو : ان هذه التصريحات لاتقول من الحقيقة غير شطرها . فان الخسائر التي المّت بالعدو قد ساعدت على كسرته بقدر ما فعل ذوبان الثلج ان لم يكن اكثر . وقد أوفت هذه الخسائر بأقل تقدير على ١٤٠٠٠٠ رجل ولقد تكون البلاغات التي صدرت من القيادة العامة الروسية أصدق كلاماً لو قالت ان الهجوم الروسي العظيم قد اخفق ليس في المستنقعات بل في المستنقعات وفي الدم المسفوك

وقصارى ما قدمت حسبي ان اذكر الفقرة الآتية من مذكرات وضعها ضابط الماني على مواقع الربيع سنة ١٩١٦ قال :

« ما كاد ينقضي شهر على استعراض القيصر الروسي على ميدان بستواي فرقه

الهجوم حتى انطلق المرشال هندنبورج الى الميدان يشكر كتائبه الظافرة . في تشرنجاني وفي كورمه وفي جودوز وفي سويراني وفي كوبلنيك على مسيرة بضعة كيلومترات من المكان الذي استعرض فيه القيصر رجاله وقف المرشال يخطب في وفود الجنود الوافدة من الميدان ثم شرع يوزع صلبان الحديد على مستحقيها

وفي ساعةٍ وقف القائد الكبير وقذاف الرمانات الحقير وجهاً الى وجهه ويداً بيدٍ وعيناً على عين يتبادلان الانظار ويتجاذبان الثقة واشرقت شمس الربيع تتلألأ كشمس الظفر فتنير موقف المرشال هندنبورج ....»

تلك هي كلّ يدٍ لي في موقعة بحيرة نارُكز !



هجمة الروس على الميدان الشرقي المجرى الشرقي

« فردون ! » ومن غرة فبراير أخذ يتردد هذا الاسم عندنا على الميدان الشرقي ! وما جرؤوا على التكلم عنه الاّ همساً وسراً ! ومع ذلك ان فكرة الاستيلاء على فردون كانت جميلة . إن أخذنا فردون ثبّتنا جداً موقفنا جميعه على الميدان الغربي ! واقصينا نهائياً الخطر من شدّ الخناق على نقطة هي اكثر النقط في ميداننا احساساً وأسبقها الى منزف الدم . فأخذ الحصن قد كان يهيء لنا مواقف لهجمات جديدة في وجهة الجنوب والغرب . ومن رأيي ان أهمية هذا الموقع كانت بحيث كان من حقنا ان نحاول أخذه . ولكان يسهل ايقاف العمل في حينه لو لوحظ انه متعذرٌ أو ان الخسائر التي يكلّفناها ضخمة جداً

ثم أوَلم نكن قد أقدمنا من بدء الحرب مرات متعددةٍ على أمورٍ أجسر وأبعد عن التصديق في مهاجمة المواقع المحصنة وافلحنا ؟

من أواخر فبراير لم يعد اسم فردون مَلوكاً سراً بل علانيةً وبابتهاجٍ . ففي معركة فردون يضيء اسم دومون كشعالٍ يخبر بفروسية الالمان مشعالاً يُرى من أقصى الاماكن في الميدان الشرقي ينشّط ويحمّس شجاعة أولئك الذين يتابعون بقلقٍ اتساع الاعمال الحربية في بحيرة ناركز . غير انه ينبغي الاقرار بأن هجوم فردون يثير فينا أيضاً شعور مرارةٍ فهو يفيدنا ان قد رجعوا رجوعاً نهائياً عن عمل حربي فاصلٍ في الميدان الشرقي

وفي غضون الاشهر المقبلة صار اسم فردون على نغمات متباينة . وأخذت الاعتراضات شيئاً فشيئاً ترجح لكن لا يظهرونها الا نادراً ويمكن ايجازها في الاسئلة التالية : لماذا يوالون هجوماً يكلّف ضحايا لاحدّ لها ، ضحايا تبين وحدها من الآن

بطلان هذه الحملة ؟ أما كان ممكناً أن يهيئوا عملاً حربياً مقسماً باستخدام خط ميداننا ما بين الارجون وسان — ميشل بدلاً من هذا الهجوم الموجه تواً الى القسم الشمالي من جبهة فردون المحصنة أعزّ تحصين وامتنه ؟ أجل ان المستقبل وحده يسعه ان يقول كلمته ، بعد بحث دقيق لاميلَ فيه ، في صحة هذه الاعتراضات

وانضم فيما بعد الى اسم فردون اسم آخر هو اسم « ايطاليا » لُفظ أول مرة بعد معركة بحيرة ناركز وافظ هذه الاسم بريبٍ هو اكبر واشد من الريب الذي لفظت به كلمة فردون . وما هو ملفوظ فقط بشك وريبة بل بقلق عظيم واضطراب كثير . ان خطة الهجوم النمسوي — المجري على ايطاليا هى خطة جريئة وقد تفضي الى النجاح حربياً . لكن الذي يحملنا على ان نعتبر هذه الخطة اكثر من جريئة هو قيمة العدة التي تستخدم فيه . اذا اقتحمت أحسن الجنود النمسوية — المجرية ، هذه الجنود التي تنظر اليها نظرة الثقة والاعجاب ليسَ فقط النمسا — والمجرُ بل المانيا نفسها ، تهاجم ايطاليا فمن يبقى امام روسيا ؟ وهذه الدولة لم تكن قد نفدت مواردها كما كانوا يتوهمون في أواخر سنة ١٩١٥

فانه على ضفاف بحيرة ناركز ظهرت من جديد كل بَسالة الجموع الروسية بتوحشٍ وصلابةٍ بدت الى الآن امامها الوحداتُ النمسوية المجرية الكثيرة وفيها فصائل من السلاف ضعيفةَ الدفاع ضئيلة الثبات

وفي كل يومٍ كان قلقنا يزداد على رغم تقارير النصر التي كانت تأتينا من ايطاليا . وما كانت الحوادث التي وقعت بعد قليل جنوبيَّ بريست الا لتؤيد تخوفنا وقلقنا . في ٤ يونيو هوى الميدان النمسوي — المجري في فولهينيا و بوكوفين امام أول ضربة ضربها الروس وتفاقمت الحال سوءاً وار بت سوءاً على ما كانت عليه سنة ١٩١٤ فهذه المرة ليس في موقف من المواقف جيشٌ المانيٌّ مظفر ليسرع الى مداواة الحالة فالصراع دائر حول فردون في الميدان الغربي وعلى السوم يُهددنا هجومٌ جديدٌ

واز بدت أمواج الازمة ازباداً وتلاطمت حتى بلغت الى ميداننا لكن حالتنا

العمومية لم يكن شأنها شأن من يقاسي الهجمات الروسية فينتج من ثمتَ انه كان بامكاننا ان نرسل امداداً الى حيث يكون الخطر أدهم وأعظم

ان الروس امام الميدان الالماني لم ينقصوا حتى الساعة قواتهم لانهم فازوا فوزهم الاول جنوب بريست ولم يطلقوا جموعاً ضخمةً كما كان شأنهم لكن قذفوا بقوات ضعيفة : « ان خطة بروسيلوف يجب ان تعتبر في جوهرها استكشافاً بسيطاً وهو استكشاف على خط طويل لم تنقصه العزيمة والجرأة لكنه مع ذلك ما هو الا استكشاف وليس هو هجوم يرمي الى غرض محدود .... وكانت مهمة بروسيلوف ان يجس قوة الدفاع في خطوط الاعداء على مسافة نحو ٥٠٠ كيلو متر ما بين بريست ورومانيا . ويشبه بروسيلوف رجلاً يضرب على حائطٍ ليرى أيُّ أجزاء هذا الحائط مشيد بالحجارة وأيها من خشبٍ وملاطٍ »

هذا هو الوصف الذي وصفه أجنبي من أول يوم المعركة التي انشبها بروسيلوف وهذا الاجنبي يقول الحقيقة الصادقة . لكن الحائط النمسوي — المجري لا يظهر الا القليلَ من الحجارة المتينة فهو ينبثق تحت ضربات مطرقة بروسيلوف فيجتمع سيل الجموع الروسية في البثق وما هو الاّ الآن حتى انقلبت هذه الجموع من ميداننا الى الجنوب . أين يمكن ايقافها ؟ قائما في وسط هذه المستنقعات عمود واحد واقف . هو جيش الجنوب يقوده قائد مجرّب الجنرال الكونت بتمر : المان ونمسويون ومجريون كلهم في هذا الجيش يثبتون فلا يتزعزعون وقد برهنوا على نظام بديع

ان كل القوات الممكن اقتطاعها من ميداننا الشرقي الواسع نقلت بسكك الحديد الى الجنوب وغارت في آتون المعارك في غليسيا لكن الحالة اسودُّ افقها أيضاً في الميدان الغربي واحتلك فان قوات انجليزية ـ فرنسوية راجحة على قواتنا انقضّت من جانبي السوم على خطوطنا القليلة الحسانة نسبةً وثغرت ميداننا ! ونحن الى مدة مهددون بثغرة كاملة !

ان مولاي الاعظم دعانا مرتين انا ورئيسي في اركان الحرب الى مركز قيادته

العامة في بلِس ليستشيرنا في حالة الميدان الشرقي وانه في أثناء الزيارة الثانية أي في أواخر يوليو قطع رأياً في اعادة تنظيم القيادة في الميدان الشرقي . وعلى سبيل التعويض من المساعدة التي قدمنا للنمسا — المجر ، على الرغم من موقعة فردون والسوم ، طلبت القيادة العامة الالمانية والحت على هذه الدولة في تحسين حالة القيادة في الميدان الشرقي . وهل طلبت الا حقاً ! فاذا منطقة قيادتي قد توسعت حتى الى ناحية برودي شرق لمبرغ ووضعت عدة فيالق نمسوية مجرية تحت أوامري

وما لبث أن رددنا الزيارة لقواد الجيوش الحديثين الذين وضعوا تحت أوامرنا ولقينا استقبالاً ينمُّ على بشاشة وجه من أعضاء القيادة النمسوية — المجرية الذين أقروا بضعفهم بحرية . لكن هذا الاقرار لم تتبعه في كل مكان أعمالٌ ناشطة من شأنها مداواة هذا الضعف الكمين. مع ان هذا الجيش المتباينة رجاله كان بأمسِّ حاجة الى أن يكون تحت سلطان مطلق وتحت ارادة واحدة والاّ خيف أن يجري أحسن دمٍ في عروقهِ عبثاً وأن يهراق هذا الدم هدَراً

ان امتداد خط أعمال قيادتي حملني على ان أنقل مركزي العام الى الجنوب وأقيمه في برست — ليتُفسك . وثمت في ٢٨ اغسطس في ساعة الظهر تناولت من جلالة الامبراطور أمراً بالذهاب، ما استطعت الى الاسراع سبيلاً، الى مركز قيادته العليا . أما الباعث على هذا الامر فقد قال رئيس الديوان الحربي بالتلفون : « الحالة تستدعي النظر »

فوضعت السماعة وفكّرت في فردون وفي ايطاليا وفي بروسيلوف وفي الميدان النمسوي وفكّرت أيضاً في النبإِ الجديد الذي انتهى الينا قريباً وهو : « رومانيا شهرت علينا الحرب » . ما أحوجنا الى العزيمة والجلد !

القسم الثالث

منذ تسميتي في مركز رئيس اركان حرب جيوش الميدان الى القضاء على روسيا

سميت في القيادة العليا

رئيس اركان حرب جيش الميدان

ما هي أول مرة استقدمني اليه جلالة مولاي الامبراطور والملك نتناقش في الحالة الحربية وفي مشروعات الاعمال الحربية

وقد حسبت هذه المرة أيضاً ان جلالته يستدعيني الى بلس لأ بدي له بذاتي رأيي على مسألة محدودة ولما كنت على يقين من ان مقامي في مركز القيادة العامة قصير العهد ما حملت معي من الامتعة الا ما كان لازماً ضرورياً

وفي صباح ٢٩ اغسطس بلغت بلس مع رئيسي في أركان الحرب. وقابلني

على المحطة باسم الامبراطور رئيسُ الديوان الحربي وأول ما أعلمنيه ان في نية جلالته ان يرقينا أنا والجنرال لودندرف الى أعلى المناصب

ولقيت امام قصر بلس مولاي المعظم . انه كان ينتظر جلالة الامبراطورة قادمة عليه من برلين وتصل الى بليس بُعيد وصولي. فحيّاني الامبراطور حالاً وقد اسند اليَّ لقب رئيس أركان حرب جيش الميدان وحيّا الجنرال لودندرف مسنداً اليه لقب الرئيس الاعلى العام وكان المستشار قد جاء أيضاً من برلين فما كان أقلّ مني تعجباً لما خبّره جلالته امامي اني سُميت رئيس اركان الحرب . اني اذكر هذه الامور كما وقعت لان أحاديث الخرافة قد نسجت على هذه الامور خيوطها !

وبُعيد ذلك سلمني سلفي أشغاله وبسط اليَّ الجنرال فون فلكنهين يده وهو قائلٌ لي : « أيّدك الله وأيّدتك بلادنا ! »

ان امبراطوري الذي حفظ من سلفي ذكراً طيباً مملوءاً احتراماً له لم يعلمني — لاحين استلامي القيادة ولا بعده — الاسباب التي من أجلها استدعانا على الفور الى مناصبنا الجديدة . وما بحثت أنا عن معرفتها لاني ما كنت قطُّ ميّالاً الى التقصي عن هذه الامور التي ليس لها من شأن تاريخي . وحقيق بي ان أقول من جهة أخرى انه لم يكن لي في ذلك الحين وقت للاشتغال بأمثال هذه المسائل لأن الاحكام تلي الاحكام ليس من يوم الى يومٍ بل من ساعةٍ الى ساعةٍ

الحالة الحربية في أواخر أغسطس سنة ١٩١٦

كانت الحالة الحربية ، كما تبينتها ساعةَ قُلّدت منصب رئيس أركان حرب جيوش الميدان ، على ما ترى :

في الميدان الغربي ما كانت الحالة الآ لتبثّنا القلق. فردون لم تكن قدسقطت في أيدينا وقد أمّلنا ان قوة فرنسا العسكرية تُدقّ على الاقل بين قوس النيران القوية التي نصبناها حول ساحة الشمال والشمال الشرقي من فردون وهذا الامل أيضاً لم يحققه الواقع . وأخذت حظوظ النجاح في هذه الهجمة تتناءى عنا وتخوتنا غير أننا ما كنا قد رجعنا عن هذا الغرض

أما على السوم فكان العراك شاجراً منذ شهرين ونحن نهوي فيه من مأزق الى مأزق وخطوطنا مهددة في كل طرفة عين بخطر البثق والانثلام

وعلى الميدان الشرقي كان الروس قد انتهوا بهجومهم الى ذُرى الجبال في القسم الجنوبي من الكربات . ونظراً الى النتائج التي احتازوها الى ذلك اليوم ساورتنا ريبة بمقدرة القوات المهيأة للقتال في تلك البقعة وكفاءتها للتثبت امام هجمات جديدة وللاحتفاظ بهذا الحصن الاخير من البلاد المجرية

وكانت الحالة أيضاً في ما وراء بلاد الكربات الشمالية موترة الاوصال . أجل ان حملات الروس في هذه الجهة كانت قد خمد شرارها غير انه لم يكن مأمولاً ان يدوم هذا السكون طويلاً

ان هجوم النمسويين-المجريين زحفاً من التيرول الجنوبي قد أوقف اضطراراً على أثر تداعي ميدان غليسيا وتهدمه فانقلب يوم ذاك الطليان في دورهم يحملون على ميدان ايزنزُو . فاستنفد هذا الكفاح من جيش النمسويين-المجريين ما استنفد

لانه نازل العدو الذي يرجحه عدةً أضعاف في ظروف وحالات شاقة صعبة . بيد ان هذا القتال هو أهلٌ بأعظم الفخار والامجاد

ثم ان الحوادث التي كانت تقع حينئذ في البلقان كانت لها أهميتها الجلّى إن بالنظر الى الحالة العمومية وإن بالنظر الى الازمة الحاليـة . وبعد الفوز الاولي الذي حصّله البلغار بهجومهم الذي سألناهم في مقـدونيا على سرايل أرغموا على السكون وما نلنا الغرض السياسي الذي رجونا نيله من هذا الهجوم ألاَ وهو صـدٌ رومانيا عن الدخول في الحرب

أجل ان أعداءنا هم البادئون في أعمالهم الحربيـة في كل مكان . فحق؛ الانتظار لنراهم وقد أخاضوا جميع قواتهم في الوغى احتفاظاً بهذا التقدم . وليحملهم تطلعهم الى أن يروا الحرب تضع أوزارها قريباً وقد ضفرت لهم ا كاليل الظفر على ان يفرغوا قصارى جهدهم على جميع ميادين القتال ويبذلوا في ذلك أعظم الضحايا وقد لجّ الكل وألحوا في ضرب الدول الوسطى ضربة قاضية في حين كانت رومانيا تنفخ بأبواق النصر المعجّـل !

ان الاحتياطي الذي كان معبئاً يومئذٍ لدى الجيش الالماني والجيش النمسوي ـ المجري قليلٌ ضعيف . ولا سيما على التخوم الرومانية ـ المجرية التي كانت في وقتها أشد تهديداً بخطر. فلم يكن ثمتَ الاّ مراكز رقابةٍ ضعيفةٌ معظم رجالها من عمـال المالية والجمارك ! وفي داخل أقليم برنسلفانيا بعض فرق نمسوية — مجرية كانت تستريح . لكنها قد سحبت حالاً من المعركة بعد ان حلّ بها الخور والاعياء وانما معظم رجالها فلولٌ لا نفع في استخدامهم

والوحدات الجديدة التي قـد عبئت ونُظمت أو التي يجري تعبئتها في هـذا الأقليم كان العاملون فيها ضعافاً بحيث لم يجز التفكير في استخدامهم ليصدّوا الغزوة الرومانية صداً نافعاً

ومن هذا الباب كان الموقف على ضفة الدانوب الجنوبية أصلح حالاً لنا فقد

كنا شرعنا في تجييش جيش جديد مؤلفة وحداته من بلغار وأتراك والمان نحشده على تخوم دبروجا البلغارية وعلى أعالي ضفاف الدانوب وكان مجموعها كلها نحو سبع فرق متباينة القوى

هذا كل ما كان يمكننا ان نعبئه من الرجال لسد أوهى مكان من ساحات القتال في ميادين أوروبا وهو الحدود الرومانية ولكي نحصل على احتياطي آخر كان لا مندوحة لنا عن اقتطاعه من الفرق المقاتلة على سائر ساحات القتال أو الاستنجاد بوحدات خارجة من خطوط القتال منهوكة القوى تعوزها الراحة أو ان نلجأ الى تنظيم فرق جديدة لكن لو لجأنا الى الامر الاخير لما حسنت حالتنا وفضلت حالة أعدائنا لان أمر الإمداد بالرجال كان يتزايد خطراً لو بقيت الحالة في ميادين قتالنا على اتساعها أو زادت منفرجاتها

زد على ذلك ان إنفاقنا من الميرة والذخيرة كان قد بلغ مبلغاً عظيماً على أثر انبساط ساح المواقع وطول انتشابها حتى انه لكان يتعذر علينا مواصلة أعمالنا الحربية على كل الميادين لهذا السبب الوحيد . وسنأتي فيما بعد على الكلام عن الحالة في تركيا



الحالة السياسية

ارى الضرورة تدعوني الى أن آتي ليس فقط على ايجاز وصف تأثيراتي الاولى على الحالة الحربية بل أيضاً على انفعالاتي الأولى بالحالة السياسية العامة وأنا بادىء بحالة بلادنا الداخلية

في الساعة التي استلمت فيها ادارة الاعمال الحربية بدا لي ان الحالة النفسانية في الشعب الالماني لم تكن قد وهت ووهنت لكنها على الاقل مهددة جداً التهديد بالوهن. وما من ريبة في ان الحوادث الحربية التي وقعت في الاشهر الاخيرة قد خيبت آمال الكثيرين من الرجال عندنا . فضلاً عن ان مصاعب المعيشة اليومية كانت قد زادت وأوفت ولا سيما على الطبقة الوسطى التي كان عليها ان تقاسي مرارة الحياة في الامور الاقتصادية التي جارت عليها . فكانت جرايات الارزاق تتناقص يوماً فيوماً والمواسم المقبلة لا تبشر باقبال مشتهى

واعلان رومانيا الحرب علينا ألقى على عاتق شعبنا عبئاً جديداً فكان على الشعب ان يبرهن على ارادته في مواصلة الجهاد والحرب . على ان بلادنا كانت لا تنفكُّ عاقدةَ العزائم على الثبات . وما كان في مقدور أحد ان يعرف طول الثبات الادبي وقوته . لكن الحوادث الحربية المقبلة سيكون لها في تقلبها شأن حاسمٌ من هذا الوجه

أما عن علائق المانيا بسائر دول الاتحاد الرباعي فلو صُدّقت التصريحات التي نشرتها الصحافة الاجنبية لكنّا أسيادَ حلفائنا حلاً وربطاً فلقد ادّعوا وبالغوا في دعواهم انّا قابضون من النمسا المجر ومن بلغاريا ومن تركيا على اعناقها وأنّا لنخنقها خنقاً اذا لم تعمل بكل ما نريده منها . ومع ذلك فانه لا أبعد من الحقيقة ولا أشنع

تشويهاً لمحياها من هذه التصريحات . فاني أعتقد واعتبر ان رجحان انجلترا على المانيا لايبدو أجلى بياناً واصرح ظهوراً في مكان جلاءه في مقابلة النفوذ الذي مارسته هاتان الدولتان من الوجهة السياسية على حلفا ئهما

مثال ذلك لو ان ايطاليا الرسمية جرؤت في حينٍ من الاحيان ان تبدي، بغير قبول من بريطانيا العظمى ، استعداداً للصلح لما كان يكون من انجلترا الا ان تهددها بحرمانها الاقوات والارزاق لترغمها على مواصلة سياستها الاولى . وقد كان موقف انجلترا ازاء فرنسا بمثل هذه الشدة وهذا التسلط . أما روسيا وحدها فقد كانت تنعم من هذا الوجه بحرية أوسع حداً وهذه الحرية التى نعمت بها دولة القياصرة هل كانت مطلقةً من الوجهة السياسية ازاء انجلترا لوسائل اقتصادية ومالية؟ فكم كان موقف المانيا من هذا الوجه مرجوحاً !وما هي الوسائل السياسية أو الاقتصادية أو الحربية التي كانت في قبضة يدنا لنقف سداً في وجه ما كانت تحاوله احدى حليفاتنا من الميل العارض عن حليف الى حليف ؟ انه لم يكن لنا من وسيلة لنبقي هذه الدول الى جانبنا . ولو انها لم تشعر انها مقيدة بنا بمحض ارادتها ومهددة بخطر الدمار والهلاك لكانت خلّتنا وشأننا

ولست متردداً في الالحاف في هذه المسألة التي لاجدال فيها لانها كانت سبب ضعفٍ خاصٍ في حالتنا العمومية

والآن نسوق الحديث عن كل حليفٍ من حلفائنا

ان الحالة السياسية الداخلية في النمسا ـ المجر كانت قد تفاقمت جداً في غضون صيف ١٩١٤ . وقبيل وصولنا الى بلس ببضعة أسابيع لم تكن حكومة النمسا ـ المجر قد أخفت عن حكومتنا ان السلطنة الدانوبية لايسعها تحمُّل تفاقم الحالة التي يمكن ان يجره خذلانٌ جديد في ميداني القتال والسياسة . وما أشدّ ما كان ضياع الامل من حبوط الهجوم على ايطاليا بعد ان كانوا عللوا السكان منه بآمال واطماع واسعة . وكان من سرعة سقوط الدفاع في ميدان غاليسيا وفولهينيا أن تولّد في عامة الشعب

النمسوي-المجري تشاؤم مقلق تردد صداه حتى في المجالس النيابية

ولا غروَ ان دوائر الحل والربط في النمسا-المجر قد نالتها مفاعيل هذا التشاؤم . وفي الحقيقة ما هي أول مرة أبدت فيها هذه الدوائر اراءً مقلقة انتهى همسها حتى الينا

أجل أن هذه الدوائر كانت ضعيفة التعويل على نفسها . وبما انهم لم يكونوا يدرون كيف يستجمعون كل قوى الامة امتهنوا عظمتها وحطوا من اخطارها . وأنا اذا قدمت هذا الحكم فما أنا منكرٌ ان العقبات السياسية في السلطنة المزدوجة كانت أعظم كثيراً من المصاعب التي لقيتها بلادنا نفسها . ان أمرَ الأقوات في النمسا—المجر كان خطيراً أما الذين قاسوا مرارة الشقاء فانما هم سكان الاراضي النمسوية—الالمانية ومن رأيي انه لم يكن لدينا من علةٍ ما ان نتحذر من أمانة النمسا-المجر لتحالفنا على انه كان لا بد لنا ، مهما كلفنا الامر من المشاق ، ان نتوسل بالوسائل لنخفف باسرع ما وسعنا ، عن الشعب النمسوي العبء الذي كان يبهظ عاتقه

ان الحالة السياسية الداخلية في بلغاريا كانت على خلاف حالة النمسا - المجر ويمكنني ان أقول انها كانت أقوى دعامة من الوجهة الوطنية . فهذه البلاد كانت تقاتل لا لتجمع الى المملكة البلغارية جميع اخوانها بالذرية لكن ليكون لها السيادة النهائية في البلقان . فالمعاهدات التي كانت بلغاريا قد أبرمتها مع الدول الوسطى ومع تركيا والفوز الحربي الذي قد أدركته ظهرت تؤيد لها ضمانة تحقيق أعظم أمانيها تحقيقاً كاملاً . لكن لما دخلت الحرب العالمية كانت هذه البلاد لا تزال بادية الاعياء مما نالها من حروب البلقان الاخيرة

ثم انه لما أعلنت حرب ١٩١٥ لم يكن تحمس الشعب البلغاري عاماً شاملاً وعظيماً بقدر ما كان تحمُسه سنة ١٩١٢ ففي ١٩١٥ دفع الى الحرب لا تغريه بها نزوة وطنية وانما ساقه اليها تدبير رجال مملكته ثم لم يكن ما يدعو الى العجب بأن نرى الشعب البلغاري - وقد بسط يده على جميع التخوم التي كان يطمع بها - مرتاحاً الى غنمه خامد الرغبة في استئناف حروب جديدةٍ . ان تردد بلغاريا الذي أبدته في

اعلان الحرب على رومانيا — ولم يكن اعلان الحرب هذا قد وقع حين وصولي الى بلس—هل كان الباعث اليه فقط حالة الشعب البلغاري النفسانية ؟ انه لحقيقٌ بي ان اشك فيه حتى اليوم . ان موقف بلغاريا من وجهة التموين والارزاق كان حسناً اذا قابلناه بموقف المانيا

وخلاصة القول قد كنت احسبني على حق في آمالي بأن اتحادنا مع بلغاريا قد يكون لنا منه يوماً بعض التفريج من الوجهة الحربية

والثقة التي كانت لي في تركيا ما كانت أقلَّ رجاحـةً . ان الدولة التركية دخلت حومة الوغى غير طامعةٍ في توسيع دولتها السياسية . فرجال القيادة والتدبير فيها وفي مقدمتهم أنور باشا كانوا قد أدركوا جلياً انه في الصراع الذي شجر سـنة ١٩١٤ ما كان يمكن ان يكون للحيدة شأن بما يلامس تركيا .فما كان يعن لخاطر بشر أو يُتصور قطُّ ان روسيا والدول الغربية قد تحتفظ على الدوام بالتدابير المحصورة المقيَّدة فيما يتعلق بالانتفاع بالبواغيز .ان الدخول في المعمعة كان لتركيا أمر حياة أو موت كما كان لنا بل هو أبين صراحةً تقريباً . وقـد خدمنا أعداؤنا باعلانهم ذلك من البدء جهاراً وجلاءً

ان تركيا قد أبدت في هذا العراك قوةً أعجبت العالم باسرهِ فالنخوة التي دبرت بها القيادة والاعمال الحربية قد ادهشت الاصدقاء والاعداء فقد أوقفت على جميع الميادين الاسيوية من الاعداء قوات مهمةً امامها . وكثيراً ما انحوا باللوم في المانيا على القيادة العامة على انها فرطت بنواتها الخاصـة لمدّ قوة تركيا المحاربة . لكن الذين يرون هذا الرأي ينسون أنه بمعاضدة تركيا قداتحنا لها ان تثبت — بعيداً من ساحات القتال في أوروبا الوسطى — امام عـدة مئات الالوف من المقاتلة الذين هم من خيرة رجال أعدائنا

يستعيد تعبئته وتنظيمه على وفرة ما ناله من الخسران في حين ان الجيش النمسوي ما كان ولن يكون له بذلك قبل

ثم ان روح الجرأة على الهجوم في النمسا ـ المجر قد استحال شعوراً سريع التأثر شديد الانفعال والتخوف من الجموع الروسية . وبدت مصاعب لا تذلل ذهبت بكل جهد بذلته القيادة النمسوية العليا لتعتاض من الآفات التي نزلت بجيشها . وأراني غير منقادٍ الى ذكر هذه المصاعب واحدةً واحدةً غير اني أريد ان أطرح هذا السؤال : كيف يمكن ان تتوصل القوى البشرية ان تبعث في مزيج شعوب السلطنة الدانوبية هزّة تحمس جديدة تجمع جميع قوات الامة الى ارادة واحدةٍ للقتال والدفاع في حين ان أول زهرة الارادة والحماسة والتعويل على النفس قد قطعت وذبلت ؟ كيف كان يمكن خصوصاً ان يستعيدوا تنظيم فئة الضباط التي نال منها الهجوم الاول ما نال وكيف كان يمكن ان يرجعوا اليها ولو شطراً من سالف فضائلها؟ ولا تنسَ أن النمسا ـ المجر ما رتبت قطُ قواها العقلية فيتمّ لالمانيا ان تستفيدَ منها كثيراً وطويلاً

وانه لخطأ التسليمُ بأن جميع وحدات الجيش النمسوي ـ المجري قد تنقصت اقدارها على السواء فان السلطنة الدانوبية بقي لديها حتى الى أواخر الحرب عددٌ من الوحدات المنخوّة . لكنه صحيح انه في شدة الايام العصيبة بدا ميل بيّن الى تشاؤم لا مبرّر له بين نفر غير قليل في الجيش النمسوي ـ المجري. والقيادة النمسوية العليا ذاتها مُسّت بهذا الميل وهذا هو السبب الوحيد الذي يفسّر : لماذا كانت حليفتنا ـ حتى بعد هجمات باهرات النجاح ـ تهي ارادتها عن القتال في حين ما كان يتوقع ذلك منها وتنقلب الى ارادة مخالفة

ان هذه التقلبات بطبعها كانت تدخل ضرباً من الريبة والحذر على تعليمات قيادة الحرب السامية . فما كنا قطُ آمنين من أن وهناً يطرأ بغتة على قسم من الجيش النمسوي ـ المجري فيوقفنا على حين غرة مواقف جديدة ويفسد علينا جميع

خططنا الموضوعة

أجل ان وحدات جميع الجيوش قد يطرأ عليها مراراً ساعاتُ ضعفٍ ووهنٍ والسبب فيها الطبيعة البشرية . وعلى القيادة ان تحتاط له حيطته كأنه واقع لـكنها لايسعها ان تحدّد نطاق اتساعه . والجنود المرّسون على القتال يتغلبون في معظم الحين سريعاً على ساعات الضعف هـذه وان نزلت بليّةٌ وعمّت فيحتفظون على الاقلّ في صفوفهم بنواةٍ تبقيٌّ على ميزتهم الحربية المقاتِلة وعلى ارادتهم في الثبات . لـكن الويل اذا حُطمت هذه النواة أيضاً ! هذا الشرّ الهادم المقوّض يستولي لا على جميع الجحفل الذي مسّه بل على ابســل الوحدات الملاصقة له وأشـدّها مناضلةً ومقاومةً . فهذه الوحدات التي تفاجئها النكبة من جوانبها ومن مؤخرتها ليحلّ بها من الشدة فوق ما يحلّ بالوحدات التي هي دونها ثباتاً ومقاومة . هذا ما وقع غالباً ، من سوء البخت ، لوحـداتنا التي أدمجناها في الميــادين النمسوية ـ المجرية لتدعمها وتؤيدها . أفمن العجب ، والحالة كما قدمنا ، أنّ جنودنا لم يستوثقوا دائماً باخوانهم النمسويين — المجريين ؟

لـكن في الجملة ليس حقيقاً بنا ان نحطّ من قدر العمل العظيم الذي أتته النمساـ المجر في هذا المعترك الرائع . ولا نستهوينّ الى شعور المرارة الذي أحدثته فينا مراراً ضيعة آمالٍ وخيبة رجاء . ان السـلطنة الدانوبية لتظلّ انا أخا قتالٍ صادقاً وأميناً فلقد أحيينا معاً آونة مجدٍ وفخار فعلينا ان نتجنب الفراق أدبياً في مثل هذا العهد عهدِ النحوس المشتركة !

أما الجيش البلغاري فقد كان على غير تنظيم الجيش النمسوي — المجري . انه كان وطنياً محضاً وفي أثناء الحرب العظمى قد لحقت به خسارة قليلة نسبةً حتى الى أواخر سنة ١٩١٦ لكن لـكي يُعرف مقدار هذا الجيش حق معرفةٍ لاينبغي ان ينسى انه قُبيل بضع سنوات قد خاض غمار حرب دامية قُضي فيها على معظم فئة ضباطه التي انما هي نخبة الشعب العاقلة الرشيدة ولقد كان يصعب على بلغاريا ، على الاقل ،

كما صعب على النمسا والمجر ، ان تستعيد تنظيم فئة ضباطها . ان بلغاريا في مدنيتها القديمة نسبةً كان يعترضها مصاعب في ادخال واستعمال وسائط عديدة للقتال والنقل على جيشها وهي ضرورية لازمة في حرب حديثة . وقد شعرنا بنقص هـذا الوسائل لما وقف امامنا في الميدان المقدوني وحدات فرنسوية ــ انجليزية ذات ميزة وخطر حقيقيين. وهذا السبب الاخير كان وحده كافياً لئـلا يعجب الناس من اننا أمددنا بلغاريا ليس بتقديمنا لها الوسائل المادية بل أيضاً بتقديم رجال

وحالة الجيش التركي كانت أيضاً على خلاف حالة الجيش النمسوي ــ المجري والجيش البلغاري فان بعثاتنا العسكرية قبل الحرب ما كاد يتسع لها وقت لتُشعر هذا الجيشَ بنفوذها واحرِ بها ان لا تكون قد استطاعت ان تحدث تحسيناً قاطعاً في نظامها المرتبك . على ان تركيا توفقت الى تجنيد عدد عديد من الوحدات لـكن جيشها قد قاسى كـثيراً جداً في الدردنيل وفي هجماته الاولى في ارمينيا غير انه كان يبدو كفؤاً للقيام بالمهمة الاولى التي وكلتها اليــه قيادة الحرب السامية ألا وهي الدفاع عن الاراضي التركية

حتى انه مع مرور الايام رأينا في المـكنة ان نستخدم أجزاءً مهمة من الجيش التركي على ميدان القتال الاوروبي . أما المساعدة العسكرية التي كـنا نقدّمها لتركيا فـكانت محدودةً بتقديم عتاد الحرب وارسال الضـباط العـديدين . وأما البعثات الالمانية التي وزعناها على ساحات القتال الاسيوية فأخذنا نسترجعها رويداً رويداً الى أوروبا منذ خريف ١٩١٦ وبرضى مركز القيادة العامة التركية على مقدار تدرّج الجيش التركي الى ان صار الى حالةٍ تؤهله لاستخدام هـذه المعدات والانتفاع بها

وقد قدّمنا من أوزار الحرب حتى الى السنوسيين على شط افريقيا الشماليـة واستغنَّا لذلك بغواصاتنا التي حملتها اليهم ولا سيما البنادق والذخائر ولئن تـكن هذه الارساليات ضئيلةً أهميتها فقد كان لها مع ذلك نفوذ عظيم على الروح الحربي في القبائل المحمدية . وفي الحال لا يمكن تحديد النتائج العملية التي أدّاها لنا قتال هذه

القبائل واعلها كانت أعظم مما زعمنا في ذلك العهد

وقد حاولنا ان نمدّ يداً ناجدةً الى رفاقنا بالسلاح حتى الى ما وراء شطوط أفريقيا الشمالية . ومن بين الاقتراحات التي قدمت لنا استصوبنا فكرةً عرضها علينا أنور باشا في سنة ١٩١٧ ومؤادها ارسال مساعدات مالية الى قبائل اليمن التي استمرت على ولائها لسلطان الاستانة

ولما كانت بعض القبائل الرّحل العاصية في البادية العربية تصدنا عن بلوغ هذه البقعة من طرق البر . ولما كانت غواصاتنا من جهة أخرى لاتستطيع الوصول الى شواطىء البحر الاحمر بسبب ضيق نطاق أعمالها لم يبقَ امامنا الا طريق الهواء لتنتهي الى اليمن . لكن من بواعث أسفي الشديد أننا ما كنا نستغني اذ ذاك عن منطاد تتيقن من تغلبه على المصاعب الجوية في رحلة فوق القفر الشاسع . وعليه فقد اضطررنا الى العدول عن هذا المشروع . ولما كان الشيء بالشيء يذكر فخليق بي ان اذكر اني في سنة ١٩١٧ كنت أراقب بكل انعام نظر ولذةٍ التجربة التي فعلناها لنمدّ فصائلنا في افريقيا الشرقية من طرق الهواء بالسلاح والعقاقير . فقد أرغم زبلين ، كما هو في علم الجميع ، ان يدور نصف دورة فوق سماء السودان لان فصائلنا في هذه الغضون كانت قد توغلت نحو الجنوب ونقلت أعمالها الحربية نحو الشرق الافريقي البرتوغالي . فلا حاجة لي فاذكرَ بأيّ عواطف العجب قد تتبعت بالفكرِ الاعمالَ العظيمة الباهرة التي اتمّها هذه الفصائل الباسلة في أبان الحرب . لقد رفعوا على الارض الافريقية أثراً خالداً يرمز الى مجد الشجاعة الالمانية

اذا القيت نظرة الى الوراء لاحيط بالعمل الذي اتمه حلفاؤنا علماً وجب عليَّ الاقرار بأنهم بذلوا قصارى الجهد في خدمة قضيتنا الكبرى المشتركة على مقدار ما سمحت لهم طبيعة قواهم السياسية والاقتصادية والعسكرية والادبية . حقاً انهُ ما من أحدٍ منهم بلغ المثال الاعلى . واذا كنا نحن الالمان قد دنونا من هذا المثال الاعلى اكثر من سائر حلفائنا فانما تمّ لنا ذلك بفضل سلطان قوانا الادبية . غير

اننا في بدء الحال ما كنا نفقه من أنفسنا جميع عظمة هذه القوى التي استجمعناها في السنوات العشر الاخيرة من تاريخنا . فقد كانت كامنةً في جميع طبقات شعبنا ولم تكن خامدة لكنها حيةً وكانت تزداد كل يوم قوةً

فما هو الآن متى كانت حكومةٌ بأسرها صحيحة الآداب ومتى كانت القوى السليمة التي تعضدها وتنعشها قد صارت قادرة على ان تسيّر معها القوى العليلة ، اذا حمت الحاجة ، — يمكنها اذ ذاك ان تفكر في اتيان أعمال مجيدة كالتي أتممناها . تلك مآثر قد جاوزت كثيراً حدّ الواجبات التي كانت تتقاضاها منا معاهداتنا

فاذا كان لنا هذا فالفضل فيه ، كما يشهد عليه التاريخ ، معزوٌّ الى آل هوهنزلرن ولا سيما الى أمبراطورنا غليوم الثاني في الايام المتأخرة التي بلغت فيها عظمة المانيا أوجها الاعلى

ان هذا العاهل الذي يحافظ على تقاليد بيته قد ادرك ان جيشه كان لشعبه أفضل مدرسة للتربية فاجتهد وكدّ بلا ملل لتكميلها وتكبيرها وهكذا كان الجيش الالماني في العالم أولاً : قبل الحرب حمايةً منيعةً للاشغال الحرة . وبعد الحرب نواةَ كل مظاهر القوة

بلس

بلس المدينة الصغيرة في سيليزيا العليا كانت القيادة الالمانية العليا قد سبقت تختارها لها مركزاً موقتاً في الايام التى تقدمت الحرب وكان الحامل على هذا الاختيار جوارها لمركز القيادة النمسوية - المجرية العامة الذي كان فى مدينة تيشن في سيليزيا النمسوية . ولقد كانت الفوائد الناتجة من امكان سرعة التفاوض شفاهاً فما بين القيادتين والتفاهم عظيمةً حتى رأينا الصلاحَ كلَّ الصلاح ان نستبقي مركز قيادتنا العامة في بلس

ومن طبيعة الحال كانت القيادة الالمانية العامة متابَ جميع أمراء الالمان والحلفاء الذين يريدون ان يفاوضوا شخصياً مولاي الامبراطور في المسائل الحربية والسياسية. وبين الامراء الذين تشرفت بمقابلتهم في بلس خليق بي ان اذكر القيصر فرديناند البلغاري. تمثل لي فيه رجل سياسة محنك ونظره السياسي يتجاوز الى أبعد من التخوم البلقانية وفي المسائل الكبرى التي تلامس سياسة العالم كان يعرف بخبرة الحكيم ومهارة المدرَّب ان يقدّم الى المقام الاول حالة بلاده ويلقي عليها شعاعاً من نورٍ ليظهرها للملإ بمظهر الاكبار . وكان من رأيه أن مستقبل بلغاريا يجب ان يُبتّ فيه في غضون الحرب الحالية . فكان يريد ، بلوغاً لهذا الغرض ، ان يحرّر بلاده من سطوة النفوذ الروسي ويضمّ كل الاهلين من السلالة البلغارية تحت ادارته الوحيدة. واني ما تبينت من أحاديث فرديناند انه نازع بسياسته الى غير هذه الاغراض

أما الطريقة التي سلكها مولى البلغار في تربية ابنه البكر السياسية فقد أثرت فيَّ تأثيراً خاصاً . فقد كان وليّ العهد بوريس على نوعٍ ما حافظَ سرّ أبيه الملك الخاص وبدا لي انه على طِلع أسرار القيصر السياسية . والامير موفور ذكاؤه مستقيمة

أفكاره وآراؤه يقوم بالدور الهامّ المعهود به اليه قياماً حسناً بأتمّ ذوق واصون احتراس والظاهر ان والده كان يحرص على السهر عليه من هذا الوجه

والقيصر كان يستقلّ وحده بتدبير وادارة المسائل الكبرى في سياسة أمبراطوريته الخارجية ولا يسعني ان أقول الى أي مقدار كان قابضاً على السياسة الداخلية المستصعبة في بلاده . لكني أظنّ انه كان يُشعر بارادته حتى انه في بعض الاحيان ليلجأ الى الوسائل « الاوتقراطية » في وسط الفوضى السائدة في المجلس التي كانت تمزّق بلغاريا أحياناً . ومن هذا الوجه كانت مهمته شاقة صعبة . ان البلغار، كجميع شعوب البلقان ، كانوا قد انتقلوا من العبودية الى الحرية السياسية المطلقة ثم انهم لم يكونوا قد نشأوا على شيء من التربية السياسية وجهلوا النصب المعي الذي يستلزمه الانتقال من حالة الى حالة . ومن ثمّ فاني لاأخشى ، على هذه الشعوب المزدانة غالباً بحسن الشمائل ، ان تقاسي مدة سنين طويلة نتائج هذا الانتقال ، لم يَتوفر لها فيه زمنٌ للتربية السياسية

وعلى كل حال ان ملك بلغاريا كان في ذلك الحين من أعظم الملوك شأناً . وقد سلك أزاءنا مسلك حليف أمين

مات الامبراطور فرنسوى جوزيف في اثناء مُقامنا بيلس . فكان موته خسارة على السلطنة الدانوبية كما كان خسارةً علينا خسارةً لا يمكن ان تقدر اقدارها بكل عظمتها الاّ في مستقبل الايام . ولا ريبة في ان موته قطع أمتن الروابط التي كانت تضمّ جميع شعوب السلطنة المزدوجة . أجل ان شطراً عظيماً من الوجدان القومي في هذه الامبراطورية المتباينة الشعوب قد نزل الى القبر مع الامبراطور الشيخ النبيل

والمصاعب التي وقف امامها الامبراطور الجديد الفتى يوم علا العرش لا يمكن ان تُقابل في جسامتها وتباينها بالمصاعب التي تنشأ عند تغير مولى في أمبراطورية جميعُ سكانها من ذرية واحدة . فحاول الامبراطور الجديد ان يستعيض من خسارة السلطة الادبية وروح التضامن التي سببها موتُ الامبراطور فرنسوى جوزيف بأن

تنازل عن امتيازات لعامة شعبه . خال أن الامتيازات السياسية التي يؤديها تحدث تأثيراً أدبياً حتى في العناصر التي كانت تجدّ سعياً وراء تقويض الحكومة . فهذه الواسطة أخطأت غرضها كلّ الاخطاء لان هذه العناصر كانت من زمن قديم قد عقدت ميثاقاً مع أعدائنا وكانت بعيدة الميل الى الرجوع عنه مختارة

ان العلاقات الشخصية التي أتاح لي مقامي فى بلس ان أشدّ أواصرها مع الكولونل-جنرال كنراد فون هتزندُرف زادتني تشبثاً بالفكرة التي كنت قد حُكتها من قبل فيه بصفته جندياً ونقيبَ جندٍ . لقد كان الجنرال فون كنراد رجلاً جم المناقب وطنياً نمسوياً غيوراً من أشد المشايعين لنا في قضيتنا المشتركة

ومن الثابت الاكيد انه نحّى عنه جميع المؤثرات السياسية التي كانت ترغب في تنكيبه عن الجادة التي سار عليها والاقتناعُ رائده . وقد كان ذا خبرة وعلم في فنون الدفاع والهجوم ويستصفي له من ثانويات الامور التي لا شأن لها خطيراً جوهرَ المسائل الخطيرة المشتركة فيما بيننا وكان له بأحوال البلدان البلقانية وايطاليا اطلاعٌ وطول باع

والكولونل-جنرال كنراد ما كان يجهل أهمية المصاعب التي كانت تقوم عقبةً في وجه انبثاق روح وطنية واحدة في الجيش النمسوي — المجري وما ينتج عنها من أسباب الضعف غير أنه في وضع خططه الحربية العظيمة كان يقدر أعمال الجيش الذي أسند اليه قدرَه وفوقَ قدرِه

كذلك قد تعرّفت في بلس في غضون الخريف والشتاء الى قواد جيوش تركيا وبلغاريا

أنور باشا كشف لي عن رحابة صدر وبعد نظر عزيزين في أمر سير الحرب الحالية وطرق القيام بها . ان حمية هذا التركي على قضيتنا المشتركة هذه القضية العظيمة الجسيمة، كانت لاتحدّ بحدٍ ولست بناسٍ التأثيرَ الذي أحدثهُ فيَّ نائبُ القائد العام التركي فى أثناء حديثنا الاول في غرة سبتمبر سنة ١٩١٦ . بناءً على سؤالي بسط

انا حينذاك موقف تركيا الحربي ورسم لنا بجلاء وصدق عزيمة وحرية عجيبة صورة مفصّلةً عنه ثم التفتَ اليّ مستنتجاً وقال :

« في آسيا موقف تركيا في بعض النقاط صعبٌ . و بناخوف أيضاً من هزيمة أخرى تلحقنا في ارمينيا . وغير بعيد أيضاً ان تستأنف المواقع قريباً في ما بين النهرين وأظن أيضاً ان الانجليز يصيرون الى حالة تمكنهم من مهاجمتنا عما قليل بقوات ترجحنا . لكن مهما يقع في آسيا فانما الحرب قائلة قولها الفصلَ في أوروبا . ولهذا الغرض أنا أضع تحت تصرفك سائر فرقي المعبأة »

اني ما سمعت قطُّ حليفاً يحدّث حليفاً له بأصدق من هذه اللهجة وأبعدها عن الاستئثار وأنور باشا لم يقف عند حدّ الكلام

ان أنور باشا ، وإن يكن له في أمور الحرب على الاجمال مدارك عالية فقد كان ينقصه التعليم العسكري ، ويمكنني ان أقول ، تعليم العمل في اركان الحرب .وهذا نقصان يتراءى بيناً عند جميع القواد وفي جميع هيآت اركان الحرب التركية . وقد شعرنا بأن هذا هو عيب طبيعي لدى الشرقيين وظهر بأن الجيش التركي ما كان فيه الا نفرٌ قليل من الضباط العارفين بالدور الفني الذي ينبغي للقيادة ان تتحداه في تحقيق الاعمال الحربية الموضوعة وضعاً محكماً . ولم يكن في هذا الجيش تلك الفكرة التي هي لاركان الحرب ضرورةٌ لازمة وهي الاهتمام بكل التفاصيل في حين يهتمون بالخطط والاساليب الهجومية العظيمة فنتج أن غنى فكرة حلفائنا الشرقيين كثيراً ما بقيت عقيمة لانهم من الوجهة الحربية لم يكن عندهم حسَ الحقيقة الواقعية

وقريننا البلغاري قرين السلاح الجنرال جكوف كان ، من التركي الغزير الافكار ، على خلاف طبيعته . فانه كان رجلاً يعرف ان يرتب الامور بسكون وما كانت تنقصه الافكار العظيمة لكنه ما كان يريد ان يرى ابعد من البلقان . ولا يسعني ان أقول بالتدقيق الى أيّ حدٍ من هذا الوجه كان تحت تأثير حكومته . على كل حال قد كان من أشد الدعاة تحمساً لسياسته الخارجية . أما من حيث الوجهة

السياسية الداخلية فلم تكن افكاره متفقة مع أعمال هذه الحكومة

ان الجنرال جكوف كان يحب جنده وجنده يحبونه وكانت ثقته بهم كبيرة جداً حتى من الوجهة السياسية . وعجيبٌ هو تصريحه الذي قاله بهذا الشأن في ذات يوم تنوزعت فيه الرِيَب ليعرفوا هل الجندي البلغاري يمتنع عن قتال الروس : قال : « اذا قلت لرجالي البلغاريين ان يقاتلوا فعلوا ضد أيٍّ من كان ! » غير ان جكوف ما كان يجهل بعض ضعفٍ في جنوده وهو ضعفٌ ملازمٌ لاخلاق الشعب البلغاري وسأعود فيما بعد الى الكلام في هذا الموضوع

وأتيحت لي الفرصة في بلِس الى الدخول في علائق شخصية ليس فقط مع القواد العسكريين بل مع الرؤساء السياسيين من حلفائنا . ولا أريد الكلام هنا الا على الوزير الاكبر طلعت باشا ورئيس وزراء البلغار رادوسلافوف

وقع طلعت (١) باشا مني موقع رجل حكومة عبقرياً . وكان مدركاً كل الادراك

(١) في منتصف شهر ابريل سنة ١٩٢١ رمى طالب أرمني يدعى تيلريان طلعت باشا وهو سائر في عربة في برلين بشارع شرلوتنبرج برصاصة فأصاب منه مقتلاً فأرداه • وكان طلعت باشا يقيم مع حرمه في برلين منذ سنتين متنكراً تحت اسم صالح علي بك • وادعت الحكومة الالمانية ورجال الشرطة الالمان انهما لم يكونا واقفين على حقيقة الرجل وتؤيد هذا الزعم جريدة غازت دي فوس الالمانية قائلة انه لولا ذلك لكانت الحكومة الالمانية سلمته الى الحلفاء بموجب قرار معاهدة فرسايل القاضي بتسليم زعماء حزب تركيا الفتاة الذين لجأوا الى المانيا

وقد شيعت جنازة طلعت باشا في برلين على ما تقتضيه الاصول الاسلامية ووضعت وزارة الخارجية الالمانية على نعشه اكليلاً كتب عليه : « الى السياسي الكبير والصديق المخلص »

جسامة المهمة وجسامة الضعف في الدولة التركية واذا لم يفلح في اقصاء الانانية والخمول القومي اللذين اثقلا كاهل وطنه فالذنب واقع فقط على ضخامة المشاق والعقبات التي كان عليه ان يذللها . وما كان في حيز الامكان ان يصلح في بضعة أشهر ما كان مهملاً منذ أجيال وما كان مَعيباً من عهد بعيد قبل الحرب باختلاط الامم وبانحطاط عامة الامة انحطاطاً أدبياً

حدثني أحد وزراء تركيا السابقين وكان له بطلعت باشا معرفة ونواصل قال : كثيراً ما قال لي طلعت باشا اني لا أموت الا برصاصة

أما القاتل وعمره ٢٤ سنة فهو من سلماس في بلاد العجم وقد قبض عليه الشعب وسلمه الى رجال الشرطة بعد ان أوسعه ضرباً مبرحاً ألزمه الفراش فلم يتمكن رجال الشرطة من استجوابه الا بعد حين

وفي غرة مايو بدئت محاكمته في برلين فقال اني انما فعلت ذلك انتقاماً لأبوي اللذين قتلا بأمر طلعت باشا

وقد وصف شاهدٌ أرمني في اثناء محاكمة تيلريان مذابح الارمن وصفاً محزناً فقال ان الف أرمني أبعدوا الى القفار وذبحوا في الطريق فربط خمس مئة من الشبان والفتيات معاً والقوا في الماء ثم فصل الرجال عن النساء وحطمت رؤوسهم بالفؤوس واعتدي على عفاف النساء

وأيد هذه الشهادة استاذ وقال ان الذين قتلوا من الارمن بأشد قسوة مليون ومات جوعاً وضنكاً ٨٥٠ الفاً وعفي عن ٢٠٠ الف في الاستانة وازمير وحلب بتوسط الجنرال فون سندرس وقنصل المانيا في حلب وقال فون سندرس ان الضباط الالمان في تركيا حالوا دون المذابح حين استطاعوا الى ذلك سبيلاً

وقد برأت المحكمة في ٤ مايو سنة ١٩٢١ ساحة تيلريان قاتل طلعت باشا

أما طلعت باشا ذاته فقد كان نقيّ اليـدين حينما رقي على رأس الحكومة وما انفكّ نقيّ اليدين في استلام مقاليد منصبه . وقد كان ممثلاً حقيقاً بتركيا العريقة بقدمها الطائرة الشهرة بيسالتها اما في سياسته فكان حراً طليقاً لما لقيته لاول مرة سنة ١٩١٦ . وظلّ على حريته حين فارقنا في خريف ١٩١٨

ان ضعف الحكومة التركية ووهن قيادتها الحربية انما كان العلة فيهما ثقل التقيد بازاء الحالة الداخلية في البلاد . فان بعض الرجال السياسيين الطامعين الخائفين على مصالحهم الاقتصادية الشخصية وهم من اتباع الحكومة التي يقال لها حكومة الجمعيات كانوا يتداخلون في سير الاعمال الحربية وزاد ما غلّوا أيدي القيادة حتى ان هذه القيادة كانت عاجزة عن مداواة هذه الاغلاط التي تراها ولو انه تيسرت لها الوسائط المانعة . أجل ان بعض كبار الرجال فعلوا جميع ما هو في موسوعهم وقواهم الشخصية لكن سلطان الحكومة ما كان يبلغ كلّ نفوذه على جميع أجزاء السلطنة . ان قلب البلاد الذي هو الاستانة قد خفّ نبضه وضعف جداً وما كان يستطيع ان يرسل الى جميع الاقاليم البعيـدة دماً نقياً منعشاً نافعاً للامة . على انه في أبان الحرب كانت قد تولدت أفكار جـديدة والبستها انتصارات الدردنيـل ودجلة نشاطاً شرقياً محضاً . فبدأوا يفكرون في الوحدة السياسـية والدينية تضمّ كلّ الاسلام . وعلى الرغم من الاخفاق البيّن الذي حلّ بالمناداة بالجهاد المقدّس قد قاموا يبثّون الدعوات ليضموا الى صفوفهم المحمديين كمحمديي افريقيا الشمالية . لكن الحوادث بينت أنّ مظاهر التعصب الديني هذه لم تكن الاّ حوادث منفردةً . وان الامل بامكان بذر هذا التعصب في أقطار آسيا الشاسعة ما كان فقط أضـغاث أحلام بل خطراً حربياً جسيماً جداً

ان رادوسلافوف البلغاري كان أحطّ منزعاً في أفكاره السياسية من طلعت باشا الرجلِ العبقري واني لاستميح أن أشكّ في ان رادوسلافوف قد أدرك عظمة العمل الجريء الذي اقدمت عليه بلغاريا يوم انتظمت الى جانبنا سنة ١٩١٥

وربما كان يجدر بي ان أقول جميع العظائمة التي كان القيصر قد تدبرها . غير ان رادوسلافوف كان دائماً صادق السريرة لنا في سياسته الخارجية

ان عراك الاحزاب السياسية البلغارية قد حفظ ، إبان الحرب ، جميع تذدبه الوحشية حتى لقد تسرب الى صفوف الجيش ولم تكن أفكار الميل الى روسيا وحدها تخلق فيه الشيع والفرق فان العراك الشاجر بين الاحزاب السياسية المختاصمة كان قد حلّ أيضاً بين الاجناد ورؤسائهم . وما كان رادوسلافوف بريء الكف من هذه الحالة



الحياة في مركز القيادة العامة

انّما وقد علق بالاذهان شيء من أطوار حياتي الشخصية في أبان الحرب فاني راغب الآن ان أضيف هنا كلمة في وصف يوم من أيام أشغالي المعتادة في مركز القيادة العامة وأرجو ممن لا نروقهم هذه الصورة الصغيرة المدرجة فيما بين أعظم حوادث العالم واضخمها شأناً ان يتجاوزوا عن الصفحات التالية فليس في معرفتها ضرورة ماسّة الى تفهّم هذا العصر الحافل بجلائل الامور

في أثناء حرب التنقل التي وقعت في خريف ١٩١٤ في بروسيا الشرقية وفي بولونيا ما كان من الزمان متسع للنظر في وضع قانون منظم للاعمال في هيأة اركان حرب جيشنا وانه انما في شهر نوفمبر سنة ١٩١٤ بعد ان نقل مركز القيادة العامة الى بوزن امكننا ان نُدخل بعض الترتيب والتنظيم على ساعات العمل وعلى ساعات الفراغ ، اذا جاز لنا ان نستعمل هـذه العبارة في أيام الحرب . اما مُقامنا الذي طال عهده في لوتزن فقد ساعدنا على ان نضع حداً وقياساً لاعمالنا اليومية

ان تسميتي في منصب رئيس اركان حرب جيش الميدان لم تُدخل تغييراً جوهرياً على برنامج الاشغال الذي كنا قد وضعناه من قبل والفناه وخبرنا فيه الفائدة وان تكن حياتنا من ذاك الحين قد أصبحت أوفر انهما كاً في المشاغل وأوفى مرامي

ويوم الشغل كنت أبتدئه عادةً نحو الساعة التاسعة اذ تكون تقارير الصباح قد انتهت الينا . فاذ ذاك أمضي الى الجنرال لودندرف انقطع اليه فنتباحث في ماحدث على الحالة من التغيير وننظر في ما يجب اصدارهُ من الاوامر اذا قضت الحال

وفي أغلب الحين ما كانت هذه المفاوضات تستوعب الزمن الطويل فقد كنا كلانا مطلعين طِلع الحالة الحربية وأفكارنا وآراؤنا متبادلة فيما بيننا يعرف الواحد منا

فكر أخيه واذا وقع لنا ان نقطع حكماً كفانا في اكثر الاحيان ان نتداول بعض عبارات وقد تكون بضع كلمات وافية بالمرام حتى نكون على أوفى اتفاق يعتمد عليه الجنرال لودندرف في انفاذ الامر بما كنا قد جزمنا من الشؤون

ومتى تمت المفاوضة خرجتُ الى الفضاء اتنسم الهواء الرطب ومعي الضابط مراسلتي فاقضي ساعة أو بعض الساعة وكنت أدعو ضيوف القيادة العامة الى الخروج معي الى منازهي عند الصباح فاستوعي منهم شكاواهم كما استوعب اقتراحاتهم فأهوّن على الزائر ، وكثيراً ما كانوا ، همّ نفسه قبل ان ادعه يُقبل على رئيسي الاول يوسع عليه الاسهاب في سرد آرائه وأمانيه وخطرات أفكاره

وبعد ان أعود الى الدار التي فيها مكاتب أشغالنا انفرد بالجنرال لودندرف اباحثه في مسائل أخرى ثم يجيئني رؤساء دوائري يبلغوني تقاريرهم فاهم الى فيَّ في مكتبي

واذ اكون منهمكاً في أعمال الخدمة يقف الى جانبي من يفضّ رسائلي الخاصة ويرتبها . ان عدد الذين رأوا وجوباً عليهم ان يفتحوا لي قلوبهم ويستودعوني أفكارهم كتابةً في كل المسائل التي تخطر على بال بشرٍ كان عظيما جداً فما كان في طاقتي قطّ ان اقرأ كل كتاباتهم بنفسي فأحوجت الى استخدام ضابط يقوم بهذا العمل خصيصاً . وكان للشعر في هذا الرسائل ما كان للنثر من الشأن وفيها تتبين جميع درجات الحماسة وتبدو العواطف المتناقضة . ولعمري طالما صعب علينا ان نرى وجه المقابلة بين المسائل التي كانوا يحدثوني بشأنها و بين أعمالي الرسمية . ومن بضعة ألوف اجتزىء بذكر مثلين ما كنت لافهم ما يكون من شأني فيهما باعتبار أني رئيس اركان حرب جيش الميدان الالماني . في الواحد طلبٌ معجل ، طبعاً ، برفع الاقذار من مدينة في الاقاليم والآخر بشأن ضياع شهادة ميلاد امرأة شيلية من أصل الماني . غير أنّ في كلتا الرسالتين طلبَ وصاية ومساعدة . والحق يقال ان مثل هذه الرسائل لدليل بيّن على ثقة واسعة في نفوذي الشخصي وان تكن هذه الثقة في بعض الاحيان عن سذاجة طبع . وكنت متى انفسح لي الوقت أو حانت لي فرصة

أؤيدُ المطالب التي تنتهي اليَّ مرتاحاً ، على الاقل ، بتوقيعي . وكثيراً ما رأيت من الحكمة والصواب ان امتنع عن الشفاعات الخصوصية التي هي أهمُّ من هذه

وعند الظهر كنت أدعى كلَّ يوم لارفع الى جلالة الامبراطور تقريري وكان الجنرال لودندرف يرافقني فيشير الى الحالة اشارة عامةً ومتى دعا الامر الى ما هو أهمُّ وأجلُّ في بتِّ حكم استأذنت في الكلام وطلبت الى جلالته ان يشاء فيوافق على خططنا على قدر ما تدعو اليه الضرورة

وكانت ثقة الامبراطور فينا عظيمة حتى كانت تعفينا عن طلب موافقة على كل المسائل التي ليس وراءها أهمية جوهرية . غير انه عند ما كنت ارفع اليه مشروعات جديدة للاعمال الحربية كان يكتفي في اكثر الاوقات بما اعرضه عليه من أمر تصويبها وما اذكر خلافاً واحداً لم نمهّده بعد ان نتبادل الرأي والبرهان . وكان الامبراطور قويَّ الحافظة جداً يذكر جميع الحالات الحربية وهذا كان يساعدنا كثيراً في بيان تقاريرنا وما كان جلالته يكتفي بتعمق درسَ الخارطات بل كان ينقل مذكراتٍ له خاصةً وغالباً ما كنا نتحين فرصة تقديم التقارير في ساعة الظهر لنتفاوض امام الامبراطور مع ممثلي الحكومة

وبعد تقرير الامبراطور كنت أمضي الى المائدة فيلتئم حولي ضباط اركان حربي الخاصّ فلا نطيل الوقت الاّ بما تقتضيه الحاجة من الطعام رغبةً في ان افسح المجال لضباطي فأمكّنهم بعد الاكل من أن يريحوا ساعةً أو يقيلوا . وكثيراً ما اتفق لي أن اعتذرت الى الضيوف على مائدتي عن قصر الوقت الذي ما كان يسعني ان اطيله . فاني كنت أرى وأوثر بقاء ضباطي على حالة تمكنهم من اتمام اعمالهم على المجاملات واللياقات الاجتماعية . لانه لاينبغي ان يندّ عن البال أن زمن الشغل المطلوب من معظم الضباط كان يتجاوز الست عشرة ساعة كلَّ يوم وهذا في غضون حرب بضع سنوات ! فقد كان علينا في مركز اركان الحرب ، كما هي الحال تماماً في الخنادق ، ان نستخدم كلّ قوانا البشرية الى الحدّ الاقصى

وكما انقضى عليّ صدرُ اليوم ينقضي بعد الظهر ونبدأ طعامالعشاء الساعة الثامنة وهذا الوقت لتاخير الاوقات والراحة نجتمع بعده في سمرٍ الى الساعة التاسعةوالنصف فيدخل علينا اذ ذاك الجنرال لودندرف يشير الينا بالانصراف وكثر ما احتدم الجدال في مسامراتنا بين صحبنا القليل

ولم يكن في أحاديثنا مسحة التذبذب والكلفة وكنا نتناول جميع الامور التي لها بنا علاقة لازمة أو هي من المسائل العمومية . اما البهجة فكان لها مقامها مرعياً فقد كنت أحسب من واجبي نحو أعواني أن أُدخل عليهم هذه البهجة وأتمها عليهم وقد كان يسرّني أن اسمع عن ضيوفي أنهم مُعجبون بمـا فينا من موادعة الثقة من جهةٍ ومن جهة أننا لا نتكلف الترَمُّمَ والحشمة في علاقاتنا

وحين ينفضُّ مجلسنا في المساء نذهب معاً الى مكاتبنا فتكون تقارير آخر النهار قد وضعت عليها وقد دُلَّ على مواقع الميادين المختلفة بشعارٍ على الخارطات فيتولى ضابط من اركان الحرب فنيّ شرحَ ما هو لازمٌ شرحه . اذ ذاك اعتمد على أهمية الحوادث التي وقعت في ذلك اليوم على ساحات القتال جميعها لاقطع في الامر : أواجبٌ عليّ ان اباحث في ذلك الجنرال لودندرف مفصّلاً أو ان احفظ ذلك الى زمنٍ آخر ؟ ثم ينكبُّ ضباط اركان حربي الخاص على أعمالهم وفي مثل هذه الساعة فقط كان يتفق لنا أن نضع الخطط الاخيرة التي نتفقُ عليها فتدون ثم نرسل التعليمات الاخيرة أو تنتهي الينا المطالب أو الاقتراحات أو المشاريع لايحصرها العدّ . فما كان شغلنا اليومي يتمّ قبل منتصف الليل . أما التقارير التي كان يرفعها رؤساء الدوائر الى الجنرال لودندرف فكان يذهب بها الزمن الى الساعات الاولى من اليوم الثاني. وما هو إلاّ ، اذا كانت الحالة هادئةً جداً ، أن يسعَ رئيسي الاعلى مغادرة مخدعه قبل نصف الليل ليعود اليه في الساعة الثامنة من غدٍ . وكان يشملنا السرور جميعاً يوم نرى الجنرال لودندرف قد استطاع أن يمدّد قليـلاً ساعات راحته ومهما تطل لاتتجاوز بضع ساعات. وكنا جميعاً نتشاطر تلك الحياة وذلك العمل وتلك الافكار

والانفعالات . وان هذه الذكرى لتملأني حتى اليوم ارتياحاً واعجاباً

وفي الجملة قد كان مجتمعنا محكماً سرّه ولمـا كان من الضرورة ان نسير فيه الاشغال بنظام ودقةٍ ندرَ فيه التغيير والتبديل وما وسعنا الاّ ، من حين الى حين ، أن ننظر في الطلبات يلحّ فيها الضباط الراغبون في الحصول على وظيفة في ساحات القتال ولو الى أجلٍ محدودٍ وحدث لنا غيرَ مرة ان يتاح لنـا أو ان نضطرّ الى ان نرسل ضباطاً الى مواقع مهمة في خطوط قتالنا أو في ميادين حلفائنا

لكن صوناً لمتابعة وحفظ النظام في الاعمال المتشعبة الاطراف والمختلفة المواد في هيأة اركان الحرب وجب على بعض الضباط ولا سيما أولئك الذين خبروا أعمالهم طويلاً في جميع الدوائر ان يلازموا وظائفهم التي التحقوا بها ملازمةً تامة

وقد ثقلت يدُ المنون على مجتمعنا فمنذ سـنة ١٩١٦ اذ كـنت قائداً عاماً على الميـدان الشرقي فُجعت بموت الضابط مراسلتي على أثر بردٍ أصابهُ وكان رجلاً يجلّه الجميع ويحترمون وكان من ذوي قرباي الادنين وهو المـاجور كاميرد . وفي شهر اكتوبر سنة ١٩١٨ توفي الكابتن فون لنسنجن بالحمى الاسبانية وقد اشتدّت وطأتها في ذلك الحين على مركز القيادة العامة . فذهبت بالعديد من رجالها . على ان الكابتن لنسنجن ما رأى من حقه ان يترك وظيفته في ذلك العهد الكثير الصعوبات على الرغم من اشارة الطبيب ورفاقه والحاحهم عليه في ذلك وقد ظلّ فيها الى يوم نهكت قواه و وعكته الحمى فارغم على ترك أشغاله لكن بعد ان سبق السيف العذل .ففقدنا به رفيقاً جمّ التمائل حلو الطبائع متوقد الذكاء . وما استطاعت امرأته الشابة ان تبلغ اليه لتغمض عينيه . وحقيقٌ بي ان اذكر ان عدداً من الضباط الذين التحقوا باركان حربي مدةً من الزمن قد سقطوا في ساحة القتال

ولو سكتّ عن الزائرين الذين كانوا يتقـدمون الينا في كل حين وفي كل شأن لظلّت صورة حياتنا ناقصةً . ولست أشير بذا الى ذهاب واياب الرجال الذين في المناصب المختلفة يتوافدون علينا لضروراتٍ تختصُّ بمشاغلهم لكني عنيت أولئك

الذين ساقتهم الينا مصالح ومنافع أخرى . وكنت افتح بطيبة نفس بابي لكل زائر وافتح قلبي على شرط ان يتقدم اليّ بحرية السريرة . وكان عدد زائرينا عظيماً . وقلّ ان مرّ بنا يوم لم نستقبل فيه زائراً . وما هي المانيا وحلفاؤها وحدهم بل المحايدون كانوا يفدون علينا باعداد الكثير زواراً . وكثيراً ما اجتمع على مائدتنا خليط من جميع الشعوب واتفق غالباً ان يجلس الكاهن المسيحي الى جانب المؤمن المحمدي والرجال على تباين مناصبهم واختلاف طبقاتهم كانوا ينزلون منا على سعة ورحب

وكنت ابذل للجميع كل سويعات الفراغ التي تتوافر لي . ومن بين رجال السياسية حافظ من الكونت تيسا اجمل الذكرى فقد زارني في بلس في شتاء ١٩١٦--١٩١٧ . فاذا هو الرجل عليه سيماء الارادة التي لاتتزعزع وفيه عاطفة وطنية صادقة . وجاءني ساسة آخرون متفاوتو الشيع والاراء من المانيين وحلفاء فأسرّوا اليّ بأفكارهم وفي غالب الاوقت كانت أفكارهم بعيدة عني غير اني كنت أحلّها من الاعتبار محلّها في ذلك الحين على السواء لانهم جميعهم كانوا ذوي غيرة على قضيتنا الكبرى المشتركة . واني لاذكر كثيراً من العبارات التي تنمّ على الحمية الوطنية يلقيها عليّ أولئك الرجال حين الوداع . وكنت اضمّ حولي رجال الاعمال والصناعات اصالحهم فينشرح صدري صفاءُ عيونهم وجلاءُ كلامهم ويزدحم علينا ممثلو الصناعات الكبرى وأرباب العلم يحدثوننا ، ونحن خالون ، باختراعاتهم أو بارائهم الجديدة ويطلقون العنان لتخيلاتهم في أساليب اقتصادية للمستقبل ويشكون من رجال « البيروقراطية » في داخلية البلاد الذين يمسكون أيديهم عن بذل الاموال اللازمة لتحقيق احلامهم . غير ان البيروقراطيين من جهتهم يئنون من مطالب هؤلاء الخياليين الباهظة ومما يأتيهم به المخترعون في كل حين من خطط جديدة . واني لاذكر ما أثار أحد كبار الموظفين في المالية من الجدل ليعرف ثمن قنبلة كلّ مدفع من كل زنة ليتمكن من ضبط ما تكلّف الموقعة على التقريب لكنه لم يتسر في بنتيجة حسابه ، ولا غرو فقد خشي أني لا ارتضي بتقليل مصروفاتنا في الذخائر

على الرغم من كثرة التكاليف . وماهم الزائرون الذين كان يجب ان نقابلهم ولا الرجال الذين تسوقهم مشاغلهم أو أعمالهم الينا يزدحمون على بابنا بل كان غيرهم من الذين تدفعهم الفضولية الى زيارتنا. فكم من مرة تضاحكتُ في نفسي من كلمات يتممها الرجل ، وما أكثر هذا الرجل ، ليبرّر زيارته . فلست اجرؤ على التأكيد أن هذه المساعي أتت بالنتيجة التي كان أصحابها يتوقعونها . غير أنه كم من مرة نزل عليّ ضيفاً كريماً ضباطٌ من ميدان القتال يحملون عليهم آثار المواقع الضنكة التي احتملوا أوزارها وآثار المعيشة الصعبة التي قاسوها فينشرح بهم صدري . فاذا أوردوا علينا قصصهم الموجزة عن حياة ساح القتال تبين لنا اكثر مما كانت تأتينا به التقارير المخطوطة . وكثيراً ما تبينتُ في نفسي من أحاديثهم تلك الحياة التي أحييتها أنا بنفسي من قبلُ ولكن حقيقٌ بنا القول ان العوامل المادية والأدبية قد بلغت الحدّ الذي يتصوره المرءُ في الحرب الحالية التي لم يُروَ في الحروب الماضية اهول منها واروع . فان الموقعة التي كانت تطول بضع ساعات من قبل قد تحولت الآن الى صراع عظيم يدوم أشهراً وبهذا كأن صبر المرء على المشقات لايحدُّه الحدُّ

وزارنا أيضاً الكونت زبلين في بلس وأُعجب كلٌ واحدٍ منا بتواضعه العميق وانه منذ ذاك الحين كان يعتبر مناطيده سلاح حرب دالت دولته ويرى ان سيادة الجو انما تكون في المستقبل للطيارات . وقضى الكونت نحبه بُعيد هذه الزيارة ولما يعرفِ المصائب التي نزلت ببلادنا

ما أسعد هذا الشيخ فطوباه .

وقبلَ دعوتي أيضاً ملكان من ملوك الجو قد ذاع صيتهما وملأ الارض وهما بطلان فتيان لايُقهران . الكابتن بُولك جلس الى مائدتي في برست — ليتُفسك والكابتن ريشتوفن في كرزناخ وقد وقعتْـا تواضعهما وسلامة سريرتهما موقعاً حسناً . فأكرم بهما بطلين يخلد لهما الذكر ! وكان من بين مدعويّ عدد كبير من ربابنة الغواصات ومنهم اذكر الكابتن كونيج ربان الغواصة التجارية دتشلند

الآن قد أتيح لنا ان نعاشر رجالاً من جميع الطبقات ومن جميع الشعوب وكثيراً ما حسبتني اسمع، يخفق قريباً مني على رنة وايقاع، قلب جيشنا وقلب شعبنا وقلب المانيا وقلب حلفائها



الحوادث الحربية الى اواخر ١٩١٦

حملة رومانيا

ان موقفنا السياسي أزاء رومانيا كلّف حكومتنا وكلّف قيادتنا العامة مجهودات عظيمةً فى اثناء ١٩١٥—١٩١٦ لم نكن نحلم بها من قبلُ . فانه من الحكمة والروية ان لايتهوروا في الحكم على السلطات والرجال الذين كانوا مسؤولين في تلك الايام وقد عرفنا ان رومانيا قد انحازت الى صف أعدائنا وأن معداتنا الحربية امام خصمنا الجديد كانت غير كافية . فان الذين يذهبون هذا المذهب في انتقادهم وهم في أغلب الاحيان يركنون الى تأكيدات وهمية ويجهلون الحوادث الحقيقية الواقعية يذكّروني بتصريح قاله نيتش في خطبه « الى الامة الالمانية » اذ هو يتكلم عن هـذا النوع من الكتّاب الذين لايقولون ما يجب عمله الا بعد وقوع الحوادث

أما ونحن في الحالة التي كنا فيها فلم يكن من المحتمل ان دول التحالف تُقصي الخطر الروماني ، أو باصحّ تعبير ، التهديدَ الواقع من موقف رومانيا الحربي وذلك في ١٩١٥ . وان تتوسل لذلك بمثل ما قد توسلت به بازاء اليونان . ولقـد تبين لنا فيما بعد ان رومانيا انما زُجّت في صيف ١٩١٦ ، في حومة الحرب الكونية بانذار

نهائي وجهته دول التحالف يحتمون عليها إما ان تبدأ الهجوم فوراً وإما ان ترجع الى الابد عن خططها في توسيع حدودها . لكن هذا النوع من الحل كان غليظاً جداً من الوجهة السياسية وأبعد من ان يجد بين رجالنا أعواناً له اللهم الا في حالة الضرورة القصوى . وقد اعتبرنا انه كان يجب علينا ان نعامل رومانيا معاملة أشرف سبيلاً لاننا كنا نرجو يقيناً انها انما تنبش قبرها بيدها ! وهذا ما وقع فعلاً لكن بعد أن أوقعت المانيا في المآزق وكلفتها الضحايا الضخمة !

قد اصطفت رومانيا الى صفوف اعدائنا بُعيد تضعضع الميدان النمسوي الشرقي وتهدمه ولعله كان بمكنتنا ان نحوّل عنا هذا الخطر لو أنه وسعنا ان نحقق حملتنا العظمى التي شئنا ان نسيّرها على جناح الجيوش الروسية الجنوبي وكانت قد توغلت في تقدمها حتى الى جبال الكربات . لكن الثغرات الكثيرة التي كانت تنبثق حيناً بعد حين في الميدان النمسوي ـ المجري صدّتنا عن القيام بحركاتنا الحربية . اما القوات المعدّة للهجوم فقد أقحمت رويداً رويداً في المعركة الفاصلة

وقد وقع اتفاق القيادة العامة الالمانية مع الجنرال جكوف على ان يقطعا في الامر بأن يضربا ضربةً قاضيةً بميمنة الجيوش البلغارية قواتِ الاعداء التي بسالونيك لمداواة ما اعتلّ في الميدان الشرقي . ان الفكرة صائبة إن كان من الوجهة الحربية أو من الوجهة السياسية . ولو نجح الهجوم لكان ثمت أملٌ بأن رومانيا يتولاها الذعر ويفوتها الامل بامكان الاشتراك في العمل مع سارايل . ولو أن القوات البلغارية العظيمة بعد أن ربحت على سارايل النصر صارت طليقة اليد يمكن استخدامها في غير محلها لربما كفى ذلك ان يُلزم رومانيا جانب الهدوء والسكينة . ان القيادة العامة الالمانية اذ أمرت بهجوم البلغار أوقعت نفسها في شيء من التناقض من الوجهة الحربية فانها لما كانت ترمي في وقت واحدٍ الى ان توقظ رومانيا من سكرتها لانها كانت تزداد كلّ يوم ميلاً الى الحرب والى ان تعبىء القوات في بلغاريا الشمالية لهذا الغرض اضطرّت ان تنفذ الى شواطىء الدانوب ، ولاسباب سياسية و قوانين كان

يمكن استخدامها في مقدونيا في الهجوم على سارايل . ويمكن تفسير الخطة التي اتخذتها القيادة الالمانية العامة من جهة بالثقة التي وثقت من نجدة الجيش البلغاري المساجة ومن جهة أخرى بشيء من انتقاص قوات الاعداء المرابطة في ضواحي سالونيك اقدارها وقد تمادى بهم الوهم خاصةً بشأن الوحدات السربية المعبأة حديثاً وقد صفت في خطوط هذا الميدان وهي تتجاوز الستّ فرقاً عداً

في أثناء الهجوم في مقدونيا تمكن جيش ميسرة البلغار ان ينتهي حتى ضفاف ستروما لكن جيش الميمنة ما أفلح في ثغر الخط في وجهة فودينا . فأوقف اذ ذاك العمل لاسباب يطول بنا أن نناظر فيها هنا

وفي هذا الهجوم قاتل الرجالة البلغاريون جيداً لكن ببسالة اكثر منه بعلم وفن . فحافظت على فخارها لكنها لم تقبض على ناصية النصر

ان نهاية الهجوم في مقدونيا وضعت القيادة العامة الالمانية امام موقف جديد حرج . في رومانيا كانت الرغبة في اقتحام الحرب والقتال تشتدّ وتعظم ووقوف البلغار عن الاعمال الحربية كان يحمل على الاعتقاد بأن الدوائر السياسية في بوخارست تنشط للحث على الحرب فاذا القيادة العامة يومئذ امام أمرين : أيجب عليها ان توقف تماماً الهجوم البلغاري حتى تقطع من الميدان المقدوني الذي قصر جداً قوات بلغارية مهمة ترسلها الى بلغاريا الشمالية ؟ أم ينبغي ان يكون لها جرأة لتنقل الى مقدونيا القوات المجمعة على شاطىء الدانوب لتقطع المشكلة الرومانية المستعصية بحدّ السيف؟ ان رومانيا اذا أعلنت الحرب فقد أراحت القيادة العامة من هذه المتاعب

هذه هي خلاصة الحوادث العمومية جنوب الدانوب

وما كانت الحالة أقلّ اشكالاً ومصاعب شمال جبال ترنسلفانيا . فبينما كانت رومانيا تجيش جيشها وتدججه بالسلاح على أعين الملإ كانت المواقع في الميدان الالماني الغربي وفي ميداني النمسا الشرقي والجنوبي ـ الغربي قد استنفدت كل الاحتياطي الذي امكن القيادات العامة أن تدخله على هذه الميادين أو الذي استطاعت

من المناطق التي لاهجوم فيها . ولم يروا في الوسع ان يفصلوا قوات جديدة من سائر الميادين ليواجهوا بها رومانيا وعرفوا اذ ذلك حكمة المبدإ القائل إنه لايجب، لاسباب سياسية ، ان يفصل ، من القوات التي قضي بضرورتها للقتال على سائر الميادين الناشبة فيها المواقع ،عددٌ قلّ أو كثر

ونتج أن رومانيا اشهرت علينا الحرب في ٢٧ اغسطس ونحن أشبه شيء بالعزّل امام عدونا الجديد .ولقد توسعت في الشرح لاقرب الى الافهام أسباب الازمة الكبرى التي وقعنا فيها منذ اعلان الحرب الرومانية واذا جاءت الحملة معقودةً لنا فيها ألوية الظفر فما في ذلك ما ينفي حصول هذه الازمة

ان تكن الدول الرباعية لم يسعها ان تعدّ عدتها الكافية لصدام الخطر الروماني فان رؤساءها العسكريين المسؤولين كانوا قد اتفقوا على ما ينبغي الحيطة به إن اقدمت رومانيا على اشهار الحرب . ولهذا الصدد عقد اجتماع في ٢٨ يوليو سنة ١٩١٦ ضمّ رؤساء اركان حرب الجيوش الالمانية والنمسوية ـ المجرية والبلغاريه في بلس . وكان من نتائجه وضع خطة للحرب جاء في البند الثاني منها ، وهو من الاهمية بالرتبة العالية، ما نصه : « اذا انضمت رومانيا الى الحلفاء : هجومٌ ما امكن الاسراع وما شاءت القوة : ١ً للحيلولة التامة دون غزو بلغاريا ودون غزو النمسا ـ المجر بقدر الطاقة ٢ً لاذكاء نار الحرب في أرض رومانيا ـ ولهذا الغرض يجب .

« ا » أن نبدأ حركات الجيوش فنزحف من الشمال الجنود الالمانية والنمسوية ـ المجرية يقابلون قواتٍ رومانية هامة ويقفون في وجهها

« ب » ان يهجم البلغار زاحفين من تخوم دبروجا ضد معابر الدانوب في سيلستريا وتوترا كان ليحموا الجانب الايمن من القوات الكبرى

« ج » وقوف غمار الجنود ليعبروا الدانوب عند نيكوبولي بقصد الزحف على بوخارست »

أما اشتراك الاتراك في الحملة على رومانيا ، اذا وقعت الحرب ، فقد قطع فيه

" في اثناء اجتماع اللأم بعد ذلك مع أنور باشا ، تعهد أنور أن يهيء بأسرع زمن فرقتين تركيتين للقتال في شبه جزيرة البلقان

ان الخطة الموضوعة آنفاً لم يجرِ عليها تغييرٌ ألبتة طالما بقي سلفي مستلماً أزمّة الادارة في القيادة الالمانية العامة . إلا أن رؤساء اركان حرب الجيوش المتحالفين تبادلوا الرأي مرة ثانية بهذا الصدد وقد بسط المرشال فون مكنسن ، الذي كان قد أسند اليه أن يتولى قيادة الاجناد المجندة جنوبَ الدانوب ، رأيه في هذا الاجتماع .

ومن هذه المداولات ظهر رأيان ظهوراً جلياً فكان الكولونل جنرال فون كنراد يرى هجوماً معجلاً على بوخارست ويؤثر الجنرال جكوف مبادرة الحرب في دبروبجا. لكن القوات التي كانت ، عند اعلان الحرب ، واقعة جنوبَ الدانوب كانت أضعف من ان تقوم فى وقتٍ معاً بالمهمة المزدوجة التي كلفوها اياها على هذا الميدان وهى عبور الدانوب والحملة على سيلستريا وتوانرا كان

وفى ٢٨ اغسطس أصدر سلفي أمراً الى المرشال مكنسن أن يبدأ الهجوم بأقرب زمن . اما وجهة الهجوم والغرض المقصود فقدجعلا على اختيار المرشال

تلك هى الحالة الحربية ازاء رومانيا يوم استلمتُ ادارة الاعمال الحربية فى ٢٩ اغسطس . انها لحالة خطيرةٌ !

فى الحقيقة انه ما من دولة صغيرة كرومانيا سنحت لها فرصة لتلعبَ فى تاريخ العالم دوراً أعظم وهي ساعةٍ أوفر صلاحاً لها وما من دولتين قويتين كالمانيا والنمسا أصبحتا ، كما هو شأنهما فى هذا الموقف ، عرضةً لانتشار قوات بلادٍ لايكاد سكانها يعدون جزءاً من عشرين جزءاً من عدد سكانهما . فاذا كانت الحالة العامة على ما رأينا فانه من الطبيعي أن تسيّر رومانيا جيشها في الوجهة التي تشاء حتى تميل الميزان لصلاح الدول التي ما انفكّت ، منذ عامين ، تغيرُ علينا ولا تنال منا منالاً . ويظهر أن كل شيء كان معلقاً على هذا الامر : هل يكون لرومانيا صحة الارادة فتحسن ، ولو بعض الاحسان ، استخدام القوة المهيأة لها حالياً ؟

[illegible] الذي أدرك هذا الأمر وشعر به وهابه أكثر مما هابته [illegible] وشعرت به وادركته — وكانت حكومتها تتردد في اعلان الحرب على رومانيا — فهل من لوم عليها ؟ لكن لما أن قالت الحكومة البلغارية في أول سبتمبر كلمتها معنا انضمت الينا بلغاريا بجميع قواتها وبجميع الضغائن التي كانت ثوائرها تثور في شعبها تلك الاحقاد التي تولدت عام ١٩١٣ على أثر الهجوم الذي قامت به رومانيا على مؤخرة بلغاريا خدعةً وغرةً في حين كانت هذه الدولة مشتبكة في صراع عنيف ضدّ اليونان وسربيا . ان يوم توترا كان الدامي جاء أول برهان بيّن على بسالة حليفتنا وصدق عزيمتها في الحرب

وكما ان معداتنا كانت غير كافية فان خطة الاعمال التي ذكرتها أعلاه قد فقدت ، طبعاً ، كل معنًى لها . ان عدونا كان طليق اليد في توجيه اجناده أينما شاء وكيفما . ولما كنا على علم بدرجة استعداده وبقواته المهمة نسبةً وقد حشدها بمساعدة الروس له ، ونحن نعلم هذه المساعدة ، خشينا ان تكون وسائلنا لا تكفي لتعيق حرية القيادة الرومانية ، في بدء الامر ، اعاقةً ذات بال . ومهما تكن وجهة هجومها ، من خلال جبال ترنسلفانيا أو من دبروجا زحفاً على بلغاريا ، فقد كان امام رومانيا اغراض عظيمة وأمل بالنجاح سهل قريبٌ . ورأيتُ ما يخيفني خاصة من ان يشترك الروس والرومان في هجوم الى الجنوب . فان البلغار انفسهم قد بدت منهم ريبٌ ليعلموا هل جندهم يحاربون الروس ؟ ان الجنرال جكوف ، كما بينت من قبلُ ، كان على أعظم ثقة من هذا الوجه لكن هذه الثقة كانت أبعد من ان تعمّ بلغاريا جمعاء. وما من شك في أن اعداءنا كانوا يعوّلون ، على الاقل ، على قسم جليل من الجيش البلغاري أنه ممالىء لروسيا مقبلٌ على مجاراتها . لكن اذا ضربنا صفحاً عن هذا العامل فانه كان من الطبيعي لرومانيا ان تحاول بسط يدها لجيش سارايل فتهاجم الى الجنوب . فما يكون موقفنا اذا توصل أعداؤنا الى حرماننا من خط المواصلات مع تركيا ، كما كنا قبل حملتنا على سربيا ، أو ان يقطعوا بلغاريا عن محالفتنا ؟

فلن تركيا ، اذا تحرّكت وهي مهدّدة في ليبيا وفي تراقيا ، والنمسا المجر وقدأضاعت تقريباً كل أمل لها بالفوز ، لايسعهما ان تقيلا من عثرتهما بعد هذا التضعضع

ان الهجوم العاجل الذي خطّه سلفي لمكنسن جاء طبق المرام لضرورة الحالة التي كنا فيها . فلم يكن ثمت كلامٌ على عبور الدانوب بالقوات التي كانت قد حشدت في بلغاريا الشمالية وكان يكفينا ان نعاجل العدوّ في دبروجا ونفسد عليه خطته الموضوعة . ولكن لبلوغ هذا الغرض حقيقةً وتماماً ما كان من الحكمة ان نحدّد على المرشال هجومه للاستيلاء على سيلستريا وتوترا كان بل كان علينا ، بضد ذلك ، ان نستفيد من نجاحنا في دبروجا الجنوبية فندخل على القيادة الرومانية العامة المخاوفَ على مؤخرة قواتها المهمة المشتكة في القتال على حدود ترنسلفانيا . وقد نجحنا فعلاً فان جيش المرشال مكنسن تقدم حتى بلغ خطّ كنستنزا — تزرنافودا فارغمت القيادة الرومانية ان تجرّد من وحداتها التي سيّرتها على ترنسلفانيا قواتٍ تبعثها الى دبروجا . حتى انها حاولت ان تنقضّ بقوات جديدة على مؤخرة جيش مكنسن المهاجم ، من راهوفنو سائرةً على الدانوب في وجهة رسكول . أجملْ بها من خطةٍ على الورق ! والى الآن لانعلم أواضع هذه الخطة من هيأة القيادة العامة الرومانية أو من احدى دوائر الحلفاء الحربية ؟

أما وقد ادركنا مقدار ما عليه الرومان من العدّة المانعة قبل ١٢ اكتوبر ، وهو يوم وقعة راهوفنو ، فقد تبيّنَ لي أن هجمة الرومان قد جاوزت كلّ جرأة حتى تبادرت الى ذهني هذه الفكرة التي افصحت عنها أن « أطبقوا على هذه الاجناد! » فاستحالت رغبتي أمراً مقضياً أتمه الالمان والبلغار بحذافيره . فانه من الاثنتي عشرة الكتيبة الرومانية التي وطئت شط الدانوب الجنوبي في ناحية راهوفنو لم يقدر أحدٌ ان يكحل عينه برؤيةِ وطنه في غضون الحرب اللهمّ الاّ بعض افراد الرجال الذين أخطأتهم يد المنايا فتاهوا على وجوههم في معابر الجبال

غشي الشرُّ ارضَ رومانيا لان جيشها لم يُقدم على الهجوم ولأن قيادتها

[illegible] ولا دراية ولا تناحن وفقنا الى استجماع قوات كافية من هنا ومن هنالك في وقتها

كافية ؟ أجل هي كافية لمثل هذا الخصم ! ولربما قالوا انه قد بلغت منا الجرأة حدَّ الجنون اذا قوبلت القوات المجيشة علينا ورأوا المقاتلة الذين خضنا بهم هجوماً على الجيش الروماني . وأيٌّ هي الوسائط يمزّق بها الجنرال فون فلكنهين في ٢٩ سبتمبر الجناحَ الغربي من الجيش الروماني في هرمنستاد شرّ ممزَّق .

وبُعيد وقعة هرمنستاد سيَّر الجنرال فون فلكنهين جيشه في وجهة الشرق وزحف على كرنستاد يستخفُّ بالخطر الناتج عن تفوّق الجيش الروماني بعديده وعن الموقف المنيع الذي احتله شمالَ نهر الألت ، وقد مشى يحاذي سفوح الجبال. فاذا الرومان يقدّمون رجلاً ويؤخرون رجلاً ثم ضيّعوا ثقتهم بكثرتهم وقدرتهم وخفيَ عليهم ان يستفيدوا من موقفهم الحربي الذي كان ما برح موافقاً لهم فوقفوا على جميع ميدانهم لايحركون ساكناً . لكنهم اذ فعلوا هذا خطوا أولَ خطوة الى الوراء • فقبض اذ ذاك الجنرال فلكنهين على ناصية الاعمال فسحق عدةَ العدو المانعة جنوبَ جسترفلد ومضى في سبيله . حينئذ جلا الرومان عن ترنسلفانيا بعد ما نكبوا أشدّ نكبة في ٨ اكتوبر في كرنستاد . فارتدوا الى السور الحامي بلادهم. فهمتنا الآن ان تقتحم هذا السور ولنا وثيق الامل انه يسهل علينا الانتفاع بنجاح هجومنا الباهر فنزحف تواً من كرنستاد نشقُّ انا الطريق على بوخارست غير انه وان كانت تلك الجبال الشامخة القفراء وتفوّق العدو بعديده بحمّلان قوات فرقنا المستضعفة مشقةً جسيمةً جداً فان منافع هذا الزحف في تلك الوجهة هي أعظم من ان نرجع عنها . ان إقدامنا لم ينجح على الرغم مما أبداه رجالنا من البسالة والبأس في انتزاع كل اكمةٍ وكل منحدرِ جبل بل كل صخرةٍ وقد فسدت علينا حركتنا جميعها حين دهمنا الشتاء القاسي قبل أوانه فكسا قمم الجبال بالثلوج وحوّل الطرق مزالق زلقةً • الاّ ان رجالنا على شدة ما نالهم من المتاعب والمشاق التي لا توصف احتفظوا بالاماكن

الجبلية الوعرة التي استولوا عليها وبأتوا يتوقعون الفرصة السانحة والساعة الملائمة ليشقوا لهم طريقاً

ان الخبرة التي مارسناها وا كتسبناها الى ذلك العهد حملتنا على ان نبحث عن طرق أخرى غير الطرق التي تمرُّ في أوسع بقعة في جبال ترنسلفانيا للوصول الى قلب فلاشيا . فاقترح علينا الجنرال فلكنهين ان نمرَّ بمضيق سردوق الواقع الى الجهة الغربية من الجبال . ان هذه الخطة قليلٌ منافعها من الوجهة الهجومية لكنها في الظروف الحالية انما هي وحدها التي يسعنا اتباعها من الوجهة الفنية فولجنا اذاً رومانيا في ١١ نوفمبر وقد اقتحمنا هذا المضيق

وفي هذا الوقت أتمَّ المرشال فون مكنسن معداته في جنوب الدانوب ليبسط يده ، زاحفاً من الجنوب ، الى قواتنا الغازية المنحدرة من الشمال . وكان ، في ٢١ اكتوبر ، قد أوقع بالجيش الروسي ـ الروماني شرَّ ايقاعٍ جنوبَ سكة حديد كنستنزا ـ كزرنافودا . وفي ٢٢ اكتوبر كانت كنستنزا قد سقطت في يد الجيش البلغاري الثالث فارتدّ العدو من هناك لايلوي على شيء يتنحى نحوَ الشمال. أما نحن فنوقف حركتنا حين نبلغ ، الى شمال السكة الحديدية المنوّه بها آنفاً ، خطَّ دفاع يمكن ان نقيم عليه قواتٍ ضئيلة . وسائر الاجناد التي لا لزوم لها في هذا الميدان سيّرناها على سستوف . وفي الحقيقة إنه ليشوقنا جداً أن نستولي حالاً على كلّ دبروجا ثم نغزو الارض الواقعة شمال الدانوب ، ونحن نجتاز برايلا ، لننقضَّ على مؤخرة مُزدَحم القوات الرومانية لكن كيف يسعنا ان نحمل الى القسم الشمالي من دبروجا ما يلزم من معدات المدافع الضخمة وليس في هذه الارضين سكك حديدية وطريق الدانوب متطوع علينا بالبطاريات الرومانية المركوزة على الشط الشمالي ؟ ما أولانا بشكر القضاء والقدر الذي وفّق أن هذه البطاريات لم تحطّم تحطيماً ، منذ أجلٍ بعيد ، عُدّتنا الوحيدةَ الضخمة. وقد بقيت هذه العُدة اشهراً في سستوف على مرمى المدافعَ الرومانية . وانها ، لاجل غلطة صدرت من اعدائنا ونحن نجهلها ،

قد سلمت من الدمار . فمن ثمّ يسوغ لنـا ان نفكر في عبور النهر ولو على الاقل من هذه النقطة

وعند بزوغ فجر ٢٣ نوفمبر اجتاز المرشال مكنسن الى الشط الشمالي من الدانوب فنلنا بذلك ما كنا نرجو من اشتراكه مع الجنرال فلكنهين وكلّل هذا الاشتراك بغار النجاح على مكان معركة ارجيش اذ قضوا على معظم القوات الرومانية . وفي ٣ دسمبر كان ختام الدور النهائي في هذه الحملة . وسقطت بوخرست في أيدينا ولما تبدِ مقاومةً

وفي مساء ذلك اليوم ختمت تقريرنا عن الحالة الحربية العمومية بهذه الكلمة « يومٌ بديعٌ ! » ثم انه بعـد بضع ساعات لمـا خرجت من مكتبي في ليلة من ليالي الشتاء طفقت اجراس كنائس بلس المدينة الصغيرة تُقرع شكراً للرب على فوزنا الجديد العظيم وكنت ، من زمن بعيـد ، قد اقصيت عن نفسي ، في مثـل هذه الظروف ، إلاَّ أن افكّر في الفعائل الغراء التي يأتيها جيشنا الباسل وألاَّ اتمنى غير ان أرى هذه المآثر تدنينا من اليوم الذي يقترب بنا من نهاية جهادنا الشاقّ ويضع لضحايانا الجسيمة حداً

وقد كنا حسبنا ان الاستيلاء على العاصمة الرومانية يكون أعظم شأناً في الاعمال الحربية مما كان في الواقع علماً منا ان بوخارست هي موقع عزيزٌ منيعٌ وقـد نقلنا ، لتدويخها ، أضخم ما لدينا من عيار المدافع اما الآن فهذا الموضع المشهور إنْ هو الاَّ مدينة مفتوحةٌ وما من مدفع الآن يعلو أسوارها المنيعة . وقبابها المصفحة قد تحولت قباباً من خشبٍ . وجواسيسنا في أيام السـلم ، وكم غالى الاعـداء في الاعجاب بهم ، ما توصلوا ، قبل ابتداء حملة رومانيا ، الى معرفة بوخارست عاطلةً من عُدد الدفاع !

لقد انتهى دور رومانيا كأنه الرواية ينتهي تمثيل ادوارها . وامكن العالم بأسره أن يرى ، ورومانيا نفسها رائية ، ان القول القديم المأثور على الالسنة لم يكن كلاماً

فلوغاً وهو:

من رام ان يشقى في الحرب
فما عليه الاّ منازلة الالماني

لكنني اذا ذكرت هذا الشعر فما قصدت انتقاص ما تحملته النمسا المجر وتركيا وبلغاريا من نصيبها في هذا العمل الكبير المجيد . فقد اجتمع حلفاؤنا جميعهم واشتركوا في هذا العمل العظيم الجليل . اما رومانيا ، التي كان بيدها حظُّ العالم ، فما أولاها ان تكون سعيدة بنجاة فلول جيشها من الدمار بما انفذته اليها روسيا من الامداد ولقد حلمت ان ترى ، كما رأت سنة ١٨٧٨ في وقيعة بلفنا ، الروسَ يذكرون الجميل ويشكرونها أيضاً مرةً ثانية على جليل خدماتها التي أسدتها ايهم ، ولو شابَ هذا الشكرَ مرارةُ قلب ، لكن الحقيقة القاسية كانت نقيض هذا الحلم الجيل . لقد تقلّبت الايام !

في أواخر اكتوبر سنة ١٩١٦ كنت قد عرضت على مولايَ العظيم الاكبر رأياً وهو ان حملة رومانيا تنتهي في أواخر السنة . وفي ٣١ دسمبر وسعني ان ارفع تقريراً الى جلالته بأن جنودنا قد بلغوا نهر سيريت وان البلغار ضربوا خيامهم على شط الدانوب الجنوبي

ان الاغراض التي كنا قد نزعنا اليها بلغناها

المعارك في ميدان مقدونيا

كثرت علينا المصاعب جداً في موقعنا الحربي في غضون خريف ١٩١٦ على أثر المواقع التي أنشبت في الميدان المقدوني

لو ان جيش ساراي لم يبدأ هجومه ساعة اعلنت رومانيا الحرب لما كان لوجوده في مقدونيا شأن ومحلّ . وقد كنا نتوقع منه هجوماً عاينا في وادي الوردار ولو انه تقدم الى ناحية جرادسكو لقبض على أهمّ نقطة من المواصلات البلغارية وفي الحين نفسه منع الجيش البلغاري ان يثبت له في ناحية مونستير . أما ساراي فلعله ، لبواعث سياسية خصوصية ، آثر ان يهاجم توًا في وجهة مونستير

اما جيش ميمنة البلغار فتراجع امام هذا الهجوم عن مواقعه التي كان قد أخذها في شهر اغسطس جنوبَ فلورينا وفي اثناء مواقع مقبلة فقدَ مونستير لكنه تمكن فيما بعدُ من البقاء في الناحية الشمالية من هذه المدينة

ولقد كان علينا ، بسبب هـذه الحوادث ، ان نجرّد من سائر ميادينا امداداً ونرسلها الى البلغار . وهذه الامداد كانت مُعدَّةً من قبل لحملة رومانيا . ولو ان أهمية هذه الامداد ، بالنسبة الى مجموع قوات جيشنا ، لم تكن عظيمة ـ والمطلوب نحو عشرين كتيبةً وجملة بطاريات خفيفة وثقيلة ـ فقد كان فصلها في أشدّ الاطوار حراجةً اذ كان يجب علينا ان نبالغ في الاقتصاد بكل رجل وبكل مدفع

و بسطت تركيا ، مثلنا ، يدها بطيبة خاطر الى بلغاريا في غضون هذه المواقع الشاقة . فان أنور باشا وضع — ماخلا القوات الموعود بها لحملة رومانيا — تحت تصرف حليفتنا فيلقاً بأسرها تمكّنها من نقل جنودها من ميدان ستروما . غيران هذه المساعدة لم ترق في عين بلغاريا لانها خشيت من تركيا ان تتحيّن هذه الفرصة

لتطلب مطالب من الوجهة السياسية . لكن أنور باشا اكّد لنا تأكيداً صريحاً انه يعارض مثل هذه الرغبات . وكان طبيعياً أن تفضّل بلغاريا مساعدة المانيا على مساعدة تركيا لكنه عزب عن بالنا ان لا يُدركوا في صوفيا ان المانيا كانت في حالة لا تمكنها من بذل مجهودات جديدة في ذلك العهد الكثير الحرج

ان خسارة مونستير لم يكن لها ، في نظري ، أقلّ أهمية حربيـة . وان تقهقر ميمنة البلغار باختيارهم نحو مواقف بريليب المحصنة تحصيناً منيعاً جـداً قد يكون له فوائد جليلة من الوجهة العسكرية لانه يسهل كثيراً على القوات البلغارية تموينها في حين انه يزيد كثيراً في صعوبة تموين العدو

إن الازمات التي تناوبت مراراً على البلغار في المواقع الحديثة انمـا سببها صعوبات المواصلات المتعددة مع المؤخرة . فقـد حرم الجنود القوت في أيام بكاملها وفي بعض الاحيان كانت تنقصهم الذخيرة . على اننا ، افرغنا قصارى الجهد ، وإن لحقت بنا الاضرار ، في تعضيد البلغار على التغلب على هـذه المصاعب . وأصبح فضّ هـذا المشكل صـعباً مستعصياً بسبب اتساع المسافات التي يجب ارتيادها وفظاظة أخلاق سكان هذه البلاد الوعرة و بعدها عن المدنيّـة

ان البلغار قد التحموا لاول مرة ، في مونسـتير ، في معارك دفاعيـة عنيفة . والتعليمات التي كان ضباطها قد قدموها لنا الى الآن عن استعداد الجيش البلغاري قد بالغت في مدح الروح الهجومي في هؤلاء الجنود . الاّ ان معارك مونستير قد أظهرت لنا ان الجنود البلغار صدر منهم بعض انفعال تحت قصف المدافع اذا طال قصفها . لقد يكون في هـذا التقدير غرابةٌ لكن يمكن اجراؤه على سائر الشعوب — ان كان من جانب الاعداء أو من جانبنا — الذين دخلوا الحرب بقوات طبيعية أي سليمةً . ان وسائل الهجوم الحديثة ومفاعليها التي تمطر الدمار على القوة المانعة تتطلب ، على ما يظهر ، اذا دام الدفاع ، أن يضاف الى هذه القوات الطبيعية عاملٌ لا يمكن الوقوف عليه إلاّ بتثقيف الارادة تثقيفاً أعلى واسمى

ويظهر أنّ في مجموع مقوّمات الجندي الالماني مزيجاً عدلاً من القوة الادبية والقوة البدنية ، وبمساعدة التربية العسكرية التي تربي الارادة عليها ، قد أتاح لجنودنا ان يثبتوا ثبوت الظافر على عوامل القتال الحديث القوية . ان قائد الجيش البلغاري الاعلى قد ادرك كلّ لادرك انفعالَ رجاله هذا الانفعالَ الذي اسلفت عليه الكلام . وبثّ اليّ ، بحرية الجندي ، ما يتولاه من الشجون بهذا الشأن وان يكن هو بطبيعته أبعد من ان يستولي عليه التخوف والجبن بسهولة



على ميادين القتال الاسيوية

ان المهمة التي أُسندت حديثاً الى رئيس اركان حرب الجيش الالماني باسم ادارة الحرب السامية حملتنا نحن أيضاً على ان نهتم بالاعمال الحربية في الميادين الاسيوية

فمن غرة سبتمبر سنة ١٩١٦ اذ كان أنور باشا في مركز قيادتنا العامة رأينا ان نحكم على الحالة في آسيا كما يلي :

في ارمينيا أوقف الروس هجومهم بعد ما انتهوا الى خط طرابيزون ـ ارزنجان أما هجوم الاتراك الذي ظهرت تباشيره في أثناء الصيف القابل ، في وجهة الشمال زحفاً من جهة ديار بكر على ميسرة الروس المهاجمين لم يُصب تقدماً بسبب كثرة المصاعب التي لاقاها من طبيعة الارض الوعرة وصعوبة وسائل التموين

غير انه ينتظر أن نرى الروس ، في هذه السنة ، يعجلون في ايقاف حملاتهم نهائياً بسبب اقبال الشتاء مبكراً على انجاد ارمينيا

ان قوة الجيشين التركيين المحاربة في القوقاز كانت قد نقصت نقصاً جسيماً حتى ان بعض الفرق لم يبق منها الاّ اسمها . فأسباب الحرمان والخسائر الفادحة والفرار من صفوف القتال كان لها أثر سيء على وحدات المقاتلة وكان أنور باشا ينظر قلقاً الى الشتاء مقبلاً . لان جيوشه كان يعوزهم من الملابس أشدها ضرورةً وأمسها حاجةً فضلاً عن ان أسباب التموين كان يعترضها مصاعب شتى لاتخطر على بال في تلك الارضين النائية وأغلبها مجتاحة واكثرها غير آهلة بساكن . في هذه البلاد الجبلية القفراء الخالية من السبل ليس فيها مطايا لجر الاثقال وحملها لزم أن يحمل عتاد الحرب والارزاق والاقوات الى الجيش التركي على قوافل من الرجال يضطرون ان يسيروا مراحل طويلة متعبة . وتقدمت النساء والاولاد الى هذه المهنة يتقاضون

مقابلها أجراً ضئيلاً لـكنهم كثيراً ما كانوا يلاقون فيها حتوفهم

وكانت الحالة في ذلك العهد في ما بين النهرين خيراً وأفضل . وفي تلك البقعة لم يكن تعبيد طرق المواصـلات للجيش الانجليزي ، على ما يظهر ، قد بلغ مبلغاً يمكنهم من الآن ان يبدأوا هجومهم بقصد ان يثأروا لهم من كسرة كوت العمارة . على انه ما داخلنا قط ريبةٌ في أن هذا الهجوم واقعٌ . غير أنه كان من الصعب علينا ان نعرف هـل القوات التي تجتمع لتركيا حينذاك في ما بين النهرين تكون كافيةً لتثبت على هـذا الهجوم ثبوت ظهر . وعلى الرغم من تفاؤل القيادة التركية العامة دعوناها الى تحصين ميـدانها في تلك الجهة . على انه من بواعث الأسف ولاسباب ترجع الى السياسة والحركة الاسلامية دفعت تركيا فاندفعت في طريق سوء وانفذت الى العجم فيلقاً بأسرها

أما ميدان الحرب الاسيوي الثالث ، عنيتُ فلسطين الجنوبية ، فقد كان يخلق لنا هموماً معجلة . فقد اخفقت الحملة التركية الثانيـة على ترعة السويس في غرة اغسطس سنة ١٩١٦ في وسط شبه جزيرة سينا وطوردت القوات التركية شيئاً فشيئاً من تلك البقعة وهي الآن مرابطة في الجانب الجنوبي من فلسطين في ضواحي غزة . أما ان يُعرف الزمن والنقطة التي يُهاجمون فيها فذلك أمرٌ متوقف ، على ما يظهر ، على يوم يفرغ الانجليز من انشاء سكتهم الحديدية التي رموا بها الى وصل جنودهم التي في سوريا بمصر

ان هذا التهديد بهجمةٍ على فلسطين كان يبدو انا أجسم خطراً على الحالة السياسية والحربية في تركيا من هجومٍ على ما بين النهرين الشاسعة الاطراف. وكان من المحتمل ان سـقوط أورشليم — حتى ولو صرفنا الطرف عمّا يمكن ان يجره من سقوط جميع القسم الجنوبي من البلاد العربية — يقف بسياسة تركيا امام بلاءٍ لا يكون لها قِبَلٌ بالصبر عليه

ومن الاسف ان أسـباب الدفاع لم تكن قطّ أصلح للقيادة العامة التركية في

سوريا منها في ما بين النهرين . فهنا وهناك كان الاتراك يتألمون من صعوبة المواصلات — وهي حالة كانت على طرفي اتقيض من عدوهم — حتى لو أنهم مدّوا مقاتليهم بالمدد الكافي لاوقعوا جميع رجالهم يقاسون الجوع والعطش أيضاً . وان أسباب التموين كانت ، في بعض الاوقات ، كثيرة المشقات في سوريا . وذلك انه ينبغي ان يُضاف الى احمال المواسم وغفلة السلطات المسؤولة ، ارادوها أولم يريدوها. موقف السكان العرب موقفَ العدوان أو نحوه

وفي أثناء الحرب قد حاولوا اقناعي ، بأن يرفعوا اليّ تقارير ضافية عن نية سليمة ، انه من الضروري ان ندافع عن ما بين النهرين وسوريا بقوات أهمّ وأعظم وحتى ان نهاجم في هذين الموضعين

ان مجموع الشعب الالماني كان يعلّق أهمية جلّى على هذين الميدانين وكان بيّناً أن أفكاره هذه كانت تتيه غالباً لا يتودها في تيهها العقل . وأنها كانت تنتقل من ما بين النهرين الى العجم ومن الافغان الى الهند ومن سوريا الى مصر . الخارطة في يده وهو منقاد بلاحلام يحسب أنه يمكننا ، من هذه الطرق ، ان نقبض بكفنا على الأعصاب الحيوية التي تحتلها انجلترا في العالم معما تجرّه علينا من الخطر . لعلّ هذه الافكار ما هي ، في الغالب ، الاّ ترجيع الذهن الى خطط بوليونية قديمة لكن لاجل تحقيق هذه الخطط كان ينقصنا أهمّ الاسباب وأحلّها لنتمكن من الاقدام على مثل هذا العمل الجليل الواسع ألا وهو خطوط مواصلات تفي بأغراض الجنود

الميدان الشرقي والميدان الغربي
الى أواخر سنة ١٩١٦

بينما كنا نغزو رومانيا وندوخها بالسيف كان الروس يحملون حملاتهم المتواصلة في جبال الكربات وفي غليسيا وما عُنيت القيادة الروسية ان تمد حليفتها الجديدة في هجومها على ترنسلفانيا مباشرة بل اكتفت أن سهلته عليها بمتابعة حملاتها على ميدان غاليسيا غير أن الروس كانوا قد أسرعوا الى ارسال الامداد للرومان في دبروجا وذلك لاسباب سياسية وعسكرية فما لامراء فيه أن روسيا كانت تعول تعويلاً عظيماً على أميال الولاء التي يجهر بها الجيش البلغاري وعليه فانه في المواقع الاولى التي نشبت في دبروجا الجنوبية توسل من الروس ضباط وجنود الى الدنو من البلغار يبوحون انهم لهم أصدقاء لكنهم باؤا بالخيبة لما ان البلغار قابلوهم بنيران البنادق • وزد على ذلك أنه اذا كان يسع روسيا ان تنظر الى رومانيا تستولي على ترنسلفانيا ولا يأخذها منها حسد سياسي فما كان يسعها ان تتساهل لحليفتها الجديدة ان تصرع وحدها بلغاريا ثم ما كان يمكنها فيما بعد — اذا سنحت الفرصة — أن تقبض على طريق الاستانة اوعلى الاقل ان تفتح هذا الطريق لانه منذ أجيال واجيال صار حق الاستيلاء على العاصمة التركية كأنه من خصائص روسيا إن كان من الوجهة التاريخية وإن كان من الوجهة الدينية

بقي علينا أن نعرف هل كان من سداد الرأي ، من جانب روسيا ، ان نلقي على الرومان مهمة العمل بقواتهم وحدها في الهجوم على ترنسلفانيا من غير ان تؤيدها تأييداً مباشراً ولو ببعض وحدات من نخبة رجالها • وعلى كل حال كانت روسيا تنتقص أقدار الجيش الروماني وقيادته العليا وذهاباً من هذا الرأي الفاتر حسبت ان

جميع القوات التي جيّشتها الدول الوسطى على الميدان الشرقي قد عرقل حركتها الهجومُ الروسي وبالغت في الحدس الى انها ما عادت للقتال صالحة . والحق يقال ان الهجمات الروسية لم تبلغ تماماً الغرض الذي أتتحته لكنها اجازتنا مآزق وازمات خطيرة جداً . وقد ساءت ، في بعض الاحيان ، حالتنا حتى حقّ علينا الخوف من أن يقذف بجحافلنا من على ذرى الكربات الى سهول المجر . فكان أول شرط جوهري لنا ، لنتمكن من حشد قواتنا والقيام بالاعمال الاولى ضد خصمنا الجديد ، هو ان نحتفظ بهذه الذروة . وفي غليسيا وجب علينا ان نثبتَ في وجه الروس مهما يكلفنا الثبات — وما كان يكون انجلاؤنا عن أراض في تلك الناحية ، بالنسبة الى حالتنا العمومية ، الا قليل شأن ، لو لم يكن خلف مواقفنا في غليسيا آبار البترول التي لم يكن لنا بدٌّ منها لمواصلة أعمالنا الحربية . فهذا السبب أجبرنا على ان ندعم أجزاء الميدان الشرقي التي تداعت ونجرّد أيضاً ، لهذا الغرض ، قوات جديدة من الوحدات المهيأة للهجوم على رومانيا

على انه وان كنا قد تغلبنا دائماً على هذه المواقف الحرجة وكانت حملتنا على رومانيا منتهية العاقبة فلا تمكن القول ان الهجمات التي قامت بها ، تخفيفاً ، قد أخطأت تماماً الغرض المحتوم الذي قصدت . فان رومانيا وسقطت مما كان حلفاؤها سباباً فيه . بل بعد ذلك أفرغت دول التحالف جميع ما سمحت به حالتها وقواتها لمساعدة رومانيا . أيدت الجيش الروماني ليس فقط مباشرةً بل أيضاً غير مباشرة اذ اهجمت الجنرال ساراي في مقدونيا والطليان على ازنزو واستطردت تقذف الجيوش الانكليزية الفرنسوية في الميدان الغربي يكرون على مواقعنا

كما قدمت فقالت ان قد حسبنا منذ بدء الحال ان دخول رومانيا في القتال قد يحمل أعداءنا على مواصلة هجماتهم في الميدان الغربي مستخدمين في هذا الشأن كل العناد الانكليزي وكل السخونة الفرنسوية وهذا الذي وقع فعلاً

أما ما داخلنا في صدد المداورة ، بجرأة قيادة عادة ، فقد كان من أهون الامور .

فما كان يسعنا ان نفكر في القيام بهجمة خلاص لا على نهر السوم ولا على فردون لانه لم يكن لدينا قوات كافية لهذا على ان هذه الهجمة كانت تكون طبق أماني الشخصية. وبعيد تسميتي في القيادة العامة اضطرتني الحالة العمومية ان ارفع الى جلالة الامبراطور الامر القاضي بالكف عن الهجوم في فردون لمضيه

ان المواقع المشتبكة في تلك الناحية كانت تستنفد قواتنا تدريجاً الذي لا يندمل. وكان من البين أيضاً ان هذه الحملة لم تبق لنا قط أقل أمل من أية وجهة رقبناه وأن مواصلتها تكلفنا من الرجال اكبر كثيراً مما تكلف أعداءنا . فان مواقفنا المتقدمة كانت معرضة من كل صوب لنيران العدو تتداع علينا . والمواصلات مع الخطوط الاولى كانت صعبة للغاية وساحة القتال انما كانت جحيماً . وكذا نظر اليها الجنود . واليوم اذا اعدت الى الماضي نظراً ملياً فلا اتلكأ في القول انه كان أصلح لنا ، من الوجهة الحربية الصرفة ، ان نحسن موقفنا امام فردون تاركين بارادتنا جزءاً اكبر من الارض التي كنا قد أخذنا

على انه في خريف ١٩١٦ رأيت واجباً عليّ أن أؤجل هذا القطع في الحكم : كنا قد بذلنا في هذه الحملة قسماً عظيماً من خيار مقاتلتنا واطمعوا ، الى ذلك العهد، شعبنا ان القتال ينتهي لفخارنا . ثم لو اننا تأخرنا ، يوم ذاك ، لكان يسهل ان يتبادر الى الاذهان ان ضحايانا الكثيرة قد ذهبت هدراً . فرأيت ان اصرف هذه الصدمة عن نفسانية شعبنا التي كانت قد بليت بلاء مراً

وانا اذ أوقفنا هجماتنا في فردون حسبنا ان أعداءنا أنفسهم يتخذون لهم في هذه الجهة خطة دفاعية بحتة الا ان آمالنا لم تحقق . ففي أواخر اكتوبر كر الفرنسويون على شط الموز الايمن كرة صادقة أبدوا فيها نخوة وجرأة واغتمروا خطوطنا فخسرنا دوومون وتقصنا الجنود لنسترجع هذا الحصن القائم شاهداً على البأس الالماني

ان قائد الجيش الفرنسوي ، في هذه الكرة ، قد خرج عن الاساليب المتبع

الى ذلك الوقت عند أعدائنا بأن يمهّد الهجوم باستخدام المدفعية أياماً وأسابيع أما الآن فاقتصر على تمهيد قصير المدى لكنه زاد سرعة اطلاق مدفعيته وقذف القذائف الى أقصى ما يستطيع الرجال والمعدات واذ انتهى التمهيد حمل على أعدائه اللائذين بملاجئهم وقد انحلوا أدبياً . ان أعداءنا ، في غضون المعارك الطويلة المدى، كانوا قد عرّفونا هذا النوع من التمهيد لكنه أن يكون رفعَ ستار عن عملٍ هجومي عظيم فذلك أول عهدٍ لنا به : ولعلّ العدو قد اجتاز هذا الفوز — الذي لا يمكن نكران أهميته — بفضل هذا الظرف الذي قلتُ . وخلاصة القول ان عدونا ظفر بنا آنفاً باتخاذه أسلوبنا المعتاد في الهجوم . فلم يبقَ امامنا الآن نأمل انه في السنة المقبلة لاينال مثل هذا الفوز بمثل هذا الهجوم فيتسع فيهِ ما شاءَ له الاتساع

وموقع فردون لم تأته الاّ في شهر دسمبر

ومنذ أوائل اغسطس اتخذت موقعة السوم أيضاً بجلى صراع رائع و بيلٍ تنازل فيه العدوان يقتتلان وجهاً لوجهٍ . فما كان للقيادة العامة الاّ ان تضع تحت تصرف الجيوش القوات التي تعوزها للقتال

قد أطلقوا عندنا على هذا النوع من المعارك اسم « معارك عتاد » واذا نظرنا الى التواثب والتواقع امكننا ان ننعت هذا الاسلوب من القتال باسم « فن التطاحن » لانه لم يكن من الضروري ان يبرهنوا على سجايا عالية لتسيير مثل هذه الموقعة

قد كان للعوامل الميكانيكية والمعدات الحربية في هذا النزال المقام الاول في حين ان عمل القيادة العقلي كان له المحل الاخير

اذا كان أعداؤنا في الميدان الغربي لم يتوفقوا ، في سماء المعارك التي نشبت من سنة ١٩١٥ الى ١٩١٧ ، الى الفوز بعمل حاسم وجب البحث عن السبب فيه ، في شيء من ضيق العقل بدا من قيادتهم . فما كثرتهم العددية ، رجلاً وعتاد حرب وذخائر ، هي التي نقصت أعداءنا . ثم لا يسعهم ان يدّعوا ان قيمة أجنادهم ما كانت لتأبى مطالب قيادةٍ أصاب عوزاً وافتقر حياةً . وأعداؤنا في الميدان الغربي كان

لهم ، فوق ذلك ، في سككهم حديدية وغير حديدية وهي محكمة شعابها وفي وفرة وسائل النقل عندهم من أيّ نوع كانت ، كل السهولة المشتهاة لتوزيع أجنادهم ولنيل مرونة في الهجوم والدفاع أفضل وأفضل . ان قيادة العدو العليا لم تعرف ان تستفيد الفائدة الجلى من جميع هذه المميزات ثم انه، من بين سائر الاسباب، يجب ان يعزى صبرنا وثباتنا الى شيء من عقم الادمغة التي درست ونمّقت في خطط أعدائنا . غير انها كانت جسيمة جداً تلك المجهودات التي ألقيت على أعناق قواد جيوشنا وأجنادنا في الميدان الغربي

في غرة سبتمبر تفقدت الميدان الغربي صاحباً رئاسي الاعلى . ولزمنا ان نعرف بأقرب زمن أحوالَ القتال في هذه الساحة فنقف على مكامن الضعف ونداويها دواءً ناجعاً بعملنا الشخصي . وانضم الينا ، في بعض الطريق ، صاحب السموّ الامبراطوري الملكي الامير وليّ العهد وشرّفني بأن قدّم لي على فناء محطة مونميدي سرية من رجال الهجوم فاذا هذا الاستقبال قد وقع موقعا حسناً من هذا الامير الشجاع الذي وجب عليّ ان التقي به بعد الآن غير مرة . فان نخوته وحرية أفكاره وحكمه الموفق في الامور الحربية قد افعمتني بهجة وثقة . وفي كمبراي، بناء على أمر جلالة الامبراطور ، قدّمت عصا المرشالية الى قائدين آخرين محنكين من قادة جيوشنا وهما الاميران وليّا عهد بافاريا وورتمبرج ثم بعد ذا اجتمعت برؤساء اركان حرب جيوش الميدان الغربي وفاوضتهم ملياً وطويلاً . فتبين لي من التفاصيل التي أوردوها عن الحالة انه لا مندوحة لنا ألبتة عن التعجيل في ملافاة الحال بضربة سريعة قوية نزيل، ما أمكن، من ضعفنا في الطيران والسلاح والذخيرة

ان صبر الجنرال لودندرف على الشغل وثباته الحديدي قد تغلّبا على هذه الازمة . وقد سمعت، فيما بعد، بفرحت فرحاً عظيماً، ضباطاً من ساحة القتال يصرّحون في ان مؤتمر كمبراي قد أعز ثماره وان الجنود قد فطنوا الى ذلك وتحققوه

أجل، انه في أثناء هذه الزيارة لميدان الفرنسوي قد تبين جلياً ، للمرة الاولى ،

جسيمْ ما أثقلت به كواهل جنود" في الميدان الغربي من المجهودات واني لا أتردد في ان اجهر بأن تلك أولُ فرصة سنحت لي لاقف حقّ الوقوف على المآثر الباهرة التي اتتها تلك الجيوش ! ما أنكد مهمة قيادتنا وا كندَ أعمال جنودنا على هذا الميدان حيثُ لم يعطَ لهم قطّ ، في الدفاع الشديد الذي أرغموا عليه ، ان يروا نتيجة ملموسة ! ان نهاية المعركة الدفاعية لا تلقي أبداً عن عاتق المدافع ، حتى ولو ظافراً ، العبء الذي يثقله أبداً أو بكلام أصحّ وأوضح ، لا تجنبهُ أبداً مرأى ارزاء ساحة القتال وويلاتها . على الجنديّ ان يُقلع في هذا القتال عن هذا التحمس الكبير ينيره فيه كلّ تقدّم معقودٍ بالظفر : هذا التحمّس الصادر عن قوةٍ لا يمكن وصفها لا يدرك عظمته الا من أحسّ بهمن قبلُ ! فكم من جنودنا الشجعان لم يذوقوا هذه السعادة وهي انقى واطهر سعادة الجندي ! انهم لم يروا الا الخنادق والحفائر حيث يجالدون واني لاجلها يجالدون منذ أسابيع ومنذ شهورٍ ! أعظم بما يبذلون من القوى وما أوخم ما يتناولون من القوت الادبي ! وكم هي جليلة عاطفة الواجب وعظيمة روح التضحية اللتان يقدمها هؤلاء الرجال فيحتملون ، مدى سنوات ، هذه المعيشة الضنكة راغبين عن سعادة حربية اسمى واشرف وهم سكوتٌ ! اني اقرّ جهاراً أن هذه الانفعالات أثرت فيّ تأثيراً عميقاً وبعد ان تجوّلت في الميدان الغربي أدركتُ لِمَ كان جميع المقاتلة ضباطاً وجنوداً راغبين اشدّ رغبة في الخروج عن هذا الضرب من القتال ولماذا كانت جميع القلوب مفعمةً املاً بأن هجوماً عظيماً يحمل اليهم ، أولئك اجناد الميدان الغربي ، حياةً حربيةً نشيطةً بعد هذه المعارك الهادئة الساكنة .

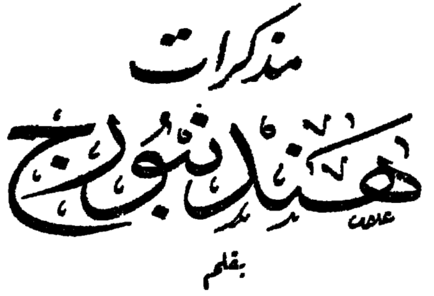
أجل ان جنودنا ورؤساءهم لم ينتظروا طويلاً تحقيق حلمهم الكبير ! وكثير من رجالنا من اشدهم بأساً ربما دعهم كذا لزمهم أيضاً ان يهرقوا دماءهم في الخنادق نخومها قبل الهجوم الاعداد تم .. ن ..دروا تلك الساعة المنتظرة !

في منطقة معركة السوم ما بدأ القتال يفتر الا لما طفق فصل الشتاء يوحل الارض فلا تُسلك . وامتلأت الحفائر ، وهي ممدودة بالالوف ، ماءً وصارت مقابر ! وظلّ فرح الظفر متنكراً على العدوين ! وكابوس هـذه المعركة لرائم على جميع المحاربين ثقيلاً ! هذه المعركة قد فاقت بارزائها وروعها معركة فردون !



حياتي

أو



بقلم

الجنرال فلد مرشال "فون هندنبورج"

رئيس أركان حرب الجيوش

الالمانية

الجزء الثاني

ترجمة

منصفان

١٩٢١

يصدر قريباً جداً

مالك سوني
اللورد محافظ كوزك

وكانت المراقبة قد رأت ألا ننشره في حينه وكان رأيها الموفق وأمرها المطاع ، أما وقد زالت العلة فزال معها المعلول

مفاوضات
البرنس سكست دي بوربون

وهو الكتاب الذي لم يمض على نشره بالطبع نصف سنة حتى طبع بضع عشرة طبعة لما فيه من جلائل الامور . ولأجله أمرت الحكومة الايطالية باخراج واضعه البرنس سكست من أرض ايطاليا لان في الكتاب مالم يرق الحكومة

حياتي

أو

مذكرات هندنبرج

﴿ الجزء الثاني ﴾



﴿ ترجمة ﴾

منصفان

(عني بنشرها)

يوسف توما البستاني

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمترجم

(طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر)

١٩٢٤

موقفي في المسائل

—— ٠٥٠ ——

الساسية الخارجبة

فد كنت دائماً ... عرر الى درس ماض ودنما ... يجي الحال بالمآثر . لن ... ارمح حياة ... دي ... كان لسك . الدين والعبادة من ... هيه . ما ... جه ... الان ... ثمناء ... ب ، ان اتجاوز عن ... السطه ... يعمق ... دلك هد يكونون على حق ان يروا ... في ضمة خارجة ... مادة .

اذا تعالى ... ة ... الـ ... كان ... لادوقي الشخصي فلعل استعدادات الى ... لم تكن كميرة ... ع وعـ ل عوطني كجندي كانت اوور ... هذا سبب الاخير ... سوري من كل ما هو سامة . ليك ... ال او نقد ... تي حائر وعلى كل ... ل ... و انه ... رب ، ... يح لي مجال لابوح به غا ... ر ... المسائل ... حـ الاان ، مطالب عوية ... في ... السبب الجوهري في ... وط يجب ان نزداد به شعوراً بمقدار ما ... معهم ، في تجارتنا وصناعتنا وانتشار قوانا الفكرية الى ما وراء حدود وطننا ، يجعل منا شعباً عالمياً . فاني ما وجدت دائماً في

رجال حكومتنا ما اشتمل عليه رجال الحكومة الانجليزية من الاعتقاد المادي، الساكن بقوتهم السياسية .

فما انا ، في المناصب التي شغلتها في الميدان الشرقي ولا انا ، اذ كنت رئيس اركان حرب جيش الميدان ، بالذي ألجئت او هزتني رغبة الى الاحتفال بمسائل السياسة الحالية اللهم الا متى احوجتني اليها الظروف والحت . اقول الحق أني إعتبرت انه كان من المستحيل على القيادة العليا ان تعتزل اتم اعتزال كل سياسة في غضون حرب كونية كانت قراراتها الكثيرة الشعاب المتباينة الوجوه تؤثر في مجرى الاعمال الحربية . غير أني تيقنت ان المبادىء التي وضعها بسمرك قاعدة للعلائق المتبادلة بين القيادة الحربية و بين الحكومة كانت مصونة كل حرمتها ايضاً في حالتنا ان اردنا ان يسود فيما بيننا حسن الوئام . وكان مواتك نفسه على رأي بسمرك اذ يقول . « يجب على كل رئيس ، في اعماله الحربية ، ان يتوخى الفوز الحربي قبل كل شيء . وليس من شأنه ان يعرف ما يجب على السياسة الاخذ به على أثر انتصاراته او انكساراته . فان استخدامهما موقوف بالاحرى على الرجال السياسيين » لكن ، من جهة اخرى ، ما كنت اكون على وفاق مع ضميري لو لم ابد آرائي وادعمها في جميع الاحوال التي يجتهد بعضهم أن [illegible] نا في طريق كنت ارعمه ريابا . ولو لم احرض على العمل حث [illegible] الا نقص عمل او [illegible] أمن عمل . ولو لم ادافع بجميع قواي عن الآراء التي رأيتها على حالتنا الحاضرة و[illegible] مستقبلنا . اذ الاحذ ان سير الاعمال الحربية او سلامة ولتنا الحربية القلة معرضان للمخاطر بسبب بعض وسائل سياسية .

وانهم يجمعون على القول معي ان الحدود بين السياسة و بين سير الاعمال الحربية لا يمكن ابداً وضعها و رسمها بدقة وافية فيجب اذن التوفيق بينهما منذ ايام السلم لان مجال عملهما يتطلب حتماً اتفاقاً متبادلاً .

في اثناء الحرب ، حيث تشتبك صلات الاعمال الحربية والسياسية وتستغلق ينبغي ان تتكامل هذه الروابط فلا تنقطع ابداً. وهذه العلائق ، على صعوباتها ، لا يمكن اصلاً توفيقها بقواعد وتعليمات . ان بسمرك ، على صراحة انشائه وجوامع كلمه ، قد ترك مجالات القيادة والسياسة يتطاول الواحد على الآخر . في هذه المسائل ، ليست المقدرة المادية التي يتكمل بها الرجال الذين يجتهدون على فضها هي التي تقوم شريعة و ناموساً بل هي الاخلاق ايضاً

انا اسلم بارتياح أني وقّعت باسمي ووضعت تحت مسؤوليتي التصريحات التي اعلنت عن بعض مسائل سياسية في حين ان هذه المسائل لم يكن لها الا علاقة بعيدة بموقفنا الحربي آنذاك . في اشباه هذه الاحوال ما كنت أوجب على بشر ان يسألني عن رأيي . غير أنه ، متى شاؤوا ان يعرفوا رأيي في شأن يحاولون ان يروا له حلاً عندنا او تصريحاً عليه ، لا ارى لماذا كنت الزم جانب الصمت ؟

ومن اولى المسائل السياسية التي دار حولها جدال بعيد تسميتي في اركان الحرب العام كانت مسألة بولونيا ومستقبلها . و نظراً الى جليل الاهمية التي علقت بهذه المسألة ، إن في غضون الحرب او بعد الهدنة ، اراني على حق في بسط الاطوار التي تقلبت فيها :

ما كنت قبل الحرب شاعراً بكره تنخدع للشعب البولوني لكن من جهة أخرى ، لكني [illegible] على [illegible] في [illegible] لوطني وعلى جهل مطبق بالاتفاقات [illegible] الاسباب التي يسندها لها وطننا [illegible] الاقتناع [illegible] لا تحفظ ابداً جميلا [illegible] الروسي . كما ان العناصر الالمانية — [illegible] لم يذكروا قط جميلاً [illegible] اننا قد نهضنا بهم نهضتهم [illegible] والاقتصادية . إذن فمن [illegible] يكن ذلك الجميل الذي عاقدتنا

عليه بولونيا — إن كان مثل هذا الدين قد وجد في دين السياسة — ليمنع حكومة بولونيا الجديدة المستقلة عن ان تثير حملة في الاقاليم التي على الحدود لتعيدها اليها

فمن اية جهة شاؤا فضّ المشكلة البولونية فبروسيا والمانيا هما الفريق المغبون لان عليه أن يدفع تكاليف السياسة . اما الحكومة النمسوية المجرية فكان يبدو على الضد ، انها لا ترى خطراً ما على بلادها من إعادة مملكة بولونية حرة فضلاً عن ان بعض الدوائر ذات النفوذ في فينا وبودابست كانوا يظنون انه يسهل عليهم ان يبقوا ، بطريقة دائمة ، بولونيا الكاثوليكية تحت طاعة النمسا — المجر . ونظراً الى موقف العداء المتأصل في البولونيين نحو المانيا كان لنا من السياسة النمسوية خطر جسيم . وما من احد يسعه التعامي عن ان هذه الحالة قد تعرض ثبت محالفتنا الوثيقة لتجربة قد تصير ، على مرّ الايام ، لايحسن التساهل فيها . على ان القيادة العامة ما كان يسوغ لها بحال من الاحوال ومهما كلفها الامر ان تتعامى عن هذا الاعتبار من وجهته السياسية عندما كانت تهتم بمستقبل حالتنا الحربية في الميدان الشرقي .

ومن رأيي أنه من جميع هذه الاعتبارات السياسية والحربية يستخلص لالمانيا الدرسُ الآتي : أن يتحاشوا ، ما قدروا ، مس المسألة البولونية او على الاقل ان يفضوها فض تسويف ، كما اعتادوا ان يقولوا في مثل هذه الاحوال . ولست ادري الاسباب التي من اجلها رجعنا عن هذه الخطة الرشيدة .

في اواسط اغسطس سنة ١٩١٦ كانت الحكومتان الالمانية والنمسوية — المجرية قد ابرمتا في فينا اتفاقاً من مقتضاه أنه يجب اعلان استقلال بولونيا ، منظمةً سلطنة وراثية دستورية ، اعلاناً رسمياً باقرب ما يمكن . وقد حاولوا ان يجعلوا هذا الاتفاق اقرب قبولاً لنا اذ ذكروا فيه ان الفريقين المتعاقدين يتعاهدان على انهما لايدعان ارضاً من حدودهما كان سكانها من قبلُ بولونيين تنضم الى بولونيا

الجديدة وان الجيش البولوني الجديد المقبل يوضع تحت تدبير القيادة الالمانية العامة العليا. هاتان معزتان حسبتهما كلتيهما من الاوهام الباطلة .

ان الاعلان الرسمي لهذا الاتفاق قد يكون بدل الحالة السياسية في ما وراء الميدان الشرقي تبديلا تاماً ولذلك اعترض سلفي على الفور وعلى حق على هذا الاعلان وقطع جلالة الامبراطور برأي الجنرال فالكنهين . لكنه كان واضحاً لجميع من كانوا يعرفون حالة النمسا — المجر ان الاتفاق المعقود في فينا لن يظل سراً مصوناً . فقد كان يمكن ان يمنعوا الى اجل أن يذاع رسمياً لكن لم يعد في الطاقة نقضه. ومنذ اواخر اغسطس صار منتشراً ومشهورا بين ظهراني الناس. ولما سميت في القيادة العامة وقفت أمام حدث واقع

و بعيد القليل طلب حاكم فرسوفيا العام ، ولم يكن يصدر عن قيادتي ، من حكومتنا ان تخوله حق اعلان مملكة بولونيا متذرعاً بانه لا يمكن تأجيلها الى ابعد من ذلك واوقفها موقفاً إما ان تختار فيه المتاعب في داخل بولونيا وإما أن تتأكد من ان جيشنا تمده القوات البولونية التى تكون فى ربيع ١٩١٧ خمس فرق مدربة ثم بعد وضع قانون الخدمة العسكرية الاجبارية يصبح مليون جندي . اما انا فلم يكن لي في سنة ١٩١٤ — ١٩١٥ الا ثقة واهنة فى الشعب البولوني يشاركنا في الحرب على الروس. لكن يجب ان يكون الحاكم العام ادرى مني فقد كان يعرف ما طرأ على الحالة السياسية الداخلية من سنة ١٩١٥ فى البلدان المفتوحة ومقتنعاً بان الاكليروس يؤيدنا تأييداً اكيداً فى حملتنا لاكتساب بولونيا تنضم الينا فى الحرب .

كيف كان يمكنني ، وحالتنا الحربية كانت فى اشد الحرج ، ان احمل تبعة رفض مساعدة بينة هذا البيان ؟ لكن اذا وطنت العزيمة على قبولها فواجب ان نضيع لحظة واحدة حتى نتمكن فى الربيع المقبل من تهيئة جنود بولونية مدربة

روسيا بيننا وصالحة للاستخدام في الخط الاول . قد يكون لالمانية ظافرة ، متى ابرم الصلح ، قبل بتوفيق المسألة البولونية لصلاحها على نحو ما فضت عليه . لكن لما قطعت برأي عرضت لنا من لدن حكومة الامبراطورية مقاومة ما كانت قط في الحسبان . فان هذه الحكومة ، التي ظنت حينذاك عقد صلح منفرد مع روسيا ممكناً ، خشيت ، إن اعلنت استقلال بولونيا ، ان تجعل المفاوضات الجارية مجراها هدف الحبوط في اعين القيصر . ومن ثمت اصبحت الاعتبارات السياسية والاعتبارات الحربية على طرفي نقيض .

واخيراً انتهت هذه القضية على النحو الآتي : ان الامل الذي علقوه بعقد صلح منفرد مع روسيا ذهب هباء واعلن استقلال بولونيا في اوائل ايام نوفمبر لكن الوعود بالمتطوعة البولونيين التي مضينا فيها بعيد اعلان الاستقلال لم يكن لها قط حظ من النجاح وحملتنا التي قمنا بها لاجل التطوع لم يؤيدها الاكليروس الكاثوليكي لكنها بعكس ذلك استهدفت منه لمعارضة قوية .

وبعيد اذاعة المنشور بدأت فرجة الخلاف بين مصالح النمسا ومصالح المانيا تظهر جلاء في المشكلة البولونية . بذلت حليفتنا قصارى جهدها جهراً لتحقق وحدة بولونيا مع غليسيا تحت نفوذها المبسوط . ولما كنت احسب ان هذه المجهودات لا يمكن حكومتنا ان تحبطها رأيت ، من الوجهة الحربية الصرفة ، أن أدلي بالرأي أنه يجب علينا ان نطلب ، على الاقل ، تحسيناً معادلاً على حدودنا الشرقية .

وفي الفعل انما نهاية الحرب وحدها يمكنها إن تبت جميع هذه المسائل وعليه فقد أسفت شديد الاسف على اننا ألجئنا ان نخصص اثناء الحرب وقتاً طويلا ثميناً لتوقيفها وتنظيمها . غير انه يجب ان اؤكد ان الخلاف الواقع بين حليفتنا وبيننا في شؤون السياسة لم يكن له اقل أثر في علاقاتنا الحربية المتبادلة .

وكان لدبروجا في الاختلافات الحربية والسياسية التي وقعت بيننا وبين بلغاريا دور اشبه بالدور الذي مثلتهُ بولونيا في علاقاتنا مع النمسا—المجر . ان كل مسألة دبروجا يمكن تلخيصها على الايجاز بهذا : ان بلغاريا ، متى وضعت يدها نهائياً على دبروجا هل يكون لها تصرف مطلق بالخط من تزرنافودا الى كنستنزا وفي هذه الحال تصير السيدة المطلقة على آخر خط حديدي يصل اوروبا بالبلقان وهذا الخط كان في اهميته اعظم الخطوط بعد خط فينا — الاستانة الكبير . وقد ادركت بلغاريا جلّ الادراك أنه يكون لها من الحرب فرصة طيبة لتنتزع من المانيا امتيازات لها بهذا الصدد . ومن وجه آخر كانت تركيا ، وهي اول من اهتمت بهذه الشؤون ، تسألنا أيدنا في هذا النزاع على الخطط البلغارية فبسطنا لها هذا الأيد ، واذا حرب سياسية صغيرة قد وقعت متنكرة بوجه حربي ودامت نحواً من عام . ودونك بإيجاز الكلام ما وقع :

رمى عهد الاتفاق المبرم بين بلغاريا والمانيا ، فيما لو نشبت حرب مع رومانيا الى ان تسترد حليفتنا من دبروجا الجزء الذي خسرته سنة ١٩١٢ ثم الى تعديل الحدود في هذه الناحية ولكن لم يكن فيه اقل اشارة الى اعطاء جميع دبروجا الى بلغاريا . وبناء على هذا العقد دفعنا الى بلغاريا ، بعد ان انتهت الحملة على رومانيا فعلاً ، اراضي دبروجا الجنوبية التي كانت لها من قبل . لكن جعلنا ، بالاتفاق مع جميع حلفائنا ، من دبروجا الوسطى ارضاً خاضعة للادارة الالمانية . وهذه الادارة ، وفقاً لعهد خاص ، كانت تعمل من الوجهة الاقتصادية لمنافع بلغاريا تقريباً دون غيرها . وألحق الجزء الشمالي من دبروجا بناء على كونه منطقة الاعمال الحربية ، بالجيش البلغاري الثالث الذي كان يقاتل في هذه الجهات .

وظهر هذا الحل مرضياً جداً لكن هذا الرضى لم يطل اجله .

واذا رئيس الوزارة البلغارية يتحرش بنا ويلقي الينا كلمة التعجيز .

هذا الرئيس اوعز الى رجاله السياسيين ، حتى قبل ان تضع حرب رومانيا اوزارها ، فكرة وجوب التنازل عن دبروجا بجميع اجزائها لبلغاريا واوهمهم من طرف خفي أن القيادة الالمانية العامة تعارض في ذلك . ولم يوافق الملك فردنناند في هذه الحال [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التي [illegible] الاحوال [illegible] [illegible] قد احست هي بنفسها الا [illegible] [illegible] [illegible] تحس [illegible] بخطر الذي تتعرض له اذا تركت تيار اضطراب جديد يصل الى [illegible] [illegible] التي اصبحت قوية ومتينة في الجيش البلغاري اكثر [illegible] [illegible] [illegible] عن مقاومة ضغط رئيس الوزارة واتحادات [illegible] التي [illegible] [illegible] الحكومة [illegible] ووضعت عليها حتى لا [illegible] الوقوف بوجهها ثم ما عتم ان وجدنا [illegible] سياسة عمومية على القيادة الالمانية العامة [illegible] خصوص رجال لا مسؤولية عليهم ولا يحسبون اقل حساب للمعاهدة الحربية التي كانت بين المانيا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ابدته بعض الدوائر المغارية في هذه [illegible] [illegible] [illegible] كل [illegible] كان يكون اعظم نجاحاً اصلاح العموم له انهم توسلوا به لتسهيل سير الاعمال الحربية .

و [illegible] هذه الحوادث على النتائج التي [illegible] [illegible] [illegible] عقود [illegible] . [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المزيد من الوعود لتوسيع اراضيها وضم جميع الشعوب البلغارية الى ممالكها وما كان لنا قبل بحفظ هذه الوعود الا على شرط ان ننال ظفراً تاماً كاملا . حتى ان هذه الوعود كلها لم تكف بلغاريا فقد كانت تزيد مطاليبها بغير انقطاع لا ترجع الى نفسها تسائلها هل هي ، تلك التي لم تكن الى الآن الا دولة قليلة الشأن ، تصبح قادرة فيما بعد على ان تدير اراضيها سياسياً واقتصادياً اذا وسعت على مقتضى رغباتها ؟

لكن كان لنا نحن من هذه المطامع خطر حربي قريب . قد قدمت الكلام على المنافع الكبرى التي كان يمكننا ادراكها من الوجهة الحربية لو أن خط دفاع الجناح الغربي من الجيوش البلغارية ، في الميدان المقدوني ، اخر سنة ١٩١٦ الى جهات بريلب. بنا قد اشرنا الى هذه المسألة اشارة خفية وكشفت اشتيرف جميع الدوائر السياسيه البلغاريه اشتد القلق . فداخلهم الخوف حالاً في بلغاريا من ضياع كل حق سياسي لهم في الاراضي التي يكونون قد حلوا عنها حربياً . وآثروا ان يخاطروا بنصيب جيش اجمع على ان يتحملوا ، امام البلاد ، تبعة الجلاء عن « اخربدا المدينة البلغارية العتيقة » . ولسوف نرى الى اي وجه ان نقودنا سعة الامتيازات التي عاهدنا عليها بلغاريا .

هذه المقترحات السياسيه التي لا يحصرها عد وردودها لم تحمل الىّ الا الالم والكدر وزادت فيّ النفور الذي كان فيّ من السياسة .

ان نص معاهدتنا مع تركيا كان على خلاف نص معاهدتنا مع بلغاريا . فلم نعاهد انفسنا ازاء الحكومة التركية الا على ضمان سلامة املاكها قبل الحرب . لكن الاتراك كانوا قد خسروا في اسيا في اثناء سنتي الحرب الاوليين اجزاء هامة من مقاطعات حدودها فنتج من ثم ان اصبحت الواجبات التي عاهدنا عليها تركيا ثقيلة جدا فهذه الحالة بين الملاءمة من كون لها تأثير عظيم بارز وعمل مهم على سير الحرب العام : فقد كان يسع الحكومة التركية ان تدعي ، من هذا الوجه ، مطالب قد لا يمكننا لاسباب سياسية ان نتنحى عنها . على ان انور باشا ، بما اظهره من رجاحة الصائب وسماحة الفكر بشأن سير الحرب العام ومن المقدرة على تمييز العوامل الجوهرية فيها ، قد كان لنا جليل النفع والفائدة وبان لنا ايضاً أن الآراء السياسية التي عليها رجال الدولة التركية لذلك الحين كانت تضمن لنا أن الخسائر التي تكبدتها تركيا الى الآن لا تعكر علينا كثيراً ما كنا نحسبه في الحرب . واكدوا

لنا ان الحكومة التركية ، متى بدأت مفاوضات الصلح ، لا تشدد كثيراً في التقيد بنص المعاهدة لكنها تقنع ، اذا توفقوا الى وضع نص يحفظ نفوذ الحكومة الحالية ، بحل يعترف فيه بسيادتها الاسمية ، قلت او كثرت ، على قسم كبير من اراضيها الضائعة .

فكان اذن فرض جوهري على الحكومة الالمانية وعلى القيادة الالمانية العامة أن تؤيد الحكومة التركية التي كانت يوم ذاك قابضة على مقالبد الاحكام لانه كان من الصعب جداً ان يخلفوا انور باشا وطلعت باشا برجال نأتمنهم مثلهما ويكون لهم ما كان لهما من الغيرة على قضيتنا . لكن لم يكن ذلك ليمنعنا عن ان نعارض في تركيا النزعات السياسية التي كانت تعرقل اتمام الواجبات العسكرية المنوطة بهذه البلاد في مجموع الاعمال الحربية . اني احيل القارىء بهذا الموضوع الى الملاحظات التي ابديتها على الحركة الاسلامية . ان هذه الحركة كانت تهدد بتطويح تركيا في طريق الدمار من الوجهة الحربية وبعد سقوط روسيا قام اعوان هذه الحركة الاسلامية مطالبون بطاقة انتشار مذهبهم في وجهة القوقاز . وفكروا ان يبسطوها حتى الى ما وراء بحر قزوين . وكادت تتوغل في صحاري اسيا الوسطى يقودهم وهم الآمال بامكان ضم جميع القبائل المدائنة بالدين الاسلامي والآداب الاسلامية الى الدولة التركية .

واضح انه لم يكن لنا قبل بأن نمد بالمساعدة هذه لاحلام في السياسة الشرقية بل بعكس ذلك كان يجب علينا ان نلح على تركيا في الرجوع عن هذه الخطط البعيدة عن مرافق الوصول الى حقائق الحرب الحالية ومن الاسف ان مجهوداتنا لم تكلل بغار النجاح

قد كان اصعب علينا جداً ان نبسط نفوذنا على حالة تركيا الداخلية منه على سياستها الخارجية . على انه لم يكن يسعنا ان نتخلى كل التخلي عن ان نحاول ،

على الاقل ، عمل شيء في هذا الشأن . وقد صدقنا العزيمة على ذلك ليس بسبب الحالة الاولى التي كانت عليها تركيا من الوجهة الاقتصادية بل ساقتنا اليه عواطف المحبة والمروؤة .

ان نهضة تركيا العجيبة بقوتها الحربية وانبعاث الفروسية ، التي اتت عليها بالف دليل في العصور الغابرة في اثناء هذا الجهاد الذي قامت به حفظاً لكيانها قد اظهرا باجلى بيان ما في سيادتها من الاطوار المفجعة عنيت بذلك مسلكها ازاء الشعوب الارمنية الذين في دولتها

ان المسألة الارمنية كانت من اصعب المسائل التي لزم تركيا ان تفض مشكلها واعصاها وكانت هذه المسألة متداخلة في نطاق الحركة التركية والحركة الاسلامية معاً .

على ان الطريقة التي توسل بها الحزب التركي المتعصب لحلها شغل العالم اجمع في غضون الحرب وارادوا ان يجعلوا لنا ، نحن الالمان ، يداً في هذه الاعمال البربرية التي وقعت في كل الدولة التركية والتي جرت ايضاً في بلاد القوقاز الارمنية في اواخر الحرب . فمن ثمّ ارى عليّ واجباً ان اقول في هذه المسألة كلمة . وما من سبب لا سدل ستار السكوت على توسطنا في هذا الشأن . فاننا ما ترددنا قط ، إن بالكلام او بالكتابة ، عن بسط نفوذٍ يلطف اساليب الحرب الوحشية المطلقة العنان التي صيرها توارث البغضاء واختلاف الدين من الامور التقليدية في الشرق .

وقد كنا فزنا بتأكيدات بهذا الصدد من السلطات المسؤولة في الحكومة التركية لكن لم يكن في طاقتنا التغلب على مقاومة الاهواء التي كانت تعترض دون توسطنا فقد كانوا يصرحون لنا ، مثلاً . ان المسألة الارمنية امر منوط بالسياسية الداخلية وكانوا يظهرون شديدي الانفعال حين نلمس هذه المسألة . وحدث

ايضاً ان ضباطاً المانيين، كانوا على مشهد ومسمع، لم يسعهم ان ينالوا من السلطات التركية تلطيفاً لاعمال البغض والاثار التي يندفع فيها بنو وطنهم

ان ظهور الحيوانية في الانسان الذي يدافع عن كيانه او الذي بلغ منه التعصب السياسي او الدني مبلغه ليدوّن صفحة سوداء من اشد صفحات التاريخ كلوحاً في كل العصور وفي كل الشعوب .

ان [illegible] هم ينتمرن الى امم ظالمت محافظة على [illegible] . [illegible] ان [illegible] المدر استحكمت منهما [illegible] في [illegible] والاما [illegible]

[illegible] هؤلاء [illegible] [illegible]

[illegible] ولا [illegible] تصرت منها تركيا [illegible] بشرية [illegible] والحربة ولا يمكن [illegible] ذخيرة [illegible] باشنع [illegible] في فصل الشتاء يفضونه على اعالي جبال [illegible] سياسة التدمير [illegible] الارمن . ان عدد هؤلاء الاموات [illegible] كل [illegible] صفحة جديدة [illegible] تاريخ [illegible] الاناضول [illegible] الاخيرة [illegible]

مسألة الصلح

رُفعت اليّ مسألة الصلح في أثناء انهماكي بإعداد معدات الحملة على رومانيا وقد اثار هذه المسألة، على مقدار ما بلغ اليه علمي، البارون بوريان وزير الخارجية في النمسا — المجر فكل من يعرف طبعي ويعرف ما هي أفكاري في الحرب لا أحتاج أن أزيده برهاناً على أن هذا التصرف قد لاقى عندي؛ بصفتي انساناً، كل عطف وهوى. غير انه ما كان ينبغي لي، وأنا أساعد في هذه القضية، أن افكر إلا في امبراطوري وفي وطني. وكنت اعتبر كواجب عليّ، في حين كانوا يتباحثون في عرض صالح ويبحثون [illegible] على [illegible] سنا ولا [illegible] [illegible] رضا للصلح [illegible] والخارج باقل ضعف من استعمال عبارة فيها غلاظة وجفاء. وقد كنت تساعداً على ما بذل [illegible] العارف كل العرفان بواجبه نحو الله ونحو البشرية، من الغيرة والحب [illegible] عرض الصلح هذا الى نتيجة موفقة. ومن رأيي انه ما كان يظن أن هذا التصرف سيلاقي الاخفاق التام [illegible] شخصياً فلم يكن في مقدوري منذ البداءة الا [illegible] ان اعداءنا [illegible] عظمة كان يدعو [illegible] حكومات [illegible] الجوع [illegible] عن [illegible] [illegible] في الاضلاع [illegible] على [illegible].

في ١٢ ديسمبر [illegible] مستعدون لابرام الصلح [illegible] الدوائر الحكومية [illegible] الا بالرفض او الاستهانة.

وليلنا في هذا السبيل رئيس ولايات اميركا الشمالية المتحدة وبلغ مستشار

الامبراطورية القيادةَ العامة المقترحات التي انفذها الينا الرئيس بواسطة سفيرنا في الولايات المتحدة . اني انا شخصياً كنت اعتبر ان الرئيس ولسن لم يكن فيه صفة الوسيط المنصف وكنت اشعر انه يحمل بين ضلوعه هوى وعطفاً على اعدائنا ولا سيا على انجلترا وما تلك الا نتيجة طبيعية في اصل سكان الولايات المتحدة الانجلو سكسون . وما كان يسعني ، شأن الملايين من بني وطني ، ان اعتقد ان مسلك ولسن قد كان الى ذلك الحين خالي الغرض وان هو ربما لم يكن مناقضاً حرفاً حرفاً للفروض التي تقضي بها الحيدة التامة . ففي كل المسائل التي خرقت فيها حقوق الامم قد راعى الرئيس ما استطاع انجلترا وتساهل معها في ما انتقصته من هذه الحقوق اجرم انتقاص . غير أنه في مسألة حرب المواصلات التي لم تكن ، مع ذلك ، الا وسيلة اثار مما اتخذته انجلترا من وسائل الظلم ظهر ولسن شديد النزق و التغيظ وهرع من ساعته الى التهديد والوعيد بالحرب .

وافقت المانيا على الاحكام الاساسية في اقتراح الرئيس وابلغ اعداؤنا ولسن مطاليبهم مستوفاة الشروح وأدنى اغراضها الجوهرية شل يد المانيا الى الابد اقتصادياً وسياسياً وتجزئة النمسا — المجر وتقويض الدولة التركية . فمن بحث ، في ذلك العهد ، بسكون بال حالة المتحاربين العمومية وجب عليه القول ان اغراض الحلفاء من الحرب لا يمكن ان يسلم بها الا أعداء كسروا وقهروا قهراً كاملاً لكننا نحن لم يكن لنا من الهزيمة ما يوجب علينا ان نعتبر انفسنا هكذا . وعلى كل حال ، استناداً على الحالة التي كنا فيها حينذاك ، اعتبرت اني اجترم جرماً ازاء بلادي وخيانة ازاء حلفائنا لو اني اتخذت خطة غير خطة الرفض البات المطلق امام اشباه هذه المطالب

اما وحالتنا كما هي في ذلك العهد فما كانت اعتقاداتي وما كان ضميري يسمح لي ان اطلق اسم « صلح صالح » الا على صلح يقدم لنا للمستقبل الضمانات الآتية : ان يكفل لالمانيا في العالم مكانة يحميها من القسر السياسي كالذي سبب

الحرب الحالية وقدرةً لتعضيد حلفائها دائماً على كل خطر. اما انا بصفتي جندياً، فقد كان امراً ثانوياً عندي ان اعرف على اي القواعد السياسية والجغرافية ينال هذا الغرض. والامر الجوهري هو ان ينال. وكنت إخال انه لا يسوغ لي القول ان الشعب الالماني وحلفاءه لا يكون لهم قوة يدفعون بها السلاح، مهما يكلفهم الامر، مطالب خصومهم التي لا تطاق. وفي الواقع كان رأيي بلادنا مجمعاً على ان يرفضوا شروط الاعداء وفي ذلك الحين ما كانت فقط تركيا وبلغاريا انتنارلا عن امتيازات لها ومطالب. غير اني كنت اعتبر انه من المحال التغلب على دلائل الضعف التي بدت من النمسا — المجر.

وقبل كل شيء لا ينبغي أن يغرب عن البال ما تتعرض له الامبراطورية الدانوبية اذا رضيت بشروط اعدائنا وأن يغرّنا الامل بامكان التفاوض والتباحث مع اعدائنا على قواعد اقرب الى العدل والنصفة فقد دلّنا الاختبار مراراً عديدة على ان النمسا — المجر يسعها ان تعطي من القوة فوق ما تحسب. وحسبها ان تقف حكومتها في وجه ضرورة مطلقة لتحملها على بذل مجهودات اقوى واعظم. ولهذه الاسباب كنت اعتبر انه من الخطإ ان نستعمل مع النمسا — المجر عبارات الملاينة والمؤاتاة. فما كان يمكنها ان تثبّت ثقة رجال حكومتها وقوادها العسكريين ولا تزيد قوتهم عزماً وحزماً. ان لكل امر زمناً. لكن متى كان الموقف حرجاً فمن يعرف ان يتثبت في مطالبه ومن يبرهن هو نفسه على ارادة حازمة يبعث في الذين يضعفون ويهنون نفوذاً اقوى مثاراً واعظم حضاً من كلام التأسية والتأميل بمستقبلٍ افضل واجل.

وعلى خلاف ما كنا نتوقع من الرئيس ولسن، بالرسالة التي وجهها في ٢٢ يناير الى مجلس الشيوخ الاميركاني، في الاعلان الذي ضمنه اعداؤنا اغراض الحرب مؤرخاً في ١٠ يناير — وهذا هو الاعلان الذي اذاعته دول الحلفاء بعد

ما رفضوا في ٣٠ دسمبر مقترحاتنا — اساساً اوفق واصلح لمفاوضات الصلح من نشرتنا السياسية حيث اوردنا موافقتنا على مواصلة اسباب المناقشة والمكالمة بشأن الصلح . وخطة الرئيس هذه قد اضعفت جداً ما كان فيَّ من ثقة بعدم تحيز لفريق دون فريق وما كان حقيقاً بي ان امتنعَ من موافقته على الافكار النازعة الى حب البشرية نزوعاً شريفاً سامياً في رسالتـه هذه لو أني لم ابحث عبثاً في هذه الاسطر عن تصريح ينكر فيه على اعدائنا ما حاولوه من ان يعدّونا كرجال من طبقة دون طبقتهم . والعبارة التي تشير الى اعادة بولونية موّحـدة ومستقلة استقلالاً داخلياً وخارجياً بعث فيّ أيضاً قلقاً واضطراب بال وظهرت لي انها موجهة تواً الى صدر النمسا — المجر والمانيا . وهي توجب على الامبراطورية الدانوبية التخلي عن غاليسيا وتكره المانيا على التخلي عن اراض من اراضيها او على الاقل على ترك حقوقها في السيادة

أبعد ذلك من يرتاب في ان تداخل ولسن بشأن الدول الوسطى لا يمكن ان يكون مجرداً عن غرض؟ ان الرسالة كانت لنا اعلان حرب اكثر مما كانت وساطة سلم . ومن رأى ان يتابع الرئيس في سياسته فقد وقف على هاوية زلقة تهدد ان تقودنا في نهاية الامر الى صلح يرغمنا على التخلي اتم التخلي من موقفنا السياسي والاقتصادي والعسكري . ومن رأيي انه كان كثير الاحتمال جداً بعد ان نكون خطونا الخطوة الاولى في سبيل المسالمـة ان نقاد شيئاً فشيئاً الى الهاوية من الوجهة السياسية ثم نضطر ان نوقع تسليم سلاحنا .

ان النشرات التي ذيعت في اكتوبر سنة ١٩١٨ اعلمتني ان الرئيس ولسن ، على اثر انفاذ رسالته الى مجلس الشيوخ في ٢٢ يناير سنة ١٩١٧ ، ابلغ السفير الالماني في واشنطن انه مستعد ليكون وسيطاً رسمياً للدخول في الصلح . وانتهى هذا البيان الى برلين في ٢٧ يناير . وما سمعت احداً يتحدث عن هذه الوساطـة من لدن الرئيس ولسن ، وكانت على ظاهرهـا جديرة بالركون اليها . والى الآن

اجهل أإلى الاغلاط ينبغي ان يعزى هذا السهو الذي يؤسف له ام الى سلسلة من الحوادث غير الموموقة ؟ ورأيت في اواخر ينايرسنة ١٩١٧ انه لا يمكن تحاشي الحرب مع اميركا . في ذلك العهد كان ولسن عارفاً بعزمنا على بدء حرب الغواصات من اول فبراير حرباً لا هوادة فيها . وليس يبعد ان يكون الرئيس واقفاً كلّ الوقوف على دخائل هذه المسألة لان انجلترا ، التي كانت تختلس تلغرافاتنا الى سفيرنا في واشنطون ثم تحلّ رموزها ، قد ابلغته بلا ريب تلغرافاتنا المختصة بحرب الغواصات وسائر الانباء التي كنا نبعث بها . اما الرسالة المنفذة الى مجلس الشيوخ في ٢٢ يناير وعرض الوساطة الذي قدّم بُعيد ذلك فعليهما مما تقدم دليل واضح .

وكان الشر ماضياً في سبيله . ولهذا لم تمكن ملافاته باعلاننا الذي نشرناه في ٢٩ يناير وا كدنا فيه اننا على استعداد للكف حالاً عن حرب الغواصات اذا توفق الرئيس الى قاعدة صالحة للدخول في مفاوضات الصلح .

ويبدو لي ان حوادث ١٩١٨ جاءت توكيداً للرأي الذي رأيتُ في ذلك العهد وهو رأي شاطرني فيه من كل وجوهه رئيسي الاعلى .

السياسة الداخلية

لما كنت في عداد الجيش العامل وقفت دائماً بعيداً عن مسائل السياسة الداخلية التي كانت حديث اليوم ، ثم لما انزويت عن الحيش ما كنت لاعيرها اهمية كبرى . ما استطعت ان افهم كيف ان صلاح بلادنا العام لا يجيء دوره غالباً الا بعد مصالح الاحزاب وهي مصالح ضئيلة وما كنت احسّ من نفسي ارتياحاً الى اعتقاداتي السياسية الا تحت ظل الشجرة التي نمت اصولها في الارض السياسية النامية من عهد امبراطورنا القديم العظيم . وما كنت افكر الا في ذلك العهد وكنت معجباً بعظمته وجلاله وحافظاً نظرياته واساليبه الكبرى آمن حفظ .

وما كانت حوادث الحرب الحالية لتشجعني على التحمس للمحدثات التي حملها الينا عهد حديث.. ان حكومة وثيقاً انضمامها بمقتضى ما اراد بسمرك من هذا الانضمام، لهو المحيط الذي ارتاح اليه بافكاري اكثر من سواه . ان نظام الشعب الالماني وشغله كانا لدي اجلّ عظمةً من الاحلام الإنمية . وكنت اعتبر ايضاً انه لا ينبغي اسداء وإني حقاً ما الا أن يوجب عليه واجبٌ يعدله اهمية

في زمن الحرب بما فكرت في الحرب . ومن رأيي انه كان يجب ان تزاح الموانع التي تقوم سداً في وجه تسيير القتال بشدة ونشاط لا نأخذ فيه بالوجوه لخطورة الحالة .

لقد نحا اعداؤنا هذا النحو وكان من حقنا ان نتمثل بهم لكن من داعية الاسف أننا لم نفعل . وقد استسلمنا الى أوهام حق الامم تقودنا بدلاً من ان نضع شعورنا الوطني وقوتنا الوطنية فوق كل شيء ، في هذا الصراع الذي كان كياننا فيه على خطر .

في اثناء الحرب ألجئت ان أنهي في مركز القيادة العامة بعض الاشغال التي هي من متعلقات الداخلية لا سيا اشغالاً لها صلة بالمسائل الاقتصادية . فما كنا نحن نسعى وراء هذه الاشغال بل كنا نكلف بها تكليفاً اكثر مما كنت ارغب فيها . وكان لا يمكننا ، نظراً للروابط المتينه التي كانت بين الجيش وبين الحالة الاقتصادية في بلادنا ، ان نرسم ، بين المسائل الاقتصادية المختصة بالداخلية بين عمل القيادة الحربية، خط انفصال شبيهاً بالخط الذي كان مرسوماً بين منطقة الاعمال الحربية وبين الداخلية .

ولقد غامرت بجميع مسؤوليتي دفاعاً عن منطوق برنامج الحرب الاقتصادي الواسع الذي يحمل اسمي . والخطة الوحيدة التي رسمتها في وضع هذا البرنامج موضع العمل هي : يجب ان نكفي حاجة الرجال المقاتلة ، مهما تكن الاحوال

والظروف، ولو اني رسمت، في هذا الشان، غير هذه الخطة لكنت اقترفتُ، على ما ارى، جرماً كبيراً نحو جيشنا ونحو وطننا. ان الارقام المدونة في طلباتنا كانت جسيمة جداً اذا قابلناها بارقام الطلبات الماضية فهل كان يمكن نيلها؟ ذلك سؤال ما كان عليّ ان انظر فيه. وبعد الحرب صرّحوا ان هذا البرنامج قد املاه اليأس. فان الذي اكتشف هـذه العبارة قد خُدع اتمّ خداعٍ على الحالة النفسانية التي شارفتْ وضعَ هذا البرنامج وإحكامه.

وكنت اجتهدت جهدي على ان يتناول القانونُ الخدمـة الاحتياطية في الحرب. واعتبرت، ووطننا في الحالة الحرجة التي فيها، أن ليس فقط جميع الرجال القادرين على اعتقال السلاح بل ايضاً جميع الرجال الذين يسعهم الشغـل حتى النساء يجب ان ينضموا، مختـارين او منقادين، الى خدمة قضيتنا الـكبرى. وكنت احسب ان مثل هذه الشريعة تجلب لنا ليس فقط قوات جديدة بل قوات ادبية يسعنا ان نضعها في كفة ميزان الحرب ومن الاسف ان نصَّ الشريعة النهائي جاء على غير ما حسبتُ واكثر تاطيفاً واعتدالاً. ولقد اسفت، اذ خابت آمالي، على أني ما حاولت بلوغ غرضنا باستنادنا على شرائع موضوعـة، كما رأى غيري هذا الرأي. وقد فكرت ان قبول الشريعة يكون بمثابة لمظاهرة عظيمة تجيء برهاناً على ارادة جميع الشعب الالماني. وهذه الفكرة حملتني على اهمال ما يكون من تأثير [illegible]لة السياسة الداخليـة حين ذاك. اما الشريعة فقد كان لها تأثيرها من الوجهة السياسية الاقتصادية في الداخلية لكن ما كانت النتيجةُ المنتظرة من الوجهة الادبية في الامة.

لقد عابوا على القيادة العامة انها، اذ اجرت شريعة على « الخدمة المساعدة الوطنية » وعلى ما يسمونه « برنامج هندنبورج »، قد عجلت طرائق اجتماعية ومالية واقتصادية كثيرة التطرف كان من نتائجها ظهور آثارها في الثورة ومابعدها

ينبغي ان اترك للمؤرخين الآتين ، وقد نزعوا عنهم نفوذ الاحزاب السياسية الحاضرة وتأثيرها ، ان يقولوا كلمتهم في هذه المثالب أصحيحة هي ام غير صحيحة ؟ على انه يجب عليّ ان انوّه بامر : انه في اثناء الحرب شعرنا شعوراً قوياً بنقصان هيأة عالية اقتصادية منشأة خصيصاً لاجل الحرب فقد علمنا الاختبار انه لا يمكن ، بضربة عود خفيفة ، ان يخرج من الثرى مثل هذه الهيأة . فان كانت تعبئتنا الحربية ، ويمكنني ان اقول ايضاً ، تعبئتنا المالية مهيأتين تهيئة نعماً فلم يكن شيء مفعولاً بشأن التعبئة الاقتصادية . وبناء عليه فاقت وفرةُ الاحتياجات والإنتاج ، التي اضطررنا أن نذللها ، كلّ ما توقعناه قبلا .

ونظراً الى اطالة عهد الحرب اوجبت علينا الحالة التي تعذر علينا معها اجتلاب اقوات لنا من الخارج تعذراً يكاد يكون تاماً وكثرةُ ما ننفقه من الذخائر وعتاد الحرب ، مجهودات ما كان في طاقة مخيلة بشر ان تتصورها تصوراً في ايام السلم.

ان المجهودات الشديدة والعظيمة جداً التي كانت تهم ، الى الدرجة القصوى ، الجيشَ والبلاد معاً اظهرت لنا أنه لا بدّ من اشتراك وثيق يشملِ جميع عدد الامة اذا شئنا ان تدور الآلة بدون احتكاك ولو كان انتاجها ضئيلاً . وكان من الضرورة انشاء عضو مركزي مشترك تجتمع اليه جميع العاملات ويوزع هو جميع الاشغال. فانما هذا العضو وحده كان يمكنه من بعد نظر في الامور ، ان يصدر القرارات الاقتصادية والعسكرية الناشئة عن تبدل الظروف والاحوال . فقد كان يكون سيرها الدقيق قد اوجب تساند جميع الرجال الاقتصاديين الاكفاء الذين يمكنهم ان يميزوا نتائج قراراتهم ويديروا الحركة بنشاط وبعد نظر في الامور . ان هذا العضو كان ينقصنا . ولا حاجة بي فأدليَ بالبرهان على ان رجلاً واحداً ذكيّ الفؤاد له حنكة وقدرة على التدبير قد يكون كفوءاً لمثل هذه

المهمة . حتى ولو سلمت بأن كلّ هذه الشروط قد تمت لقد كان يكون من المستحيل محاشاة بعض شوائب لا تزال متبعة .

واني بقدر ما حاولت ان أتحاشى التداخل في الجدال تثيره الاحزاب بعضها على بعض بشأن مسائل السياسة الداخلية او بشأن أداء خدمة لاحد الاحزاب الموجودة كنت امدّ يدي الى كل مسألة اجتماعية اؤيدها اذا كان لها مساس في الصالح العام . وخصوصاً كنت اعتبر أن من واجبي ان ادعم بكل نفوذي مسألة مساكن المقاتلة في داخل البلاد .

وكنت اوافق على الوجهة الادبية خاصة في هذه المجهودات الاجتماعية لاني لا اعرف مشهداً اجمل واسحر الالباب من مشهد رجل يتمتع ، في بلاد متمدنة ، بمنزل وقطعة ارض متقنة الحرث والغرس . فكم جنود من اجنادنا الابطال على ساح القتال قد احسوا في ساعات الراحة بامل ينتعش في نفوسهم وشوق الى هذه السعادة يفرخ في صدورهم ! فان احرّ امنية لي هي ان ارى عدداً جليلا من رجال الحرب رفاقي الامناء ، الذين قاسوا وصبروا على انواع الآلام والويلات ، يستمتعون يوماً بهذه السعادة .

الاستعدادات لحملة الربيع المقبلة

موقفنا وقراراتنا

لما قدرنا أن نقف ، من النتائج التي احرزناها من الوجهة الحربية في اثناء سنة ١٩١٦ ، على يقين لزمنا ان نحدد الشروط التي يمكننا بها مواصلة النزال سنة ١٩١٧ وما خالجنا شكٌّ قطّ في ما يأتيه خصومنا في غضون هـذه السنة . وتيقنّا أنهم يحاولون هجوماً عاماً ريثما تسمح لهم به استعداداتهم والزمن الملائم . وكان علينا

أن نتوقع منهم ، بعد ما اكسبتهم تجارب الحرب المنصرمة العلمَ والحنكة ، أن يتزيدوا في التوفيق بين جميع هجماتهم على كل خطوط القتال بقدر ما توسعهم من الزمان والفرصة .

وما من شيء كان أسهل على طبعنا وأقرب الى أمانينا وشعورنا من ان نتدارك الهجوم العام الذي نتوقع . فان فعلنا كذا فقد عرقلنا خطط الاعداء وضمنّا لنا من البداية القبضَ على ناصية الاعمال الحربية . وحقيق بي ان أدلي أنه في اثناء الحملات التي وقعت في السنين الماضية لم يُهمل شيء لبلوغ هذا الغرض في كل مرة وضعت قيد يدي وسائطُ كافيةٌ . لكن في أواخر ١٩١٦ ما كان ينبغي لنا ان نغلب رغباتنا الشخصية على أحكام العقل في الفحص الذي وجب علينا ان نجريه في الحالة الحقيقية

وما من شك في ان مقابلة القوات الواقفة وجهاً لوجه في أواخر ١٩١٦ كانت اقلّ صلاحاً في جانبنا منها في اوائل هـذه السنة فقد انضمت رومانيا الى جانب خصومنا وهذه الدولة ، على الرغم من النكبة الكبرى التي حلّت بها ، كانت لا تزال عاملاً يجب علينا ان نحسب له حسابه . وان جيشها ، لما التجأ يعتصمُ وراء خطوط الروس ، احتمى في حرز واكتسب الوقت اللازم له ليستعيد تنظيمه . وكان على يقين من ان دول الحلفاء تؤيده بكل الوسائل لتسهّل عليه هذه المهمة .

وقد شاءت الاقدار ان تتوفق قيادتنا العليا منذ بدء الحرب ، الى ان تخرج من صف اعدائنا سريعاً وتباعاً ، عدواً من اعدائنا ، ولو كان ضعيفاً اللهمّ الا الجبل الاسود .

وهكذا في سنة ١٩١٤ تمكن الجيش البلجيكي من النجاة من انفرس ثم وقف في وجهنا . اجل انه كان غير قادر على ان يأتي عملاً ذا خطرٍ الاّ انه شغل من قواتنا شطراً لا يستهان به

وفي سنة ١٩١٥ كنا اصلح حالاً مع الجيش السربي لكن ظاهراً فقط لانه ،

وان كان في حالة تحزن وتدمي الفؤاد ، فقد نوفق الى الافلات من إطباقنا عليه . لكنه في سنة ١٩١٦ بعد أن استعاد تعبئته وتنظيمه ظاهر من جديد على ميدان القتال المقدوني ومن ثمت أخذت تفد عليه من غير انقطاع وحدات وأمداد من جميع البلدان الممكنة وكانت مؤلفة خصوصاً من الفارين النمسويين — المجريين الذين من اصل صقلبي وذلك ابقاء لفرقه في حالة تمكنهم من النزال .

وفي الحالات الثلاث ، إن أردت بلجيكا أو سربيا أو رومانيا ، لم يكن الا قيد شعرة حتى تندك هذه الجيوش وتندثر اندثاراً . فاذا تباينت العلل التي انقذتهم فما تباينت النتيجة في الحالات الثلاث .

فامام أشباه هذه الحوادث يسهل كثيراً على الناس ان ينسبوا اهمية كبرى الى الدور الذي تلعبه « الصدفة » في الحوادث الحربية . فانهم باستعمالهم هذه اللفظة يعرّون الحرب من عظمتها الجليلة الفخور ويحطونها الى دركة لعب « الصُدَف »

ما داخلني قط شعورٌ بان الحرب لبست يوماً هذه اللبوس .

قد وجدت ، في كل آن واين ، في حوادث الحرب الكونية وفي نتائجها ، حتى ولو كانت مخالفة لنا ، سلسلة متضامنة من مسببات متماسكة الواحد في الآخر تماسكاً موصولاً . فمن يهاجم أو يستطيع ان يهاجم يغنم الفوز الى جانبه ومن يأبى ان يعمل أو يرغم على الاباء فهو خاسرٌ .

اما ما يتعلق بحملة ربيع ١٩١٧ فما كان في طوقنا ان نعرف أمن الشرق يأتي الخطر الجسيم أم من الغرب ? فلو اننا لم نقصر نظرنا الا على امر العدد لكان الخطر الذي يمكن وقوعه من الشرق يبدو لنا اعظم جسامةً . وكان لنا حقٌ ان نعتقد بالروس يتوفقون في اثناء شتاء ١٩١٦ — ١٩١٧ ، كما كان شأنهم في شتاء السنتين المنصرمتين ، ان يزيدوا خسائرهم وأن يعيدوا الى جيشهم جميع مقدرته الهجومية . وما كان بلغنا قط علمٌ أن قد ظهرت في الجيش الروسي دلائل التفكك

والانحلال ظهوراً بيناً . غير أن الاختبار علمني انه لا ينبغي قبول مثل هذه التعليمات مهما تكن مصادرها الاّ باشدّ التيقظ والحيطة .

فما كان يسعنا ، امام قوة الجيش الروسي هـذه ، ان نفكّر في موقف الجيش النمسوي — المجري بدون قلق . فانّ ما انتهى الينا من التعليمات بهـذا الشأن ما كان ليجعلنا على يقين من أن فوزنا الذي نلنا في الحملة على رومانيا وحالة الميدان الايطالي الموافقه لنا بالنسبة ، وان كانت في ذاتها لا تزال ذات خطر ، يشدّدان عزائم الجيوش النمسوية — المجرية وينعشان فيها الحالة النفسية الخائرة. ثم انه لزمنا ان نعير اهتمامنا الى امكان وقوع هجمات جديدة من لدن الروس تنشر لها في الميدان النمسوية ثغرات جديدة . ولهذا كان يتعذر علينا ان نفصل من الميادين النمسوية المجرية القوات الالمانية التي كانت فيه . بل على ضد ذلك كان ينبغي لنا ان نكون على اهبة لارسال الى هذه الميادين وحدات جديدة اذا قضت الحاجة بذلك .

أمّا في ميدان مقدونيا فما كان لنا علمٌ يقينٌ بما تؤول اليه الحالة هناك

في اثناء الموقع الاخيرة اسندنا الى اركان حرب جيوشٍ المانى ادارةَ الاعمال الحربية على ساحة جيش القلب وجيش الميمنة البلغاريين اعني على الميدان الممتدّ من اوخريدا الى بحيرة دويران ثم ان هناك بعض دوائر المانية للقيادة — انشئت في سنة ١٩١٥ وسنة ١٩١٦ — بقيت في مراكزها في هذا الميدان . ونيط بضباط المانيين ان يبلغوا الجيش البلغاري جميع المعلومات التي كنا اقتبسناها في المعارك التي انشبتها جنودنا على سائر الميادين . لكن العود الى الاعمال الحربية وحده يمكنه ان يعرفنا نتائج هذا العمل . ورينا من الحكمة ، في هذا الوقت ، ان نستسلم الى كبار الأماني والآمال . وفي كل حال فقد لزمنا ان نكون مستعدين لمدّ يد الأيد الى حلفائنا في الميدان المقدوني

ووجب أيضاً ان نتوقع خصومنا في الميدان الغربي يستطردون قتالنا في الربيع

بكل قوتهم على الرغم من فداحة ما نالهم من الخسائر في أثناء العام الماضي . ان عبارة « بكل قوتهم » إنما هي نوع لاختصر فكرتي . لانهُ إذا أمكن في بضعة أشهر ان يعيدوا ،على جيش، القوة المادية التي فقدها في المعركة فلا يقدرون ان يعيدوا عليه في مدى هذا الزمن قوته الادبية . ان أعداءنا من هذا الوجه كانوا منقادين الى النواميس والشرائع نفسها التي انقدنا اليها

أما الحالة الهجوميـة على النقط المهمة من الميدان الغربي فكما يلي : في أثناء نزال عنيف طال خمسة أشهر توصل عدونا ان يؤخر خطوطنا على السوم ،في مساحة مساقتها أربعون كيلو متراً ، نحو عشرة كيلو مترات . لا ننسَ هذه الارقام ليمكننا ان نضع المقابلات

هذه النتيجة التي أبتيعت ببضع مئات الالوف من الانفس البشرية كانت ضئيلة إذا قابلناها بمجموع مساحة خطوطنا . لكن « الجيب » الذي فتح في خطوطنا كان يوقع ضغطاً على الاجزاء المجاورة لميـداننا . فكان من الضرورة اللازمة تحسين هذه الحالة . قد كنا مستهدفين لخطر الاحداق بنا بهجمات يقوم بها العدو من هذا « الجيب » بوفقها مع هجمات ثانوية أخرى يفك عقالها من الشمال والجنوب . أما نحن فكان في طاقتنا ان نهجم هجمة اكتناف على قوات الاعداء التي نفذت الى ساحتنا . هذا ما تبادر الى خاطرنا في بدء الحال لكنهُ نظراً الى الحالة العامـة كان اعظم مُغامرة علينا . أكان يجب ان نجترىء فنلجم جميعَ قواتنا في هجوم على ساحة السوم وهي سـاحة مرصوصة بجند الاعداء رصاً وذلك باقتحامنا خطرَ ثغرة يثغرها العدو في ذاك الوقت في صفوفنا على جزء آخر من الميدان الغربي أو من الميدان الشرقي ؟ هذا الامر برهن مرةً ثانيةً على انه ، متى لحظت هيأة اركان الحرب العليا فرصةً لاعمال حربية واسعة ، لا يجب عليها ان تطرح

النظر عن الحالة في سائر الميادين . فمن هـذا الوجه قد كانت لنا حوادث ١٩١٦ درساً يستحق ان نصغي انبه ونستمعه .

وعليه اذا لم يكن في وسعنا ان نقوم بهجوم يقوّم مناً دَ ميداننا ، كما كان متوقعاً ان يكون من نتائج موقعة السوم ، وجب علينا ان نستخرج من هذه الحالة عُقْباها ونؤخر خطوطنا . وعلى هذا وقع اختيارُنا . إنَّ موقفنا في السوم كان الى الشمال دخولاً ذاهباً الى قرب بيرون والى الجنوب نتوءاً يتصل الى غرب بابوم وروَي ونوايو فاخرناه نحو الشرق على خط القوس منصوباً من أرّاس الى سان كنتان فالى سواسون . ويُعرف هذا الموقف الجديد بموقف « سيفريد »

اذن على الميدان الغربي تقهقرٌ بدل هجوم ! ما كان شيء اسهل من اهذا القرار ! خيبة أمل صعبة الوقع على جيشنا في الغرب وربما كانت خيبة امل اصعب وقعاً على شعبنا وخيبة ثقيلة الوطأةِ جداً ، كما كان منتظراً ، على حلفائنا ! وفرح عظيم عند اعدائنا ! أكان ممكناً ان يتصور عند أعدائنا موضوع أفضل من هذا لنشر دعوتهم ؟ تقهقرنا . انه فوز باهرٌ يعقبٌ عن موقعة السوم الدامية وإنجاء متأخراً ! هو دفاعُ الالمان تخضد شوكته ! هو لحاقٌ بالعدو نلحّ عليه فيه إلحاحاً فلا راحة . لا تهوين ! هو سيرٌ الى حر الغنائم والاسلاب ! وكم من حكاية وحكاية موضوعة عن مياه أكن الحرب الالمانية !

وكان في طوق كل احد ان يتصور كل ما يقال . ويروى في هذا الصدد ! وكم من الف نشرة ونشرة سيلقيها العدو على خطوطنا ووراء خطوطنا !

بدأت حركة تقهقرنا الكبرى في ١٦ مارس سنة ١٩١٧ وتأثرنا العدو ولكن على حذر ومتى حاول ان يتقدم في سيره تقف له مؤخرتنا تخفف من غلوائه .

ان الخطة التي اتخذناها حسنت ، ليس فقط موقفنا الدفاعي في ساحة السوم ، بل ايضاً موقفنا الهجومي على سائر الميدان . وقد مكّننا تقصير خطوط دفاعنا في

الميدان الغربي من زيادة احتياطينا زيادة كبرى . وطمعنا ان نتذف على الاقل جزءاً من هذه القوات على وحدات العدو اذا حملت الى الامام تسير على آثارنا نحو موقف « سفريد » وذلك متى انتهت الى ارض حرة حيث نعرف أننا نكثر اعداءنا ولا يكثروننا . على اننا رجعنا عن هذا الخاطر لنحفظ بارودنا جفيفاً للوقائع المقبلة .

ان الحالة التي كنا فيها على أثرما اتخذنا من الوسائل قبل ربيع ١٩١٧ يمكن ان توصف بحالة انتظار لمقابلة العدو . وتلك حالة تركتنا في بدايتها للعدو أن يختار العمل لكنه كان بوسعنا ، في كل حين ، ان نخرج منها الى طور الهجوم على مواقع العدو الضعيفة .

لا سبيل الى اقامة المقابلات التاريخية بين الحالة التي كنا فيها يوم ذاك وبين سائر الحالات التي وقعت في اثناء الحروب الماضية . ان الاهمية الجلى التي علقت بجميع العوامل في الحرب الحالية لا تترك لها من وجه للشبه .

وحقيق بي ان اتكلم هنا عن خطتين مرسومتين لزمنا ان نشتغل بهما في اثناء شتاء ١٩١٦ — ١٩١٧ ولهما علائق قريبة بما عرضتُ آنفاً . ذانك هما مشروعا هجوم احدهما على ايطاليا والآخر على مقدونيا . قال بأولى الخطتين الكولونل — جنرال فون كنراد في شتاء ١٩١٦ — ١٩١٧ ورأيه أن فوزاً عظيما نربحه على ايطاليا يكون له تأثير جليل في مجموع حالتنا الحربية والسياسية . فما كان يسعني ان ارى هذا الرأي . فقد كنت دائماً ، كما قدمت الكلام في هذا الشأن ، على رأي أن ايطاليا متينٌ قيدها بانجلترا من الوجهة الاقتصادية ومن ثمّ من الوجهة السياسية بحيث لا كان من امل بارغامها على صلح منفرد ولو كسرناها اتمّ كسرة . اما الكولونل — جنرال فون كنراد فكان يرمي من وراء هذا المشروع الى ما يكون من حسن التأثير في إنعاش روح البلاد النمسوية — المجرية ادبياً اذا صدقت

حملتهم على ايطاليا . وكان يأمل ايضاً ان هذا الظفر يروّح جيوشه ترويحاً جماً واضطورب ان اسلم له ان لرأيه حجته الدامغة . لكن الجنرال فون كنراد ما كان يحسب انه يسعه ان يحاول هجوماً على ايطاليا يأخذ به من التيرول لا تنجده فيه الجنود الالمانية نجدة كبيرة فهو كان يطلب نحواً من عشر فرق . فازاء هذا المطلب ما رأيتني قادراً على تحمل تبعة توقيف مثل هذه القوات الالمانية ولاجل غير محدود في حملة ستقع ، على رأيي ، في ميدان بعيد الشقة جداً من اهمّ مناطق القتال واجسمها خطراً ألا وهما ميداننا الغربي وميداننا الشرقي .

وبدأ امر توجيه هجوم على احاد الاعداء في ميدان مقدونيا على هذا النمط . فنزعت بلغاريا الى هذه الخطة نزوع مرتاح اليها راغب فيها ، وكانت على كل حق ، كما هو معروف ، من الوجهة التي تلامسها ملامسة خصوصية شخصية . فاذا فزنا بظفر حاسم لزم دول الحلفاء ان تجلو عن مقدونيا فتكون بلغاريا اوشكت أن تنعتق تماماً من قلق يقلقها سياسياً كان أو حربياً . وتكون هذه الخطة قد نزلت من الامة البلغارية والحكومة البلغارية على أتم امانيها واحرّها . لان الانظار في بلغاريا ما فتئت تتطاول حسداً وطمعاً الى ثغر سالونيك الجميل الذي كثرت حوله المنازعات . والحق يقال ان هذا الاعتبار الاخير ما كان له علي اثر البتة . لكني كنت أرى ، في ذلك الحين ، ان التخفيف الحربي الذي تؤتيه بلغاريا ان يعود علينا بفائدة ما بالنظر الى حالتنا العمومية . فلو اننا احرجنا قوات الحلفاء على الجلاء عن مقدونيا لكنا وافينا معهم على ميعاد في الميدان الغربي القفون في وجهنا . في حين انه كان يبدو لي شك من أن الجنود البلغارية التي تصيرون القتال في حال يمكننا ان نقاتل في غير البلقان . ألم يبعث استخدام الة ق ببلغارية ، شمال الدارب في الاراضي التي ليس لبلغاريا فيها منافع قريبة ، على احتكاك غير منتهي فيما بين الجنود الالمانية والبلغارية ؟ لهذا كنت اعتبر ان

افضل خدمة يمكن تقليدها للقوات البلغارية في نطاق أعمالنا الحربية العـام هي ان يناط بهم مهمة الوقوف في وجه القوات التي كانت لدول الحلفاء في مقدونيا لا تتحول عنها . اجل ان بلغاريا كان لها حق طبعاً في القيام بهجوم في مقدونيا بقواتها وحدها وهذا الهجوم كنت اقابله في كل حين بالسرور الكثير على ان هذا الهجوم كان يجب ان يكون له غرض اقل طمعاً من الغرض بطرد جنود دول الحلفاء من مقدونيا والاستيلاء على سالونيك . ومع ذلك فقد عرفت بلغاريا انه لا قبل لها أبداً بهجوم بدون مساعدة فعالة من المانيا — وكانت تطلب ست فرق على الاقل — وبهذا قد كانت على الحق كله .

وفي الحين الذي تداولوا فيه الكلام على هجوم في مقدونيا ، اذن في اثناء شتاء ١٩١٦ — ١٩١٧ ، انتهى الينا تعليمات عديدة بحدوث تغير في الحالة السياسية في بلاد اليونان . غير ان هذه التعليمات احسست معها انها استصراخ انما لكنه استصراخ خديعة ونفاق . فظللت لم اتأثر من هذه الاصوات وخيل الي ان الشعب اليوناني ما كان مستعداً للدخول في حومة القتال بحماسة كبرى ولا سيما في قتال يستدعى فيه الى ان يتنازل مع البلغار جنباً الى جنب وقد تكون النتيجة كما كانت سنة ١٩١٣ وهذه المرة ايضاً هذان الشريكان الظافران لا يلقي احدهما بنفسه بين ذراعي رفيقه بعد ان فازا بنجاح مشترك يتعانقان عناق المودة والصفاء لكن على عكس ذلك يتماسكان الشعور ويتلاكمان تلاكم الحفيظة والبغضاء

ونتج من الديباجة التي وضعت آنفاً انه قد وضح لنا جلياً أن الحالة العمومية . الب . . . وات لا . . . ية جهداً جسيما وانه لا ينبغي لنا أن نزيدها حساسية بوضع مشروعات جديدة لا ترى من الحالة السياسية او الحربية ضرورة لها قصوى . حتى ولو حتمت لتحقيق خطط جميلة جداً تطمعنا بنيل انتصارات حربية مؤكدة لما وجب علينا أن نتحول عن الصدق مهمة نيطت بنا واهمها في نظرنا وهذه المهمة هي القتال

ضد قوات تكثرنا في الميـدان الغربي وفي الميـدان الشرقي وفي كلا الميدانين معاً

أما اليوم وقد عرفت نتائج القرار الذي قلت به في سـنة ١٩١٧ معارضاً فيه المجومين على ايطاليا وفي مقدونيا . فلو أعدت على نفسي هذا السؤال : « هـل كان بمكنتنا أو كان يجب علينا أن نقول بغير القرار الذى قلنا ؟ » لاجبت أيضاً لا . واحسبني قادراً على القول ان الحوادث التى وقعت فيما بعد في أوربا الوسطى قد دلت على أن القرار الذى كما أخذنا به هو خير القرارات وأصلحها . فما كان يسعنا ولا كان ينبغي لنا أن نستهدف لخطة حاطمة على الميدان الغربي أو الميدان الشرقي المروح نضفر اكاليل الغار في سهول ايطاليا العليا أو على ضفاف الوردار .

ان تركيا ما كانت في حاجة الى أخـذ معلومات مختصة بها لسنة ١٩١٧ من لدننا . فكان عليها أن تحافظ على أراضيها وتبقي القوات التي تصادمها بعيدة عنا فاذا فازت بهاتين النتيجتين تكون قد اتمت المهمة التي تخصها في نطاق أعمالنا الحربية العام .

وكنا قد نصحنا منـذ خريف ١٩١٦ لهيأة أركان الحرب التركيـة ، ابقاء للاجناد التي لها بهم حاجة لهذا الغرض في خير حال ، ان تستقدم معظم رجال فيلقي القوقاز من اعالي انجاد ارمينيا المقفرة الخالية من كل مورد من موارد الحياة فيتاح لها أن تقضي ذلك الشتاء باوفى راحة واهنا بال فوصل الامر الصادر في هذا الشأن متأخراً فنتج من ذلك ان ماتت وحدات بأسرها جوعا وبرداً كما كنا نحسب

لمه ما من نشيد وما من كتاب ذهبي يسرد هذه الميتات الفواجع !

فليسمح لي أن أسردها هنا في هذا المكان الوضيع !

حرب الغواصات

ألا من يفكر في السبعين مليوناً من نفوس بشرية تعيش في « نصف — مجاعة » وفي مئات تهلكها على مهل ! الا من يفكر في العدد العديد من الرضّع يموتون لأن قد نضبت اثداء امهاتهم فلا تدرُّ عليهم قطرة لبن وفي الاولاد الذين لا يُحصيهم العدُّ يظلون حياتهم سقاماً ضعافاً !

وهذه الامور تقع في أيامنا ليس في اصقاع الهند النائية وليس في الصين حيث الطبيعة تجمّد قلبها وقسا وفقدت الحنان فابت على الارض أن ترسل عليها غيثاً ممرعاً لكن في قلب أوربا وفي وسط المدنية وفي حشى البشرية ! نصف — مجاعة انزلها جورُ بعض الرجال الذين يتباهون بتمدنهم ويفاخرون بجورهم !

اين هو تمدنهم ? هل لهم في البشرية طبقة اعلى من اولئك الرجال الذين على قمم انجاد ارمينيا ، ولخزي العالم المتمدن ، ثار ثائرهم فانقضوا على رجالٍ عزّل ثم ان الاقدار أنزلت بهم عقابها فلقوا ، وهم الوف ، ميتة شنعاء ؟ وفي الحقيقة ان هؤلاء الانضالويين الغلاظ الاكباد قلما قادهم غير روح الثأر ومن الاكيد الثابت انهم ما انقادوا قط بروح المحبة

اذن ما هو الغرض الذي يرمي اليه هؤلاء الرجال «المتمدنون» ؟ أما خطتهم فواضحة هي : لقد تبينوا أن قوتهم العسكرية غير كافية ليحققوا بالسلاح ارادتهم العاسفة الجائرة وأن علمهم الحربي يظل عقيماً امام خصم اعصابه من فولاذ

فليهدُّوا اذن هذه الاعصاب ! واذا لم يسعهم أن ينالوا ظفراً في القتال وجهاً لوجه ورجلاً على رجلٍ فربما توسلوا اليه من الوراء بان يلجوا من داخل المانيا. فليميتوا النساء والاطفال جوعاً ! فيكون لهذه الوسيلة « ان شاء الله » تأثير في الازواج والآباء الذين يحاربون في حومة الوغى ولعله لا يكون فوراً لكن

رويداً رويداً ؛ اذ ذاك ربما يعزم الازواج والآباء على طرح السلاح . والا فهناك في داخل البلاد تستهدف النساء والاولاد للموت موتٍ ... التمدن . كذا يفكر بعض الرجال ويمكنهم ايضاً ان يـ .. موا الله !

« هدو يثقله بالمقذوفات الاميركية فلمَ لا نمرن بواخره ؟ أما عندنا وسيلة ؟ مسألة حق ! اين ومتى فكر اعداؤنا انه يوجد حق ؟ » تلك هي الاسئلة التي يتساءل الجنود في ساح القتال.

وحول الرجال من الداخل والجنودُ انظارهم يلتفتون الى من يـ يرون امورهم ويطرحون عليهم هذه الاسئلة واشباهها وبدأوا يطرحونها ليس في يوم ٢٩ اغسطس سنة ١٩١٦، لكن قبل ذلك اليوم

وقد كانوا فكروا ، قبل تسميتي في هيأة اركان الحرب العامة، ان يطلقوا لحرب الغواصات عنانها ويسيروها باقصى شدتها لقصروا آلام شعبنا ويخففوا عن جيشنا في مهمته الشاقة الشاقة . في هذا الصراع الذي لا رحمة فيه الموجه الى سكاننا العزل ما كان الا شريعة يُعمل بها : « العين بالعين والسن بالسن » وما سواها ما كان الا نقص حنوٍ ورحمة على دمنا .

لكن اذا كان لدينا السلاح اللازم للقيام بهذه الحرب وارادةٌ على استعماله فما كان يجب علينا ان نتعامى عن النتائج التي كان يمكن ان يجرها علينا استعمال هذا ... [illegible] المدمر ... لا لا فيد له ولا هوادة فيه . واذا كان لا ينبغي ... [illegible] ألا ... [illegible] ان نرعى للدول البحرية التي كانت، الى ... [illegible] . فلا نبغي ان يتعرض شعبنا باستعمال هذا السلاح ... [illegible] مما ... د انقاذ منها . فترددنا اذن في القطع بالامر ... [illegible] ... على خير البشرية

... [illegible] التي ... [illegible] الى هيأة اركان الحرب العامة . على

ميادين جيوشنا : أزمات ضيقة جداً وعلى ظهر البحر مسألة مستعصية ومن الاهمية في مكان . ولاول وهلة يخال ان فض هذه المسألة من صلاح الحكومة و إمارة البحر على انها مهم اركان الحرب أهمية كبرى . و بين أن الاسباب الحربية المحضة تدفعنا الى تمني وضع حرب الغواصات موضع العمل وتكاد المنافع التي تنتج منها للاعمال الحربية في البر تلمس باليد . واذا توصلنا فقط الى وضع حد لصنع عتاد الحرب ومهماتها عند اعدائنا أو نقلها بحراً سهلت علينا مهمتنا سهولة كبرى .

ويكون لنا كذلك ولو توفقنا ، ولو قليلا ، الى عرقلة اعمال اعدائنا الحربية فيما وراء البحار . فاي ترويح عظيم لا تبعثه هذه النتيجة ليس فقط الى بلغاريا وتركيا بل الى المانيا وذلك بدون أن تتكلف اهراق قطرة دم واحدة من دماء جنودنا! ولنا امل ايضاً اننا في مستقبل ابعد مجالاً نستطيع ان نضايق تموين بلدان الحلفاء بالمواد الاولية والارزاق وذلك الى حد لا يستطيعون بعده الصبر عليه. ولنا الامل على الاقل بانه يمكننا ان نضع انجلترا ازاء هذه المسألة الحاسمة لمستقبلها . إما المصالحة معنا واما ان تخسر مقامها في تجارة العالم !

لقد ظهرت انا اذن حرب الغواصات واسطة قتال قد يكون لها عمل حاسم على مجرى الحرب بل كانت هي ، في أوائل سنة ١٩١٧ المورد الوحيد الذي يسعنا ان نستخدمه لانهاء الحرب نصراً بعدما ارغمنا اعداؤنا على مواصلة هذا الصراع

ان الدلائل التي كنا وضعناها ما بين حرب الغواصات و بين الحالة الحربية والسياسية العمومية مأخوذة من مذكرة ارسلناها في أواخر سبتمبر سنة ١٩١٦ الى حكومتنا . وهذه المذكرة وجب ان تتخذ قاعدة لتعليمات منفذة الى سفيرنا بواشنطن ومنها هذا :

مبلغ الى الكونت برنستورف . بصفته الشخصية ، أن المشروع الذي وضعته دول الحلفاء لثغر ثغرة في ميداننا الغربي ميداننا الشرقي لم ينجح الى الآن ولن

يكون فيما بعد منه نجاحٌ . وهكذا قل عن هجماتها في سالونيك وفي دبروجا . ويضد ذلك ان الاعمال الحربية التي قامت بها الدول الوسطى على رومانيا سائرة لصلاحنا . لكننا لا نزال في شك من انه يمكننا منذ هذه السنة ان نفوز بظفر فاصل يقرب علينا نهاية الحرب . وعليه يجب ان ننتظر الآن أن تدوم الحرب زمناً ما .

لكن البحرية الامبراطورية تحسب أن تنال ، بالنظر الى حالة انجلترا الاقتصادية ، نجاحاً سريعاً باستعمال حرب الغواصات حرباً شعواء لا هوادة فيها قد تحمل انجلترا ، في اشهر قليلة ، على التفكير في عمل الصلح . ولهذا يجب على اركان الحرب الالماني ان يعدّ حرب الغواصات بلا قيد بين وسائله التي يستخدمها للقتال . ومن منافعها انها تخولنا التخفيف عن ساحة قتالنا في السوم اذ تقلل نقل الذخائر وانها تبين للدول الحلفاء بطلان مجهوداتها في منطقة القتال هذه .

اخيراً انه لا يسعنا ان نقف لا نأتي عملاً البتة ونحن نشهد انجلترا ، وهي موقنة ايقاناً بالمصاعب العديدة التي يجب ان نؤدي عنها حساباً ، دائبة في عملها متوسلة بكل الوسائل لتؤثر في الدول الحائدة حتى تحسن حالتها الحربية والاقتصادية بإضرارنا . فلاجل جميع هذه الاسباب يجب علينا أن نستعيد حريتنا في العمل الذي كنا نحتفظ به في مذكرتنا تاريخ ٤ مايو .

لكن الحالة تتغير تغيراً تاماً اذا مال الرئيس الى المقاصد التي اعلناها فارسل الى الدول يعرض وساطة لاجل الصلح . على ان هذا العرض يجب ان يقدم بغير ذكر مقترحات محددة بشأن الحدود والارضين لان هذه المسائل هي من مختصات مفاوضات الصلح . لكن اذا أخذ بعمل بهذا الصدد فيجب ان يكون قريباً . اذا كان المستر واسن يريد للعمل ان ينتظر الزمن الذي يتقدم او يلي انتخابه مباشرة فلن يجد اصلاً الفرصة ليأخذ بعمله . ثم انه لا يجب ان يكون غرض المفاوضات

عقد هدنة فقط بل ان تقع الهدنة حالاً فيما بين المتحاربين فتنتهي في وقت قريب الى مقدمات الصلح مباشرة .

فاذا نحن بل اعهد بها نتج عنها لالمانيا سوء في حالتها الحربية وأتاحت لاعدائنا أن يتمكنوا ، خلال الشتاء ، من اعداد معدات بقصد مواصلة الحرب وبذلك يضيع الامل ، الى زمن بعيد ، بسنوح فرصة للتفكير في عقد الصلح .

فواجب على الكونت برنستورف ان يباحث في هذه المسألة الكولونل هوس — فيتخذه وسيطاً ليتباحث مع الرئيس — ، يستجلي نيات المستر ولسون . ونحن نضع موضع الاهتمام العظيم عملاً لاجل الصلح كان الرئيس قد شرع فيه مدفوعاً اليه بعاطفة منه وقد يكون له هذا العمل نجاحاً قد يعود عليه بالفائدة في حملته الانتخابيـة .

لكن المسألة التي كانت ولا تزال اجلّ المسائل لدينا هي : « متى تعمل حرب الغواصات عملها وتؤثر تأثيرها ؟ » ان امارة البحر لا يسعها طبعاً ان تعطي الا تعليمات غير دقيقة بهذا الشأن لكن تخميناتها المرتكزة ، على ما تقول هي ذاتها ، على اوثق الارقام وادقها احكاما جاءت موافقة لنا حتى اني خلتني استطيع ان اعلق اهمية قليلة على الخطر الذي قد يحصل من دخول عدوٍّ جديد في القتال علينا اذا نحن لجأنا الى هذه الوسيلة الجديدة من القتال .

ومهما يكن الضغط الذي اوقعته امارة البحر فقد كان هناك بعض اعتبارات سياسية وحربية تستدعي أن لا يبدأ بحرب الغواصات بدون قيد الا بعد خريف ١٩١٦ . نظراً الى خطورة حالتنا الحربية لم يكن لنا حق في ان نجلب علينا ، في هذا الحين ، عدواً جديداً . ووجب علينا ان ننتظر ، في كل حال ، الى ان نستطيع ان نعرف هل تكون نهاية الحملة على رومانيا في صلاحنا او لا . فاذا تحقق هذا الأمل يتهيأ لنا اذ ذاك عدد موفور من الجند لنمنع الدول المجاورة الحائدة من

الانضمام الى جانب اعدائنا حتى ولو زادت عليها انجلترا ضغطها الاقتصادي .

والى الوساوس التي داخلتنا من الوجهة الحربية اضيفت وساوس من الوجهة السياسية . فانه قبل ان ينال سعينا للصلح اخفاقه التام ما كنا فكرنا قط في فك عقال حرب الغواصات نطلقها بغير قيد .

لكن لما اخفق هذا المسعى لم يبق الاّ للاعتبارات الحربية وحدها شأن وخطر في نظري . فان الوجه الذي انقلبت اليه حالتنا الحربية ، في الاشهر الاخيرة من السنة ، ولا سيما في رومانيا قد اتاح لنا من الآن فصاعداً ان نستخدم ، باوسع ما يمكن ، حرب الغواصات وهو سلاح شديد فعله .

في ٩ يناير سنة ١٩١٧ ، بناء على اقتراح امارة البحر وهيأة اركان الحرب العليا ولكن خلافاً لرأي المستشار بتمان هلويج ، فوّضنا الى رئيسنا الاعلى المعظم أن يأخذ بحرب الغواصات لا قيد فيها ولا رجوع . فما من شك بجلال هذا القرار .

على كل حال ان حرب الغواصات بامانيها المفعمة وعوداً ذهبية ، قد ثبّتت الرغبة في مواصلة الحرب الى مدى طويل ، في شعبنا وفي جيشنا

ان البعض ، استناداً الى سوء النتيجة التي كانت لنا من الحرب ، قالوا انه يمكنهم ان يمثلوا اعلاننا حرب الغواصات لا قيد فيها ، بضربة لاعب يخاطر بآخر ورقة في يده . والهم إذ أذاعوا هذا الرأي رموا الى الحط من شأن قرارنا سياسياً وحربياً وادبياً . ولقد نسوا ايضا ان القطع بالامور ذات الشأن العظيم وليس بالامور الحربية فقط تحمل تقريباً دائماً ، شطراً عظيماً من الخطر وأن عظمة العمل قائمة خاصة في جرأتها لانه يجب ان تقس هذه العظمة بمقياس هذه الجرأة .

متى قذف قائد الى المعركة بآخر احتياطي له فانما هو يمتثل مطالب ونته الحقة : ان ينفذ على عاتقه من عمل تبعته جميعها ويكون له الشجاعة لبقدم على آخر سهم في كنانته لا يسعه بدونه ان يفوز بالظفر . وان قائداً ، لا يستطيع ان

لا يريد ان يأخذ على نفسه ان يُلحم في القتال آخر ما عنده من القوات ليظفر بالعدو، يجترم جرماً ازاء بلاده فاذا اخفق في عمله يصير بلا ريب ملوماً ومستهاناً به من الضعفاء والجبناء لكن هذا هو حظ الجندي . فلن يكون له اقل شأن وخطر اذا لم يرتكن في حساباته الا على يقين ثابت واذا كان نيل النصر لا يتوقف عليه حب التبعة .

غرسُ هذا الحب في قلب كل واحد ذلك كان غرض التربية الحربية الالمانية. ولاجل ذلك كان في وسعها ان تأتي باعظم الامثال من تاريخنا ذاته وبأقوى الاعمال التي عملها اشدّ اعدائنا علينا خطراً . أيمكن ان يوجد عمل اعظم جرأة من العمل الذي اتاه مليكنا الكبير في لوتن حين احترّ فقذف بآخر احتياطيه وبذا توفق الى انقاذ وطننا ومستقبلنا ؟ ألم يشتهر ايضاً عن نابوليون الاول أنه كان على حق حين قذف في موقعة واترلو بآخر كتائبه بنال عملاً فصلاً ولو انه اضطر فيما بعد، كما قال كلوسوتز، ان يتوارى عن المعركة فقيراً كالمتحدي ؟ فلو ان الكورسكي لم يكن في وجهه رجل كبلوخر لكان الكورسكي قد ظفر وكان تاريخ العالم جرى مجرى آخر .

وفي المعسكر الآخر كان المبدأ التقدم الى الامام » أولم يرهن ، في هذه الوقيعة الفاصلة ، على جرأة لا يكون اشد منها ؟ فلنسمع ما قاله بهذا الصدد قبل الحرب خصم من الدول [illegible] له : « من اجل مأثرة [illegible] في [illegible] ملو والشيخ : صُرع الى [illegible] فات من تحت [illegible] من [illegible] وجنوده القهورين فاونف [illegible] كسرة [illegible] الى ظفر وترلو الخالد » .

لا [illegible] هذا الباب ولا اوضح [illegible] الذي يجاهرون حين اسمعهم يقولون ان دخول اميركا في الحرب الى جانب اعدائنا قد كان [illegible] . فلننتظر

ربما نتمكن من البحث عن الازمات التي اضطر اعداؤنا ان يجوزوها من ربيع ١٩١٧ فما فوق. ازمات اوقعتهم فيها حرب الغواصات ولانتصارات الباهرة التي غالباً ما حزناها في ميادين القتال براً فلعلنا نلاحظ أننا، في ذلك الحين، دنونا مراراً من النصر حتى كنا منه قاب قوسين ولعلنا نعرف ايضاً أن هناك اسباباً غير الأسباب الحربية قد اضاعت منا الحرب او على القليل، صدتنا عن نيل صلح محمول.

كرزناخ

أمّا، وقد انتهت حملة رومانيا، والنصر فيها ماشينا، فاعقبت على الميدان الشرقي سكوناً فلزم ان نحوّل من الآن نشاطنا قبل كل شيء الى الميدان الغربي. ولزم ان نتوقع الاعمال الحربية في حلول ربيع المقبلة تبتدىء مبكراً على هذا الميدان. واردنا ان نكون على كثب من مكان الوقائع. فاذا نقلنا مركز اركان حربنا الى الميدان الغربي يهون علينا ان نتصل اتصالا قريباً وشخصياً بقواد مجموعات الجيوش وقواد الجيوش وهذا يستغرق وقتاً اقل. ويجب ان يضاف الى ذلك، من جهة أن الامبراطور شارل كان يرغب في البقاء مجاوراً لاعضاء حكومته وانه من جهة اخرى ما كان يريد ان يرجع عن العلائق الشخصية مع رئيس اركان حرب جيوشه. فلذلك نقل مركز اركان الحرب النمسوي في اوائل اشهر سنة ١٩١٧ الى بادن قريب فينا. فازال هذا لانتقال عن جلالة الامبراطور وعن اركان الحرب الاعلى كل علة بالبقاء سوياً في بلس. فنقلنا مركز اركان حربنا العام في شهر فبراير الى كرزناخ.

واذ زايلت بلس رأيت من واجبي ان اشكر للامير ورجاله لطفهم الكثير

الذي برهنوا لما عليه ان كان في حياتنا الانفرادية وان في الحياة الرسمية بتسهيلهم لنا سبل تبيئة مكتبي. ... صيعً الامير جيلاً لا ينسى لرحلات صيد عديدة ... ان كان في ... كه بباس و في ... بودنك المحادثة عند ما ... لي، فوق ... و ... مرغ في بعض ... بعد ...

ان ... التي ... فيها مركز اركان حربنا الجديد اعادت عليّ تذكارات الايام التي كنت فيها رئيس اركان حرب في المقاطعة الرينية. وفي ذلك العهد كنت قد عرفت كرزناخ. ولان كان سكان هذه المدينة يتنافسون فيما بينهم ليبرهنوا لي على اعظم دلائل ولائهم واوفاها في الفؤاد. وظهر هذا الولاء خصوصا بهذا وهو أن غرفتنا وقاعة الطعام المشتركة كانت مزدانة كل يوم بازهار ندية تحملها ايدي سيدات مدينة الفتيات. فكنت اعتبر جميع امارات الولاء هذه دليل شكر يزف الى جيشنا كله وانا كنت في الجيوش من اقدم ممثليه.

و ... انتحالنا عن لبس ثوب الكولونل — جنرال فون كنراد أركان الحرب النمسوي ليتقلد القيادة في ميدان التيرول الجنوبي. إني ما عرفت قطّ علة ... . وإخال انه يجب ان يُعزى الى علة تختصّ به لانه، على ما أرى، لم يكن ثمّتَ من علة حربية توجب فصله. وإني حافظٌ من الجنرال فون كنراد ذكرى مودة وإخلاص. وخلفه في الرئاسة الجنرال فون أرز، وكان رجلاً ذا عملٍ سمةً أفكاره وآراؤه وجنديًا كاملا وكان كسلفه، رفيق حرب جمّ الشمائل جليل القدر. ... كان يمضي الى غرضه ... لا يلوي على شيء ويستهين بالظواهر. وأحسب اننا كلنا كنا نتشاءم النفور عينه من المسائل السياسية. وانا على يقين من ان الجنرال فون ارز بذل أقصى الجهد، مثابراً على ان ينال من السلطنة الدانوبية جميع ما كان يسعها ان تبذله في الحالة الحرجة التي كانت فيها وقد. قدّمت الكلام على هذه الحالة

وما كان ليسدل على عقله ستاراً دون المصاعب التي تلازم مهمته . ذلك دليل جديد على الاعتراف بانه عكف على العمل بنشاط وثقة

أما ما يتعلق بي شخصياً فانه في غضون مقامنا في كرزناخ احتفيت في غرة اكتوبر بمرور سبعين عاماً على ميلادي

ان جلالة الامبراطور مليكي ومولاي أسداني الشرف الاسمى اذ جاء إليّ ذلك اليوم ليكون أول من قدّم لي تهانئه وأمانيه بالاسعاد والاقبال . فكان لي في ذلك اليوم أعظم مسرة وبهجة

وبُعيد ذلك بقليل واذا أنا خارج لامضي الى شغلي، والشمس ساطعة كاجمل ما يكون في ايام الخريف ، تقدّمت اليّ شبيبة كرزناخ ترفع اليّ تهانئها . وعلى مدخل الدار التي اتخذناها دواوين لاشغالنا كان ينتظرني مساعديّ في العمل وفي الحديقة التي الى الدار اجتمعت وفود كرزناخ ووفود الضواحي وفتيان الجنود المرضى والجرحى الذين كانوا قد قدموا الاقامة بدور حامات المدينة ثم قدماء الجنود رفاق حروب لعهد تصرمت أيامه وانقضت سنوه .

وفي آخر النهار وقع حادث غير جليل له بالحرب سبة . ذلك أن [illegible] راجت ، لعلة لا أزال الى اليوم جاهلها ، هو ان العدو قد يقوم ، في جنح [illegible] الدامس ، [illegible] هوائية كبرى على مركز قيادتنا العليا وقد يكون اتفق ، كما [illegible] غالباً ، ان طياراً من الاعداء ذاهباً من السار الى [illegible] عائداً [illegible] حاول ان [illegible]

ثم إنه [illegible] في ذلك [illegible] ان نكرن [illegible] [illegible] [illegible] مرتة الاطلاق [illegible]

المؤونة من قذائف المدافع واستطعت ان أنام مرتاحاً وأنا افكر انه لن يعكر عليّ من الآن نومي الهني.

ومن الغد أراني مولاي المعظم كيف عملوا شظايا قنابل المدافع لموها من حديقة القصر . اذن قد كنا استهدفنا لبعض الخطر وحقيق بي ان أقول ان قسماً من سكان كرزناخ قد خالوا هـذه الطلقات الليلية علامة عسكرية تنبئ بنهاية عيد ميلادي .

هجوم الاعداء

في الستة الاشهر الاولى من ١٩١٧

على الميدان الغربي

منذ بدء الفصل الجميل أخذنا نتوقع بقلق، على الميدان الغربي، هجمة العدو العامة وكما قد استعددنا لهذه الهجمة ثبت لنا إذ عدّلنا توزيع قواتنا العام . لكننا كنا قد اتخذنا لها عدتنا المقاومة أثناء توسلنا، في غضون الشتاء، بكل الوسائل الضرورية لمقابلة وجهاً لوجه أخطر جندي كرز قد حول العدو بذله الى الآن

ان التعديلات التي أبديناها، في ذلك الحين، على أسلوب الدفاع الذي استعملناه الى ذلك اليوم وهي من أهم الوسائل التي أتينا . فقد اعتمدنا في ذلك على التعاليم التي استنبطناها من الوقائع المادية فمن الآن لم يجب ان يكون اسلوبنا الدفاعي مؤلفاً من خنادق رصين مراقبة منقطعة لكن من حافات خنادق ومراقب .

وما كنا نريد بعد الآن، في مناطق الدفاع المتقدمة، ان نصف أجنادنا موقتاً الى مواقع لا تمكنهم حرية النفس بل ان نزيدهم عرضاً وعمقاً فيكونوا أصلح موقفاً ويجب ان يكون الدفاع سهل مروناً حتى يتمكن جنودنا ان يفلتوا من عوامل الدمار تنزلها نار العدو في أثناء تمهيده للهجوم وان يبلوا باختيارهم من هنا

من هناك عن بعض المواقف التي تصبح لا يمكن الثبات فيها ثم يكروا فيستولوا على الارض اللازمة لحفظ مجموع الموقف وصيانته

ق. كان لهذه المبادىء قوة القانون على الوحدات الكبرى والصغرى أمام عوامل التدمير من مدافع الاعداء وقذافاتهم وعلى هجماتهم على حين غرة يأخذوننا بها. أرصدنا عدداً ما: ة أكثر عدداً وأطول صفاً في العمق ثم أدخلنا على وسائلنا في القتال مرونةً وخفةً

واننا طبقنا أيضاً هذا المبدأ : زيادةَ عددالمدفع الرشاشة في الخطوط المتقدمة لتقليل عدد المدفعين وهو مبدأ كان من ورائه اكبر اصلاح ألا وهو الاقتصاد في الانفس البشرية

وإننا ، اذ أدخلنا هذا التعديل الجوهري على أسلوب دفاعنا ، كنا لا ننفك مستهدفين لخطر جليل. وهو اننا قد طلبنا من جنودنا ان يَدَعوا في ميدان الحرب ما ألفوا من العادات وأساليب الدفاع والهجوم التي كانت قد تأصلت في دم قوادنا المأمورين وفي دم رجالنا وقد صارت على قلوبهم كريمة جداً بحيث يصعب عليهم النزوع عنها لاسباب مفهومة . ان الانتقال من طريقة فنية إلى طريقة أخرى قد تثير ارتباكا ، حتى في أيام السلم ، فتبعث عند البعض غلوًّا في تطبيق المبادئ الحديثة وعند الآخرين تشبثًا بالمبادئ القديمة وعناداً يصعب التغلب عليه . وقد تندس أغلاطٌ على أثر تفسير النصوص في القوانين العسكرية وأثر شروح شخصية مستبدة فتقود الى الشطط الكثير ، ويصعب حين ذاك التغلب على توأني الفكرة البشرية وخمود الفؤاد الاّ اذا التجيء الى الشدة .

وليس لهذه البواعث وحدها التي ذكرت آنفاً كانت التغييرات الفنية التي احدثناها جزئية . الله كان اصعب علينا ان نتأكد من ان جيشنا ، في تعبئته المالية وفي عنفوان الحرب ، يستطيع ان يتشرب هذه التبديلات ويطبقها في ساح

القتال. ولسنا نشك نحن ان عدة الحرب التي يجب ان نشتغل بها من الان فصاعداً لا يمكن تشبيهها بالعدة التي كانت لنا في ١٩١٤ و ١٩١٥ حتى وفي اوائل ١٩١٦ .

ان عدداً كبيراً من اجنادنا البواسل راقدون الان في مقابرنا او هم مقطّعو الاعضاء او ناحلو الجسوم فهم لا يستطيعون بعد ذا ان يتركوا اكسار بيوتهم . وفي الحقيقة قد كان لا يزال موفوراً لنا من نواة من عساكر ١٩١٤ الامجاد انضم اليهم فتيان عديدون فيهم قوة حَمِسة وارادة لبذل النفس سمحاء . لكن هذه الصفات لا تكفي لجيش فيكون قوياً : فالقوة والارادة يجب تهذيبهما وأن تقومهما الخبرة وطولُ المراس .

ان جيشاً فيه الغنى الادبي والعقلي وله، كجيش ١٩١٤ الالماني ، تقليد جمل قوي يعضده، يمكنه الثبات، في زمن الحرب عدة سنوات على شرط ان يُقبل عليه من الداخل امداد سليمةٌ قوامها البدنية والادبية . ولكن اذا حفظ هذا الجيش اقداره النسبية بجميع اهميتها وجميع تفوقها على كل جيش، من الاعداء، غشي حومة الوغى معه في آنٍ واحد فاقداره الحقيقية، لا شك، واهية . ولا غرو في الامر فهي سنة الطبيعة .

ان اسلوبنا الدفاعي الجديد كان يوجب على جندنا اموراً جسيمة إن من وجهة القوى الادبية او من وجهة سعة المعارف الفنية لانه فضّ في الدفاع ذلك التصدق المادي المتين واقام على مبدإ جوهري : استقلال الوحدات مهما قلت قيمتها . ان التضامن الفني لم يعد من ثمت مرسوماً بخطوط وجنودٍ للقتال مرئية وظاهرة لاعين الجميع بل يجب ان يُضمن بالرابطة الادبية التي انما هي قوام التضامن العقلي بين المدافعين . وليس من المغالاة أن نقول ان تنفيذ المبادئ الفنية الجديدة ، في الظروف التي كنا فيها ، قد كان اكبر برهان يمكننا ان نقدمه على

الثقة بقوة جيشنا العقلية والادبية عموماً وجميع وحداته خصوصاً : والمستقبل ضمين ان يبين لنا عما قليل هل حلت ثقتنا محلها .

وكان الربيع قد ورد لما عصفت اول عاصفة في الميدان الغربي . وكانت هجمة الانجليز في أراس رفع الستار عن هجوم الاعداء الاكبر في الربيع . وقد حلَّ من عقاله في ٩ ابريل . وطال تمهيد المدفعية بضعة ايام وقد بلغ من الوحشية مبلغاً لا يوصف لكثرة ما استخدم من المدافع ومدمرات الخنادق . وانه لاسلوب لم يكن له ادنى علاقة باسلوب الخديعة الذي اتخذه نيفل في شهر اكتوبر من السنة المنصرمة او لم يكن للانجليز ثقة بهذه الخطة ام انهم شعروا من نفوسهم أن ليس لهم حذق باستعمالها فاعرضوا عنها ؟ أما الآن فاسباب هذا الاعراض عنها لا تهمنا كثيراً وحسبنا الحقيقة فانها رائعة .

ان الانجليز بهجمتهم اقتحموا خطوطنا الاولى فالثانية فالثالثة ولم تثبت حلقات مرافقنا او انها سلمت بعد ان قاومت مقاومة الابطال . وخسرنا من المدافع اكواماً . فواضحٌ ان اسلوب الدفاعي غير ذي صلاح !

وبدأت ازمة شديدة ونحن في حالة يخال لنا فيها أن قد تداعى كل شيء . وصاح من ليس له بفن الحرب علمٌ : « يجب ملافاة الازمات » واذا الجندي انما هو قائل له : « اذن خير لنا ان نعرض بداهة عن عمل الحرب . لان الازمات لا بدَّ منها ، فهي لاصقة لصوقا بطبيعة الحروب وتبين ان الحرب انما هي مجال الخطر والغيب . وفي [illegible] ما هو أن تلافى الازمات لكن ان [illegible] عليها ويظفر — ومن يهجم [illegible] ومتى بانت ازمة [illegible] بيده و [illegible] خصمه المقدام المحسور [illegible] ان هناك في ازمة من هذه الازمات » .

اذا قلت [illegible] الذي يرمي الى تأييد أن ازمة ٩ ابريل [illegible] في [illegible] الازمات المتشابهة . إلاّ انها على قليل [illegible] كانت

بلغت هذا المبلغ الجسيم من الشدة والفداحة لو أمكن الكرّ، باحتياطي وقد في وقته، على قوات العدو التي كانت قد دخلت خطوطنا . لانه متى كان تمهيد العدو على هذا المنوال فلا بدّ من خط الدفاع ان يتزعزع كثيراً على بعض النقط .

وحالت تقارير آخر النهار في مساء ٩ ابريل فاذا هي لا ترينا الاّ صورة مبهمة عن الحالة : الظل كثير والنور قليل . على انه في اشباه هذه الاحوال يجب البحث عن النور . وإن شعاعاً ، مهما ضؤل ، له مغزى كبير . ويبدو ان الانجليز لم يعرفوا ان ينتفعوا من النجاح الذي نالوا ما امكنهم الانتفاع وإن لنا في هذا ايضاً خيراً وصلاحاً .

وبعد تقرير المساء صافحتُ يد رئيسي الاعلى اقول له : « لا بأس فاقد تغلبنا معاً على ازمات اشد كثيرا من ازمة اليوم » .

واليوم هو عيد ميلاده . وثقتي لم تتزعزع . فانا عارف ان اجناداً جديدة مقبلة في طريقها الى مكان الوقيعة وان سكك الحديد حاملة الينا سواهم . فالازمة قللت وانا ارى ، على الاقل ، انها انتهت لكن القتال ما زال دائراً .

وهذا مشهد آخر من الموقعة : حوالي سواسون ومن تلك البقعة الى بقمة ريمس تقصف المدافع الفرنسية ايضاً قصفاً منكراً منذ الاسبوع الاول من ابريل . ويضع مئات من مدمرات الخنادق تلفظ قذائفها . هنا نيفل يقود بيأس ولا شك ذلك للفخار الصادق الذي حازه في فردين لكنه هو ايضاً لم يقتبس من [illegible] الخبرة التي اختبر في فردون كلّ التعليم الذي كما نتوقع . ودام قصف [illegible] بل أسبوعاً بأكمله . [illegible] ان نحوّل مناطق دفاع [illegible] وأكد [illegible] يجب ، على الاقل ، تقويض إرادة الثبات لادنيا لجميع [illegible] يستطيعون التملص من التدمير المادي .

ولا بعد ان تتحقق هذه النية في مثل هذا لاتون المضطرم وحسب نيفل

جنودنا قد هلكت أو على الاقل تزعزعت جداً. فقذف في ١٦ إبريل الى الوقيعة بكتائبه الواثقة من الظفر

وقد يكون القول أصحّ أنه قال لهم ان يمضوا فيجنوا الثمار التي نضجت في الأتون. وحينئذ وقع شيء مُستغلق لا يفهم! من بين الخرائب ومن بين الحفائر إنتصبت الحياةُ الالمانية، ونهضت القوة الالمانيـة وانبعثت الارادة الالمانية: لشرت الموتَ في خطوط العدوّ الهاجم وفي القوافل التي تتبعه وفي الجموع التي تحوم ثمّ تسقط تحت نيراننا. أجل ان عدة المانيا المانعة تتخلى عن النقط التي هي أشدُّ تعرضاً لنيران العدو. لكن في هذه الموقعة موقعة الجبابرة ما معنى خسران بعض نقط في المواقف متى كان مجموع ميداننا لا يزال في قبضه أيدينا القاهرة؟

ومن الايام الاولى بدت المعركة كأنها كسرة تامة لاعدائنا. وأخذت الجند الفرنسويين وقيادتهم خيبةُ آمال ما كان أمرُها على أثر هذه الكسرة الفادحة

أما معارك أراس وسواسون وريمس فطالت أيضاً أسابيع. وان أمراً واحداً يميزها من الوجهة الفنية عن موقعة السوم في السنة المنصرمة. وخليق بي ان لا أنسى ذكره بعد الايام الاوَل من القتال لم ينل العدو نجاحاً يستحقُّ تدويناً وبعد بضعة أسابيع إذا هو منهوك العزائم يعود الى حرب التحصن في خنادقه. وهكذا برهنت خطتنا الدفاعية على حسن بلائها

والآن الى مشهد ثالث: الوقيعة واقعةٌ على أمحاد وتسشهيت وميسين الى الشمال الغربي من ليل وأمام جبل كمل. نحن في ٧ يونيو أي في عهد لم يبق فيه من شك باحة ق المحجوبين الذكورين آنفاً. وموقفنا على أمحاد وتسشهيت، وهي مفتاح النتوء الذي تقوم فيه مراكزنا في هذه الناحية، إنما هو قليلٌ حظه لمعركة دفاعية جديدة فمستوى هذه الارض لى ضيقه النسبي لم يُتح لنا أن ننظم منطقة دفاع كافياً عمقها لخنادقنا المتقدمة واقعة على المنحدرات الغربيـة. فاذا هي لمدافع

العدو أغراضٌ مبيّنة سهلة المنال . والارض في صيفها وشتائها رطبة والثرى قد استحال رماداً بسبب حرب الالغام التي أكثر العدوّان من استعمالها في هذه الناحية في غضون الاشهر الماضية وجنوا فيه ليضمن كلٌّ واحد استيلاءه على أهم النقط في هذه الارض لكن من زمن بعيد لا نسمع بمثل هذه الاعمال تحت الثرى ن التنظيمات الالمانية القائمة على مرتفعات سان إلوا وتلي سفحي وتسشبيت وميسين يمكن تدميرها ليس من وجهة الغرب فقط بل من الشمال والجنوب تدمرها مدافع العدو

ان الانكليز يُعدون هجوماً كالمعتاد والمَدافع يقاسي الامرين لا يقاسيهما في غير مكان . ونحن اذا سألنا ، في قلقنا ، ألا يكون خيراً لنا ان نترك باختيارنا المرتفعات فيجيبوننا بحماسة ونشاط « نحن ثابتون ولسنا نفكّ شداداً »

لكن لما وافى يوم الشؤم يوم ٧ يونيو انتقض الثرى من تحت خطوط دفاعنا هوت مرافقنا المهمة ، وفي وسط الدخان الكثيف وبين أكوام الثرى تتساقط من الجو بعد ان تصاعدت من خطوط الالغام الكثيرة ، انقضت رجال الهجوم الانكليز على آخر رجال الدفاع في المواقف الالمانية . أن المحاولات التي أتيناها لنصون الحالة بكراتنا على العدو قد أخفقت بسبب ما نالنا من نار العدو القاتلة فهو من الحلقة الواسعة التي يقذف منها نيرانه قد حوّل المرتفعات التي كانت فيها مواقفنا لتي تركنا آنفاً توناً حقيقياً .

وقد توصلنا هنا أيضاً ، على كل ما نالنا ، ان نوقف العدو قبل ان يتوفق تماماً الى ثغر خطوطنا . وخسرنا رجالاً وعتاد حرب هي ثقيلة اما خسران الارض فلكل منا نصيبٌ

والنتيجة العامة التي فاز بها العدو في هجماته الثلاث الكبرى على الميدان الغربي ما كانت لتوهن منا العزائم فنحن لم نكسر في مكان بل تغلبنا على أعظم

المخاطر وأشدها . ولم يتوفق العدو في جهة ما ان يربح علينا ربحاً جللا اللهم الا ربحاً في الارض غير ذي بال . وبالاحرى انه لم يتوصل من معركة فاصمة الى حرب العراء . فاستثمار النجاح الذي نلنا على الميدان الغربي سيُعمل به هـذه المرة ايضاً على ميادين اخرى

في البلقان وفي تركية اسية

قبل ان تبدأ الوقيعة الوحشية في الميدان العربي كان سارايل قد جدّد هجماته في مقدونيا يقذف فيها غمار قواته في ناحية مونستير

استرعت هذه الحوادث ايضاً انظارنا واهتمامنا لان الغرض الذي ينشده عدونا هنا كان متسعاً طمعاً . وفي حين كان العدو يدفع جنده للهجوم على الميدان البلغاري كان هو يثير علينا فتنة في صربيا نازعاً نزوعاً ظاهراً الى تهديد مواصلاتنا في شبه جزيرة البلقـان . غير أنها خنقت في مهدها في اشد الاماكن خطراً ، عنيتُ نيش ، قبل ان تنتشر في جميع صربيا القديمـة كما كانت تخشى الحكومة البلغارية . ودارت الموقعة في الميدان المقدوني واستحرّ فيها المدى ان فتوفق الجيش البلغاري الى الاحتفاظ بجميع مواقفه تقريباً ولم نضطر ان نبعث اليه بامداد جديدة . إن ذلك الاّ نتيجة جـليلة لنا جداً ، اقد ابلى حلفاؤنا بلاءهم الحسن ، واعترفوا حينذاك بهذا ان عمل الضبط الالمانية اختار نتيجة مثل في وحدانهم واقتحمت . من بعد هذه المواقع ان الجيش البلغاري يظل كفيءاً لمهمة الملقاة عليه وقد اثبتت الهجمات الـ[illegible] بدة ، التي اطلقتها عليه دول الحلفاء في شهر مايو ، رأيي فيه . ان حملات الاعداء خفقت هـذه المرة ايضاً على جميع الميدان من مونستير حتى بحيرة دواران .

اما على صعيد ارمينيا العالي فقد ظلّ السكون مخيماً اما المناوشات المحليـة التي

وقعت في غضون الشتاء فقد كانت الرغبة في الاسلاب أغلبَ فيها على الرغبة في الاخذ بالقتل

إن المصاعب الجمة التي اعترضت الروس انفسهم في نوبتهم حملتهم على جلاء القسم الاكبر من جندهم عن الانجاد العالية الجدباء فقد تولوهم الى اراضي الداخلية التي كانت اخصب موردا

غير ان همود الروس التام كان يدعو الى العجب ولم يأتنا من الاتراك علمٌ حقيقٌ الوقوفُ عليه في معرفة اسباب هذا الهمود.

وفيما بين النهرين هاجم الانجليز في شهر فبراير واستولوا على بغداد في ١١ مارس ويعزى الفضل في هذا النجاح الى حركة اكتناف فيها حذقٌ ومهارة.

غير انه في فلسطين الجنوبية في نواحي غزة اخفق الهجوم الانجليزي اتمَّ الاخفاق امام خطوط الاتراك. لقد هجم الانجليز وهم يكثرونهم كثرة كبرى لكنهم هجموا تواً ولم يدلوا على علم ما بفن الحرب. ولم ينج الجيش الانجليزي من كسرة تامة الاّ بسبب إخفاق كوله نل تركي أُرسل ليقوم بكرة اكتناف.

سوف افيض الكلام عما كان من تأثير هذه الحوادث الاخيرة في حالتنا العمومية.

على الميدان الشرقي

قبل ان يبدأ الفرنسويون والانجليز هجومهم العام في الميدان الغربي كان الميدان الروسي قد تداعى من اساسه. واخذوا يرون في بنيان القوة الروسية ثقوبا احدثتها ضرباتنا المروعة التي كنا قد اهوينا بها عليه حتى الساعة.

ان الصنم الروسي الضخم كان الى هذا العهد قد ثقلت وطأته على جميع بلدان اوروبا واسيا. امّا الآن فقد بدأ جرمه يمتد وينبسط وبدت شقوق عميقة على

سطحه ومن هذه الشقوق بدأوا ينظرون ما يجري في أتون الاهواء السياسية وفي المعترك الشيطاني الذي تتطاحن فيه القوى الوحشية . لقد سقطت المطامع القيصرية ! اترى قوة جديدة قديرة تنبعث فتعقل هذه الاهواء السياسية اذ تلقي بها في سجون سيبريا المتجلدة وتخنق القوى الناشئة التي توصلت الى السلطة ماشية على اكداس الاشلاء ؟

روسيا في ثورة ! كم مرة خبّرنا الرجال الذين يعرفون هذه البلاد او الذين يدّعون معرفتها عن دنو هذا الحدث ! قد كنت اضعت كلّ رجاء بان اراه واقعاً يوماً . والآن قد وقع . فلم يبعث فيّ ادنى شعور برضى سياسي لكنه حمل اليّ شعور ارتياح من الوجهة العسكرية . وهذا الارتياح لم يداخلني الا شيئاً فشيئاً . وتساءلت : هل سقوط القيصر نصرٌ لاعوان الحرب او لاعوان السلم ؟ أو لم يشتغل الذين دفنوا حكم القياصرة القديم الاّ ليثلوا مع آخر امبراطور ارادةَ عمل السلم السائد ، كما نحن نعرفه ، في الدوائر العليا في روسيا والرغبة في صلح يصبو اليه عامة الشعب الروسي وهو يضايقه ؟

طالما ان موقف الجيش الروسي لم يتح لنا ان نجيب جواباً جلياً عن هذا السؤال فحالتنا بازاء روسيا ظلت ، ولزم أن تظلّ ، قليلة الأمن . ومن الاكيد ان يد الفساد في الامبراطورية الروسية كانت قد بدأت تعمل فيها غير أنه اذا لم يقم على الفور حكومةٌ مطاقة لها ما كان للحكومة المثلولة العرش من مطلق السلطة فلا يفتأ هذا الفساد دائباً في عمله . لكنه ربما يكون ابطأ سيراً في هذا الصنم الروسي الشديد الضخامة البادي القوة الغليظة مظاهرُ الحياد فيها اكثر من سواه . ومن البداية كان مرمانا ألاّ نتداخل في الحوادث بل ان نكون ، مع ذلك ، على تحرّز وحذر لئلا تتضايق او أن تأخذنا هذه الحركة الثورية وتردينا . فيجب علينا ، بازاء اشباه هذه الحالة ، ان نذكر التعاليم التي القتها علينا حاقة المدفع في فلمي ، منذ اكثر من مئة سنة تصرمت ، اذ لمّت شعث قوى الشعب الفرنسوي المتفرقة المنهوكة

وسببت ذلك المدّ الطاغي العظيم الذي انبسط على اوروبا جمعاء بامواجه فملأها دماء. أجل ان روسية ١٩١٧ لم يبق لديها من جموع الرجال الاشداء ما كان لفرنسا يوم ذلك. فانّ اثبت الرجال واقدرهم على القتال في الامبراطورية الروسية هم الآن في ساح الوغى او هم يستريحون في المدافن المنتشرة على جبهة قتالنا او ما وراءها.

ان الضرورة التي انا اتوقع فيها بسكون بال ما تكون اطوار التفكك في روسيا قد بدأت تباشيره، قد ارغمتني على الرجوع عن أمر يسوؤني جداً. فاذا كان لا يسعني، لبواعث سياسية، ان افكر في هجوم على الميدان الشرقي فان عواطفي العسكرية تدفعني الى مهاجمة الميدان الغربي. افكر ان الهجوم الانجليزي قد أوقف في ناحية أراس وان الجيش الفرنسوي قد مُني بكسرة جُلّى ما بين سواسون وريمس. أيمكن ان تكون من فكرة غير فكرة تسيير جميع القوات القادرة على القتال من الشرق الى الغرب ثم الاخذ معها بهجوم على الميدان الفرنسوي — الانجليزي؟ اميركا لا تنفك بعيدة! فلتأتِ حينما يكون قد حلّ بالقوات الفرنسوية الهلاك! فتأتي متأخرة!

لكن دول الحلفاء قد ادركت أيضاً الخطر الجسيم الذي يتهددها فبذلت كل الوسائل لتوقف تداعي روسيا وتقف في وجه ما ينتج عنه من الراحة في الميدان الشرقي.

يجب ان تثبت روسيا ولو الى ان تبلغ القوات الاميركية الجديدة الى الارض الفرنسوية، والاّ فانكسار فرنسا عسكرياً وادبياً لا شك واقع. وارسلت دول الحلفاء الى روسيا سواسا ومحرّضين وضباطاً ليدعموا الميدان الروسيّ الذي يتصدّع ويتداعى ولم تنسَ ان تزود هذه البعثات بالاموال لان للمال، في روسيا عند كثيرين، سلطاناً اقوى من الاسباب السياسية.

ان اعداءنا بصنعهم هذا قد نزعوا من يدنا هذه المرة أيضاً خطوطاً كبيرة بعظمها كنا نُطمع به نفوسنا . فظل الروس ثابتين في مواقفهم ليس لانّ لهم في الثبات ارادة بل لانهم تحت نفوذ عوامل التحريض التي دسّها اعداؤنا فيهم وقد ادركوا اغراضهم على كرهٍ من عامة الشعوب لروسية .

ألم يكن اسلَحِ حالاً لنا أن نأخذ بالهجوم عند ما سمعتْ اول طقطقة في البنيان الروسي ؟ او ما هي اعتبارات سياسية قد انتزعت منا اجلَّ ثمار انتصاراتنا الكبرى التي كنا قد فزنا بها حتى الساعة ؟

وتحولت علاقاتنا مع الجيش الروسي على الميدان الشرقي شيئاً شيئاً الى هادنة صامتة ولو لم يكن ثمت من عهد اتفاق مكتوب وممضي . واعلمنا رجّالة الروس رويداً رويداً وعلى الميدان كله الاّ اقلّه أنهم لم يعد لهم في القتال إرادةٌ . غير ان البلادة الحمقاء التي هي من علامات جوع هذا الجيش قد أبقته في خنادقه . اما في النقط التي اتّسمت هذه العلائق المتبادلة بمظاهر الولاء فالمدفعية الروسية تطلق من حين الى حين . وما زال هذا السلاح في ايدي رؤسائه لا لان رجال المدفعية حافظوا على عوائد الولاء قديمة بل لانهم لا ينقسمون الى عناصر مستقلة كما هو الحال في الرجالة . والى الآن لا يفتأ نفوذ سرّاس الخلفاء ومحرضيهم وذيا لهم شديد الاثر قويّةٌ على البطاريات الروسية . فالراجل يلعن رفيقه المدفعيَ الذي يعكر ابقاف العدوان على طول امتدادِه له وانه ليقرع له العصا من حين الى حين ويفرح منه، تنفجر قنابلنا على ملاجئه لكن الحالة التي وصفت " وم على ذلك اشهراً

وقد ظهرت الرغبة في النفور من القتال خاصة في الجناح الشمالي من الجيوش الروسية وتحولت الى الجنوب وهي تخمد شيئاً فشيئاً . اما الرومان فلم يمسّوا بهذا الداء . ومنذ شهر مايو لاحظنا ان القيادة الروسية قد عادت الى الحدادة في الميدان الشمالي تقبض عليها بكلتا يديها فأخذ حسن الالفة الذي امتد من خندق الى خندق بين

الخصمين يزول و ينقص وعادوا الى الحملات القديمة .. الى تبادل طلقات البنادق وعمّا قليل لا يبقى لدينا ريبة في انهم يشتغلون باقصى جهد وراء الميدان الروسي يعيدون انتظام بجميع الوسائل الممكنة . فالجيش الروسي او على الاقل قسم من حد نه قد استعاد فيه قوة الشباب على هجوم يربما على الاخذ بهجوم. لقد انتصر روح الحرب وانطلقت روسيا هجمة كبيرة بقيادة كرنسكي

لماذا كرنسكي ولم لا يكون بروسيلوف ؟ ان انهار الدم الروسي التي اهرقها سنة ١٩١٦ في غاليسيا وفي مقدونيا قد ازالته عن المنصب الذي كان يتقلده كما حل بنيفل في فرنسا في ربيع سنة ١٩١٧ .

يظهر اذن انه في روسيا في هذه البلاد الواسعة مرارًا عدا بالرجال قد عادوا فاحسوا بالضحايا كثيفة . لقد عادوا الى كتب مغالط الحرب يراجعون الصفحة المدونة فيها الخسائر الروسية لكنهم لم استطيعوا ان يحدوا الاعداد . خمسة او ثمانية ملايين ؟

ونحن ايضًا ليس لنا علم بهيئتها وانما نعلم انه من حين الى حين في اثناء مواقع الميدان الشرقي لزمنا ان نزيح عن [illegible] تتكوم فيها النائمين من بين البنادق [illegible] علينا . فلتبحث الخيال [illegible] على هذا الامر [illegible] احصائها احصاء صحيحًا فهذا ما لا يفتأ مشكلة معضلة لا يسهل حلها .

ومن العسير ان يقال ان كرنسكي يأخذ بهذا الهجوم من تلقاء نفسه او هو مدفوع اليه او مرغم عليه من قبل اعدائنا ؟ وعلى كل حال فان دول الحلفاء يكون من اكبر مصائبها ان ترى روسيا تنهض من جديد تهاجم في ميدانها . فلقد بدأت هذه الدول [illegible] اليوم على المبدأ الغربي من قوتها النائمة نصفها وربما بذات [illegible] النصف . لكن ما يبقى [illegible] الا ان تكون لها جرأة فتقذف بقواتها

العظيمة. وان يكن المدد الذي يمكن ان تأتيها به اميركا لا يزال بعيداً؟ وفي هذه الاثناء تقرض حرب الغواصات قوتنا من عصب اشدّ خصومنا نكايةً بنا وابعدهم عن مدّ يد المسالمة لنا. حتى احدث تتساءل، كما يظهر، هل يكون لها في العام المقبل من وسائل النقل ما يكفيها لتحمل اليها الامداد الاميركية؛ فيجب اذن على الفرق الالمانية الواقفة على الميدان الشرقي ان تظل في مواقفها على هذا الميدان. ولهذا فان كرنسكي سيأخذ بالهجوم بآخر قوات روسيا. عمل جريء وأكثر من جريء من لدن روسيا على انّ له اسبابه. فاذا افلح لقد نجت دول الحلفاء وقامت الحكومة المطلقة وتوطدت. وبغير هذه الحكومة تؤول روسيا الى الفوضى وايّة فوضى.

وفي الحقيقة ان الحظّ الذي يرجوه كرنسكي في هجومه على الميدان الالماني ليس هو افضل من حظوظ الايام الخالية؛ فاذا كان عدد غير قليل من الفرق الالمانية قد ارتحل الى الميدان الغربي فالفرق التي لا تزال على الميدان الروسي هي كافية لتدفع وثبات اعدائنا عليها. وحملاتهم علينا لا يمكن ان تدوم، كما كان شأنها سنة ١٩١٧ لان القيمة الادبية قد فارقت خصومنا. وكثير هم الروس رسل الحرية الذين يعلمون بذلك [illegible] الجيش الروسي او يندفعون عوداً الى كسور بيوتهم [illegible] نفرٌ كثير يرجون [illegible] ان [illegible] على عالم ارزاقهم من عوامل الحكومة [illegible] التي [illegible] روسيا.

غير ان [illegible] في الميدان النمسوي — المجري ما كانت الا لتقلق هذا الخواطر فان هنالك خوفاً من ان هجوم الروس يجد له [illegible] ايضاً، مثلما كان سنة ١٩١٦، نقطاً ضعيفة في هذا الميدان. وربما كان كرنسكي عارفاً بالتعليمات التي عندنا عن قيمة حليفتنا الادبية بل احرِ به ان يكون مطلعاً عليها كلّ اطلاع. أمّا ان وفداً من هيأة اركان الحرب النمسوية العامة قد رسم لنا، منذ الربيع، صورة

على غاية من خطورة حالة الجيوش النمسوية — المجرية أ. لم يوجز وصفه بقوله : « الآن قد تثبت لا كثرية الكبرى من الجيوش النمسوية — السلافية اقل مما فعلت سنة ١٩١٦ امام هجوم روسي . » لانها قد أفسدت بعوامل السياسة في حين دس هذا الفساد في الجيوش الروسية ؟

لقد كان لكرنسكي هذا الرأي عينه عن حالة انما استقاه من اقوال القادرين وتصريحاتهم. ويبدو ان قد وضع له في اعماله سلسلة الخطة التي ترى : هجمات محلية على الالمان ليثبتهم في مواقفهم وهجمة كثيفة على الجيش النمسوي — المجرية. وهذا ما وقع فعلاً

هاجم الروس المواقع الالمانية في ريغا ودونابورج وسمورجوني فردوا اما جدار غاليسيا فانه لا يثبت متيناً لا حيث يقاتل الجند النمسوي — المجري الى جنب الجند الالماني . غير أن الجدار النمسوي — السلافي ، في ناحية ستانيسلو ، ينهد اذ يبدأ كرنسكي يضربه . لكن جنود كرنسكي ما هي بجنود بروسيلوف . لقد انقضت سنة تكاملت الى الهجوم الاخير وكانت سنة ثقيلة خسائرها تأصل فيها الفساد في الجيش الروسي . على أن الجيش الروسي ، على رغم الاسباب الموكلة بنجاحه ، لم تتوفر له ان ينفر الا من النمسوي في ستانيسلو ثقة كاملاً .

اجل لقد حان الحين على حضيض الروسي الجديد . والخيبة مستعدون لها ايضاً في بلادنا لالمانية في الصدد : هو منتصف يوليو !

كرتنا على الميدان الشرقي

كرة ! ما من جيش أو من قائد على ميدان القتال يكون قد قابل هذه الكلمة بارتياح ادعى للبهجة من الارتياح الذي شعرتُ أنا به لانطق بهذه الكلمة وقد اعتبرت ان ساعتها قد حلّت

قد سبقتَ فقلت ان موقفنا في ربيع ١٩١٧ هو موقف كبير لانتظار هجوم ان رجال احتياطينا لم يكونوا مرصوصين رصاً على نحو ما كانت جموع نابليون عند ما كان يتوقع ، في سبتمبر سنة ١٨١٣ هجوم اعدائه الذين كانوا يحيقون به من كل جانب . ان المسافات الشاسعة التي كان ينبغي لنا ان نقوم حراساً عليها حالت دون هذا التنظيم . غير ان سرعة سكك الحديدية كانت تهيء لنا حشد ما توفر لدينا من الجند على الرغم من تفرقهم على ميدان الاعمال الحربية الذي نخبرناه

ان معارك الدفاع في الميدان الغربي كانت قد نالت عددَ احتياطينا نبلاً عظيما أجل ان تفاوت القدرات ومصاعب النقل حالت دون القيام على هذا الميدان بكرة على العدو بآخر ما لدينا من الاحتياطي .

غير ان هذا الاحتياطي كان يكفينا لنقضي نهائياً في المسألة في الميدان الشرقي في اصلاحنا ونمكن نبعث فيه ... انحلاله السياسي

لقد نخرت الدعاية التي تستند اليها روسيا وان آخر مظاهر القوة في الجيش الجمهوري الجديد ... كانت الا نتيجة ... آثاروها اصطناعاً وما هي بالتي تبحث عن قوتها في اعماق الشعب الروسي . لكن في مثل صراع الشعوب هذا ، كل جيش وطني يناله الفساد فهو لا شك صائر الى الزوال . ولما كنت مقتنعاً بهذا الامر رأيت انه يسهل علينا من الآن فصاعداً أن نفرض في روسيا نتائج عظيمة بقرارات ... ومن ... أنفسنا ... يشيرون علينا ، في هذا العهد أيضاً ، ...

نستخدم احتياطينا في هجوم . وفي الواقع ان المسألة لم يكن سهلاً حلها كما قد يتبادر الى النظر وقد عرف الآن مجرى الحوادث [illegible] . فانا في حين قررنا قرارنا وجب علينا ان نتقي عنا [illegible] وهموماً كثيرة . [illegible] في ذلك [illegible] ان هجوم الالمان في ٧ يونيو في ونستهيت وفي ميسين لم يكن الا [illegible] أوسع رحابا قد [illegible] الى [illegible] في نواحي فلاندر وكان ينبغي لنا ان نتوقع ان نرى فرنسا تستأنف الهجوم من حين يقبل جيشها من عثرته [illegible] التي وقع فيها على أثر هجومه في الربيع

أن نقتطع قوات من الميدان [illegible] والمطلوب [illegible] ان ذلك لعمل جريء حقيقة اشبه شيء بالعمل الذي كان [illegible] سنة ١٩١٦ الى [illegible] رومانيا . [illegible] الضرورة في ذلك الحين كانت تقضي [illegible] . اما اليوم [illegible] نعمل بملء حريتنا . على انه في [illegible] كليهما كانت جرأتنا مستندة الى الثقة المطلقة التي كانت لنا بجنودنا .

وان [illegible] آخرين [illegible] ان لا نضع خطتنا [illegible] هذه المرة لاسباب هي غير [illegible] . [illegible] هؤلاء قوم [illegible] في [illegible] . كانوا يشكون في [illegible] . ولا أذكر أنه قبيل كرننا في ميدان غاليسيا [illegible] أن نأمل الا فوزاً [illegible] بالقوات التي كنا قد [illegible] في اماكنها [illegible] لهجوم اذن ان نفتح [illegible] في جبهة العدو كالذي اعتاد اعداؤنا ان يأتوه على ميداننا بجمة محدودة أهذا كان الغرض الذي ننشده؟ [illegible] لنا [illegible] في هذه [illegible] ان نرجع [illegible] الرجوع عن عملنا الحربي

اذا [illegible] تقدم الان [illegible] مكرة [illegible] : وهي ان نكون

على أهبة لندفع عنا العدوّ فقط ثم ننتظر من غواصاتنا ان تنيلنا امانينا جميعها . لقد كان في هذه الفكرة ما يخلب اللبّ . وكانت التعليمات التي تنتهي الينا يوم ذاك تشير الى ان نتائج حرب الغواصات فاقت كلّ ما كنا نتوقع ونأمل ثم ان عواملها ما كان ليطول عليها الزمن فيظهر تأثيرها ظهوراً بيّناً . غير أني ما كان يسعني ان انضمّ الى هذا المشروع . فقد كانت الحالة الحربية والسياسية على الميدان الشرقي تستوجب ، في هذه الساعة ، قطعاً في الامر الى حدّ أنه تعذّر علينا ان نظلّ جامدين اشهراً وان نمسع من العمل بانتظار وقوع الحوادث تأتي عفواً . وكنا نخشى أن يفوز اشياعُ الحرب في روسيا فوزاً نهائياً اذا نحن لم نتبع هجوم كرنسكي بكرةٍ من لدُنّا على الاثر . وليس من الضروري ان ألحّ فيما يكون من ردّ الفعل على بلادنا وعلى حلفائنا اذا تطوّرت الحالة هذا التطوّر .

بينما كان كرنسكي يحاول عبثاً بجموع جنوده الذين كانوا لا يزالون قادرين على الهجوم ، ان يثغر ، في شمال ستانيسلو الغربي ، الخطوطَ النمسوية — المجرية التي تدعمها دعامةٌ قويةٌ قواتُ الالمان ، حشدنا نحن الى جنوب برودي الغربي ، اذن خارج الجيب الذي فتحهُ الروس بهجومهم ، جمعاً قوياً للهجوم . وفي ١٩ يوليو القينا بجيوشنا من عدلته في وجه الجنوب الشرقي على ترنوبول . فلم يلقَ هجومنا الا فرقاً لا قوةَ لها عظيمة في الدفاع لانها تركت قواها في الهجوم الروسي الذي رقع آنفاً . فكان اسرائيل تفيضها فيما هي الا طرفة عين حتى كان جميع هجوم كرنسكي قد تداعى وهوى . .

وما هي لا ... معجلة يمكن ان تُنقذ من الفناء الشامل الوحدات التي لا تزال في مواضعه ، في شمال البقعة التي ثغرناها ثغراً عظيماً ولا سيما في جنوبها

- ... ميداننا من غلبسيا حتى جبال الكربات انتفض وانقضّ يطارد العدوّ ... . ومنذ اوائل اغسطس كانت كل غليسيا و بوكوفينا تقريباً قد نجتا . وكان

لحلفائنا في هذا الظفر الجليل سهمٌ كبيرٌ. وقد رُفع اليَّ أن المدفعية النمسوية — المجربة قد كان لها شأن باهرٌ جداً في اثناء معارك العلراد . تقدّمت رجالتها لا تحفل بالمخاطر .هي تتعقب الروس بجرأة لا نظير لها .

في سنة ١٨٦٦ في موقعة كونيجراتز كان قد نبهت لي ، ولكنني وان عدوَّه فرصة لاعجب بهذا السلاح الماضي القاطع . ولهذا السبب قد تضاعف فرحي بان اراها تدلي ببرهان جديد على حسن شهرتها وهي تحارب الى جوانبنا .

وقف هجومنا على تخوم مُلدافيا . وما من احد تأسف اسفي على هذا الوقوف فقد كنا في افضل حالات الهجوم التي يمكن المرء ان يتصورها لنستولي على هذا الشطر الاخير من رومانيا بان نوالي فقط اعمالنا الحربية التي بدأنا .

ونظراً الى الحالة السياسية التي كانت فيها روسيا في ذلك العهد ، لقد كان من الاكيد احلال الجيش الروماني لو قدرنا ان نلجئه الى التخلي عن اراضيه القومية تماماً . كيف كان يمكن ملكاً لرومانيا وجيشاً ملكياً رومانياً ان يعيش على ارض روسيا الثورية ؟ لكن مواصلاتنا مع المؤخرة كانت قد اصبحت كثيرة العقبات والمصاعب ، على أثر ما هدّمه الروس من السكك الحديدية في اثناء هزيمتهم ، حتى اننا أرغمنا ، على الكرهِ الشديد منا ، ان نعدل عن ملاحقة اعمالنا الحربية في هذا القسم من ميدان القتال . وقد كنا عمدنا من قبلُ ، اذ هجمنا قريبَ فسكانيا ، ان نزعزع ميدان ملدافيا الروماني فلم يُفلح جُندنا في خرقهِ

على أننا لا نزال متشبثين بالعزم الذي قطعنا أن لا نترك من الآن لروسيا ساعةَ راحةٍ حتى تخرج نهائياً من صف المقاتلة . هذا فضلاً عن أن مقدّمه المأساة الكبرى في فلاندر قد بدأت ، على الميدان الغربي ، لتسترعي جميعَ اهتمامنا وتبعث فينا قلق خاطرٍ ذا بالٍ . اذا لم يبق لنا قِبَلٌ بضرب الجيش الروسي في ولهينيا ولا في ملدافيا فاننا نضربه على قسم آخر من الميدان

وكانت بقعة ريفا لروسيا بقعةً كثيرة التأثر إن من الوجهة الحربية او من الوجهة السياسية . ذن قد كانت بقعةً تصلح لتُسيّر عليها حملةٌ . فقد كان من جناح الروس الشمالي في هذه الناحية ، نتوءٌ يمنه موقفٌ الى خاصرة قويٌ حصين على ساحل البحر وعلى ضفة الدُون اليسرى . واذا مساحة هذا الميدان اكثر من سبعين كيلو متراً وعمقها عشرون كيلو متراً فقط وكانت تهدّد ميداننا من وجه الهجوم والدفع . وكانت هذه الحالة قد استرعت انصاري حين كنت قائداً عاماً في الميدان الشرقي . وفي سنة ١٩١٥ و ١٩١٦ قد كنا وضعنا خططاً لنحدّد كيف يمكننا أن نخرق هذا الموقع قرب قعدته حتى نهويَ عليه بضربة قوية في محتشده

أما على الورق فما أهون منه عملٌ وأمّا في الحقيقة المؤلمة فما هو بحيث يظهرُ من السهولة بمكان . فقد كان يجب نغر ميدان العدوّ في وجهة ريفا مخترقين عُباب الدُونا ونتوغل بجهدنا على تشكل زاوية في وجهة الشمال . وفي الحقيقة أن الانهر الكبرى قد فقدت ، في أثناء الحرب ، بكونها عوائق مانعةً ، شيئاً كثيراً من اهميتها

أوَلم يكن المرشال فون مكنسن قد عبر مرتين عبر الدانوب العظيم والعدوُّ قبالته ، اذن كان يمكننا أن نستم ... ، وقلبُنا ربِق، الى محاولة اجتياز الدونا وهو نهرٌ أضيق مجالاً لكن الـ صعوبة الكبرى في الاجتياز قائمة على أن خنادق الروس، وهي مكتنفة الجـ... كما ، كانت لاصقة ... يقاً بالضفة المقابلة حتى لقد حسبوا الدونا كأنها الخندق المترعُ ماء المحيط به

على أن هجوم الجريء قد نجح في غرة سبتمبر لان الروس هجروا مواقفهم المتقدمة بينما كنا نعد الهجوم بضرب المدافع . ثم ان حامية الموقع الواسع الى الخصن الذي كان يحتله العدو على الضفة اليسرى من النهر ارتدت هي أيضاً وهي تسير ليلَ نهارَ متجهةً الى الشرق فاحتازت ريفا وتمكنت أن تنجو في الزمن الملائم ... ها الاكم

أثار هجومنا على ريغا في روسيا اشد القلق والاضطراب خوفاً على سان بطرسبورج . العاصمة في جزع ! إنها تحس بتهديد من هجومنا مصوب اليها وان بطرسبورج ، التي لا تزل دماغ روسيا ، اصبحت مضطربة الاعصاب جداً حتى انها لا تفكر بسكون ولا تقيس الامور بمقياسها ولولا ذلك لاخذوا بركاراً وقاسوا المسافة التي تفصل جنودنا المظفرة عن العاصمة الروسية . وفي الحقيقة ان مخيلات الناس ، ليس في روسيا فقط بل في بلادنا نحن أيضاً ، قد بدأت تشتغل فاضاعت فكرة الزمان والمكان . وعندنا أيضاً قد ذهبت بهم الاوهام المذاهب وأخذوا يتحدثون عن إمكان الزحف على بطرسبورج . واذا قلت بصراحة القول ما كان احد ارغب في هذا العمل مني يأتيه بطيب خاطر مثلي . ولهذا السبب قد فهمت اتم الفهم ما ابداه جندنا وقواده من اللجاجة يرومون الوصول على الاقل الى بحيرة بيبوس . ومن الاسف انه وجب علينا ان نرجع عن كل هذه الافكار الجميلة : فقد كانت تقضي على عدد عديد من رجالنا العاملين ، والى أجل بعيد ، ان يظل مشغولاً في جهة ، ما كانت لتفيدنا في أغراضنا السابقة . لان الحالة العمومية كانت توجب علينا ان نسير أنظارنا ناحية خارج ريغا لنحولها فيما بعد الى شواطىء البحر الادرياتيكي وعما قليل سأتكلم عن هذا

لكن اذا لم نقدر على مواصلة الزحف على بطرسبورج بقصد تعجيل سقوط دماغ روسيا فقد قسمناه على اعظم القلق والاضطراب . فقد كان امامنا طريق آخر موصل لهذا الغرض ألا وهو طريق البحر . فان اسطولنا لينضم الى اقتراحنا باتم غيرة واعظم حمية وهكذا فقد جزمنا باحتلال جزيرة أوزل الواقعة على مدخل خليج ريغا . ومن هذه الجزيرة نهدد تواً ريفال ثغر روسيا الحربي ونحن لا نستخدم لهذه الحملة قوات كبيرة ونزيد في قلق بتروغراد وهلعها

. الحملة على جزيرة أوزل انما هي الحملة الوحيدة التي تساعد عليها الجيش

والاسطول من احد الفريقين المتحاربين في آن واحد وكان لها فوزها التام الاّ ان تحقيق خطتنا هذه قد عاقته ، في بدء الامر ، رداءةُ الجوّ حتى اوشكنا ان نعيد الى البر جنودنا التي كانت قد نزلت الى الاسطول تبحر الى الجزيرة لكن ما لبث ان تحسنت حالة الجو فعدنا الى العمل. ومن تلك الساعة سارت الاعمال بدقة اشبه بحركة الساعة . وكانت بحريتنا حيث اردنا من المطالب التي القيناها على عواتقها .

فاستولينا على أوزل والجزائر المجاورة فاشتدّ الروع في بتروغراد واختل النظام واضطربت الافكار . والميدان الروسي ينبثق رويداً رويداً ووضح الآن وضوحاً ظاهراً أن روسيا قد مزّقتها الفتن الداخلية كلّ ممزق بحيث لا يسعها ، الى زمن طويل ، ان تظهر مظهر قوة على اعدائها الخارجيين وصخبت الامواج الحمراء وازبدت تنقضّ انقضاضاً على ما يبدو متيناً وقوياً على الدفاع في هذا الاضطراب ، اذا دعائم الامبراطورية الروسية تتقوض وتسقط حجراً حجراً .

وسلى ضرباتنا الاخيرة لم تزعزع جدران الامبراطورية الروسية فقط بل قد انشقّت واذا الصنم الروسي قد هوى وتلاشى .

وتحولنا حين ذاك الى مهمة جديدة .

الهجوم على ايطاليا

لن تكن الحالة ، في فصل الخريف هذا ، من الاهمية على جانب عظيم في فلاندر فقد قرّ رأينا على مهاجمة ايطاليا . ولما كان الى الآن قد بدا مني نفور من هذه الحالة فلعلهم يعجبون اني سألت رئيسي الاعلى المعظم سماحاً باستخدام وحدات المانية في هجومه لم يكن له ، في نظري ، الا تأثير حقير في الحالة العمومية . فلا يسعني ان اجيب عن هذا الاّ بشيء واحد : رأيي في هـذه المسألة لم يطرأ عليه

تغيرّ. وكنت اعتبر، حتى في خريف ١٩١٧ ، أنه يستحيل علينا ان نفصل ايطاليا عن دول الحلفاء حتى ولو فزنا بظفر حاسم . وفي خريف ١٩١٧ كما هو في اوائل السنة، كنت ارى انه لا يسعنا ان نقتلع وحدات من ميداننا الغربي المهدد بالخطر الدائم لنمضي الى ايطاليا نحصد على اهون السبل فخار حملة ظافرة . على انه يجب البحث في غير هذا المكان عن العوامل التي من اجلها رضيتُ ، في ذلك العهد ، ان احثّ على اشتراكنا في هذا الهجوم

اعلنتنا حليفتنا النمسا — المجر أنه لن يكون لها قوة للثبات على هجمة ثانية عشرةَ ايطالية على ايزنزو .فكان لهذا التصريح في نظرنا اهمية عظمى من الوجهة الحربية ومن الوجهة السياسية فقد أرتنا من خلاله ليس فقط فقدان خط ايزنزو بل تداعي قوة النمسا — المجر الدائمة جميعها . فقد كانت الامبراطورية الدانوبية اشدّ احساساً لكسرة تحلّ بها عرضاً على الميدان الايطالي منها لكسرةٍ تأتيها من ميدان غليسيا .

وفي النمسا — المجر لم يكونوا قد حاربوا قطّ بحمية ونخوة لاجل غليسيا . ولقد طالما سمعناهم يتمازحون في النمسا — المجر يقولون : « من يخسر الحرب يحفظ غليسيا » وبعكس ذلك تحولت انظار الامبراطورية الدانوبية ومصالحها الى حالة اجنادها على التخوم الايطالية واهتمت لهـا اهتماماً عظيماً . ان النمسا— المجر لم تنازل في غليسياء اي روسيا ، الاّ بعقلها اما ايطاليافقد نازلتها بقلبها .والذي يستدعي الانظار أن يلاحَظ أن جميع الدراري في الامبراطورية المزدوجة اشتركت بحمية تماثلة في الحرب على ايطاليا . وجنود التشكوسلوفاك الذين لم يقصوا واجبهم في حرب روسيا قد قاتلوا ضد الطليان قتالاً غير مذموم. وقد كان القتال على ميدان بزنزو، على نوع ما، رابطة ادبية تربط جميع شعوب الامبراطورية .

فماذا يحدث اذا انقطعت هذه الرابط ايضاً،

في العهد الذي اتكلم عنه كان الخطر من انقطاعها عظيماً . في اواخر اغسطس في خلال الموقعة الحادية عشرة على ايزنزو كان كادُرنا، هذه المرة قد انتزع من الارض مساحة ذات بال. وقد كان يمكن العزاء عن جميع هـذه الخسائر المتقدمة في الارض لانها كانت، كما قد لاحظناها مراراً عديدة، نتيجة طبيعيةً عن عوامل السمار التي تصبُّها وسائل الهجوم الحاليـة على الدفاع مهما يكن مكيناً . لكن جنود النمسا ، هـذه المرة، قد أخذوا وسُحقوا في خطوط دفاعهم الاخيرة . فاذا كان الطليان ، في خلال هجماتهم الاخيرة، ينزعون من ايدي اعدائهم اراضي اخرى تتفاقم حالة الجيش النمسوي امام تريستا ويتعذر عليهم الثبات في مواقفهم.

اذن تريستا مهددة تهديداً جداً فالويل اذا سقطت هذه المدينة .

فكما ان سبستوبول قد كانت فصل الخطاب في حرب القريم هكذا، على ما يظهر، شأن تريستا في الحرب بين ايطاليا والنمسا.

انّ لامتلاك تريستا في نظر السلطنة الدانوبية ماخلا الشأن الادبي العظيم ، قيمةً ماديةً جليلة فان حرية الشعب الاقتصادية متعلقة، في شطرها الاكبر، بالاحتفاظ بهذا المبناء . اذن ينبغي انقاذ تريستا واذا كان ذلك متعـذراً فتنقذ بمساعدة الجنود الالمان.

اذا نحن توصلنا الى ترويح حليفتنا على ميدانها في الجنوب الغربي بظفر مشترك حاسم، كما فعلنا ذلك حديثاً على ميدانها الشرقي، يحقّ لنا ان نعتقد، على قدر ما يستطيع امرؤ ان يحكم في هذا الشأن، أن النمسا — المجر تصـير بحيث تستطيع الثبات الى جانبنا على الاقل.

ان الوقائع العنيفة على ميدان ايزنزو قد اضعفت كثيراً من قوتها المانعة . فان الشطر الاكبر من خيرة رجالها قد تلفوا يجابهون كادُرنا وقاسوا الامرين على ايزنزو. فقد ابى رجال النمسا — المجر التدجان في هذه الوقائع اعظم ما يستطيع

بشرّ اتيانه لان حماة ابزنزو قد ثبتوا مدة سنين امام خصم يكثرهم على الاقل ثلاث مرات وذلك في حالة طما فيها الشقاء والفظائع بحيث لا تقابل بفظائع وشقاء اماكن المعارك على ميداننا الغربي حتى لقد تميزت عليها من بعض الوجوه .

ولا يحسنُ ان تنسى ايضاً المجهودات العظيمة التي لزم الجنود المكلفين الدفاع عن الجبال الشاهقة في التيرول الجنوبي ان يأتوها .

أما كانوا ينازلون في بعض النقط من هذه البقعة ما بين الثلوج والجليد الدائمين؟

اول فكر كان يخطر على البال حينما كانوا يفكرون في هجوم على ايطاليا هو أن يفتحوا لهم منفذاً في التيرول . فيكون من نتائج هذا العمل حطمةٌ او تفكيكُ القوات المهمة في الجيش الايطالي في « قصعة » فينيسيا الواسعة . فما كان في كل ميادين قتالنا حالةٌ هجومية افضل من هذه الحالة على التيرول تؤذن بفوز عظيم . فاذا قمنا بغير هذه الخطة يكون منها على نوع ما غلطةٌ فنيّة لا اجسم منها غير أننا اضطررنا ان نرجع عنها .

وفي الواقع انه ما كان يسعنا ، في رسم خطة اعمالنا الحربية على ايطاليا ، ان نتعامى عن العلائق التي بين حالتنا الحربية على الميدان الغربي وبين الحالة في الميدان الايطالي . ونظراً الى حالتنا في الميدان الغربي ما كان يمكننا ان نستغني ، لمهاجمة ايطاليا ، الاّ عن نصف الفرق التي كان رآها الكولونل — جنرال فون كنراد ضرورية في خلال شتاء ١٩١٦ — ١٩١٧ للقيام بهجوم قوي وحاسم يبدأ من التيرول الجنوبي .

وفي ذلك العهد ما كان في وسعنا ان نضع تحت تصرّف حليفتنا اكثر من هذه القوات حتى ولو سلمنا بهذا الافتراض الكثير التبدل — وقد صار في الواقع حقيقةً — أنّ دول الحلفاء قد تلجأ الى اقتطاع بعض فرق من ميدانها الغربي ، اذا حلت بايطاليا كسرة مهمة ، لترسلها الى نجدة حليفتها وان اعتباراً آخر كان يحول

ايضاًدون القيام بهجوم من التيرول الجنوبي : وهو ان يبكّر الشتاء في وروده وربما حلّ قبل ان يفسح لنا الوقت لاتمام حشد جنودنا في هذه البقعة .

ان الاسباب التي اوردتُ آنفاً اضطرتنا أن نقلل من أطماعنا وان نكتفي بالخطة الآتية : تثغر الميدان الايطالي في الجناح الشمالي من جيش ايزنزو وهو جناح ، على ما يظهر ، اقلّ متانةً ثم نضربُ ضربة قاضيةً على غمار القوات الايطالية الواقفة الى الجنوب قبل ان يتهيأ لها الوقت وهي تقاتل متقهقرةً ، ان تلجأ وراء رادف تحليامنتو .

وبدأ هجومنا في ٢٤ اكتوبر في بقعة تلمينو فلم يتوفق كادورنا الا بشقّ النفس ان ينقذ القسم الجنوبي من جيشه يعطفه وراء بيافي بعد ما ترك لنا الالوف من الاسارى ومقادير كبيرة من عتاد الحرب .

ومن وراء هذا الخط وبفضل النجده التي وردت لهم من الفرق الفرنسوية والانجليزية التي اسرعت اليهم تشاركهم في القتال تمكن الايطاليون من ان يثبتوا لنا من جديد . وتشبثت ميمنة ميدانهم الجديد بآخر معاقل جبال الألب الفينيسية وحاولنا الاستيلاء على هذه المرتفعات المشرفة على سهل ايطاليا الاعلى وكسر قوة العدو القائمة على خط بيافي لخبطنا .

واضطررتُ ان اعترف ان قواتنا لم تعد كافية لانجاز هذه المهمة . ووقف هجومنا . وجب على جنودنا وقوادهم ان يخضعوا امام هذا الامر على الرغم من تحمس ارادتهم الى القتال .

ومهما يكن الفرح الذي خامرني على اثر الانتصارات التي نلناها على الميدان الايطالي فما وسعني ان ازيح عني بعض شعور بكدر . ان نصرنا العظيم لم يكن تاماً أجل ان مآثر هذه الحملة قد افعمت قلوب جنودنا القساور عجباً استحقوه لكن فرح الجنود لا يتفق دائماً مع فرح قوادهم !

مواصلة هجمات الاعداء

في النصف الثاني من ١٩١٧

على الميدان الغربي

بينما كنا نهوي بضرباتنا الاخيرة على روسيا وندفع ايطاليا الى شفير الهاوية واصلت انجلترا وفرنسا هجماتهما على ميداننا الغربي . وعلى هذا الميدان انما كنا اهدافاً لاجلّ خطر واجسمه في خلال حملة سنة ١٩١٧

أطلقتْ وقيعة فلاندر من عقالها في اواخر يوليو فسببت على ميـداننا الغربي أزمة لم يسمع بمثلها وقد كانت فينا تؤثر تأثيراً سوءاً في اعمالنا الحربية على سائر الميادين لو كان نجاح الانجليز على بعض الاهمية . على أني كنت احسُّ منذ بداءة هذه الوقيعة ببعض ارتياح . لان انجلترا ، على ما كنا نتوقع ، كانت تبذل جهداً جهيداً لتقوم بهجمة عظيمة تكون الحاسمة لا تنتظر ان يكون لنجدة الولايات المتحدة شأن محسوس فيها ولو قليلاً . وظهر لي ان هذه المحاولة انما هي من نتائج حرب غواصاتنا التي ارغمت انجلترا على ان تأتي عملاً فصلاً منذ سـنة ١٩١٧ مهما يكلفها الامر .

اذا كانت وقيعة فلاندر التي قـد بدأت آنفاً لايمكن ان تُقابل بمعركة السوم التي التحمت سنة ١٩١٦ من وجه اهميتها فيمكن مقابلتها بها بما أبداه الانجليز من العنف والشدة فيها وبما اعترض للمقاتلة ، ولا سيما المدافعين ، من عقبات الارض حين قتالهم . فقد حاربوا ، هـذه المرة ، ليس في أرض أرتوى الحجرية الصلبة بل في أرض فلاندر المنقعة الرطبة . وهذه الوقيعة تشبه أيضاً المواقع الطويلة المدى التي قد خبرناها وعرفناها تبدت فيها اشكال الفظائع الى حد النهاية .

لقد عظم قلقنا ، كما يتبادر الى الخواطر ، في اثناء هذه المواقع وخليق بي أن أقول إنه ندر أن اتاحت لنا ان نفرح بالانتصارات التي كنا نطولها حينذاك في روسيا وفي ايطاليا

كنا نتوقع بذاهب الصبر ورود فصل الشتاء لاننا كنا نعلم بالاختبار ان مساحات هذه الناحية الرحيبة لا سبيل الى سلوكها في هذا الفصل وان الحفائر التي حفرتها القذائف حديثاً تمتلئ ماء بسرعة حتى انه في اصلب الارض التي يلجأ اليها المقاتلة ، يلطون فيها ، كان لابدّ لهم من أن يقفوا أمام هذا البرهان ذي الحدين : « إما الغرق وإما الهرب من هذه الحفائر » . وهكذا قد قضي على هذه الموقعة أيضاً أن تخمد انفاسها في المستنقعات حتى ولو لم يشأ الانجليز في عنادهم ان تخمد نيرانها

لم يخف الاتون الا في دسمبر . وفي فلاندر وفي السوم ما استطاع أحد من الفريقين ان ينادي بالظفر

وفي أواخر معركة فلاندر وقع قتال عنيف فجأة في بقعة كانت الى ذلك الحين هادئة بالنسبة . ففي ٢٠ نوفمبر هاجمنا الانجليز على حين غرة في كمبراي فكان أمامهم في هذه البقعة شطر من موقف سيفريد وهو من الوجهة الفنية متين جداً غير أن حماته كانوا قليلا ومتعبين . وبفضل « طنا كسم » أمكنهم ان يجتازوا خطوطنا المتتالية من مواقع الدفاع الثانوية ومن الخنادق من غير أن يهدموها وظهر خيالة الانجليز على اطراف ضواحي كمبراي هكذا . حتى في اخريات أيام السنة بدا أن العدو وسعه ايضاً ان يثلم خطوطنا وان فرقة المانية ، كانت قد وصلت آنفاً من الميدان الشرقي وهي على بعض التعب من المعارك الماضية وبسبب سفرها في السكة الحديدية ، توفقت الى انقاذنا من الورطة . ولقد اسعدنا الجدّ فامكننا ، بعد معارك دفاعية دامية انشبناها اياماً ، ان نأخذ بكرة ، في ٣٠ نوفمبر بقوات استجمعناها على عجل ، على خاصرتي الجيب الذي كان قد احدثه الانجليز في خطوطنا وقد قدرنا

ان لعبد ، وقفنا القدم [illegible] تقريبا [illegible] ان كبدنا اعداءنا خسائر ضخمة . وكان هذا القتال من [illegible] ان في هذه الحرب ربما فضله معز [illegible] فقط الى مقدرة القيادة المحلية [illegible] جنودنا [illegible] بكتكتنا الحديدية .

[illegible] اول عمل هجومي كبير قمنا به على الميدان الغربي منذ الوقت الذي [illegible] سير الاعمال [illegible] و دار [illegible] . واذا [illegible] نصر [illegible] .

ان [illegible] في كل عظيما ومرضيا بقدر ما كان على جنودنا وقوادهم . وشعرت كأني نجوت من عبء يثقلني منذ بدء اعمالنا الدفاعية في الميدان الغربي لكن نجاح كرتنا لم يحدث في جوارحنا ارتياحاً فقط بل [illegible] لنا ان نستفيد للمستقبل من الفرق التي هيأت لنا نيل هذا النصر .

تركت [illegible] كان [illegible] الانجليزية [illegible] لاول مرة في موقعة كمبراي ، طريقة الحرب [illegible] « المقتضبة » التي سارت عليها الى ذلك اليوم . ويظهر ان فكرة هجومية [illegible] قد ساقتها في هذا العمل فاغتنمت فرصة سكون معظم [illegible] في [illegible] . [illegible] الميدان [illegible] لتقوم بهجوم [illegible] على حين غرة في بقعة كمبراي . وفي [illegible] ان [illegible] لا [illegible] من [illegible] حيث [illegible] ان تستفيد من نجاح اولي [illegible] ، اغتصبت [illegible] مكتوفة [illegible] رقوداً .

فمن هذا الوجه استحق العدو هذه الكسرة التامة التي حلت به في كمبراي . ويظهر أن القيادة الانجليزية العليا قد اهملت هي ايضاً ان تهيء الوسائل اللازمة لحماية القيام بهجومها والانتفاع منه . هذه المرة ايضاً ما كانت جموع الخيالة الكثيفة المحشودة وراء فرق الخط الاول المنتصرة ، كافية لتحطم آخر رجال الدفاع ، وهم ضعاف ، أولئك الرجال الذين كانوا يصدّونها عن الانقضاض بحرية على خواصرنا وعلى مؤخرتنا فتفوز بنصر مبين .

ان كواكب الخيالة التي كانت تقاتل بالاتصال مع مركبات الهجوم ما وسعها ان تضمن لا علامها الظفر وان يكونوا قد عاودوا الكرة في الوقيعة فرسانا مغاوير. لقد كانت الهجمة الانجليزية في كمبراي اول هجمة كبرى قاموا بها على غرة بمركبات الهجوم . قد كنا عرفنا منذ الربيع هذه العدة الجديدة من عدد القتال فلم توقع فينا اذ ذاك شعوراً جديداً لكن « الطنا كس » كانت الآن محسنة العدة من الوجهة الفنية بحيث امكنها ان تجتاز معظم خنادقنا ومواقع دفاعنا الثانوية التي لم تكن مُستْ الى الساعة . فهذا الحدث قد اوقع في صفوف جنودنا شعوراً جليلا . لكن هذه العدد الفولاذية كان ضررها المادي من مدافعها الرشاشة والسريعة اخف من ضررها الادبي اذ هي لا تنالها القذائف ولا تأخذ منها واحس رُماتنا كأنهم غير قادرين على النيل من جدران المركبات . ولما كانت هذه المركبات تجتاز خنادقنا يتوهم حماتنا انهم مهددون من مؤخرتهم فيجلون عن اماكنهم . غير أني كنت آمل ان يألف جنودنا ويتعودوا هذا الضرب الجديد من آلات الدمار وإن يكونوا قد أرهقوا بما حلّ بهم من المتاعب في الوقائع الدفاعية . وكنت آمل ايضاً ان رجال الفن عندنا يتحفوننا عما قليل بعُدد قتال هينة التحريك نواجه بها « الطنا كس » .

اما الفرنسويون ، فكما كان متوقعاً ، لم يقفوا مكتوفي الايدي اذ كان حلفاؤهم الانجليز يقومون بهجماتهم في الصيف والخريف . فهاجمونا في فردون في الشطر الثاني من اغسطس وفي ٢٢ اكتوبر في تل سواسون الشرقي . ان جيوشنا المكلفين الدفاع عن هذه المناطق قد خسروا في هاتين الهجمتين جزءاً هاماً من مواقفهم ونالتهم خسائر قاسية . وفي الشطر الثاني من السنة اكتفت القيادة الفرنسوية العليا بهجمات محلية . أجل لقد أُرغمت عليها بسبب الخسائر الكثيفة التي نالتها في الربيع وبينت لها أنه ليس من الدراية ان تعرّض جنودها مرة اخرى لمثل هذه الخسائر الفادحة

في البلقان

ان الهجمات التي كان اعداؤنا قد قاموا بها على الميدان البلغاري في الاشهر الاخيرة من سنة ١٩١٧ لم تغير الحالة في ميدان مقدونيا .

وبدا أن سارايل ما كان يرمي ، بهذه الهجمات ، الى غرض ذي شأن . بل بضد ذلك قد دلّ على سكون مدهش حتى ان قواته ما لعبت تقريباً دوراً ما مهماً في الحرب العامة .

وكانت بلغاريا واقفة في ذلك العهد ، تشهد ، التعبئة اليونانية ، بقلق يتزايد على انه ، بناء على التعليمات التي كانت ترد علينا من اليونان ، كان يظهر لنا شك في ان فينزيلوس يتوفق الى انشاء وحدات قادرة على الذهاب الى ساحة الوغى . والفرق المسماة « فنزيلوسية » ما كانت هي نفسها ، الى امد بعيد، الا عصابات من الناس يؤثرون ان يظهروا بمظهر الابطال في الميدان المقدوني على ان يخوضوا غمار الحرب ابطالاً حقيقيين وفي الحقيقة ان النواة السليمة في الشعب اليوناني أبت دائماً ان تشترك في سياسة خرق ونكث عهود .

لعل مخاوف البلغار ما كانت الاّ نتيجة بعيدة عن حوادث ١٩١٣

في اسيا

انتهيت الآن في كلامي الى الحوادث الحربية في تركية اسيا . فلو تجاوزت عن ذكرها لاقترفت الى حليفتنا الامينة الباسلة ظلماً ولكان وصف المأساة الكبرى التي مثلت مشاهدها من على شواطىء البحر الشمالي الى شواطىء المحيط الهندي غير واف . وهنا ايضاً سابذل من الجهد في وصف الحوادث اقلّ مما ابذله في ذكر تسلسلها .

ان العمل العقلي الذي انصرف اليه قوادنا في غرفهم لم يتناول قط الخطط الحربية في ميادين اوروبا الوسطى بل انتهى احيانا الى ميادين الشرق، ان ابحاثهم وتنقيباتهم كانت تبلغ الحد في بعض الاحيان وكثيراً ما اكتفوا في [illegible] «لئلا يستنفدوا من وقت الثمين» [illegible] هذه الخطط بالنقط [illegible]» وأما سائر ما في هذه [illegible] فكانوا [illegible] كثيراً ما كانوا يستعجلون . الامر [illegible] من [illegible] الى يوم: [illegible] الحرب [illegible] فصل الخطاب [illegible] فلنحشد جميع قواتنا في هذه النقطة [illegible] [illegible] هذه الحالة . فاكتسحناها في المنطقة [illegible] .

لقد [illegible] في فكرة هذا الضابط الفتى غرابة على ان في فكرته هذه [illegible] كبيراً قرين الصواب صحيح الاستدلال من حيث الهجوم . [illegible] لم يعن بقوله خطط الحرب كلها [illegible] تركيا [illegible] كان [illegible] بالطرق [illegible] نالت الفصل في هذه النقطة [illegible] فيها . لو ان الانجليز توصلوا الى النزول في خليج الاسكندرونة [illegible] في [illegible] تركيا [illegible] الامر والى لابد سيادتها على البلاد الواقعة الى جنوب طوروس لان الشريان [illegible] لجميع تركيا الى وراء طوروس ، الذي كان يرسل [illegible] الى جيوش سوريا وما بين النهرين ثم الى [illegible] جيش [illegible] كان [illegible] احل ان مقدار الدم والقوة الذي كان يجري فيها كان ضعيفاً لكنه كان مع ذلك كافياً الى مدة طويلة ليثبتهم امام هجمات الاعداء وهي هجمات ما كانت تامة المعدات وفي غالب الحين نقصتها الحذاقة في التدبير والنشاط المطلوب .

نيطت حراسة خليج الاسكندرونة بجيش تركي كان من الصعب ان توجد فيه وحدةٌ واحدة قادرة على القتال فكل وحدة كفيئة بهذا الاسم كانت تترك في

الال هذا الجيش [illegible] الى [illegible] الى ما بين النهرين . اما عن المدفعية المسافة [illegible] في الحيلة شرفيه اكثر مما في الحقيقة الواقعة . لقد [illegible] قال : « املي الوحيد هو ان عدونا لا [illegible] في هذا المكان المعرض للخطر [illegible] أكان يمكننا ان [illegible] هذا الضعف البادي في خليج الاسكندرونة وهل يخفى على [illegible] ؟ انا ما كنت [illegible] »

ان ادارة الاستعلامات عند العدو ما كانت لتجد من السهولة والسرعة لتقوم بمهمتها مثلما تجد بين خليط الشعوب المختلفة في اسنا الصغرى وفي سوريا . وبدا لي من الامور المستحيلة ان تكون القيادة الانجليزية العامة جاهلة الحالة الحقيقية في الدفاع عن شواطىء خليج الاسكندرونة وما كان لانجلترا ان تخشى من الوقوع على [illegible] ذاهبة في هذه الوجهة من الشواطىء : لم يكن في العش زنابير . اجل لو ان خاطراً خطر لهجوم بهر ما كان له شيء امر الاسكندرونة . فقد كان يكون اذا الهجوم أثير عظيم يمتد الى العالم بأسره ولا سيما على تركيا وقت في ساعدها

فاذا لم تشر [illegible] هذه [illegible] الاعتداءات التي مارستها بدءاً في حملة الدردنيل كانت [illegible] الساعة [illegible] الذي كانت [illegible] تد [illegible] فيها كان عظيماً بحيث [illegible] اشياء [illegible]

لعل التاريخ يجلو هذه المسألة يوماً . قلت [illegible] لانه ينبغي لذلك ان تسمح به انجلترا . انه يسعنا ان نتصور الافكار التي كانت تقود انجلترا اذا تذكرنا تصريحاً فرط قبل الحرب من ضابط من ضباط البحر الانجليز وهو عالي المنصب . لما بدأ الناس يتعجبون ، في مسألة فاشودا ، من خطة التحفظ التي اوجبها هذا الضابط على الاسطول الانجليزي في البحر المتوسط قال : « تلقيت امراً صراحاً ان لا اخاطر بالشهرة التي نالتها انجلترا في طرف الغرب « ترافلغار »

شهرة « طرف الغرب » عظيمة لا نزاع فيها . ان من النظام الادبي لآلىء قد تكون لشعب كنزاً ثميناً جداً. وقد عرفت انجلترا ان تضع لها من شهرة « طرف الغرب » لؤلؤة كهذه وعرفت أن تجملها فتلمع ضياء في اعين المعجبين من شعبها ومن العالم باسره . لكن في خلال الحرب العظمى قد غطى ضياءها ظلٌ بل ظلالٌ منها ظلال الدردنيل وظلال المواقع التي وقعت بين الاسطول الانجليزي والاسطول الالماني وكان اكثف ظلٍ واشده حلكاً ظلُّ سكاجراك

ان انجلترا لن تصفح عنا ابداً أننا غشينا شهرتها في طرف الغرب . ورجعت انجلترا عن ان تطعن تركيا في قلبها طعنةً نجلاء وآثرت ان تجتزىء من ذلك القوة التركية جنوب طورس بان تهزم رويداً رويداً جيوش العدو في قتال بطيء مكاف ولما احذت بغداد في غر السنة كانت قد حطت خطوة اولى في سبيل هذا الغرض لكنها خذلت في غزة في هجوم الربيع وكان يجب عليها ان تُعدَّ في سوريا معدات جديدة غير ان حر الصيف اللافح قد اوقف ، الى أمد ، اعمالها الحربية

ان سقوط بغداد كان علينا موجعاً أليما وكان على جميع تركيا المفكرة المهتزة اوجع وآلم ، كما نظن . فكم من مرة جرى اسم مدينة الخلفاء القديمة على الالسن في المانيا ؟ وكم من الآمال عقدت لدى تذكر هذا الاسم؛ امالٌ كان افضل ان تظلَّ مخبوءة مستورة من أن تذاع على اسماع الارض وانصارها على الطريقة الالمانية البعيدة عن صواب السياسة ؟

ان حلفائنا العربية العمرية لم تتأثر بالحوادث التي وقعت في ما بين النهرين . الا ان سقوط بغداد كان شديد التأثير في السياسة الالمانية الخارجية . فقد كنا تعهدنا للحكومة التركية سلامة املاكها وتخومها ، ونحسُّ الآن ان حسابنا السياسي في الحرب قد وقره كثيراً هذه الخسارة السيئة الجديدة ، على الرغم مما توضى به حلفتنا من إحداث تغيرات في هذه المعاهدة .

ولهذا فقد قابلنا بالارتياح الكثير ما طلب الينا انور باشا من ان ننجده لاسترجاع بغداد فلبينا نداءه بمثل ما كانت القيادة التركية العليا مستعدة لتلبية ندائنا وإنجادنا على الساحات الاوروبية . وبناء على طلب انور باشا كان يجب ان نلقي قيادة هذه الحملة الجديدة بأيدي الالمان ليس لانه كان لنا رغبة في ان نسوق فيها قوات المانية مهمة بل لان القائد العام التركي كان يرى من الضرورة ان نشرف شهرة المانيا الحربية على هذه الحملة . وما كان لهذه الخطة شأن في نجاح الا اذا امكن التغلب على العقبات الكؤود الناجمة عن طول خطوط المواصلات. ولو ان اركان حرب تركيا نيطت به ادارة الاعمال الحربية لما استطاع ان يبلغ النجاح في هذه المهمة الاولى التي اعاهي شرط جوهري للظفر

وبناء على طلب القيادة التركية العامة عهد جلالة الامبراطور الى الجنرال فون فلكنهين ادارة هذه الحملة الكثيرة العقبات والمصاعب . اما الجنرال فانه استقى المعلومات اللازمه بنفسه عن مهمته في مايو سنة ١٩١٧ في الاستانة ثم في ما بين النهرين وسوريا ورأى الجنرال فون فلكنهين سفره الى سوريا ضروريا لانه كان يتعذر عليه ان يبدأ عمله في وجهة بغداد اذا لم يكن له ضمانٌ بالميدان التركي في سوريا يثبت ثباتا متينـاً لانه لم يكن ريبٌ في ان سرّ الحملة على بغداد يُفشى الى انجلترا حالاً واذا وقفت عليه هاجمت في سوريا من ساعتها

وشعر الجنرال فون فلكنهين ان الحملة لا بأس في الاخذ بها فلذلك كفيناه الطلبات التي رفعها الينا : اعدنا الى انور باشا جميع الجنود المقاتلة التي كانت لا تنفك تحت تصرفنا في الساحات الاوروبية . وغادرت الفيالق التركية في غليسيا صفوف الجيش الالماني الذي كانت ملتحقة به في ساعة كانت جنود كرنسكي تتقهقر الى الشرق امام كرّتنا عليهم . فانقلت الى بلادها يشيعها اصدق شكرنا وأحرّه . ان الاتراك قد برهنوا ، هذه المرة ايضاً ، على ما اشتهر عنهم من البسالة والبأس في

الحروب ، اذ قاتلوا في صفوفنا وكانت وحداتهم من اطوع الوحدات في ايدينا اثناء القتال . وخليق بي ان اذكر أن انور باشا كان قد افرز خيرة جنده لتقاتل على ميداننا الشرقي وفي رومانيا . اذن ما كان يمكن الاعتماد على صفات الفيالق التركية في غليسيا لِتقاس بها صفاتُ واعمال الجيش التركي على العموم . ان الغيرة التي بذلها اركان حرب جيشنا في غليسيا ، ليضموا للجنود التركية التعليم والتربية ولا سيما وسائل الاقوات والعقاقير ، قد اتت بالثمار الشهية

فكم من هؤلاء الابناء الغلاظ بطبيعتهم عرفوا ، لاول مرة ولكن لآخر مرة أيضاً ، وخبروا حسن المعشر وصدق الولاء وذلك بفضل عناية القيادة الالمانية !

وكنت أملت ان الفيالق التركية في غليسيا تكون عنصراً طيباً في جيش حملة بغداد لكن من بواعث الاسف خاب ما املت . فما كاد هؤلاء الجنود يتملصون من نفوذنا حتى بدأ الفساد يتسرب اليهم من جديد مما يدلُّ على ان مثلنا لم يكن له اثره على الضباط الاتراك . غير ان نفراً منهم كانوا شذوذاً وقد تفردوا بفضائلهم الكثيرة التي ينقصها العلم والتربية وقلمّا تصلح لامرٍ . وعليه فكان يلزم ان يعاد تدريب وتعبئة هذا الجيش ليتاح له القيام بمجهودات تعدل الضحايا التي عاهدت الامة على بذلها . إن الاضرار الناجمة عن هذه الحالة بدا اثرها خصوصا في الانفاق بالرجال انفاقاً كثيراً . وقد حدثت هذه العوارض من قبل في الجيوش التي كان تعليمها وتهذيبها على ضروب الحرب ناقصَين . ان حسن التعليم الحربي يفيرُ على امة ، رجالاً عديدين في خلال الحرب . وقد تمكنت ان اتصوّر الخسائر الفادحة التي مُنيت بها تركيا منذ بدء الحرب من افادة ورد فيها : ان في بعض سناجق الاناضول قرى قد خلت من كل سكانها الذكور القادرين على حمل السلاح . وتبدو اهمية هذه الخسائر طبيعةً اذا عُرِف ان الدفاع عن الدردنيل قد كلّف تركيا ٢٠٠٠٠٠ جندي . امّا عدد جنود الاترك الذى ماتوا جوعاً او مرضاً فلا يعرف .

ان القوات التي قدّمتها المانيا لحملة بغداد كانت ، ماعدا عدداً مهماً من الضباط المعدّين لمهن مخصوصة ، حملةً سميت « فيلق اسيا » وظنوا انه لابدّ من تهييج الافكار في بلادنا حين يرونا قد وضعنا قيدَ تركيا فيلقاً باسرها [1] تستخدم لغرض بعيدٍ ولم نحتفظ بها اشدّ احتفاظٍ لتقاتل في اوروبا الوسطى . غير ان هذه الفيلق لم يكن قوامها الاّ ثلاث كتائب وبعض البطاريات . وقد اختير اسم « فيلق » لنخدع العدو وما عرفنا قطّ حق المعرفة هل توصلنا حقيقة الى خداعه ؟ واننا لما قدّمنا هذه النجدة لحليفتنا أنما كان غرضنا أن ننجدها بالقوات المقاتلة بل بالقوات الادبية والعقلية : عنيتُ الارادة والعلم .

لقد مُيزّ معنى مساعدتنا الحقيقي وحُدّد افضل تحديد بالكلمات التي لفظها القيصر فرديانان لما حذرنا ، قبل مواقع مقدونيا في خريف ١٩١٦ ، من المضار التي تنجم عن سحب جميع القوات الالمانية من ميدان بلغاريا . قال : « ان جنودي البلغار يريدون ان يروا الخوذ ذاتَ الاسنّة . فهذا المنظر يبعث فيهم ثقةً وأمناً وما بقي فيهم مالكوه . » هذه الكلمات تؤيد التعليمات التي استخرجها شرنهرست من التاريخ ولخصها بقوله : انّ قوة ارادة الجندي المتعلم هي افيد جداً للمجموع من القوات المادية الصماء . في حرب تتجمع فيها امم مختلفة

اما حملة بغداد فلم تقع . ومنذ اشهر الصيف الاولى ظهر ان الانجليز قد هيأوا جميع معداتهم لمهاجمة الجيش التركي حول غزة قبل ورود فصل الشتاء . وان الجنرال فون فلكنهين الذي ظلّ مقيماً في الشرق تبين له ان ميدان سوريا لن يقدر على الثبات على هجمة قد يقوم بها الانجليز بقوات تكثرهم كثرة عظيمة . فألجئنا ان نحول الى الجنوب شطراً من الفرق التركية المرصدة لحملة بغداد . وبذا أضعنا الاخذ بحملة موفقة في ما بين النهرين . وقد وافقتُ ، بالاتفاق مع انور باشا ، على تسيير جميع

---

(١) في اثناء الحرب اطلقت لفظة « فيلق » في المانيا لتدل عموماً على فيلق جيش.

القوات التركية الطليقة الى سوريا ليتاح لحلفائنا ان يقدموا على الهجوم، اذا امكن، أقبل الانجليز. واملت القيادة الالمانية المحلية انه يسعها ان تحسن اعمال السكة الحديدية وادارة الاراضي التركية ليسهل تموين الجنود العاملين، وهم كثر، في هذا الميدان وتمدهم بجميع الوسائل اللازمة للقتال.

ان بعض احتكاكات سياسية وحربية قد اضاعت على الجنرال فون فلكنهين اسابيع ثمينةً قيمتها. ونوفق الانجليز على ان ينقدموا الاتراك ويهاجموهم في غرة نوفمبر في غزة وفي بئر سبع فيهزم الجنود الاتراك الى الشمال وسقطت اورشليم في اوائل دسمبر. وما هي الا في اواسط الشهر حتى استقامت الخطوط التركية واستقرت شمال خط يافا — اورشليم — اريحا.

وتخوفنا ان يكون لهزيمة الاتراك ولا سيما لسقوط القدس الشريف تأثير سيء في سياسة رجال الحكومة الذين كانوا اذ ذاك قابضين على ازمة الاحكام في الاستانة على انه لم يظهر من ذلك شيء على خلافِ ما كنا نتوقع. فلم يبدِ الاتراك اقل شعور وبرهنوا على عدم اكتراث غريب.

ولم يكن من شك عندي في ان تركيا لن تعود فتضع يدها على اورشليم والاماكن المقدسة وكانوا في قرن الذهب يشاطروني هذا الرأي لكنهم لم يقولوه ويذيعوه.

ونهضت تركيا تبحث عن عوض مما اضاعته من الارضين توجهت اطماعها اذ ذاك وبحمية ناهضة اكثر من قبل واولت انظارها الى بقاع اخرى من اسيا لكن من الاسف كان قد سبق السيف العذل.

نظرة

الى الحكومات والشعوب وأحوالها الداخلية

في اواخر سنة ١٩١٧

لا يخالجن احداً خوف اذا مارآني الآن وقد تغلبت على نفوري من السياسة وغامرت ازجّ نفسي في غمرات حرب الاحزاب. على أني لا اريد ان اعفي نفسي من ابداء التصريحات التي ترون اذا لم اشأ ان تكون الصورة التي استطيع ان اصورها عن هذه الحالة ناقصة جداً . لكن من يسعه أن يصف العهد الذي اتكلم عنه وصفاً وافياً ؟ فان هناك من يأتي دائماً « لماذا ؟ » جديدة « وكيف ؟ » جديدة وسيظل هذا الوصف دائماً ناقصاً لان بعض الافواه ، التي تكون لنا تصريحاتهم من الآن ضرورية ، ستظلُّ الى الابد مكمومة . ولست اريد ايضاً ان ارسم كلَّ تقاطيع هذه الصورة فاكتفي ان اخط خطاً من هنا وخطاً من هناك بقصد ان اقدم هيكل صورة لاصورةً متقنة الهيأة بينّة الاشكال وانا بادىء على ما يظهر عفواً بالشرق .

« تركيا صفر » تلك كلمات يمكن مراجعتها في مستند من قبل الحرب . في مستند الماني اذن في مستند لايمكن ان يكون على عداء لتركيا سياسياً

صفر غريبٌ ذلك الذي حمى الدردنيل وربح وقيعة كوت الامارة وزحف على مصر وصدّ هجمات الروس على اعالي أنجاد ارمينيا !

صفرٌ جليل القيمة لنا . صفرٌ قد جلب عليه ، كما قلتُ آنفاً ، مئات الالوف من الرجال ومن خيار الرجال . هؤلاء الاجناد قضموا تخوم تركيا ودخلوها احياناً من اماكن لكنهم ما توصلوا الى بلوغ قلب البلاد . فمن ذا الذي يكسب هذا الصفرَ قوته الداخلية ؟ انه لغزٌ . ولغزٌ على اولئك الذين كانو مقيمين في تركيا في ذلك العهد والذين كانوا قد قضوا فيها من قبل اعواماً طوالاً . ان معظم الشعب

يظهر انه عادم الهمة قصير النظر وشطراً كبيراً من الطبقات العالية يبدو ذا أثرة لا يختلج صدره بالعواطف القومية السامية . فاذا الدولة مؤلفةٌ من طبقات تفصلها أغوارٌ عميقةٌ لا تجمعها حياة مشتركة ومع ذلك فان هذه الامة لا تنفكُّ فيها الحياة وتنعشها قوى قومية وطنية . يظهر ان قوة الاستانة تقف عن حدّ طورس والنفوذَ التركي لا ينبسط له ظلٌّ الى ماوراء اسيا الصغرى . ومع ذلك فان الجنود الاتراك لا يزالون يحاربون في سوريا وفي ما بين النهرين وقد شسعَت مسافتهما . في هذه الاقطار العَربيُّ يبغض التركيَّ والتركيُّ يبغض العربيَّ ومع ذلك لا تفتأ الكتائب العربية تحارب تحت لواء الاتراك فهم لا يندفعون جموعاً الى العدو الذي لا يعدم فقط بقطع الذهب بل ينثر عليهم نثراً ذلك الذهبَ الذي يحبونه جداً !

في ما بين النهرين الى حيثُ حمل الجيش الانجليزي ـ الهنديُّ ، كما يظنون ، لهؤلاء السكان الذين استبعدهم الاتراك واذلوهم النجاة التي يشتاقونها من اجيال قامت القبائل المنقَذة وراء هذا الجيش وانقضوا على منقذيهم . اذن لا بدّ من قوة كامنة في هذه الاقطار تجمع كلّ قبائل . وليس هو الخطر الزاحف عليهم من الخارج وحده بل هي وحدة [illegible] سياسية والتضامن الداخلي الاذان ولذا فيهم هذه الحياة وما هي قوة الحكام الاتراك وحدها بالتي يسعها ان تولد هذه القوة المتحمسة فلقد يسهل على [illegible] ان يخلعوا عنهم هذه القوة وحسبهم لذلك ان يتركوا خنادقهم ويعودوا الى [illegible] او ان يثوروا على مؤخرة الجيوش التركية .

[illegible] الك الدين [illegible] الدين [illegible] الذي خلق هذه الرابطة الادبية ؟ ان هذا [illegible] بالدفاع . هذا رأي واسباباً ليست دونها صلاحاً لدحضه . وفي هذا الامر لا يسع [illegible] ان نتعمق في نفسانية الشعب التركي ويجب علينا ان نرجع عن الجزم [illegible] الخلاف .

ان الامة التركية على الرغم من النقائص الكبرى فيها ليسَت بالتي تنقصها

اسباب الحياة . فان هناك اسماء كثيرٍ من خيرة الموظفين الذين كانوا ولا يزالون، الى جنب اخدانهم المتناسين واجباتهم ، رجالاً خصبةً عقولهم موفورةً مواهبهم كثيراً نشاطهم . وقد عرفت منهم واحداً في كرِزناخ . عنيت اسمعيل حقي : فاذا كان فيه بعض نقائص قومه فقد احتاز ، بضدّ ذلك ، ذكاء متوقداً وخاطراً سريعاً وانه من دواعي الاسف أن لا يكون من امةٍ قواها أسلم . قالوا انه لايكتب شيئاً وله ذاكرةٌ نادرة ويهتمّ بطائفة من المشاغل وله افكار قومية جميلة و يرى الى ماهو ابعد من الحرب الحالية . ان اهمّ مشاغله ، وهي التي كانت العلّة الجوهرية في قوّته ، هي ان يضمن تموين الجيش التركي ومدينة الاستانة . فلو انهم ابعدوا اسماعيل حقي لعدمَ الجيشُ كلَّ شيء وكابدَ من الحرمان فوق ماكان يكابده احياناً وربما كان حلَّ بسكان الاستانة الموتُ جوعاً لان معظم البلاد كان في مجاعة ليس من نقصان الأقوات بل لان الادارة والنقليات كانت سيئة التدبير ولانه لم يكن في مكانٍ من يستطيع ان يضبط ميزانية الدخل والصرف . وما كان في وسع احد ان يعرف مما يعيش سكان المدن الكبرى . وكنا قد ضمنّا تموين الاستانة بالخبز نحمل اليها الحبوب الصادرة من رومانيا ومن دبروجا ونساعد المدينة على الرغم مما كنا نقاسيه من الضيق والشقاء . وغني عن البيان أن الذي اصدرناه الى الاستانة ماكان ليسدّ جوع الملايين من سكان المدينة . فلو اننا أبينا على تركيا ما كانت في عوزٍ اليه لانفصلت عنا لانه لو جاعت الاستانة لثارت على الرغم من كل استبداد الحكومة . لكن هل الاستبداد واقع حقيقةً في تركيا ؟ قد قدّمت الكلام عن الجمعية . وكان الى جانبها ذوو نفوذ آخرون نشأوا من بين الاحزاب توقظهم الاحقاد السياسية او الضغائن التجارية ينازلون في تركيا ايضاً رجال الحكومة النشيطين . وتحت ذيل الخفاء وبين مظاهر السكينة تسير تيارات

قوية واحياناً تظهر انواؤها عند ما يحاولون ان يُهبطوا الرجالَ القابضين الآن على ازمة الاحكام الى قعر الهاوية

والجيش يقاسي ايضاً من هؤلاء ذوي النفوذ . وار كان الحرب التركي العام مرغمٌ ، كما قلتُ من قبل ، على ان يحسب لهم حساباً وعليه في بعض الحين ان يبدي لهم مسالمةً ولو لحق الخيرَ العامَّ ضررٌ جسيمٌ . ولو فعل ضدَّ ذلك لتغلغل في الجيش، وقوته العددية تتناقص رويداً رويداً ، فسادٌ ادبيٌّ . والحرمان والشقاء قد افسدا بعض الوحدات . وطولُ ايام الحرب الحالية ، لايعرف له امدٌ اضف اليه ، الحملاتِ السابقة في اليمن والبلقان التي تحمل اعباء ها كثير من هؤلاء الجنود فلم يتذوقوا طعم الراحة ، قد ساعدَ على إضعاف الجيش التركي .

والشوق الشديد الي لقيا الدار والحرَم والولد ـ والاسلام يعرف هذا الشوق ايضاً — قد حمل الالوفَ من الجنود على الفرار . والفرق التى تنزل في حيدر باشا وفيها العاملون كلهم لاتبلغ الى سوريا وما بين النهرين الآ وقد نقصت كثيراً . ويمكن البحث ليعرف عدد الفارين الاتراك الذين هم في اسيا الصغرى . أيبلغ ثلاثمئة الف جندي او خمس مئة الف ؟ فهو في كل حال يعدل عدد المقاتلة العاملين من مجموع الجيوش التركية وما هذا بالصورة التي تثلج لها الصدور : غير ان تركيا ثابتة هيَ وتبذل قصاراها لتُحسنَ ، ما استطاعت الى الاحسان سبيلاً ، القيامَ بواجباتها كخليفة لا تبدي تذمراً ولا تضيع صبراً

والشقاء في بلغاريا منبسطٌ ظلهُ والشعب يكابد الجوع في بلاد من عادتها ان تنتج من الاقوات اكثر مما تستهلك . وكانت المواسم بينَ بين ولقد تكون كافيةً لو كان في البلاد ادارةٌ كادارتنا ولو امكنهم هنا ايضاً ان يعادلوا بين محصولات الاراضي التي تزيد اقواتها على سكانها وبين الاراضي التي تنقص . قال لنا بلغاريٌّ امررنا اليه بهذه الفكرة : « نحن لانفهم من هذا المنهاج شيئاً !
!

عذرٌ سهلٌ ذكرُهُ ولكنه حجةٌ عليه وأية حجة ! ان لم يتعلم امرؤ ان يستخدم يديه فانهُ يدخلهما في جيوبه.

قد تقدمتُ فقلتُ: لما انتقلت بلغاريا من تحت عبودية الاتراك الى الحرية السياسية باتمّ مراميها لم يكن فيها من يد حازمة تعرف ان تضمن لها تربيتها وتنظيمها . فلم يكن عندها مثلنا — وليسمحوا لي فأتكلم كرجل بروسيّ — رجلٌ كفردريك غليوم الاول هذا الملك العظيم الذي انشأ قواعد من حديد استطاعت الدولة الالمانية ان ترتكز عليها زمانًا طويلاً باكمل هدوء وسكينة . ان بلغاريا لاتعرف ماهي الادارة الحسنة ولكن فيها ، مقابل ذلك ، احزابًا كثيرة ومعظم هذه الاحزاب تحمل على الحكومة . فاذا لم يوجهوا عليها لوما لسياستها الخارجية لان هذه السياسة تبشر بمستقبل مجيد: اي وحدة الشعوب البلقانية القومية وسيادة بلغاريا في البلقان — حملوا عليها بشدة بشؤون السياسة الداخلية . وفي هذا الصراع يتوسلون بكل الوسائل حتى با كثرها خطراً . ويحملون على الحلفاء حتى على الجيش البلغاري . ما اشدَّ هذا اللعبَ ضرراً ! ومسألة دبروجا هي الوسيلة التي يؤثر الاحزاب استخدامها في نضالهم الدائم . وقد استخدمت الحكومة لخدمتها لتضغط على تركيا وعلينا ، رحالاً خطرين ولا يسعها بعد الآن ان تتملص من هؤلاء الرجال الذين يهددون بتقويض كل شيء ويبذرون ، لصلاح حزبهم ، بذور البغضاء ضدَّ حلفاء بلغاريا وضد ممثليهم . فانه في خريف ١٩١٧ تراءى لنا ان افضلَ حلّ لنا هو أن نتنازل موقتاً في مسألة دبروجا وأن نرجيء حلّها النهائي الى نهاية الحرب . هذا رجوع من قبلنا لكنه رجوع فعلناه عن حكمة وروية وليسَ عن اقتناع بهِ . ومن الغريب أن نلاحظ ، انه من حين فعلنا ذا ، نفض الجميع يدهم من هذه المسألة وتركوها وشأنها . ولم تعد لفظة دبروجا سببَ اختلاف واضطراب في الاحزاب . وهكذا انتهت الحملة السياسية التي اثارتها علينا بلغاريا

لـكن الاحزاب ما فتئوا يتطاحنون فيما بينهم ليستولوا على مقاليد الحكم . وقد اندسّ هذا السوس الناخر حتى في الجيش حيث يتأصل فيه في ابان الحرب اكثر من ايام السلم

والجند سهل التأثر بهذا العمل الذي يأتي الخراب والدمار لان تموينه كان سيئاً وبدأ يتألم من حبس الاقوات الضرورية عنه وبدا نقصٌ في النشاط وفي المقدرة وفي التنظيم من الرجال المكلفين تموين الجيش البلغاري من كبيرهم الى صغيرهم فاقترحنا عليهم اقتراحات ترمي الى تحسين الحالة من اصولها فاقرّ البلغار ان مقترحاتنا حسنة جداً لـكن ليس لهم ارادة على تحقيقها ولا يرغبون ايضاً ان يكلّفوا نفوسهم مشقة العمل . وانما هم يكتفون ان يتذمروا من الالمان الذين يحتلون البلاد — وهي في الحقيقة بلاد دوّخناها معاً — من هذا الالماني الذي يجب ان نقوته بمقتضى الاتفاق المبرم معه وهو يحارب على تخوم مقدونيا ليحمي ، ليسَ البلاد الالمانية بل قبل كل شيء البلادَ البلغارية . ويزعم البلغاريّ انه يجب على الالماني ان يقوم بمعيشته . وقد فعل الالماني ذلك ليستريح ولكي يمون جنوده في مقدونيا يستقدم اليه من المانيا المواسي حتى التشعير . والحق يقال ان هذه الاختلافات المتوالية لم تنفجر بين الجنود البلغار والالمان لانهم يتبادلون الولاء والاحترام ، لـكن وراء ما انهم المشترك . اما نحن فقد اقترحنا على البلغار ، قطعاً لاسباب احلاف هذه ، ان تستبدل الجنود الالمان في مقدونيا بالجنود البلغار الذين لايزالون في رومانيا . فيكون للبلغار من هذا التنازل ضعفان او ثلاثة اضعاف من الجنود على ما يعيدون الينا منها . لـكن ما كاد يُسمعُ هذا الصوت حتى علا الصياح الشديد في صوفيا وجهروا على رؤوس الملاء اننا حانثون بالعهود التي قطعنا . ولذلك اكتفينا ان نستدعي من مقدونيا جنوداً قليلين ونُرجع الفرق البلغارية في رومانيا ومعها بعض الـكتائب فقط . واذ ذاك ترك هؤلاء الاجناد

ضفة الدانوب اليمنى التي كانوا قد عبروا اليها من قبل على غير رضى منهم .

اذن الحالة في بلغاريا مضطربةٌ اضطراباً ومع ذلك فاننا نحسب ان بلغاريا تظل أمينة على تعاهدنا ، على الاقل ، طالما نريد ونستطيع ان نرضيَ مطامعها السياسية الكبرى . لكن في خلال صيف ١٩١٧ على أثر تصريحات الصحافة الالمانية والخطب التي القيت في البرلمان الالماني أخذوا يتساءلون في صوفيا وفيما بين الجيش البلغاري أنحن نرعى حقيقة وعودنا ؟ وأخذوا يتاصصون علينا بقلق ، وبما هو اعظم منه ، أنهم اصبحوا على حذر منا . وقامت الاحزابُ اذ ذاك تلحُّ في سقوط رادوسلافوف . معروفٌ ان سياسته الخارجية سياسة كبرى والجميع موافقون لكن يظهر انه لم يبق الرجل الذي لها فيدافعَ عنها ازاء حلفاء بلغاريا . وفوق ذلك فان سياسته الداخلية تسوء الكثيرين . اذن ينبغي ان يتولى دفّة الحكم رجالٌ جُددٌ . لان القدماء ، برأي البلغار ، قد وضعوا بين ايديهم منذ عهد بعيد « صحن السمن » وفي معتقدهم انهم قد شبعوا . وكل من له علاقة برادوسلافوف من اعظم موظف الى احقر مختار في القرى ، قال : يجب ان يتخلى عن الحكم فان النظام البرلماني الملقب بنظام الحرية يقضي بذلك وينبغي ان يتمّ هذا الانقلاب حالاً اعني في معمعان الحرب .

ليس لديّ الاّ القليل فاقوله عن النمسا ـ المجر . ان مصاعب هذه البلاد الداخلية لم تخفّ وطأتها وقد تقدمتُ فقلت ان التقرب الذي ننشده باللين والمؤاساة مع العناصر المتشككة التي تفسد الامة قد اخفق اتمّ اخفاق . والآن هم يحاولون ، مستخدمين القوة ونفوذ الاكليروس ، ويتكلفون اظهار العواطف الدينية ، ليوجدوا رابطة بين مقاطعات الدولة التي تبدي نزعات الى الانفصال او على الاقل ، بين الدوائر ذات النفوذ في هذه المقاطعات . لكن هذه الوسيلة قد بقيت هي نفسها عقيمة وما توفقت الاّ الى اثارة انقسامات جديدة وبثّ سوء الظنون حيثُ لم

يكن الى الآن الا ثقةٌ وغيرة . وقد تفاقم النفور المتبادل بين الشعوب المختلفة بسبب اختلاف وسائل التموين . فبنّا نموت جوعاً بينا نرى بودابست مكتفيةً من الاقوات . وبوهميا الالمانية تكاد تهلك إعياء بينما التشك لا ينقصهم شيء تقريباً . ومما زاد الحالة سوءاً هو ان الغلال غير مقبلة فهذه الظروف احكت حلقات الازمة الداخلية وزادتها وتزيدها شدة . وفي النمسا ـ المجر ، كما هو في تركيا ، لا تنقصهم الوسائل الفنية ليعدلوا محصولات الاراضي المختلفة والذي يعوزهم انما هو ارادةٌ واحدة وحكومةٌ تعرف ان تقضي وتمضي . فالخلاف السياسي الداخلي المتقادم عهدُه قد انتشر بجميع نتائجه المهلكة من جراء القوت الماديّ . أليس من الغريب ان تزيد الرغبة في الصلح وتنقص الثقة بنهاية حربٍ مرجوة حميدة ؟ولهذا السبب فان تداعي روسيا ما زال يزعزع النمسا ـ المجر بدلاً من ان يثبت دعائمها . وان زوال الخطر الروسي لا يقوّي شجاعة النمسويين ـ المجريين بل انه بضد ذلك يجعلهم اقل مبالاة بالامور . وظفر ايطاليا نفسه انما هو سبب سرور لبعض احزاب الدولة و بعض دوائرها والنخوةُ لا تلج بعد الآن صدورَ عامة الشعب الذين يموتون جوعاً في بعض الاماكن وبعض الاحايين . وان اموراً كثيرة ، كان لها قدرها قبل موت الامبراطور الشيخ ، قد اضاعت الان قيمتها الادبية .وان الوفاً من التشك وغيرهم من مثيري الفتن والقلاقل يدوسون الآن باقدامهم الشرف القومي باشد ما كانوا يفعلون من قبل . والحق يقال قد كان يجب ان يكون للحكومة اعصابٌ اشدُ وامتن لتستطيع ان تقاوم ، الى اجل اطولَ ، ضغطَ العامّة وبينهم من كان ينادي بالصلح كيفما كان .

ولننتقل الان الى وطننا .

في خلال ايام القتال التي تكلمت عليها من قبلُ قد وقعتْ تغييرات جوهرية خطيرة النتائج في سياستنا الداخلية وكان من علامات هذه الازمة اعتزال المستشار

فون بتمان . ودخلتُ في بدء الامر ان آرائي على الحالة الناتجة عن الحرب على اتمّ وفاق مع آراء المستشار . ومن دواعي اسفي العظيم أني توصلت مع مرور الايام ان اتأكد اني كنت مغروراً . عُهد اليّ بادارة الاعمال الحربية وكنت محتاجاً الى جميع قوى وطننا لاقوم بهذه الادارة واضمن نجاحها لكن تشتيت هذه القوى بالاختلافات الداخلية ، في زمن كانت الحالة فيه صعبة جداً على ميادين القتال ، بدلاً من جمعها وانهاضها في كل حين الى العمل ، لزم ان يؤدي الى إضعاف عدتنا الدافعة حربياً وسياسياً فما كان يسعني ، والحالة كما شرحت ، ان آخذ على نفسي تبعة لزوم السكوت اذ لاحظت ان الاتحاد الذي نحن في حاجة اليه في ميادين القتال كان ممزقاً تمزيقاً في الداخل . ولما كنت مقتنعاً أننا ، من هذا الوجه ، نضيع من قوانا فوق مايضيع اعداؤنا واننا سالكون طريقاً مخالفاً للطريق الذي يسلكون رأيتني حينئذ على ضرفي نقيض مع الحكومة . والعمل المشترك يتضرر من هذه الحالة. لذلك رأيت ، في يوليو ، أنه من واجبي ان اطلب الى مولاي الاعظم ان يقيلني من منصبي . وان يكن هذا المسلك قد آلمني جد الايلام بصفتي جندياً . لكن جلالته لم يقبل طلبي .وكان المستشار قد قدّم استقالته على اثر تصريح من زعماء الاحزاب في الرشستاغ : فقبل طلبه

كانت نتائج هذه الاستقالة خطيرة جداً فان الاتحاد الذي كان قد بدا ، في عيون الاجانب ، سائداً الى الآن ما بين الاحزاب السياسية قد زال وانقضى . وتألف حزب اكثري جاهر بانتمائه الى الشمال

ان المفوات التي ادعوا اقترافها ، في زمن السلم ، في تغيير حالتنا الداخلية قد استُخدمت ، في أيام الحرب ، وفي ظروف كانت فيها حالتنا الداخلية كثيرة المصاعب والمشكلات ، لينالوا من الحكومة امتيازات جديدة لِما سموه توسّعنا

البرلماني . ان اتباع هذا السبيل انما هو ضياع تضامننا الداخلي . وما لبث أن انتقلت ادارتنا السياسية شيئاً فشيئاً الى ايدي الاحزاب المتطرفة

عُين الدكتور ميكاايس ليخلف بتمان هلويج فصارت علائقنا في زمن قريب على غاية من الولاء والثقة . لقد اقدم على منصبه المحفوف بالمصاعب بعزم ثبت لكنه لم يُبقِ عليه الاّ مدة قصيرة لان الحوادث كانت أقوى من خلوص ارادته

ولم يكن في الامكان جميع آراء الاحزاب في البرلمان واندفعت الاكثرية وزادت اندفاعاً نحو الشمال وعلى الرغم من الكلمات الحلوة فان أعمالها تجاوزت اعمال اولئك الذين رغبوا ، الى ذلك الحين ، في تقويض النظام الاجتماعي . وصار بيناً واضحاً أن الداخلية ، في صراعها ، لمنافع ذاتية أو لمبادئ حزبية ، قد نسيت أو أرادت أن تنسى خطورة موقفنا فثلجت صدور أعدائنا وابدوا سرورهم وعرفوا أن يذكوا نيران هذه الاختلافات بين الاحزاب

ولما كانت الحالة على ما كانت بحثنا عن مستشار جديد يكون ، قبل كل شيء قادراً ، بالنظر الى ماضيه البرلماني ، على اعادة الاتحاد بين الاحزاب وكان موقفه مضطرباً

فوقع الاختيار على الكونت هرتلنج . كنت قد تعرفت به في بلس لما اصطحبه ملك بافاريا . واني لاذكر الآن حسن مودته لما بتني ، في ذلك الحين تهانئه على الصليب الحديدي الاكبر الذي كان قد دفعه اليّ جلالة الامبراطور من عهد قريب . وشعرت بهزة طرب ، وفي الوقت ذاته ، بصدق عزيمة لما رأيت الكونت الشيخ يبذل آخر قواه بكل بهجة في خدمة بلادنا . أما ثقته التي لا تتزعزع بقضيتنا وأمله بمستقبلنا فلم ينثلما ابقيه في أخطر المواقف واجلّها . وقد عامل الاحزاب البرلمانية بحذق ومهارة لكنه ما عرف أن يتداخل دائماً بعزم ثبت تتطلبه خطورة الحالة في بلادنا . وكان ثمّت بعضُ سوء ظن ، لا شك ، انه ناتج من

الحوادث السياسية السابقة ، مازال عاملا ، ياللاسف ! في العلائق بين اركان الحرب العام وبين المستشار ، وجعل من حين الى حين اشتراكهما في العمل صعباً جداً . لكن الاحترام الذي حفظته للكونت لم يتأثر قط بهذه الحالة ، وقد توفي ، كما هو معلوم ، بُعيد أن تخلى عن منصبه الحرج بزمن قريب

ثم انه اذا صُرف النظر عن العقبات التى وصفتها آنفاً فما من أمر في داخل ألمانيا يدعو الى الاستبشار في أواخر سنة ١٩١٧ . وفوق ذلك لا يمكن أن نتقاضى الكمال في كل شيء لان الحرب وويلاتها قد اشتدت وطأتها على شطر كبير من شعبنا وأثرت في نفسانيته . ان الذي لم يشبع أو على الاقل لم يأكل في جوعه في سنين لا يمكن أن يكون له نفسانية عالية ويشعر من نفسه انقياداً إلى عدم المبالاة. وعندنا أيضاً معظم عامة الامة التي نقصتها الاقوات ليس فيها أفكار أفضل من سائر الامم وإن يكن تأثير الحكومة وقيمة شعبنا الادبية قد ظهرا أنشط اثراً في جميع حياتنا . لكن في الظروف التي نجتازها يجب على هذه الحياة أن تقاسي المشاق خصوصاً إذا لم تؤيدها قوى عقلية وأدبية جديدة . والحال أن هذه القوى الجديدة لا وجود لها عندنا أيضاً في الدوائر التي من عادتها أن تفكر . على خلاف ذلك اقدموا على هذا الرأي الكبيرة أخطاره : وهو أنه لم يبق من دواء ناجع أمام عدم مبالاة الجماعات. والذين يتشاطرون هذا الرأي يكتفون أيديهم ويدعون الامور تجري في مجاريها ويشهدون، وهم سكوت ، مكائد بعض الاحزاب الذين يجدون، في سآمة الشعب وضجره، أرضاً صالحة لدس آرائهم المفسدة الهادمة لدعائم النظام الاجتماعي ويبذرون زرعهم الخطر فيزداد يوماً فيوماً لانه ما من بد تريد أن تنزع من بينه الزؤان

ان عدم المبالاة تصدر عنه العوامل نفسها التي تصدر عن التواني فهو يهيء عدم الرضى وعدم الرضى يتناول ليس فقط السكان في الداخل بل الجنود الذين يعودون إلى بلادهم

إن الجندي العائد من ميدان القتال الى كسر بيته يستطيع أن يبعث فيه روح النشاط والحماسة وهكذا فعل معظم رجالنا لكن قد يقع أيضاً منهم تأثير بخلع النفوس وهكذا فعل أيضاً، بالاسف ا نفر من المقاتلة لكن غير خيارهم . هؤلاء ما كانوا يرغبون أن يعرفوا بعد الآن شيئاً عن الحرب ودأبوا يؤبون الارض التي دب اليها الفساد ويزرعون فيها أفكاراً شراً واسوأ ويحملون عدوى الداخلية إلى وحدات الجنود على ساح القتال

ان هنالك اشياء كثيرة موجعة في الصورة التي وضعت آنفاً . وما هي كلها من نتائج الحرب أو على الاقل لا يجب أن تكونها . ان الحرب لا تنزع فقط الى إنهاض النفوس بل أيضاً الى إفسادها والحرب الحالية تفسد أكثر مما افسدت الحروب السابقة فهي لا تضرب الأبدان فقط بل تسطو على النفوس .

واعداؤنا انفسهم يعملون على هذا الفساد. وقد توسلوا لذلك ليس فقط بالحصر ونصف المجاعة التي انما هي نتيجة الحصر بل ايضاً بوسيلة اخرى يسمونها « النشرات عن العدو » تلك وسيلة للقتال جديدة جهلها الماضي أو على الاقل لم يرها تستخدم بمثل هذا النشاط لا يخالجهم منه قلق . فاستخدمها اعداؤنا في المانيا وفي تركيا وفي النمسا ـ المجر وفي بلغاريا فان سيلاً من النشرات الكاذبة سقطت ليس وراء ميادين الالمان شرقاً وغرباً بل وراء ميادين الاتراك في ما بين النهرين وسوريا . وقد لقبوا هذا الضرب من النشريات «ديوان الاستعلامات للاعداء» ولقد كان يمكنهم ان يسموه « اخفاء الحقيقة » أو « تسميم العدو الادبي » وهو متأت عن فكرة في الحرب شعروا بها من انفسهم عجزاً عن غلبة العدو في قتال شريف وعن الظفر بقوته الادبية بانتصارات ينالونها بحد الحسام

فلنجرّب ، قبل الختام ، ان نرى في الدول المعادية حالتها الداخلية وقد استعملت تعمداً هذه الكلمة « فلنجرب » لانه هو كل ما كان في طاقتنا عمله

طالما الحرب ناشبة . ان الحصر الذي نقاسيه كان يمتدُّ فعلاً ليس على تجارتنا فقط بل تناول أيضاً كلَّ علاقاتنا مع الخارج أما اذا كنّا قد توصلنا في بعض النقط من تخومنا الى التداخل مع بعض الدول الحائدة فان ذلك لم يحسن من حالتنا شيئاً قط . واما ادارة الاستعلامات عندنا فلم تقفنا الا على نتائج تافهة . وفي هذا الميدان نزل الذهب الالماني أيضاً في الشجار الذي لزمه ان يُصليه ضدَّ ذَهَب العدو .

كنا نعرف انه على الميدان الغربي واقفةٌ امامنا حكومةٌ ملكت عليها أفكار الضغائن والاثار فكانت تجلُد بلا ملل آدابَ شعبها فتميته . ومتى ارتفع صوت كليمنسوُ فكأنما كان يُسمع منه كلَّ مرةٍ هذه الكلمات « ويلٌ لمن هو الى الآن ظافرٌ ! »

ان فرنسا كان الدمُ ينزفها من الفِ جرحٍ وجرحٍ . ولو أننا لم نعرفه لاستطعناه من تصريحات الحاكم فيها بامرهِ . لكن فرنسا تداوم على القتال . فما من كلمة يأس وما من فكرة قنوط ! حتى بدت الشقوق في بنيانها القومي يرصّه الاستبداد المطلق رصاً كانه بسلاسل من حديد . وتداخلت الحكومة بقوةٍ لا تُغلب لتزيل هذه الشقوق . وأُدرِكَ الغرض . على أنهم وان كانت اكثرية الشعب تنزع الى السلم ، قد داسوا رغائبه بالارجل لا يعبأون في هذه البلاد بلادِ الحريّة الجمهورية وما انفكوا يحشون ادمغته بالفاظ الحريّة . انه من قبل اعلان الحرب في فرنسا ، هذه التي قالوا فيها إنها «ضدَّ الحرب» كانت لفظتا «الانسانية» و « السلم » مزدرًى بهما كانهما « مخدّرات سامة يستعملها اشياع مذهب السلم ليضعفوا نشاط الشعوب » . أجل أن مذهب السلم قد كان في كل زمان . واسمه الحقيقي الجبانةُ . اذن إن هو إلاّ أثرةٌ شخصيةٌ مفرطةٌ تحجم المرءامام كل خطرٍ شخصي لا يكسبه في الحال فائدةً معجلة » هكذا كانوا يتكلمون في « فرنسا في زمن السلم » أوَ غريبٌ بعد ذا ألاّ يكون في « فرنسا في زمن الحرب » افكارٌ

أرقُّ والطفُ وأن كل من كانوا يتحدثون عن السلم انزلوا منازل الخونة لوطنهم ؟

وما من شكٍّ عندنا، في أواخر سنة ١٩١٧، في ان الشعب الفرنساوي هو أفضل من الشعب الالماني قوتاً وتموينا . وقد أهتموا خصوصاً بالباريسيين يعيضونهم من كل شيء حرموه ويسلون على تهدئة خواطرهم بان يقدموا لهم كل اسباب الملاهي الممكنة . وقد داخلنا شك في ان « الغاليّ » يسعه ان يقاسي الحرمان يومياً بروح تضحية بمثل ما يقاسيه خصمه الجرماني والى أمد طويل مثله . ونحن آملون أيضاً أن نرى على ذلك دليلاً . لكن لا يجب ان يعزب عن بالنا أيضاً ان فرنسا وإن أدركتها المجاعة حقيقةً لا يسعها الاّ أن تواصل الحرب وانجلترا ترغمها عليه، ولو آل بها الى الدمار .

يتحدث الاسارى الفرنسويون عن آلام الحرب وعن الشقاء المخيم في بيوتهم لكن مظهرهم الخارجيّ يدلُّ على انهم لا يقاسون شيئاً من الحرمان والجميع يتشاقون نهايةَ الحرب لكن ما من احدٍ يظنها آتيةً « طالما الاخرون يريدون القتال »

ماهي الحالة في انجلترا / البلاد مهددة بخطر جسيم من الوجهة الاقتصادية ثم من وجهة موقفها العالمي . وليس في انجلترا من يخشى أن يجاهر بهِ . لكن ليس لهذا الداء الادواء واحد . النصر ! وفي خلال سنة الحرب المنتهية تلبدت انجلترا على « أزمة ضعف » وفي بعض الزمن قد بدا روح الاتحاد الذي [illegible]
[illegible]
اصبحت [illegible] [illegible] لكن [illegible] بسلطان الحكومة [illegible] التي كانت تؤكد ان نهاية [illegible]رب قريبة

و بعد انتصار عهد على الشدة الاقتصادية والسياسية عاد فداخلهم في انجلترا في غضون الصيف شعور ان النصر صار جنيا . وكانت اسباب هذا الشعور لا تنفكُّ لدينا مجهولةً في اواخر سنة ١٩١٧ . غير اننا عرفنا فيما بعدُ انها انما

نبتت مما تورطت فيه أوروبا الوسطى من احوالها السياسية فاعادت فكرةُ السلم القريب الاتحادَ ما بين الشعب الانجليزي باسرهِ ودعمت قوته واثارت نشاطه فعادوا الى حرمان انفسهم مختارين من بعض الملاهي والملاذ ورجعوا مختارين عن بعض عادات ألفوها في معايشهم الى ذلك الحين وكذلك عن بعض حريات سياسية لانهم أمّلوا ان يتحقق فيهم ذلك التكهن القائل ان كلّ انجليزي يغني اذا انتهت الحرب لصالحهِ . وانضمت في كل انجليزي اثرته السياسية الى اثرته الاقتصادية وهكذا لم يبق في انجلترا ايضاً من رغبة في الصلح الا اذا صارت الحرب باهظة التكاليف . وفي اواخر سنة ١٩١٧ كان اسارى الانجليز يتحدثون كما كانوا يتحدثون في اواخر ١٩١٤ وما فيهم من يشعر بلذة للقتال لكن ما أحد في انجلترا يستطيع ان يدلي برأي . يأمرونه فيأتمر

وظهرت الحالة في ايطاليا غيرها في انجلترا وفرنسا . في خلال حملة الخريف الماضية الوف من مقاتلة الطليان رموا السلاح لم تلجئهم الى ذلك ضرورات القتال . فعلوا ذلك لا تنقصهم الشجاعة ولكن نفوراً من هذه الملحمة التي ما كانوا يفقهون لها علة . [illegible] في [illegible] الى المانيا فرحين يترنمون بالاناشيد الانانية عندما [illegible] . واثن [illegible] معدومة في الجيش وفي [illegible] . [illegible] انه اذا أبى القتال مات جوعاً [illegible] . غير أن [illegible] [illegible]

ان التعاملات التي تنتهي الينا من الولايات المتحدة هي [illegible] اعدائنا في اوربا . [illegible] يؤيد اقترا [illegible] . [illegible] التجارة الامريكية التي اكسبتها الحرب ارباحاً طائلة وهي تستفيد منها [illegible] لخدمة

وطنية الولايات المتحدة . وهذه الوطنية هي من المكانة حيث يدعوها واجبها .
هذه البلاد ، التي على مدخلها ماثلٌ تمثال الحرية يستقبل الغريبَ بنوره الساطع ،
هي نفسها خاضعة ، بحق وعدلٍ ، لسلطان مطلق سببته ضروراتُ الحرب . فيها
يفهمون الحرب وفيها يرغمون الضعيف على السكوت حتى ينتهي العمل المنصب .
عندئذصوت ذَهب الحرية يمكن ان يُسمع من جديد لاجل خير البشرية . والآن
هو مخنوق لاجل خير الامة .

ان كل الطبقات وكل الذراري تشعر من نفسها انها متحدةٌ في السراع الذي
تنشبه لمطمح سام وفي جميع الدوائر التي ليس فيها الاعتقاد بهذا المطمح السامي أو
صوتُ الدم يدعوان الى بسط يد النجدة الى الانجلو- سكسوني المشرف على شفير
الهاوية، يرمون الذهب ليميلوا كفة الميزان من الجهة التي يقضي العقل بالفصل فيها

أما عن روسيا فلا أرى حاجة إلى زيادة الكلام فيها . نحن نرى ما يجري في
داخل هذه البلاد كأنه في أتون تندلع النار منه في بيت مفتوح . وربما خمد وانطفأ
من نفسه وعلى كل حال فقد سقطت وجرّت معها حليفها الروماني

هكذا ظهرت لي ، في أواخر سنة ١٩١٧ ، الحالة العمومية التي رأيت أن
آتي على وصفها

غير واحد قضي عليه أن يتساءل هذا السؤال الهام : « كيف يمكن تفسير أن
أعداءنا قد حافظوا بأقصى شدة على جميع مطاليبهم السياسية على الرغم من
انكساراتهم الحربية العديدة في سنة ١٩١٧ وعلى الرغم من سقوط روسيا وإندكاك
قوتها العسكرية وعلى الرغم من المفاعيل الحقيقة الجليلة التي اتتها حرب غواصاتنا
وعلى الرغم من القلق الذي بانت فيه دول الحلفاء لا تستطيع أن تنقل إلى أوروبا مقاتلة
من الاميركان عديدين ؟ كيف وسع واسن أيضاً في ١٨ يناير سنة ١٩١٨ أن يقترح
علينا، بموافقة دول الحلفاء، شروط صلح لا يمكن املاؤها إلا على خصم حُطم حطماً

لكن ما كان يمكن تقديمها إلى عدو كان إلى ذلك الحين لا ينفك ظافراً وجنوده يحتل في كل مكان تقريباً أراضي للاعداء مهمة ؟ » عن هذا السؤال قد أجيب حينذاك وأجيب عنه الآن فأقول :

ان شعوب الاعداء وحكوماتهم كانوا ، حين كنا ننازل جيوشهم ونقهرها ، يرقبون بدقة تحوّل الحالة الداخلية في وطننا وفي سائر بلدان التحالف الرباعي . فما كانت أماكن الضعف التي وصفتها آنفاً لتخفى عليهم . فكانت تقوّي رغبتهم في الغلبة وتعزّز امانيهم التي لم نكن نستبطنها .

ان ديوان استعلامات العدو الذي كانت الظروف والاحوال تساعده كثيراً في اعماله ما كان هو وحده يوافي اعداءنا بالمعلومات الدقيقة عن حالتنا الداخلية . فشعبنا ورجال حكومتنا ما كانوا يعملون شيئاً ليخفوا عنهم بلايانا وويلاتنا الداخلية فقد كانوا يطلعونهم على معلومات كثيرة . قد برهن الالماني على انه لم يبلغ بعدُ الحد اللازم من تربيته السياسية فيمكنه ان يضبط عنان نفسه . فكان يحسّ انه مضطرٌّ الى اعلان افكاره مهما بلغ من اضرارها على الحالة . ويظنّ وجوب اتباع كبريائه بان يطلع العالم باسره على معارفه وعلى تأثيراته ، وفي غالب الحين ، وهو في شعوره المبهم بالاممّية ، يرى انه من الامور الثانوية ان يعرف هل سلوكه مضرٌّ أو غير مضرّ بوطنه . ويحسب انه تكلم عن تعقل وحكمة ويُسرُّ من ذلك خائلا ان سامعيه قد سروا لسروره . وهكذا يقضي الامر ويُبرمه

في خلال هذه الحرب سبب لنا هذا العيبُ من الشرور على كياننا القومي اكثر مما تسببه هزيمة حربية . فالى نقص هذا النظام السياسي الشخصي الذي اصبح عند الانجليزي طبيعة ثانية والى نقص حب الوطن المنزّه عن كل الاحلام الدولية الذي يضطّرم به قلب الفرنساوي اعزأنا العزم على الصلح الالماني الذي أقرّه

مجلس الرشتاغ في ١٩ يوليو سنة ١٩١٧ في اليوم نفسه الذي تحقق لنا فيه سقوط قوة روسيا الحربية وزوالها .

اني اعلم حقّ العلم انه ، من بين العوامل الايجابية التي أمالت يوم ذاك كفة الميزان الى هذا الجرم ، قد لعبت الاوهام، التي سببها التطورُ العمومي الذي حصل في الحرب الكونية والنتائج الملموسة التي انالتنا إياها حرب الغواصات،دوراً مهما . وامكن ان تنشطر الآراء شطرين على هذا الامر وهو: هل كانت حالتنا — وكان حكمي فيها انه لم تبلغ من السوء بقدر ما حسبوا — تبرّر نقص الثقة هذا ؟ لكن كنت اعتبر ان البرلمان قد خدع تمام الانخداع على الوسائل التي كان يجب ان يتوسل بها وصولا الى طلب الصلح . فلو عرف الالمان ان يلزموا خطة سياسية ملائمة لكان اعداؤنا سروا سروراً عظيما ، وهم يجسون نبض شعوبنا ، ان يلمحوا عندنا في تلك الساعة اقل مظهر وميل الى الصلح . ونحن انما اخترنا هذه الساعة لنجهر لهم جهراً برغبتنا في الصلح . ان قوالب الكلم التي صاغوا فيها الكلام ليحاولوا اخفاء جوهر المسألة كانت مخيطةً بخبوط بيضاء ظاهرة بحيث يتعذر معها خداع أيّ من كان من اعدائنا . وعليه فقد كان لصوت كليمنسو : « انا أعمل الحرب ! » صدى عندنا : « نحن نرغب في الصلح ! »

انا حينذاك خالفتُ الرأي القائل بالصلح ليس بصفتي انساناً بل بصفتي جنديا . فقد ادركت ماسيكون واذعت فكري اذ قلت : « أيضاً سنة حرب على الاقل » أيضاً سنة حرب حالة بلادنا وحالة حلفائنا على ما هي عليه من الشدة !

القسم الرابع

الصراع الحاسم على الميدان الغربي

هجوم الميدان الغربي

نياتنا وآمالنا بالنجاح في سنة ١٩١٨

بعد قراءة الصفحات الاخيرة من الفصل السابق حيث بيّنت خطورة حالتنا يسألونني بحق ما هي الآمال التي حسبتُني آملها بانهاء الحرب لصلاحنا اذ أحاول، بهجوم عظيم، فصل الخطاب ؟

اذا اجبت فانا لا أنظر الى الاعتبارات السياسية وإنما اتكلم بحرية بصفتي جندياً فابدأ أولاً فادرس الحالة التي كان عليها حلفاؤنا .

اما مايختص بالنمسا ـ المجر فكنت أعتبر، نظراً الى عجز روسيا ورومانيا الحربي والى الكسرة الثقيلة التي نالت ايطاليا، ان السلطة الدانوبية قد رُوّحت ترويحاً كافياً من الوجهة الحربية بحيث يمكنها من الآن فصاعداً أن تحتمل بسهولة عبء حالتها الجديدة على ميادينها المختلفة وكنت اعتبر كذلك ان بلغاريا تقدر على الثبات في مقدونيا أمام قوات دول الحلفاء لا سيما وإن الوحدات البلغارية التي كانت لا تزال على ميادين روسيا ورومانيا يجب أن تصير عما قليل حرة فيمكن استخدامها في مقدونيا وهكذا قل عن تركيا فانها قد خفّ حملها في آسيا الصغرى على أثر سقوط روسيا. فيسعها بعد ذلك، على قدر ما وسعني ان أحكم في الامر، ان تعبىء جنوداً كافية تُنجد جيوشها في ما بين النهرين وسوريا

ولهذا فإن المقاومة المنتظرة من حلفائنا في المستقبل كانت متعلقة، بحسب رأيي — إذا طرحنا حسن إرادتهم — على الدقة في استعمال وسائل القتال التي

كانت مهيأة لهم وهي كافية وافية . فما كنت أطلب من كل واحد منهم إلا الثبات .
أما عن فصل الخطاب فقد أردنا أن نقوله ونبرمه نحن أنفسنا في الميدان الغربي . فمن الآن كانت قواتنا في الميدان الغربي طليقة معدّة لهذا العمل الحاسم وكنا نأمل أن نحشدها على الاقل لبدء الفصل الملائم . وكانت تتيح لنا أن يكون لنا التفوق بعديدنا في الميدان الغربي . وهذه هي المرة الاولى التي كاد يكون للالمان فيها هذا التفوق على ميدان من ميادينهم . والحق يقال ما كان يكون هذا التفوق بقدر ما كان لانجلترا أو فرنسا في مدى ثلاثة أعوام وأزيد وقد هاجموا به ميداننا الغربي وذهبت هجماتهم عبثاً . وخصوصاً إن قواتنا في الشرق ما كانت كافية لتتيح لنا فنعتاضَ من تفوق أعدائنا العظيم علينا بمدافعهم وطياراتهم . غير انه قد كان في طاقتنا من الآن فصاعداً أن نحشد قوات قوية على نقطة من ميداننا الغربي ولا نضطر ، من أجل ذلك ، أن نعرّض سائر نقاط الميدان إلى أخطار جسيمة

أجل ولئن كانت نسبة القوات المتقابلة في صلاحنا فما كان من السهل علينا أن نقرّ رأينا على المهاجمة في الميدان الغربي فقد كنا نتساءل دائماً ونحن في قلق هل يسعنا أن ننال فوزاً عظيماً ؟ ان اتساع ونتائج المواقع الهجومية الكبرى التي كان أعداؤنا قد أنشبوها إلى ذاك الحين ما كانت لتشجعني فآخذ أنا بالهجوم فما الذي طاله أعداؤنا في آخر الامر على كثرتهم العددية الساحقة وعلى قنابلهم ومقذوفاتهم المعدودة بالملايين وعلى كثرة ضحاياهم البشرية ؟ ان غنم بعض الكيلومترات من الاراضي المحلية تلك كانت نتيجة مجهوداتهم التي دامت شهوراً أجل اقد نالنا خسائر جليلة نحن الذين لزمنا جانب الدفاع لكن كان يسعنا أن نسلم بأن خسائر المهاجمين كانت أجلّ جداً . وما كنا لنفوز بالعمل الفصل لو أنشبنا فقط معارك يسمونها « معارك عناد » . فما كان لدى قيادتنا الوسائل ولا الوقت اللازم لتأتي أشباه هذه المعارك . لان الساعة كانت تسرع في اقترابها من دخول أمير

في الميدان شيئاً فشيئاً بقوات عذراء ما مُست بعد بأذى . فلو أن مفاعيل حرب غواصاتنا لم تكن ، قبل هذا التاريخ ، كافية لتعرض نقل الجحافل الاميركية بحراً ونقل أوزار الحرب معها وجميع أقواتهم وأرزاقهم إلى تصاريف الدهر وغيره ، لاصبحت حالتنا إذ ذاك جليلة الخطر

ميمكن والحالة هذه التساؤل : لمَ يرافقنا أمل بنيل نصر أو عدة انتصارات حاسمة في حين أن أعداءنا لم ينعموا قط بهذا الحظ ؟ فالجواب سهل ابداؤه لكن شرحه صعب . وكله قائم على هذه الكلمة « الثقة » لكن الثقة التي كانت فينا لم تكن ثقة بنجم ساطع جيل ولا بآمال غير جلية ولا ثقة بأجنادنا العاملين و بقواتنا المادية وإنما هي ثقة القائد الذي يقود جيشه إلي القتال وهو مقتنع جدّ الاقتناع بأنهُ يتغلب من الازمان على أجلّها خطراً وأبهظها عبئاً و يعمل العجائب . تلك هي ذات الثقة التي شايعتني سنة ١٩١٦ و ١٩١٧ عندما عرضنا ميداننا الغربي لمحن جسيمة لا يسع بشراً احتمالها حتى نتمكن من الاخذ بحملاتنا الهجومية في ميادين أخرى وتلك هي الثقة نفسها التي جرأتنا على أن نخذل أعداءنا بل أن نظفر بهم على جميع ساح الوغى بقوات تنقصهم عديداً

اذا كان الرجال العاملون الذين قيدَ يدنا كافين فأن ارادة العمل عملاً جداً ما نقصت أحداً ، في مكان، على ما بدالي ، فكنت أشعر شعوراً بيناً أن الجنود تواقة إلى التملص من ويلات الموقعة الدفاعية وعبئها الثقيل وكنت عالماً أن « الارنب الالماني » ، الذي أظهره رجلٌ هزأة من أشد أعدائنا خصومة لنا لسخرية الانجليز، كأنه قد ألجيء إلى الاحتماء بجحره ، سيصير عما قليل رجلاً المانياً شاكي السلاح مستعداً للهجوم . وأن هذا الرجل ، وقد ثارت فيه غضبة شديدة ، ينبثق من خندقه وينقضُّ على عدوه ليضع حداً للويلات التي قهره عليها الدفاع مدة أعوام

لكن كنت أحسبني نائلاً من دعوتي إلى الهجوم نتائج أعظم وأوسع. كنت آملاً أن ترفع انتصاراتنا الاولى الروح الادبي في شعبنا وتحدده وتنزع عنه تظلمه من رزايا الزمان ومن بطلان القتال الآخذين به ومن تعذر إنهاء الحرب بغير انقيادنا إلى ما تقرره في شأننا الدول المستبدة الظالمة فلينتضِ الحسام القاطع من غمده فتشايعهُ القلوب إلى حيث يمضي: هكذا قد كان في كل آين وآن فلماذا يكون الضد في هذه الايام ؟

وكانت أمانيَّ تطير حتى إلى ما هو أبعد من حدود بلادنا. كنت افكر ان التأثير العظيم، الذي تحدثه الانتصارات العظيمة تطولها الجيوش الالمانية، ينعش في النمسا ـ المجر الروح الحربي الذي ذل وانتقص ويبعث في بلغاريا دفين الآمال السياسية والقومية ويقوي ارادة الثبات حتى في أقاصي حدود الدولة التركية

كيف كان يمكنني أن أنزع مني الثقة الثابتة التي أفعمت فؤادي، بنجاح قضيتنا لآخذ أمام ضميري وأمام وطني تبعة الاشارة على امبراطوري أن يضع السلاح ؟ « وضع السلاح» أجل. و لحق يقال ما كان يسعنا أن نخادع أنفسنا : إن أعداءنا ليتقاضونا التسليم

فاذا نحن تقدمنا ولو قليلاً الى شفير الهاوية المائر فتنازلنا عن شيء أو اذا تراخينا ولو قليلاً في مجهوداتنا فانما حبست لنا عاقبة واحدة : هى عاقبة المغلوب وما أهولها عاقبةً ! وما كان ليسعنا التملص منها ولو اننا عقلنا أيدي أعدائنا وارادتهم قبل أن نرضى ونستسلم لهم. إمّا القتال حتى الظفر وإما الاستسلام بغير شرط وحساب. تلك حالتنا ولا خيار فيها. وهل جاهر اعداؤنا قطُّ بغير هـذا الرأي ؟ اني ما سمعت صوتاً آخر قط واذا كان رجلٌ من رجال حكومات الاعداء قد لفظ كلاماً بشأن الصلح والسلام فما انتهت هذه الكلمات الى

وكنت موقناً ان عندنا القوات اللازمة والروح الادبي لنحاول لآخر مرة

نيل فصل الخطاب بحد الحسام. فلزمنا ان نحدد « كيف » و « اين » نبحث عن هذا العمل الفاصل. اما الجواب عن السؤال « كيف » فيمكن ايجازه بهذه الكلمات:

« ان يتحاشى النزول الى معركة يقال لها معركة العتاد. » اما الغرض الذى كان يجب ان ننزع اليه فهو ان نهوي على العدو، ان امكن، بضربة قوية على غفلة. فاذا لم نقدر ان نحطم من اول ضربة قوة العدو المادية حطمة تامة نهوي عليه بضربات اخر في اماكن اخر حتى نبلغ غرضنا. ان الغرض الاسمي الذي تراءى عفواً لفكري هو ان نثغر مواقع العدو ثغرة كاملة تفتح لنا في ميدانه باباً وتتيح لنا ان نرجع الى حرب العراء واردنا ان نفتح هذا الباب في ميدان اراس — كمبراي — سان كنتان — لافير. ولما اخترنا هذا المكان لم تؤثر فينا الاعتبارات السياسية واذا كان قرقرارنا على مهاجمة هذا الجزء من ميدان العدو فانما فعلنا لان الانجليز كانوا قياماً عليه. اجل اني كنت موقناً ان انجلترا كانت لا تزال، من الوجهة السياسية، القاعدة الاساسية لدفاع الاعداء وثباتهم لكن كنت عالماً ايضاً ان فرنسا كانت راغبة كرغبة انجلترا في ان تهد كياننا القومي وتبلغ الى ان تمحوه محواً

اما ان نعرف هل يجب البدء بمهاجمة فرنسا او انجلترا فانما كان ذلك مسألة لا اهميه لها جليلة من الوجهة السياسية وهكذا قل من الوجهة الحربية. اجل ان الانجليزي كان حقيقة اقل مهارة من حليفه في القتال. فما كان يعلم ان يتمرس بالتغييرات الفجائية التي تحدث في حالته فهو يعمل منقاداً وفي هذا ضعف برهن عليه دائما في الهجوم وكنت على يقين من انه لا ينزل عنه في الدفاع. وهذا الضعف يسهل فهمه على من يعرف اهمية التربية العسكرية. وهو معزو الى نقص في التعليم في زمن السلم. وطول الحرب ما كان ليعوض من هذا النقص في التربية غير ان الانجليزي كان يعتاض من نقصان مهارته في القتال بالعناد الذي يبديه، في الهجوم وفي الدفاع، اتماما لمهمته ووصولاً الى غايته. وان اقدار جنود انجلترا

كانت متفاوتة بحسب منابتها . فاذا خيرة جنودها هم من مستعمراتها وهي ميزة يجب نسبتها بدون ريب الى ان سكان هذه المستعمرات انما هم من الفلاحين.

والفرنسوي كان ، على العموم ، احذق في القتال من حليفهِ الانجليزي لكنه كان دونه عناداً في الدفاع . وكان رجالنا وقوادهم يعتبرون المدفعية الفرنسوية كانما هي عاومم الحنيقي الكنهم كانوا للراجل الفرنسوي اقل اعتباراً . على انه يجب ان اقول ان اقدار الوحدات الفرنسوية كانت تتفاوت هي ايضاً بالنسبة الى اماكن تعبئتها

غير انه على الرغم من انه لم يكن من قيدة وحدة على الميدان الفرنسوي — الانجليزي كان يمكننا ان نتأكد ان الحليفين في حال الضرورة لبتسرعان الى مساعدة الواحد رفيقه وكنت اعتبر ان فرنسا ، بالنظر الى الامتثال الذي كانت عليه ازاء انجلترا ، بسبب خشياتها الحربية السابقة تكون الى العمل اسرع من حليفتها

انه في الساعة التي قر فيها قرارنا على الاخذ بالهجوم كان مزدحم القوات الانجليزية لا يزال محشوداً في الجناح الشمالي من الميدان الانجليزي كما كان في ايام موقعة فلاندر وكان هذا الميدان ينبسط من البحر الى الناحية الجنوبية . سان كنتان و تي مجموع آخر من القوات ضعف قليلا على مايظهر ، في ناحية كبراي منذ موقعة نوفمبر وظهر ان بقية القوات الانجليزية موزعة على السواء على سائر اجزاء الميدان و بدا اما ان المنطقة الواقعة جنوب مجموع كبراي كانت حاميتها اضعف الحاميات

ان الشيء الذي احدثته الحملة الانجليزية على ميداننا في الضواحي الغربية من هذه المدينة قد نقص كثيراً على أثر كرتنا في ٣٠ نوفبر لكنه كان لا يزال ظاهراً بحيث يمكن ، بحسب التعبير الحربي المدرسي ، اخذه بكلابة من الشمال

ومن الجنوب . واردنا ان نقوم بهجمة من هذا الضرب على هذا النتوء حتى نأسر الجنود الذين كانوا يحكمونه

وهنا مجال انتسائل هل وزيع الجنود الانجليزية كان لا يزال ، على ما وصفته آنفاً ، الى ساعة اطلقنا هجومنا من عقاله ؟ انما هذا موقوف من أصله على ما تتخذه من وسيلة لاخفاء نياتنا الهجومية عن العدو . ذلك أمر هو على غاية الاهمية ! ان كل اختباراتنا الماضية كانت تبين لنا تعذر بل بطلان القيام بالهجوم على حين غرة . في كل محاولة ارادها العدو ليثغر ميداننا الغربي توفقنا الى ان نفسد عليه استعداداته قبل ان يأخذ بهجوم وقد استطعنا كلّ مرة ان نحدد بتدقيق اتساع ساح هجومه . فان استعدادات العدو التي كانت تطول اشهراً ما كانت لتخفى على استكشافات طياراتنا المستطلعة وكانت استكشافاتنا من الارض قد خطت شوطاً بعيداً في طريق التقدم فاكتسبت شعوراً حساسا حتى انه توصلت الى معرفة اقلّ التغييرات التي تجري في خطوط الاعداء . وكان بيّناً ان العدو، بالنظر الى تعذر اخفائه أعماله الحربية ومعداته العظيمة وحشد جنوده الكثيفة ، قد رجع مبدئياً ساعة هجماته الكبرى عن اغتنام فرصة الغفلة والغرة .

لكننا نحن بعكس ذلك كنا نعتبر أنه يجب ان نعلق اهمية خاصة على هذا العامل .

ان هذه الرغبة منا في أخذ العدوّ على غرة كانت تحملنا طبعاً على ترك بعض الاستعدادات الاضافية الفنية . أما ان نحدد الى اين يجب التقدم في هذا السبيل ، فهو امرٌ انما يجب ان نلقيه على فطنة جنود الهجوم وقوادهم وعلى علمهم باساليب الهجوم

وكان من الضرورة ، ونحن مقدمون على هجومنا الكبير ، ان لا نكتفي بالاستعدادات الفنية بل ان ندرب جنودنا على اساليب الهجوم. وكما كنا قد فعلنا مثل ذلك قبل سنة من الوجهة الدفاعية لزمنا ان نضع مبادىء جديدة من الوجهة

الهجومية ونجمعها في التعليم المعدّ لجنودنا . وبما اننا كنا على أتمّ ثقة من نفسانية مشاتنا اتخذنا قاعدة أصلية لاسلوب الهجوم خطوطاً من الرماة قليلة كثافتها .

صيّرنا قوة نيرانها شديدة جداً باستعمال مدافع المتراليوز مرصوصة رصاً تساعدها في العمل البطاريات المتنقلة ومدافع الميدان . والحق يقال إن هذه الخطوط من الرماة القليلة الكثافة ما كان يمكن ان يكون لها قوة حقيقية ما لم تكن مشايعة بروح قوي على الهجوم . اذن عدانا بالكلية عن هجوم الجموع الكثيفة حيث المقاتل المنفرد لا يقدم الى الامام الا لانه شاعر انه محمي باخوانه وهذا الاسلوب قد علمناه اعداؤنا في الميدان الشرقي مرات عديدة وقد اتخذه اعداؤنا في الميدان الغربي اسلوباً لهم في هجومهم علينا من حين الى حين .

اذا كانت صحافة الاعداء في سنة ١٩١٨ قد نشرت في اربعة أصقاع المعمور أن الالمان يقومون « بالهجمات الكثيفة » فانما استعملت هذه العبارة لتحدث في القوم جزعة ولكن قد تكون استعملتها لتريَ جموع قرائها مشاهد المعركة أشد تأثيراً والحوادث الحربية أقرب الى الافهام .

أين كان يمكننا أن نجد حاجتنا من الرجال لهذا الهجوم وهذه الضحايا الكثيفة ؟ اما كنا عرفنا غير مرة ، وأدركنا ضياع الضحايا التي رضيت بها القوات الثمينة تسقط أمام خطوطنا عندما كان حصادونا ، وقد قبضوا على اناجل الحديد في مشتجر الوغى ، ألا وهي المترايوز ، يحصدون حصيدهم بدامي ، ويكثر هذا الحصيد بقدر ما تكون السنابل البشرية متراصة متكاثفة ؟

الشروح المتقدمة ، وهي الى العقل أقربُ من الاساليب الفنية المختصة بخطة هجومنا ، كافية لتميز المبادىء الاساسية لهذه الخطة . وفي هذا العهد كان الرجالة الالمان لا يزالون يحملون على عواتقهم كل أثقال القتال لكنّ رجال المدفعية ما كانت مهمتهم أقل شأناً وفخاراً ولا أخفّ عبئاً وخسراناً حين كانوا يسهلون على مشاتنا المغاوير سبل الهجوم

اجل لقد كنا على علم تام بجميع العقبات الكؤود التي تعترض دون الهجوم العظيم الذي عقدنا العزيمة على الأخذ به في الميدان الغربي . فاذا هي توجب علينا، وهذا أمر طبيعي ، ان نجمع ، لهذا العمل الدامي ، جميع القوات التي كانت غير لازمة لنا في سائر ساحات القتال .

إن حالتنا السياسية والاقتصادية الحالية والمقبلة قد أوقفت دون القيام بهجومنا مصاعب كثيرة اضطرتني مرات عديدة الى التداخل في الامر شخصياً . اني أريد أن آتي بايجاز على هذه المسألة العظيمة أهميتها فابدأ بالشرق :

في ١٥ دسمبر كانت قد عقدت هدنة على الميدان الروسي . وكانت فلول الجيش الروسي قد أتاحت لنا أن نقطع قبل هذا التاريخ شطراً كبيراً من القوات التي كانت لدينا في هذا الميدان . لكننا ألجئنا الى أن نترك فيه عدداً من الفرق القادرة على القتال والعمل حتى تكون أعمالنا السياسية قد سويت نهائيا مع روسيا ورومانيا

لقد نكون شعرنا بارتياح عظيم من الوجهة الحربية لو أنه امكننا أن نستهل سنة ١٩١٨ في الميدان الشرقي على أصوات أجراس السلام . لكننا لم نسمع مكانها الا خطبا ، وما أروعها وأفظعها ! ، يلقيها ممثلو الثورة في قاعة المفاوضات في برست ـ ليتفسك . هؤلاء المحرضون السياسيون دعوا جماعات الشعوب من كل دولة ومملكة ليخلعوا عنهم نير الاستعباد الذي يهظ عواتقهم بان يشيدوا لسلطان الترويع عرشاً عالياً .

أجل ان ذبح الاعيان كان يجب عليه أن يضمن السلام على الارض ! ان المفوضين الروس ولا سيما تروتسكي جعلوا ، من طاولة المفاوضات حيث كان يجب ان يوقع عقد الصفاء بين خصمين قويين ، منبراً لنفر من المرجفين المقرفين . فليس غريباً بعد ذا أن لا تخطو للفاوضات خطوة في سبيل النجاح . ومن رأيي أن لينين

وترتسكي ، اذ حاولا أن يدسا مبادئهم المفسدة في صفوف جيوشنا وعلى مؤخرتهم انما اندفعا في سياسة ناشطة هي أخلقُ بالغالبين منها بالمغلوبين وفي هذه الشروط بدا الصلح شد تهديداً بخطر من عقد هدنة. وفي اثناء المفاوضات خُدع مفوّضو حكومتنا فانخدعوا وتعلقوا، من هذا الوجه، بتفاؤل خادع . ولا سبيل الى الانكار في أن هيأة أركان الحرب العامة قد أدركت أهمية هذه الأخطار وجلالتها وأبدتها في حينها .

ومهما تكن العقبات التي اعترضت لمفوّضينا في برست ليتفُسك عظيمةً فقد كان من واجبي أن أضغط عليهم لاحاحهم على إعادة حالة السلم في الميدان الشرقي باعجل وقت ممكن نظراً الى الاعمال الحربية التي كنا نويناها على فرنسا وانجلترا . لكن الاعمال لم تجر في سبيل التقدم حقيقةً الآ من يوم ١٠ فبراير يوم أن رفض ترتسكي ان يوقع عهد الصلح في حين انه أعلن أن روسيا ما هي بعد الآن في حالة حرب مع الدول الرباعية . فاعتبرتُ ان ترتسكي ، باقدامه على هذا العمل المجحف كلّ الاجحاف والمخالف كلّ المخالفة لكلّ مبادىء حقوق الناس، انما كان يحاول أن يبقي مسألة الميدان الشرقي غير مقطوع فيها . فلست محاولاً لأعرف بهذه المناسبة ، أسلوكُ ترتسكي موعزٌ بهِ اليه من دول الحلفاء أم لا . على كل حال أن هذه الحالة ما كنا نحتملها من الوجهة الحربية . وانضمّ المستشار الكونت فون هرتلنج الى رأي هيأة اركان الحرب العامة . وفي ١٣ فبراير قرّ قرار جلالة الامبراطور أن تستعاد المعارك في ١٨ فبراير على الميدان الشرقي .

ان اعمالنا الحربية لم تعترض لها في مكان مقاومةٌ ذات شأن فادركت إذ ذاك الحكومةُ الروسية الخطر الذي يهددها . فابرم الصلحُ في برست ليتفُسك في ٣ مارس فيما بين الدول الرباعية وروسيا العظمى .

ان قوة روسيا الحربية ، التي كانت قد سُحقت من قبل بالسلاح ، قد

أخوجت شرعاً من حومة الحرب. وعهد الصلح قد سلخ عن الامبراطورية الروسية التي كانت الى ذلك الحين متينة الروابط ، مساحات واسعة من أراضيها ومكاناً عديدين فضلاً عن أنه أوجدَ في قلب روسيا ذاتِهِ أخدوداً عميقاً بين روسيا الكبرى وبين أكرانيا. ومن الوجهة الحربية اكسبتنا شروطُ الصلح فائدة جليلة لانها لما سلخت عن دولة القياصرة الممالك التي كانت تتاخمها ، قد أوجدت الى ما وراء حدودنا ، اذا جاز لي هذا التعبير « منطقة واسعةً تُغطينا» تجاه روسيا

ومن الوجهة السياسية ثلج صدري إذ علمتُ نجاة المقاطعات البلطيقية لانه قد ينفسح للاجيال الالمانية من الآن فصاعداً مجالٌ للتوسع في هذه الأرضين وبقاعٌ فسيحة للاستعمار.

وغنيٌ عن البيان أنه ما كان يلائم اعتقاداتي السياسية أن نتفاوض مع الحكومة الروسية الحمراء لكن أرغمنا على الوصول الى اتفاق نهائي نتداوله مع الرجال الذين كانوا في ذلك الحين قابضين على مقاليد الحكم في روسيا الكبرى . على أن كل شيء كان في داخل هذه البلاد في اشدّ اضطراب وما كنت انا شخصياً أعتقدُ أن دولة الارهاب طويلٌ عمرُها

أجل إنه ما كان يسعنا حتى الساعة ، وإن يكن الصلح قد أبرم ، أن نرحل عن الميدان الشرقي بكلّ قواتنا القادرة على القتال . فما كان في طاقتنا ان ندع الارضين التي نحتلها طعمة الأقدار. ان وجوب إقامة حاجز ما بين الجيوش البلشفية وبين لارضين التي كنا استولينا عليها قد كان وحده يتطلب منا ان نترك على الميدان الشرقي قوات المانية جليلة. فضلاً عن أنه يجب النظر الى أن أعمالنا الحربية في أكرانيا لم تكن قد أنتهت بعدُ فكان علينا أن نتوغل في هذه البلاد لنقيم النظامُ في حالتها السياسية. وانه انما بعد ان نلحها نستطيع ان نفكّر في ارسال الاقوات من الاراضي الاكرانية الى النمسا - والمجر ثم الى بلادنا وإرسال المواد الاولية

لصناعتنا الحربية وموارد عسكرية لجيوشنا. ان الاعتبارات السياسية لم يكن لها قط من دور في هيأة اركان الحرب العامة عندما قرّ قرارها على دخول أكرانيا .

ان النجدة العسكرية التي مددناها في ربيع ١٩١٨ الى فنلندا في حرب الخلاص التي أخذت بها ضد السيادة الروسية كان لها شأن آخر كبير. فالحكومة البلشفية لم تجلُ عن هذه البلاد كما كانت قد وعدت فاننا كنا نأمل ، باجتلابنا فنلندا الى جانبنا، ان اعارض عراضاً عظيماً النفوذ العسكري الذي كانت تحلم دول الحلفاء في بثه في روسيا الكبرى وهي في تطوّرها السياسي ذاهبة فيه من أركنجل وشطّ مرمان. وكان هذا يُتيح لنا في الوقت نفسه ان نعسكر في جوار بترغراد في موقع يهدد هذه المدينة وسيكون لهذا الموقع شأن جليل اذا حاولت روسيا البلشفة ان تهاجم من حدود ميداننا الشرقي . ان القوات الضئيلة التي استخدمت لهذا الغرض — وتكاد لا تكون فرقة واحدة — قد ضمنت لنا في كل حال منافع عوّضتنا مما كلفناه تعويضاً نعماً . اذا كانت حرب الخلاص التي قام بها الشعب الفنلندي قد جاء طبق آرائي الشخصية فقد طابقت أيضاً ، على راجح ظني ، كلّ المطابقة مستلزمات حالتنا الحربية

ان اكثرية الجنود المقاتلة التي تركناها تجاه رومانيا صارت طليقة اليد لما رأت الحكومة الرومانية نفسها مضطرة الى أن تسألنا عقد الصلح على أثر إبرام معاهدتنا مع روسيا .

ان الجنود المقاتلة التي تركناها على الميدان الشرقي كانت لنا في المستقبل نوعاً من مورد قوة أتاح لنا إرسال أمداد الى جيوشنا في الميدان الغربي .

والفرق التي كنا حملناها في هجومنا على إيطاليا أمكن استرجاعها من هذا الميدان بغير صعوبة في غضون هذا الشتاء ذاته . وكان من رأيي أن النمسا ـ المجر اصبحت من الآن فصاعداً قادرة على أن تتولى خلاص نفسها بنفسها بقواتها في إيطاليا العليا

وكان الامر المهم أن نقطع في الامر : هل ينبغي لنا أن نطلب من النمسا ـ المجر أن تضع تحت يدنا ، للصراع الحاسم الذي نوينا القيام به ، شطراً من من قواتها التي في روسيا وفي إيطاليا وقد صارت طليقة لا هم يشغلها ؟ أما أنا ، فبناء على التقارير التي انتهت إليّ ، رأيت أن هذه القوات قد يكون استخدامها في إيطاليا أفضل من الدخول في القتال العنيف المتوقع حدوثه في الميدان الغربي . فاذا كانت النمسا ـ المجر بتهديدها ايطاليا العليا ، تتوصل الى إيقاف جميع الجيوش الايطالية وربما أيضاً الجنود الفرنسوية — الانجليزية التي كانت لا تزال في هذه البلاد أو اذا افلحت ، بهجمات موفقة ، إلى حمل الدول على أن ترسل إلى إيطاليا شطراً من جند الحلفاء الواقفة على ساحة القتال الحاسم في الغرب ، فلعل التفريج الذي تأتينا به من هذا السبيل في الميدان الغربي يكون أعظم شأناً من المساعدة التي قد تؤديها لنا بتقديمها لنا فرقاً للقتال في فرنسا . واكتفينا أن نستقدم الينا من المدفعية النمسوية ـ المجرية . غير انني ما كنت اشكُّ قطُّ في أن الجنرال فون أرز مستعد في كل حين وبكل قواه ليلبي كل طلب نسأله لنفوز بنجدة من النمسا أهم وأعظم

في هذا الحين أعلن وزير خارجية النمسا ـ المجر في احدى خطبه أن قوات السلطنة الدانوبية هي سواء في الدفاع عن ستراسبورج أو عن تريستا . فأمنت كل تأمين على هذا التصريح الذي كان مطابقاً نصوص عقد معاهدتنا

وما هو إلا بعد حين أن عرفت أن كلمات الكونت كزرنين هذه قد صادفت مقاومة شديدة ب الدوائر غير الالمانية في السلطنة الدانوبية الا أن هذه الحركة السياسية لم يكن لها من تأثير فيَّ لما كان لي أن أبتّ ، من الوجهة الحربية الصرف ، في أهمية المساعدة التي يجب على النمسا ـ المجر أن تقدمها لنا لاجل الصراع الذي نوينا الاخذ به قريباً في الميدان الغربي

وكان عندي أمراً طبيعياً أن احاول جمع شتات القوات الالمانية التي كانت الى اليوم قدقاتلت في بلغاريا وفي تركية أسيا لاجل هجومنا في الغرب وقد بينت المعارضة الشديدة التي لاقتها هذه الفكرة في بلغاريا من الوجهة السياسية • كان الجنرال جكوف اذ كي وأرشد من أن تفوته أحقية مطالبينا على أنه كان يعتبر وجود القطعات ذات الاسنة الالمانية في مقدونيا لازماً لبلغاريا لزوم مليكها لها • فنتج أن القوات الالمانية في مقدونيا لم تُسحب من الميدان الاّ رويداً رويداً • ولم يقرّ رأي الجنرال جكوف على استبدالهم بالقوات البلغارية التي في دبروجا الا بمشقة و بُعيد الحافنا المتواصل في الطلب • لكن التقارير التي رفعها الينا أعضاء القيادة الالمانيون في ميدان مقدونيا عن موقف القوات البلغارية وروحهم الحربي قـد أضطرتنا أخيراً الى أن نُبقي على هذا الميدان وحدات من الرجالة كانت لا تزال هناك وقوامها ثلاث كتائب وشطرٌ من مدفعيتنا الـكثيرة •

والوسائل التي توصلنا بها مع تركيا قد جاءت بالنتيجة نفسها فان فيلقنا في اسيا سيرّناها على سوريا في خريف ١٩١٧ في حين سارت الفرق التركية التي كان يجب ان تنضمّ الى حملة بغداد. لـكن حراجة الحالة الحربية الجأتنا في مستهلّ سنة ١٩١٨ ان نرسل الى سوريا أمداداً جديدة وان نضاعف الرجال العاملين في فيالق حملتنا

ان معظم الجنود الذين استخدموا لهذا الغرض قُطِعوا من وحدات مقدونيا وقبل ان تصل هذه الامداد الى اماكنها حسبنا ان تحسيناً قد حدث في حالة الميدان السوري فلهذا دخلنا في المفاوضة مع انور باشا بقصد استقدام جميع الجنود الالمانية التي كانت لا تزال في تلك النواحي فرضي الباشا بذلك . لـكن اعتراضات ملحفة حربية وسياسة أنفذت الينا من قيادتنا العليا في سوريا ومن الحكومة الالمانية التي أخذت بتأثير القيادة ، توعزان الينا ان نؤجل الى موعد آخر استقدام الجنود.

والخلاصة أنه يسوغ لي ان أؤيد ان هيأة اركان الحرب العامة لم تهمل شيئاً مهماً حتى لم تستخدمه لتضمّ شمل جميع القوات الالمانية الممكنة لاجل هجومنا في الميدان الغربي . فاذا لم نتوصل الى جمع آخر رجل فيجب البحث عن السبب في الاعتبارات المتباينة وليس في اننا جهلنا وعمينا عن أهمية هذه المسألة .

اذن كنا قد بلغنا في غضون ١٩١٧ — ١٩١٨ الغرض ، الذي كنت أرمي اليه بذاهب صبر منذ ثلاثة اعوام وكان في مقدورنا ان نقوم بقتال حاسم في الميدان الغربي ونحن ناعمين بالأعلى موقوتنا . فكان من واجبنا الآن أن نخبر حظ السلاح لو أن الروس قد قهروا نهائياً منذ سنة ١٩١٥ لقلنا لعلنا كنا وفرنا علينا هذا المعترك

قد بينّت من قبل كم كانت هذه المهمة أشق علينا في سنة ١٩١٨ منها في سنة ١٩١٥ . ان فرنسا كانت لاتزال في صف القتال وكانت ماثلة دائماً لنا خصماً قوياً وإن تكن قد أصيبت بخسائر تكثر خسائرنا فقد كان لها على جوانبها جيش انكليزي من عدة ملايين من الرجال كاملي العدة حسني التدريب ولهم في الحرب عادة ومراس . وثمت خصم جديد اعظم الجميع قوة من الوجهة الاقتصادية وقابض على كل الموارد التي تهيؤها قيادة لاعداء يقوّي آمال اعدائنا المتزعزعة ويحفظهم من الانحلال يمدّ أكداساً وأكداساً من الجنود الكثيفة: ذلك هو ، الولايات المتحدة الاميركية الشمالية ، متأهب العُدّة ليهاجمنا . هـذا العدو الجديد أيصلُ في اجلٍ فينتزع من أيدينا غار انتصاراتنا ؟ على هذا السؤال وعلى هذا السؤال وحده سيكون القول الفصل في هذه الحرب متوقفاً. اما أنا فكنت إخاني أستطيع تأكد من أنه لن يصل في أجل

أثارت نتائج هجومنا العظيم في الميدان الغربي السؤال التالي : أما كان يكون خيراً لنا ، حتى في سنة ١٩١٨ ، أن نقف موقف الدفاع في الميدان الغربي ننجد الجيوش التي كانت ، الى ذلك الحين في هذا الميدان ، باحتياطي قوي ونجمع كل

مجهوداتنا السياسية والحربية على الميدان الشرقي لنشيد عليه النظام السياسي والاقتصادي ونساعد حلفاءنا على اتمام مهمتهم ؟

قد يكون من الخطإ المعيب الظنُّ أني لم أنقّب في فضّ هذا المشكل قبل وضع خطط الهجوم . أني رفضته بعد إنعام النظر والدرس الدقيق . ان أمور العواطف لم يكن لها في إقرار رأيي شأنٌ ما . كيف كان يمكننا ان ننهي الحرب اذا سرنا هذا المسير ؟

اذا كنت ، في أواخر سنة ١٩١٧ ، أظنُّ أنه ليس لي سبب واحد لأشك في أن عدة المانية المانعة تقدر على الثبات أيضاً في غضون العام المقبل فما كان لي أن اتعامى عن أن هذه القوة قد زُعزعت قوياً عند حلفائنا . فكان علينا أن ننال عاقبةً صالحةً لنا بجميع الوسائل . هذا هو الطلب الذي كان حلفاؤنا جميعهم يبدونه لنا بين تصريح وتلميح . ولا يمكن أن يُعترض على هذا بأن أعداءنا انفسهم قد بلغوا الحد الاقصى من قواهم المادية والادبية . فاذا نحن لم نهاجم فقد كان يمكنهم ان يثبتوا انا أعوماً وإذا رغب واحد منهم عن القتال فقد يضطره الآخرون عليه اضطراراً من أهون السُبل .

أجل أنْ نموتَ شيئاً شيئاً من الاعياء والوهن كان لا شك الحظَّ الذي نصيبهُ قبل ان نتمكن نحن من انزاله باعدائنا .

واليوم أيضاً ، وأنا متمثل امام عيني شقاء المانيا ، لا أفقدُ مطلقاً كلَّ الاقتناع بأن الوجدان ، بكونها اقتحمت آخر قواتها لتبقي على كيانها وتصون شرفها ، يكون أفضلَ وسيلة لانتشال بلادها ، ربماً مما لو كانت الحرب قد انتهت باعياء بطيء ... جميعَ قواها ، لما كان يمكنها أن تتملص من الحظ الذي تناله الآن فضلاً عن أنها كانت تضيع أنها فئة سامية بشجاعتها التي لا تنالنَّ لها .

أنا ابحث عن مثال في التاريخ فاجد مثالَ « بروسيش ـ إيلو » ان الاعمال

الباهرة التي اتاها يوم ذلك الجيش الالماني ما كانت لتحوّل عن بروسيا القديمة النصيب الذي كان يتهددها غير أن هذه الاعمال قد تلألأت كالكوكب في ظلمات سني ١٨٠٧ — ١٨١٢

كثير هم الذين أقتبسوا من هذا الشعاع درساً وأستفادوا قوى جديدة . أما يكون القلب الالماني مثل ذا في أيامنا هذه ؟

أن قلبي ، بروسيّا ، لم يتغير

سبا وآفين

عملاً بأمر من جلالته يصادق على مقترحاتنا نُقلَ مركز هيأة اركان الحرب الالمانية العامة الى سبا في ٨ مارس . أن تغيير مركز أركان الحرب اصبح ضربة لازب بسبب الاعمال الحربية المنويّ البدء بها في الميدان الغربي . فقد كان اسهل علينا ،أن نمضي من سبا من أن نمضي من كرزناخ ، الى نقط ميداننا الغربي التي ستصبح عما قريب أهمّ النقط وأجلّها . ولما كنا نشاء أن نتتبع الحوادث المقبلة عن كثب مكثب أقمنا في أفين ضرباً من ديوان للقيادة متقدم تابع لاركان الحرب العام وانتقلنا اليه في ٩ مارس ومعنا الشطر الاكبر من اركان حربنا وبتنا كنا في وسط مجموع الجيوش والجيوش الذين ازمعوا ان يلعبوا الدور الاهم في المعارك الحاسمة القريبة الوقوع

تطل على أفين كنيستها القديمة وهي بناية عظيمة مرسومة البنيان . وفي بعض الاماكن خرائب او آثار حصون متهدمة تذكر أن المدينة قد كان لها في خاليات العصور شأن في تاريخ الحروب . وبقدر ما يتبادر الى الذهن اذكر ان فصائل من الجيش البروسي استولت على الحصن سنة ١٨١٥ بعد موقعة « لابل - أليانس » ثم استطردت سيرها تتجه وجهة باريس . وفي سنة ١٨٧٠ - ١٨٧١ لم تمس ناحية أفين بارزاء الحرب

والمدينة القائمة في منبسط خضير نضير هي محلة يسود عليها الهدوء والسكينة غير ان وجود مركز اركان الحرب العام اكسبها شيئاً من نشاط . ان مقامنا بأفين قد اتاح لي ، بعد سبع وأربعين سنة ، فرصة جديدة الى عهد قريب لاعاشر السكان الفرنسويين واخالطهم . ان ضروب السكان المتشكلة التي اتفق لي ان اصادفها في الاسواق ما كانت الا على اختلاف قليل مع السكان الذين كنت قد شاهدتهم سنة ١٨٧٠ و١٨٧١ حتى أنه وقع لي أحياناً أن أنسى الزمان الذي مرّ من ذيالك العهد . في ١٩١٧ كما كان في ذلك العهد ، كان السكان جلوساً على أبوابهم والرجال ، في غالب الاحيان ، غارقين في تأمل صامت والنساء حركات يتساللن الاحاديث . والاحداثُ لاعبين يتناشدون الاغاني سروراً في الساحة الكبرى كما في أيام السلم . آه ما أسعد أيام الحداثة !

ان مقامنا الطويل في أفين هيأ لي ان ألاحظ ، كما لاحظ الكثيرون قبلي . ان الشعب الفرنسوي يحتمل الخط الاسود الذي انزله بهطولُ الحرب بنفس أبية فما قضي علينا قطُّ أن نصدر تعليمات خاصة لحفظ النظام أو لنستأمن على حماية نفرسنا وفي معظم الاوقات استطعنا ان نكتفي باتخاذ وسائط ضرورية تسمح لنا ان نشتغل بهدوء وسكون

ان جلالته لم يقم مركز اركان حربه في أفين فقد ظلّ في قطاره الخاصّ في أثناء الحوادث المهمة التي وقعت فيما بعد . وكان قطاره يتنقل به بمقتضى ضرورات الحالة . ان المقام الطويل الذي اقامه مولانا في مركبات هذا القطار الضيقة الصغيرة انما هو دليل على قلة ترفهه وعبثه بطيبات الامور . وفي هذا العهد تخصص لاجل جيشه . وما كان امبراطورنا ليفكر في الاخطار الكثيرة المعرّض لها في جوار ساح القتال ولا سيما من غارات الطيارين الاعداء

ان اقامتي في أفين هيأت لي فرصة الالتصاق والاختلاط بقواد الجيوش وجموع الجيوش اختلاطاً أوثق وأقرب من قبل وسرّني جدّ السرور أني استطعت أن

أحادث ضباط الجنود . ان المعلومات التي اقتبسُوها من المعارك والحوادث الجليلة التي شهدوها وكانوا يقصُّونها في غالب الاحايين بسذاجة خالبة ، كانت لي ذات فوائد عظيمة ليس من الوجهة الحربية وكفى بل من الوجهة البشرية

والزيارات التي أتيتُها لآلاي مازوريا وهو حامل إسمي ولآلايِ الحرس حيث كنت قد خدمتُ فيه كضابط فنيّ في أثناء حربين ولآلاي ألدنبورج الذي قُدتُه من قبلُ قد سببّت لي فرحاً خاصاً . وفي الحقيقة أني ما وجدت في هذه الآلايات لاّ عدداً ضئيلاً من أولئك الذين كانو فيها في زمن السلم لكنّ الرجال الجدُد في هذه الآلايات هم حفظة روحنا الحربيّ القديم . وتلك أول مرة رأيت فيها معظم هؤلاء الرجال وهؤلاء الضباط : وكانت تلك الاخيرةَ لكثير منهم !

فالمجدُ لذكراهم !

معاركنا الهجومية الثلاث

« الواقعة الكبرى » في فرنسا

انه قبل خروجنا من سبا أنفذ جلالةُ الامبراطور الاوامر اللازمة لوقيعتنا الاولى الهجومية . وأنا ناقلٌ أدناه حرفاً حرفاً اهمَّ الاجزاء من الامر الصادر الينا بالهجوم لئلا ألجأ الى تفصيل الشروح واسهاباً عن مقاصدنا الهجومية . وتسهيلا لتفهم هذا النص ينبغي القول ان الاعمال الاعدادية لهذه الوقيعة الكبرى قد اصُطلح على تسميتها بلفظة « ميشل » ولم يشر الى اليوم والساعة في الأمر الا بعد ما استطعنا أن نتعرف الوقت الذي تمّ فيه معداتنا

مركز اركان الحرب العام

في ١٠ مارس سنة ١٩١٨

[جلالته يأمر :

اولاً — تبدأ هجمة « ميسل » في ٢١ مارس فيدخل الى موقع الاعداء الاول الساعة التاسعة والدقيقة ٤٠

ثانياً — مجموع جيوش الكرنبرنز روبرخت يكون من مهمتهِ الاولى الهجومية ان يقطع النتوء الانجليزي في كبراي ويبلغ خط كروازيل (جنوب أراس بشرق) وابون وبيرون . اذا سارت هجمة الميمنة (الجيش السابع عشر) سيراً حسناً فينبغي لهذه الميمنة ان تثابر على التقدم الى ماوراء هذا الخط

والمهمة المقبلة الملقاة على عاتق مجموع الجيوش هذا ان يتقدم الى الامام في وجهة أراس — ألبر . ويثبت على مجرى نهر السوم في ناحية بيرون بميسرته ملقياً مركز ثقل قواتهِ على الميسرة فيزعزع شطر الميدان الانجليزي المقابل للجيش الرابع حتى يتيح لقوات جديدة ان تخرج من حرب الدفاع وتشترك في الهجوم

ومجموع جيوش الامير الامبراطوري يهاجم جنوب اومينيون (هذا الجدول يصب في نهر السوم جنوب بيرون) ثم يحمل اولاً على السوم وعلى قناة كروزان (غرب لافير) ويحمل الجيش الثامن عشر (وهو الجناح الايمن من مجموع جيوش الامير الامبراطوري) مسرعاً الى الامام فيقتحم معابر السوم والقناة ...]

كنا تركنا سبا في ١٨ مارس وفينا شيء من تأثر التأثر وقد زاد لما بلغنا الى مركز قيادتنا في أفين. وتغير الجو في اوائل ايام الربيع وكان الى ذلك الحين صافياً جيلا . فهطلت امطار غزيرة على تلك الناحية فجاءت مصداقاً لما كنى به الفرنسيون أفين وضواحيها . المطر والغيوم ما كانت الا لتروق في عيوننا ، في

هذا العهد ، لانها ربما كانت تغشي عيون العدو عن استعداداتنا الاخيرة. لكن هل كان يحق لنا ان نرجو أن الوسائل التي كنا قد اتخذناها الى ذلك اليوم قد خفيت تماماً عن العدو ؟ في أثناء الايام الاخيرة ظهرت مدفعيته ، بعض الحين يقظةً ناشطة. غير ان نيرانه كانت تخمد كل مرة . ومن هنا ومن هناك حاول طيارون من الاعداء ان يستطلعوا ليلاً ، بواسطة الانوار الكشافة ، طرقنا الكبرى الدانية واذا لحوا حركات الجنود أمطروها من قذائف مدافعهم . لكن كل هذا ما كان يتيح لنا ان نجيب جواباً صريحاً عن هذا السؤال : « انتوفق الى أخذ العدو على غرة ؟ »

ان الوحدات المعبأة لقصد الهجوم لنجدة الجنود الذين كانوا قد صاروا في اماكنهم أدركت نقط السفر في الليالي الاخيرة التي تقدمت يوم الهجوم وقد يمكن القول ان العدو لم يعكر عليهم حركاتهم ! وعلى بعض النقط ار كزوا مدافع ضخمة حتى مطارح خطوط دفاعنا الثانوية وخبأوها في حفائر . وحسبوا انه من اللازم الضروري ان يتوسلوا باجسر الوسائل لتتيح لمدفعيتنا ان تساعد جنودنا الهاجمين الى اقصى حد من منشآت دفاع الاعداء. أما العدو فلم يتخذ وسيلة ليعرقل علينا هذه الاستعدادات

ودامت العواصف عادفةً والامطارُ هاطلةً في معظم اليوم ٢٠ مارس فاذا آراؤنا ليوم ٢١ مارس غير جلية فقد كان ينتظر أن ينتشر ضباب محلي يغطي الارض غير أنه عند الظهر قرّ قرارنا على أن نطاق للوقيعة عنانها من الغد صباحاً

وفي فجر ٢١ مارس كان جميع القسم الشمالي من فرنسا ، من شط البحر الى الرين ، مغطى بالضباب . وكلما سطعت الشمس وحققت تكاثف الضباب على سطح الارض . حتى أنه في بعض الاماكن ما كان يرى المرء الا الى بعد بضعة أمتار . وبدا كأن التموجات الصوتية قد خنقت بين هذا الستار القاتم . وفي أفين ما كانوا يسمعون الا دوياً بعيداً مبهماً في وجهة مكان المعركة حيث أخذت ألوفٌ من المدافع من كل عيار تقذف الروع بدون مهل منذ بدت تباشير فجر هذا اليو

كانت مدافعنا تعمل عملها لا راثيةً ولا مَرئيةً . لكن الوجدان وحده الذي تمت معه معداتنا كان الضمين لادراك الأغراض من ضرب مدافعنا . أما مجاوبة الاعداء فكانت متفاوتةً بحسب الاماكن والاوقات . فكانت أشبهَ بعمل مدفعية تبحث عن عدو لا تعرف له مقراً منا بعمل دفاعٍ منظّم . وهكذا حتى في اثناء تمهيد مدفعيتنا ما استطعنا ان نعرف هل كان الانجليزي على اهبةٍ لمقابلة هجمتنا .

والستار الذي كان يعلي كلّ شيء ظلّ على كثافته . ونحو الساعة العاشرة وثب رجالتنا المغاوير وثبة هجوم تحت ذيل الضباب فلم ينتهِ الينا في بدء الحال إلاّ معلوماتٍ غير جلية و بيّنات عن الاغراض التي أُدركت وتعديلات على التقارير التي انتهت الينا . معلومات متناقضة وما هو الاّ بعد حين أن زالت الريبة وصرح اليقين وامكننا ان ندرك ان رجالتنا ، على طول خطّ الهجوم ، قد بلغوا خطوط الاعداء ودخلوها . ونحو الظهر اخذ الضباب ينقشع والشمس تبدو

وفي ساعة من المساء متأخرة استطعنا ان نعرف النتائج التي نلنا . فان جيش ميمنتنا وجيش القلب قد وقفا امام خطوط الاعداء الثانية . جيش الميسرة قد تقدم ناجحاً الى غرب سان — كنتان .

ما كان من شكٍ في ان جيش الميمنة قد لاقى اعظم مقاومة . ان الانجليزي كان قد احس الخطر يدهمه من الشمال فقذف في هذه الوجهة جميع ما هو مدخورٌ لديه من الجند . اما ميسرتنا ، التي قد فازت بعامل المرةِ فوراً اعظم ، فقد واجهت ، بمنبهِ ذلك ، عملاً هيناً جداً بنسبتهِ وقد ذللنا في ناحية الشمال ، على خلاف ما كنا نتوقع ، قوات عظيمة بدون ان نتعدّى في كل حال ما كنا نراه لازماً للحالة

ان نتيجة النهار بدت لي مرضية وهكذا كان شعور ضباطنا في اركان الحرب

عندما عادوا من ساح المعركة بعد ما تبعوا الجنود الماجين . لكن اليوم الثاني من الوقيعة انما هو وحده يمكن ان يميط لنا الحجاب عن هجومنا هل هو نائل ما نالته جميع الهجمات التي قام بها عداؤنا منذ ثلاثة اعوام من الحظ ؟ وهي هجمات اعتور تقدم جنودهم الماجمة فيها جور بعدما نجحوا في اغارتهم على منشآت دفاعنا واستولوا منها على نقط موضعية .

وفي مساء اليوم الثاني من الوقيعة كانت ميمنتنا قابضة على خط الدفاع الانجليزي الثاني واستولى قلب الجيش على خط العدو الثالث بينما كانت ميسرتنا قد اجتازت عدة اميال في وجهة الغرب راكبها النصر .

وقد ترك جندنا وراء خطوطنا المتقدمة مئات من مدافع الاعداء واكداساً عظيمة من الذخيرة ومقادير من سائر الاسلاب . واذا صفوف لا تدرك العين آخرها من الاسارى سائرة نحو الشرق . غير أننا ما كنا قد توصلنا الى حطم الحامية الانجليزية في نتوء كمبراي. لان ميمنتنا على خلاف ما كنا نرجوه ما استطاعت أن تتقدم بالسرعة المرجوة ولا الى الامام .

وفي خلال اليوم الثالث لم يقع في سير الوقيعة تغير : معترك لا اشق منه يلقانا فيه الانجليز يثبتون لنا ويقاومون ثم هم يحتفظون بخط دفاعهم الثالث. غير أن لبة جيشنا وميسرتنا دائبتان في التقدم يستولون على الاراضي ومنذ هذا اليوم بلغ جندنا السوم جنوب بيرون وعبروه من نقطة واحدة

في هذا اليوم ٢٣ مارس سقطت قنابلنا الاولى في عاصمة العدو .

بالنظر الى تقدم حملتنا الباهر في وجهة الغرب وهي حملة فاقت بعظمتها كل ما تقدمها من الحملات التي وقعت على الميدان الغربي منذ سنوات يظهر لي أنا في الامكان ان ندفع جنودنا حتى الى أميان . وثمت تجتمع الخطوط الحديدية التي تصل اراضي الشمال مع أواسط فرنسا وهي أرضون منفصلة انفصالا بيناً بمجرى

السوم وتخوم الشمال لكن هي المنطقة المهمة في القتال للجنود الانجليز . اذن لأميان اهمية دفاعية جليلة جداً فاذا وقعت المدينة بين ايدينا او اذا توصلنا ، على الاقل، أن نبقيها هي وضواحيها تحت مرمى نار مدفعيتنا الآكلة ينشطر ميدان معارك الاعداء شطرين وتتحول غارتنا الهجومية غارة دفاعية فتنقلب انجلترا الى جانب وفرنسا الى جانب . لعلّ هذا التقدم يبعث على فصل مصالح هاتين البلادين السياسية والداعية المتباينة الاغراض. ولنمثل هذه المصالح باسم كاله واسم باريس

اذن إلى الامام ! الى الامام ! في وجهة أميان !

وظللنا سائرين نعدو عدو الجبابرة لكننا ما سرنا بالسرعة التي ارادتها مخيلاتنا المضطرمة وامانينا المستجرة ! وانما لنخشى ان يدرك اعداؤنا الخطر الذي يهددهم فيحاولوا المحال لاقصائه . وعلى كل حال إن الاحتياطي الانجليزي سيسارع من الشمال والجند الفرنسوي من جميع اواسط فرنسا ليحموا أميان وضواحيها . ويجب ايضاً ان نتوقع القيادة الفرنسوية تنهض لتقدمنا بان تكر من الجنوب كرة قوية على خاصرتنا اليسرى .

في مساء اليوم الرابع وقعت بابوم في قبضتنا وقد تجاوزت فرقُ خطنا الاول بيرون وخطّ السوم جنوب هذه المدينة . اجل لقد عدنا فوطئنا ثانيةً مكان معركة السوم القديم وهو يذكّر العددَ العديدَ من جنودنا بايام عديدة مجيدة ، ولكن شاقة ، ويثير في نفوس الجند الذين شهدوا المعركة الاولى تأثيراً عميقاً اذ تأخذ اعينهم تلك الحفائرَ وهي بالالوف والخنادقَ وقد تردمت وتهدمت والسكون المهيب الممدود رواقه على هذه المساحات الواسعة والمقابر الوفاً والوفاً تغطي تلك الارضين

اما الانجليز فقد قُهروا على شطر كبير من ميدانهم وهم ينهزمون متقهقرين لا يلوون على شيء نحو اميان . ثمّ ما هو الاّ أن وقف تقدُّم ميمنتنا . اما نحن فهاجمنا الانجاد سرق أراس بقوات جديدة رغبةً منا في استعادة حرّ الوقيعة لكن

هجمتنا لم تنلْ نجاحاً الاّ في اماكن فرحمنا عن هجومنا في هذه الوجهة . وفي هذه الغضون استولى قلبُ جيشنا على ألبِرْ .

وفي اليوم السابع من الكريهة استهدفت ميسرتنا لهجمات فرنسوية انبثقت من الجنوب الاّ ان ميسرتنا تمكنت من البلوغ حتى منديديه من ناحية روَى .

اذن ينبغي اما من ثمت اكثر من قبل ان نطلب القول الفصل من وجهة أميان . ومن هذه الجهة يظهر أن جنودنا متقدمة حسنا في الحال لكن مقاومة العدوّ في هذه الناحية تزداد شيئاً فشيئاً صلابةً وعناداً وتقدمنا يتباطأ شيئاً فشيئاً .

يجب ان نُقلع عن أحلامنا وآمالنا بالاستيلاء على اميان . ويجب ان ننظر الى الحالة كما هي . ظلّ عمل جنودنا ناقصاً فقد اضاعوا فرصاً مناسبة ولم يعملوا في كلِّ مكان بذات القوة والحميّة حتى في المواضع التي كان ينتظرهم فيها نجاحٌ باهرٌ .

ولزم ان يصيحوا بكل جندي : « ازحف على اميان وابذل من الارادة جهداً سامياً صادقاً . لعلّ أميان تكون الظفر الفاصل . استولِ ، على الاقلّ ، على فيلر — بريتونو حتى تتمكن من المرتفعات المجاورة أن تسحق اميان بمزدحم مدافعنا الضخمة . »

لكن عبثاً نصيحُ . لقد نهكت قوانا

رأى العدو جلياً ما تكون خسارته لو أخذنا فلر — برتونو فقذف على النتوء الذي احدثناه بهجمتنا كل القوات التي استطاع استجماعها . وتداخل الفرنسويون فاذا بهجماتهم الكثيفة واذا بمدفعيتهم الحاذقة في القتال قد صانت الحالة وصانت حليفتها وصانت موقفها هي .

اما عندنا فالطبيعة البشرية تنادي بحقوقها وتستصرخ . فيجب علينا ان نتنفس الصعداء . رجالنا تعوزهم الراحة ، مدفعيتنا تنقصها الذخيرة . وكان من طالع الحظ أننا استطعنا ان نموّن شطراً من جنودنا باقوات عدونا المكسور وهي

جليلة كثيرة . ولولا ذا لما استطعنا عبور السوم لان السبل الذاهبة في تلك الارضين الواسعة ، وقد كثرت فيها الحفائر في استحكامات العدو المتقدمة ، كانت خرائب ويقتضي لاصلاحها وتعبيدها أيامٌ عديدةٌ

لكن نحن لم نرجع بعد تماماً عن الامل بأخذ فبلر — بريتونو . وفي ٤ ابريل قمنا بهجمة جديدة لندحر عنها العدو .

التعليمات الاولى التي انتهت الينا في هذا اليوم عن تقدم هجومنا ،فعمةٌ آمالاً ووعوداً طيبة لكن اليوم الثاني لا يأتينا الاّ بالخذلان والاماني الخوادع على هذا القسم من مكان الوقيعة . بقيت أبيان في أيدي العدو ومدافعنا البعيد مرماها جداً انما وحدها تنال أبيان . فهذه المدافع تعوق مواصلات اعدائنا وتعرقلها لكنها لا يسعها أن تقطعها

« المعركة الكبرى » في فرنسا قد انتهت

وقيعة لا ليس

بين خطط الهجوم التي كنا وضعناها بدء حملتنا سنة ١٩١٨ كنا قد درسنا خطة هجوم على مواقع الانجليز في فلاندر وذهبنا في درسنا من الفكرة الآتية : نهجم من جوانب ارمنتير الجناح لانجليزي الشمالي وهو يؤلف نتوءاً نحو الشرق ونعمل على حطمه حاملين على ناحية هزبروخ

ان الآمال البعيدة التي كانت تبدو لنا من وراء هذا العمل ، اذا صادف نجاحاً، كانت تطمعنا . غير أن الاخذ به لاقى اعتراضات شديدة . فكان سببا اولاً أننا نستهدف في هذه الناحية الى أعظم مجموع قوات الجيش الانجليزي . فهذا المجموع المحشد في مساحة ضيقة بنسبتها يمكنه أن يصدم حملة رجالنا الهاجمين منذ ولوجهم في خطوطه الاولى . فاذا تقدمنا الى هذا العمل فانما نحن ذاهبون نواجه الخطر الذي

كنا نريد تلافيه . زد على هذا العقبات الناجمة من طبيعة الارض في جوانب ارمنتيير . على الجنود ان يجتازوا أولا ، في هذه الناحيه ، مروج لاليس وهي عريضة عدةَ اميال ثم أن يعبروا هذا الجدول ذاته وفي غضون الشتاء كانت هذه الارضون الواطئة طاغية المياه على مسافات طويلة وفي الربيع مازالت مستنقعة مدى اسابيع. واذا الماء كابوس مزعج على الجنود المكامنين الدفاع عن مواقع هذه الناحية والى شمال لاليس ترتفع الارض قليلاً قليلاً ثم تنتهي ، بسفوح اصلب ، الى خط المرتفعات الحصينة التي كان اهمها واعزّها جبل كِمل وجبل كاسل .

فما كان يسعنا ان نفكّر في القيام بهجمتنا قبل ان ينخفض لا ليس فيصير في الإمكان السير فيه . وفي الاحوال الجوية المعتادة لا يُرجى جفافه جفافاً تاماً قبل منتصف ابريل ولم يكن في طاقتنا ان نؤجل الى هذا العهد اطلاق هجمتنا الفاصلة في الميدان الغربي لانه لاينبغي لنا أن نقصي عن بالنا إمكان دخول الولايات المتحدة في الحرب . ولما لم نحفل بالاعتراضات التي اثارتها هجمة لا ليس اخذنا على انفسنا ان نهيئها ولو على الورق . واحتفظنا بالقيام بها الى ساعة يضطر هجومنا في ناحية سان — كنتان قيادةَ الاعداء أن تقتطع قوات مهمة من مجموعها في فلاندر لتقوم في وجه تقدمنا .

تحقق هذا الافتراض في اواخر مارس فاننا منذ رأينا ان هجمتنا في وجهة الغرب ستوقف عمّا قليل أقررنا على الاخذ بهجمة لاليس . وطلبنا الى مجموع جيوش الامير ولي العهد روبرخت هل يمكن القيام قريباً بهذه الهجمة ، فاذا جوابه : « بما ان السماء لم تمطر في هذه الاسابيع الاخيرة يمكن البدء بالهجوم منذ الساعة . » وعكف اركان حرب الجيوش والجنود على العمل بحمية عجيبة تعجيلاً ليوم الهجوم .

في ٩ ابريل وهو يوم تذكار أزمة أراس الكبرى ، خرج جنودنا في ساحة

لا ليس من خنادقهم المملوءة اوحالاً واندفعوا في الهجوم من ارمنتير الى لا باسة .
وكان نظام هجومنا مرسوماً فاذا ليس هو هجوم جنود متكاثفة متراصة لكن هو هجوم قبضات من الرجال صغيرة وافواج مستدقة تتقدم فيما بين الحفائر العميقة المملوءة ماء في وسط مستنقعات لاليس وقد خددتها القذائف والقنابل او قامت فيها بعض الربى اثبت ظهراً من تلك المستنقعات . وعلى الرغم من جميع العقبات الطبيعية والمصطنعة تمكن جنودنا ، تحميهم نيران مدافعنا ومدمرات الخنادق ، ان يسيروا الى طريق الظفر بهذه الهجمة العجيبة التي لم يصدّق الانجليز ولا البرتوغاليون الواقفون في تلك الانحاء بامكان وقوعها . اما الجند البرتوغاليون فغادر معظمهم ساحة القتال منهزمين على وجوههم وخلوا على عواتق حلفائهم مؤونة النزال . اذا كنا قد استفدنا من غرة البرتوغاليين ومن هزيمتهم فقد لاقينا من اقبية الارض مصاعب وعقبات لا أشقّ منها ولا اتعب . وما وسعنا ، الا ببذل اقصى الجهد ، أن نسير مع رجالنا الهجمين بعض المدافع ومركبات الذخيرة . غير ان جنودنا بلغوا لاليس في السيرة وعبروه من نقطة واحدة . وفي هذه المرة ايضاً انما القول الفصل متعلق على مصير المعركة في يومها الثاني . وبدت لنا الحظوظ في اول الامر باسمة مبشرة بصلاح وفي ١٠ ابريل سقطت إستير في يدنا وربحنا ايضاً اراضي في الناحية الشمالية ـ الشرقية من ارمنتير . وفي اليوم نفسه بسطنا هجومنا حتى الى ويستشهيت . وخرائب مسين التي تداولها العدوّان غير مرة قد عاد جندنا فاستولوا عليها . وجاء اليوم التالي فاكتسبنا انتصارات جديدة . وجلا العدوّ عن ارمنتير واستوليا نحن على مرفين وجودنا الذين يهاجمون من الشمال الى الجنوب بلغوا السفح الاولى من المرتفعات الحصينة من حيث مراكز الاستكشاف ومدفعية العدو ترى كل ما يجري في هجومنا . ومنذ هذه الساعة اخذ تقدمنا يتراخى ويتناقص وعما قليل وقفت ميسرتنا لا تتقدم خطوة واحدة في وجهة

الغرب وقد تضايقت جداً في وجهة هزر بروخ . وفي غضون الايام التالية استولى قلب جيشنا على بايليل وزحف من الجنوب فثبّت قدمه على المرتفعات . وسقطت ويستشيت بين ايدينا لكنه هو آخر نجاح نناله من هجمتنا الاولى على لاليس .

ان مصاعب المواصلات في منخفضات لاليس قد عرقلت حركات جنودنا . الذين هاجموها من الجنوب الى الشمال كأنها القيود الثقيلة . وما كانت الذخائر تأتيهم الا بمقدار غير كاف ولولا الغنائم التي غنمناها آنفاً على مكان الوقيعة لما استطعنا أن نمدّ جندنا بالاقوات الكافية

وقد لحق رجالتنا خسائرُ فادحةٌ عادمة النظير في فداحتها وهم يُقاتلون ضد مخابىء مدافع الاعداء وانهم ليستهدفون للفناء اذا نحن لم نوقف هجمتنا الى اجل . لكن الحالة من جهة اخرى تستدعي النظر والقطع في الامر . لقد وقعنا في احدى هذه الازمات الهجومُ فيها صعب جداً والدفاع مقلقٌ فما هو ثباتنا في مواقفنا يخرجنا من هذا المأزق بل انما هي مثابرتنا على الهجوم . علينا ان نأخذ جبل كمل . هذه الربوة ماثلة لعيوننا منذ سنين كأنها الحصن المنيع . وان هناك ما يبعث على الظن بان العدو قد حصّنها داخل مواقعه في فلاندر . والصور التي اتخذها طيارونا لا توحي لنا الا قدماً من كثرة المنشآت الدفاعية في تلك الناحية لكننا نأمل مع ذلك ان الشعور بالقوة الذي يفرغه علينا جبل كمل هو اعظم من قيمتها الدفاعية الحقيقية . انّ ذا لاختبارٌ قد اختبرناه مراراً بمناسبة اغراض كنا نوبدها لهجمات لنا سابقة

ان نخبة جنودنا الذين ادلوا بالبرهان والحجة على صادق ارادتهم وقوة عزم المناجزة في منفذ تو — روج « الحصن الاحمر » في معارك جبال ألب ترنسلفانيا وفي منطقة جبال البانيا — سربيا وفي جبال ايطاليا العليا ربما يستطيعون هنا ايضاً ان يأتوا اعمالاً مجيدة تبانُ مستحيلة

واول شرط ، ليكلل الطورُ الجديد من هجومنا في فلاندر بأكليل النجاح، هو ان نحمل القيادة الفرنسوية على ان تدع لحليفتها الانجليزية كلّ عبء الوقيعة . ولهذا هاجمنا نحن في ٢٤ ابريل من جديد في ناحية فيلر — بريتونو أملاً بان القيادة الفرنسوية تصرف همّها في انقاذ اميان اكثر من ان تنجد صديقتها الانجليزي المهدّد حدّ التهديد في فلاندر . لكن هذه الهجمة الجديدة اخفقت . غير انه في ٢٥ ابريل هوت عدة الانجليز المانعة في جبل كمل اذ صدمناها الصدمة الاولى . فاذا فقدان هذا المرتكز قد زعزع جميع ميدان العدو في فلاندر وبدأ الانجليز يجلون عن نتوء ايبر الذي تمكنوا في خلال سنة ١٩١٧ ان يوسعوه في صراع دام اشهراً الاّ انهم تشبثوا بآخر مدينة في فلاندر كأنه حجر ثمين لا يريدون ان يضيعوه لعوامل سياسية . وماهو حول ايبر لكن في وجهة كاسل اذ نهاجم ذهاباً من الجنوب الشرقي، يمكن أن تقول القول الفصل في فلاندر. فاذا نجحنا في التقدم في هذه الوجهة يضطرّ كل الميدان الانجليزي — البلجيكي ان يتقهقر الى الغرب . وكما حدث في شهر مارس عندما كان المرمى اميان ، كبرت آمالنا ورجونا ان نبلغ شواطىء بحر المنش . واحسبني ارى انجلترا تراقب سير وقيعة فلاندر وقد امسكت على صدرها أنفاسها .

اما وقد استولينا من جبل كمل على زاويته المحصنة فما انا من يسقط في الرجوع امام المصاعب التي تعوقنا عن مواصلة الهجوم. وثبت لي عدة معلومات فيها أن بعضاً من جندنا لا يعملون واجبهم . ولاحظنا ايضاً مرة أخرى أن قد اقترفت اغلاط ونقائص على مكان المعركة لكن هذه الاغلاط وهذه النقائص هي لاصقة بالطبيعة البشرية لصوقاً وأي المدوّنين يقترف منها اول من قرينه يظل المسلط على الوقيعة . وكنا الى ذلك الحين المسلّطين ونريد ان نكون الى النهاية

أن فعالاً مجيداً كفعال جبل كمل ليملأ حماسة وفخاراً ليس الجنود الدين امو

هذا العمل بل الجيوش باسرها . إذن الى الامام أيضاً ولو الى كاسِل ! فاذا بلغنا هذه الناحية تطول مدافعنا البعيدة المرمى بولون وكاليه . وهاتان المدينتان مكدسة فيهما الاقوات وعتاد الحرب الانكليزيه فضلاً عن أنهما اهم ميناءين لانزال الجيش الانجليزي .

في وقيعة كمل كان هذا الجيش دون مهمته بما بعث على العجب العجاب . فاذا توقفنا في فلاندر ، ألا يكون إمامنا الآن تكون لنا آمال كبار بنيل نصر باهر . ولو ان الجيش الانجليزي لا تأتيه نجدة من الجيش الفرنسوي لفت في عضد انكلترا في فلاندر لكن فرنسا تسرع الى نجدة الجيش الانكليزي في ساحة يجتاز فيها اعظم الخطر .

ان الامداد الفرنساوية لتصر أسنانها غيظاً من حلفائها الذين اضاعوا كل وهي تبذل قصارى الجهد لتسلبنا هذا الموقع . لقد تعبث عبثاً . لكن حملاتنا الكبرى الاخيرة في أواخر ابريل لم تتوفق هي أيضاً فتنسف المواقع الفرنساوية — الانكليزية الجديدة

في أول مايو عدنا الى الهجوم في فلاندر أو — بأصح تعبير — أملنا ، إذ ذاك . أننا أوقفنا هجومنا موقتاً .

معركة سواسون -- ريمس

لما انتهت وقيعة فلاندر ثابرنا على استعمال الاسلوب الذي كنا اتخذناه الى الآن وصولاً الى غرضنا الكبير الذي كنا ننشده . فقد شئنا ، بضربات محلية لكنها متواصلة سريعة ، أن نزعزع بنيان العدو حتى يهوى ويضمحل

تلك هي العبارات التي استعملناها في مذكرة خطت في ذلك العهد لتبيين نياتنا ومقاصدنا

كانت فرنسا قد انقذت انجلترا مرتين في أشد الازمات فلعلنا إذا حاولنا

ثالثةً نتمكن من نيل ظفر قاطع على هذه الدولة الاخيرة . وكانت الفكرة الاولى التي تقودنا في اعمالنا الحربية هي ان نهاجم الجناح الانجليزي الشمالي . وفي رأيي ان القول الفصل في الحرب متعلقٌ على فوز نفوزه في هذه الهجمة . فاذا بلغنا شواطىء المنش تصبح شرايين انجلترا الحيوية قيد ضرباتنا . ونكون في حالة لا أصلحَ ولا يمكن ان يتصور اصلحُ منها ليس لتهاجم خطوط المواصلات البحرية بل لنطول بنار مدافعنا البعيدة المرمى قسماً من جانبها الجنوبي . ان المدفع ، تلك البدعة السرية في فنّ اختراعنا ، الذي يقذف قنابله من ناحية لان حتى الى العاصمة الفرنسوية يمكنه أيضاً أن يضرب انجلترا

ما أشد واكثر الهموم والكروب التي ساورت بريطانيا العظمى بشأن حالتها الحاضرة وشأن مستقبلها ! والآن بناء على آراء كروب يمكن أن ينشأ في كل مكان عجائب من هذا الضرب بالمستقبل يقول قوله . أيكون هذا السلاح ضمان السلام أو علة الحرب ؟ فانجلترا التي تطوّح بنظرها الى بعيد وهي شديدة الشعور بالاخطار التي تهددها قد فكّرت في هذا السؤال ولعلّ فرنسا قد استنتجت منه نتائجها لكنها لم تنبس ببنت شفة . لئن يلزموا الصمت حول هذا السؤال فذلك أمرٌ طبيعي ما بين الاصحاب . لكنّ كلاً من الدولتين تدركُ اتمّ الادراك أن حليفتها قد يسعها يوماً أن تستخدم هذا السلاح .

وفي أواخر مايو سنة ١٩١٨ . كان شأننا ، قبل كل شيء ، أن نفرّق الصديقين اللذين يحاربان كتفاً الى كتف في فلاندر فقد يصير من السهل الهين كسر الانجليز اذا بعد عنهم الفرنسويون . واذا أحدثنا أزمة على ساحة الجيوش الفرنسوية فمن البديهي اننا نحمل فرنسا على استدعاء الفرق التي تركتها فيما بين الخطوط الانجليزية في فلاندر منذ زمان . فينبغي إذاً أن نعجّل العمل والاّ فالعدو الذي أستعاد قواه وتنظيمها يتقدمنا في الاعمال الحربية . فاذا أغار على خطوط دفاعنا ،

وهي غ.. ذات تحصين عظيم ، فقد يفسد علينا خطتنا كثيراً ويصدنا عن اتمامها .
وان جهة الميدان حيث هو الفرنسويّ اشدّ شعوراً واحساساً انما هي الجهة التي تقود
الى باريس . والجو السياسي هو الآن في العاصمة مملوءٌ كهربائيةً لكنّ قذائفنا
وقنابل طياراتنا ما توقفت حتى الساعة الى تفجيرها غير اننا نستطيع الى ذلك
سبيلاً اذا دنونا من المدينة . وفي ناحية سواسون ، بناء على المعلومات التي وردت
لميناء مواقع الفرنسويين أضعف ما تكون محميةً . لكن في هذه الناحية أيضاً تبدو
من طبيعة الارض عقباتٌ كثيرة لمن يريد هجوماً

في غضون زيارتي الاولى لانَ في اوائل سنة ١٩١٧ صعدت الى سطح دار
البلدية القائمة في القسم الجنوبي من هذه المدينة مشيدةً على رؤوس الصخور فامتدّ
نظري،ارى تلك الناحية كلها، وقد صفت السماء وتلألأت الشمس في يوم من ايام
الربيع الجميلة . فاذا الابصار تقف من الغروب والشرق على دفين من الربى ثم
تنبسط الى الجنوب طويلاً لتستريح على الافق بحدّ قلاع شمان ـ ده ـ دام . لمئة
وثلاثة اعوام خلت وقف البروسيون والروس يأمرون بأمر بلوخر يحاربون حرباً
عنيفةاستحرّ فيها القتل جنوب المدن اياماً ثم اجتازوا شمان -ده—دام من الجنوب
الى الشمال ثم إنهم بعد إن انشبوا قتالاً دامياً في كروان تقدموا فأخذوا مواقعهم
قرب لآن ليصلوا الكرسيّ العظيم الوقعة . في القسم الشرقي الوعرة مسالكه
بين الصخور الناشزة في لان افترّ ثغرُ النصر في ليل ٩و١٠ مارس سنة ١٨١٤
اصلاح الحليفين . و ن الهجوم الذي قامت به الجيوش الفرنسوية سنة ١٩١٧ قد
اخفق مفاقه على مرتفعات شمان ده دام ثم انهم لاحمونا القتال في هذه الناحية
مدة اسابيع يتناوبون فيه النصر والكسر ثم خمدت نار المعركة. لكن في اكتوبر
سنة١٩١٧ الى شمال سواسون الشرقي كان الفرنسويون قد استولوا على مساندالى بعين
تلك المواقع فالجئنا الى الجلاء عن شمان—ده—دام وتأخير خطوط دفاعنا الى ماوراء إيليت

على جنودنا الآن ان يعاودوا الهجوم شمان — ده — داء يتسلقون تلك المنحدرات الوعرة . وانما نجاحنا موقوف على الغفلة نواجه بها العدو فهي لازمة لنا هذه المرة اكثر مما لزمت في هجماتنا السابقة . فاذا لم تلاق خدعتنا نجاحاً تخضد شوكة هجومنا منذ يتعدى منحدرات النجد الشمالية . لكن العدو أخذ على غرة اتم اخذ.

اريد أن آتي هنا على شرح غريب لاسباب هذه الغرة: حدثني ضابط ، كان قد أشترك في إعداد معدات الهجوم على إبليت، أن نقيق الضفادع في عقيق النهر وفي المروج المجاورة كان شديداً بحيث كان يفوق وقع عجلات موكباتنا تجر أثقال جسر ومعدات نلقيه على هذا النهر . فليقولوا ما شاؤا في هذا الحديث . وعلى كل حال أنا استطيع ان اؤكد اني ما هيجت من قبل مخيلة هذا الضابط اقص عليه تذكاراتي في جولات الصيد. وان هنالك شرحاً آخر وقفني أتم وقوف على سبب خفاء معدّات الهجوم على العدو . امرٌ بها الينا ضابط من اسارى العدو . انه عشية ه-ومنا جاؤا اليه بصف ضابط بروسي أسر في أثناء استطلاع قام به . ولما سأله هل له علم بشؤون الهجوم الالماني دحصف الضابط بالتصريح التالي : « ان مدفعيتنا ستقذف ناراً مذكاة من فجر ٢٧ مايو لكن لن يكون لهذه النار غرض غير خديعتكم لان هجوم الرجالة الذي يليها انما يقوم به بعض فصائل من المتطوعة . ان نفسانية الجنود الالمانية قد زعزعت بسبب ما نالها من كثرة الخسران في سان — كنتن وفي فلاندر حتى ان رجالتنا عصوا جهاراً وأبوا الاذعان للامر القاضي بهجوم عام »

وباح لنا ضابط بأن هذه التصريحات بات له صدقه . غبار عليها وانه ظن انه يمكنه ، في صباح ٢٧ مايو ، ان يتوقع الحوادث المنوي وقوعها لا يداخله ادنى قلق . ان ما اوردته آنفاً قد يمكن ان يبلغ مسمع هـ ا الصف الضابط الشجاع . فانا اصافحه بيده واشكره باسم جميع الجيش الذي أ ـدى له خدمة لا اثمن منها وباسم المئين وربما باسم الالوف من رفاقه لمغاوير الذين انما له عليهم فضل الحياة

بفضل حضور ذهنه . لكن هذه التصريحات ما كانت لتسوق الضابط العدوّ الى هذه المغالط لو أن نشرات اعدائنا ، بغالاتها بنوع يتجاوز المعقول في ذكر الخسائر التي كنا قد كابدناها حتى اليوم ، لم تهيء افكار هذا الضابط لقبول اقوال صف ضابطنا كأنها هي حقائق راهنة . وهكذا من حين الى حين وقع اعداؤنا في الفخ التي نصبوها وعرفوا مغبة التهويل والمغالاة في الاكاذيب

بدأت الوقيعة في ٢٧ مايو واتسعت اتساعاً امراً جداً وكما قد حسبنا في البداية أن هجومنا قد يصد لا محالة على خط الاين والفل وما اردنا ان نمدّ هجومنا الى جنوب هذين النهرين . ولقد اخذنا العجب العجاب لما انتهى الينا منذ اليوم الاول للوقيعة ، علمٌ فيه ان القنابل الالمانية اخذت تنفجر في الجانب الآخر من الاين وأن رجالتنا راغبة في مواصلة التقدم جنوبَ النهر حتى منذ هذا اليوم

وفي بضعة ايام بلغت لبةُ غمار جيوش الهجوم ، التي نجحت في حملتها الهجومية نجاحاً تاماً ، نهرَ المارن من شاتو — تياري الى دُرمان . وعطفت ميمنتنا نحو الغرب تواجه فيلر — كوتيره وميسرتنا نحو الشرق تواجه ريمس والناحية الجبلية الواقعة جنوب هذه المدينة

اما اسلابنا فكانت ضخمة . ان جميع منطقة حشد الجند الفرنسوي للهجوم في ربيع ١٩١٧ بما وسعت من وفرة المؤن والادوات من كل نوع قد صارت في قبضتنا . والطرق الحديثة والاكواخ التي انشئت لايواء الالوف من المقاتلة وكثيرٌ غيرهما من الدلائل برهنت لنا على سعة الاستعدادات التي كان الفرنسويون قد هيأوها في اثناء شتوة تم بدأ الهجوم . اما نحن فكنا قد نظمنا الامر باسرع مما فعلوا

وسنحت لي الفرصة في غضون هذه الايام فعرّجت على لان ذاهباً اتفقد مكان معاركنا الجديد . كم قد تبدلت الحياة في هذه المدينة منذ شتاء سنة ١٩١٧ وقد كانت تكون في ذلك الحين كأنها في زمن الراحة والسلام وما هي الا ايام قلائل

حتى فغرت مدافعنا الضخمة المرصدة،في غابة كريبي غرب لان،فوهاتها تقذف النيران على باريس . وقد بدأت بطاريات العدو المركوزة في وادي الاين تمطر بمقذوفاتها المدينةَ المسكينة . اني أبعد من ان افكّر في ان اعداءنا كانوا يرمون بالقنابل بني وطنهم بغير ما علة حربية سائغة . فقد كانو يحسبون لا محالة ان إمداد البطاريات التي كانت تضرب باريس انما كان يتمّ من محطة لان . غلطٌ نتفهم مصادره ! وفي أثناء ضرب هذه المحطة سقط عدد كبير من المقذوفات الضخمة على المدينة حيث كان لا يزال فيها سكان عديدون . والآن طيار و الاعداء يلقون عليها القنابل في كل ساعة من ساعات النهار . فان جميع السكان الذين ما كان يسعهم ان يرتحلوا عن بيوتهم ، و إن يكونوا مهددين بالدمار الوبيـل ، قد ارغموا على ان يميتوا في السراديب والانفاق المطمورة . مشهد شقاء لا ينال من وصفه اليراعُ وما اكثره، للاسباب نفسها ، وراء خطوط دفاعنا في الميدان الغربي وكان علينا ان نشهدها ونعجب ونحن لا نستطيع تلافيها .

اما وقد أخذت بطاريات العدو المركوزة في وادي الاين أخذها رجالنا منذ اليوم الاول من هجومنا فقد اوقف ضرب لان منذ ذلك الحين . طلب اسيرٌ من الاعداء من رجال احدى هذه البطاريات ، وهو يجتاز المدينة ، يستسمح زيارة الحيّ الذي ضرب بالقنابل لان مواضع سقوط هذه القنابل كانت تهمه . ما اعظم خشونة هذا القلب تقسه المعارك ، ما اعجب !

اجل ما كان دائمًا للحرب مثل هذا التأثير في القلوب القاتلة ، وحقيق بي ان اقول ، لم يكن لها ايضاً حتى في مقـاتلة اعدائنا . فقد كان يمكن ان نلاقي عندهم قلوبًا رفيقة متى انتهت الوقيمة . ولا اريد ان أسرد الاّ مثلاً واحداً من الامثال التي قصت عليّ . كان ٢١ مارس داخل سان — كنتان ، والمدينة لا تفتأ تحت نيران المدافع الانجليزية الضخمة ، وكان فصائل من الالمـان يجتازون الشوارع

المتهدمة ، واسارى الاعداء العائدون من مكان الوقيعة يحملون الجرحى ملزمون بالوقوف فيلقون احمالهم الى الارض. اذ ذاك رفع جندي الماني مجروحه بلغة وهو مشرف على الموت، ذراعه نحو السماء واشار كانه يبحث عن شيء وتمتم باذن حامله المنحني عليه : « أماه ! أماه ! » فادرك الانجليزي معنى الكلمة الالمانية فاكبَّ على ركبتيه الى جانب الجندي المحتضر وتدلى له يفرك يده وقد بردت وقال : « امك ! أجل امك هنا ! »

وقد شهدت بنفسي على ساح المعارك هذه مشاهد تدمي الحشى. منها أني كنت سائراً يوماً الى جانب قائد الماني على المرتفعات غرب كراون وكان جنودنا قد اخذوها آنفاً فرأيته ينحني على جثث جنود الاعداء الذين سقطوا في حومة الشرف يغطي وجوههم المكشوفة فيكرم بصنيعه هذا جلالَ الموت . لكنه كان يهتم أيضاً بالاعداء الذين لا يزالون في قيد الحياة : فكان يوقظ بنفسه الجرحى وينعشهم وقد وقعوا خائرة قواهم نصباً واعياء ويأمر ان يحملوهم بتحفظ نحو المؤخرة . وكان قد سنحت لي من قبل فرصة لاعرف في هذا الالماني مروءته الكبرى . وفي مارس سنة ١٩١٨ اتفق لي ان أمرّ، وانا الى جانبه في ضواحي سان كنتان ، بصفوف من اسارى الاعداء . فكان يغرق في أفكاره يطيل النظر فيهم ملياً . وما هو الا أن استوقف احد الصفوف وابدى للضباط الاعداء السائرين على رأس الاسارى إعجابه بالبسالة التي ابداها جنودهم ويعزيهم قائلاً لهم ان الذي يأمت في القتال الباسل موداً ويقاومه الجلد قلبا هو في غالب الاحيان يلاقي أسوأ حظ : الا وهو الاسر . وبان ان هذه الكلمات كانت تبعث فيهم أجمل التأثير وقد وقعت احمل موقع من ضابط كبير في كانت مخايل اليأس مرتسمة عليه والى ذلك الحين كان مخفوض الرأس كانه يحسب من العار عليه أن يكون أسيراً فاذا قامته المنحنية قد

انتصبت فوراً مثل شجرة سرو قريبة العهد بالنمو قد انتفضت من الثلج يثقل أغصانها واذا الحافظه الشا كرة تلتقي بلحاظ . . . امبراطوري .

وكنا قد وسّعنا هجوم ميمنتنا نحو الا رب حتى الواز ، رغبةً في توسيع دائرة انتصارنا ، بينما كانت المعارك دائرة الرحى في القلب الذي كان يؤلف نتوءاً حتى المارن . ان الهجمة لم تنجح تمام النجاح وان هجمةً أخرى أخذنا بها من ٩ يونيو ذهاباً ، في ساحة مُنْدِدِيه — نوايون متجهةً وجهة كمبيين لم تبلغ الا منتصف الطريق من هذه المدينة . وان هجماتنا في وجهة فيلر — كوتيره لم تأت بنتيجة هامة . فارغمنا على الاقرار ان امامنا في ناحية كمبين — فيلر — كوتيره أهم مجموع قوات الاعداء واننا لا يسعنا ان نقوى على مقاومتهم من جراء نقصان القوات اللازمة

اني موجزٌ ملاحظاتي على موقعة سواسون — ريمس بقولي : ان المعارك قد ذهبت بنا الى ابعد مما كنا نريد في بدء الحال . فالانتصارات التي ما كنا نتوقعها في هذه الموقعة قد أثارت فينا آمالاً جديدة وأرتنا اغراضاً جديدة . فاذا نحن في اخر الامر لم نستطع بلوغ الغرض الذي توخيناه واشتدناه فاننا سببه الادلي ازدياد الوهن آخذاً من قواتنا المقاتلة ازديادا مضطرداً . وما شئنا ان نقذف في ناحية المارن عدداً من الفرق تفوق ما كنا قد حددناه أولاً لان انظارنا كانت متجهةً دائماً الى فلاندر .

نظرة وبحث

في ما عندنا من القوى في أواخر يونيو

١٩١٨

ان النتائج [illegible] التي قد طلبناها في [illegible] واقعنا الهجومية الثلاث قد فاقت فوقاً عظيماً [illegible] الوجهة الحربية [illegible] لاعمال الحربية الهامة التي [illegible] منذ خريف ١٩١٤ في اثناء المواقع الهجومية . فان [illegible] الاراضي المحتلة ومقادير الغنائم وجسامة الخسائر التي لحقت باعدائنا انما هي بيانٌ جليٌّ عن عظمة انتصاراتنا . قد كنا زعزعنا بنيان مقاومة العدو من قواعد آساسها . وكان جيوشنا حيث اردناهم وحيث كلفناهم التكاليف الجسيمة . ففي غضون هذه المواقع الهجومية التي دامت اسابيع قد أبان الجندي الالماني أن الروح القديم في جيشنا لم يخنقه طول أيام الدفاع الشديدة التي قاساها وأن كلمة « الى الامام » قد لقيت كلّ البسالة والاقدام كسنة ١٩١٤ .

ان نخوة رجالنا [illegible] كانت الآلات تأثيراً عميقاً في قلب العدو فقد صرّح [illegible] من الاعداء لاحد [illegible] اركان حربي [illegible] وأجل الرجالة الذين عندكم ! » [illegible] هؤلاء الرجال قد وجدوا الى جانبهم [illegible] في السلاح اكفياء في [illegible] المتقدمة وفي [illegible] قف القتال . فان عاطفة [illegible] قوية كانت قد أنعشت كلّ جنود [illegible] من آخر سائق لآخر [illegible] الى الجند ذخرة ومؤونة . [illegible] سابقة أقدام جنود [illegible] الى الامام يشتركون ويقاتلون في الوقيعة الكبرى [illegible] الساعة الجالّ ! [illegible] أصوات الفرح [illegible] السرية وصيحات التكبير قد [illegible] اصداؤها . لقد شعرت انا نفسي [illegible] هذه المعتركات أن

قد داخلني من جديد هذا الروح الحماسي فذكرني أيام شبابي في الجندية وقد كرت عليها السنون . جيل انقضى منذ ذلك العهد والقلب البشري وروح الجندي الالماني لم يتحولا ولم يتغيرا في هذا العهد . قدماً جنودنا الفتيان البسل بقمصانهم الخضراء في مضاربهم في كونيجراتز رفي صيدان كانوا قد هللوا وانشدوا مثل جنودنا اليوم بقمصانهم القاتمة إذ كانوا يصيحون وينشدون في خلال المواقع الكبرى التي كانوا يأخذون بها لاجل كيانهم وبلادهم ، لاجل امبراطورهم ، ولاجل الامبراطورية

لكن كل الاعمال الحربية المجيدة التي اتممنا الى اليوم لم تستطع أن تصيب من قوة اعدائنا الحربية السياسية مقتلاً — فما بدا قط منهم أنهم مستعدون ليتنازلوا لنا عن شيء . بل بضد ذلك ظهر أن كل كسرة من كسراتهم الحربية كانت تشدد ارادتهم على تقويض اركاننا . أما ما وقع من حين إلى حين من ارتفاع بعض أصوات من جانبهم تشير بالتؤدة والتساهل فما كان ليغير شعورنا العام . ان السلطان المطلق جملة في حكومات الاعداء ما كان متزعزعاً قط . فانهم كانوا يصدون إرادة شعوبهم وقوتهم عن التفكك والانحلال بيد من حديد وا..م بشكل وحشي ، قل أو زاد ، كانوا يـ..دون أولئك الذين كانوا يجرؤون على التفكير بخلاف ما يفكر رجال الحكومة المستبدون القابضون على أزمة الاحكام .. ان يلحقوا بالغير أضراراً . ان .. رجال الحكومات .. ولا .. له .. شيء شديد التأثير . فقد كانوا يبنون آمالهم على الوهم الآ .. و .. متزايداً وكانوا يصرحون به دائماً لشعوبهم . وعلى رأيهم كان يجب على .. ه القوة ان تهن رويداً رويداً ثم أن تمحى فلا تكون

ان المجاعة داخل بلادنا والحرب القائمة في الميادين ، وسموم النشرات ، ومال الفساد والمنشورات ، وصراع احزابنا السياسية ما كانت لتستطيع حتى اليوم ان

نحققنا . والآن إن عاملا جديداً سيشعرنا بقوتهم : ألا إنه المدد الاميركي . لقد كنا تعرفنا ، في شاوتيري ، بأوّل جنود الولايات المتحدة المدرّبين للقتال . فلما هاجونا في هذه البقعة ظهروا لايزالون غير حذق فيه لكنهم تشايعهم إرادة صادقة قوية . ان كثرتهم العددية قد أنزلت ضرباً من الدهشة في وحداتنا التي فقدت الكثير من رجالها العاملين .

ان تداخل الاميركان في الوقيعة قد حقق ، بعد طول انتظار ، آمالَ الانجليز والفرنسويين التي حلموا بها . أمن الغريب بعد هذا ، أن يكون رجال حكومات الاعداء أبعدَ استعداداً ليعقدوا معنا اتفاقاً ؟ فقد كانوا جزموا من قبل أن يسقطوا قواتنا القومية والاقتصادية ، وإن يكونوا حاولوا إخفاء هذه النية ، مستخدمين عبارات منمقة مصقولة وكلمات لينة دمثة متغالطة . لكنهم ما كانوا يستخدمون اشباه هذه العبارات الا متى امكن ان تنفعهم لاغراضهم التي يرمونْ اليها ، اما ليسهلوا على شعبهم احتمال الضحايا البشرية التي يتقاضونهم او ليضعفوا حمية شعبنا ويكسروا شوكتهم . اذن ما كان يسعنا ان ننظر ، من خلال هذه الشؤون ، نهايةَ الحرب مقبلةً .

في اواسط يونيه كانت الحالة الحربية العمومية في دول التحالف الرباعي قد صارت اسوأ حالاً : فان الهجوم النمسوي على ايطاليا بعد أن كانت تباشيره تؤذن بالآمال الكبيرة ، ادركه الاخفاق . على انه وأن كانت قوات خصومنا ، في هذا الميدان ، غير كافية اتربح لهم ما استطاعوا ربحه من هبوط الهجوم النمسوي فقد كان لهذا الهبوط نتائج احسم خطراً مما كان يحتمل حصوله لو ان حليفتنا لم تقدم على هذا الهجوم . ان سوء بختها قد كان علينا نحن أيضاً شراً . لان العدو كان يعلم علم اليقين ان النمسا ـ المجر بإقدامها على هذا الهجوم ، قد رمت بآخر مواردها في ميزان الحرب . ان السلطة الدانوبية قد بطلت ان تكون من الآن فصاعداً

خطراً على ايطاليا . وكنت أعتبر أن هذه الدولة الاخيرة لن يمكنها بعد الآن أن تتملص من ربقة حليفاتها وضغطها الذي قد تلحُّ به عليها، ولسوف تنقد ليس لتقدم برهاناً على وحدة الميدان السياسي بين الحلفاء بل على ان تلعب دوراً مهماً في المعارك المقبلة، بان تقذف هي أيضاً قوات على ساح القتال في الغرب حيث يجب ان يكون للحرب قولها الفصل . فاذا كنا لانريد ان ندع هذا العبء الجديد ، يثقل اعناقنا وحدنا ، وجب علينا ان نجمع من على الميدان الشرقي فرقاً نمسوية ـ مجرية وكان هذا الباعث الاوّلي الذي من أجله سألنا النمسا ـ المجر ان تمدنا من الآن فصاعداً بأيدٍ مباشرةً على هذا الميدان. لكن ما كان يسعنا ان نتوقع الشيء الكثير من هذا الايد فان حظ الدول الرباعية انما اعتمادُهُ الآن ، اكثر من قبل ، على قوة المانيا .

والمسألة هي ان نعرفُ هل هذه القوة قادرة على تنويلنا النصر النهائي ؟ أما وقد قدمت الكلام عن الفعال الباهرة التي أتيها جنودنا فاني،رداً على هذا السؤال أقف عند أعتبارات أخر اهمّ واعظم :

على الرغم من كل ا ب وكل عرفان الجميل اللذين لجنودنا قبلنا، ما كان يحقُّ لنا ان نغمض عيوننا عن مواطن الضعف التي سببها طول الحرب في قواتنا الحربي . ان نقصان الوحدات المرؤوسة المنشأة منذ عهد بعيد قد ظهر اثره ظهوراً كثيراً في أثناء مواقعنا الهجومية ، وقد زعزع نظام القتال جداً في اماكن ... ان نرى جنودنا ، وقد صارت مستدعات الاعداء المكدسة بالاقوات التي استولوا عليها فيد أيديهم ، ينصرفون الى الانتفاع بالمآكل والملاهي التي كانوا قد حرموها منذ امد طويل . لقد كان يجب ان يصدوهم عن الاسترسال الى هذه الملاهي استرسال سوء . وما كان يجب التساهل حتى لينسوا واجبهم في تلك الساعة . واذا صرفنا الطرف عن عوامل الفساد التي ينتجها مثل هذا المسلك في نفوس جيشنا فقد كنا

معرّضين ، بسبب نقصان هذا النظام ، لِأن نضيع في القتال فرصاً سانحة لخيرنا .
واذا تجددت الحال نرى هذه الفرص تعود علينا بالشر الوبيل .

أن معارك الربيع كانت قد احدثت في صفوفنا خسائر جليلة تعذر علينا الاستعاضة منه . فهناك آلاياتٌ عديدة من الرجال لزم أن نعيد تعبئتها كلها . ومعظم الرجال الجدد الذين استخدموا في هذا الشأن لم يكن لهم ما كان لسلفائهم من القيمة الادبيه وإن ضعف حالتنا الداخلية كان ينعكس غالباً على نفسانية الامداد الجديدة فيضعفها .

الحق ان انتصاراتنا الحربية كانت قد شدّدت نفسانية شعبنا تشديداً عظيماً فكان ينتظر ، وهو قلق البال ، الاخبار الواردة من ميدان القتال ويرجوان ينتهي هذا النضال المنصب الشاق قريباً نهايةً لنا فيها صلاح . وكان يشعر بانه لم يحتمل الجوع عبثاً وان خسائره ووساوسه لم تذهب باطلاً وكان مستعداً لينسى كثيراً من الويلات والشدائد ويقاسي آلاماً جديدة بصدق نفس وعزيمة على شرط ان يضع الظفر ، في مستقبل قريب ، حداً للصبر العجيب الذي قد برهن عليه حتى الساعة . اذن إن انتصارات حيوشنا كانت تعوض من اغلاط سياستنا الكثيرة تبيئاً كثيراً من الوجهة الادبيه . لكن كان في الشعب الالماني بعض اناس مجردين من الوطنية قد أشبعوا من الانانية الممقوتة عدوهم بعض اميال سياسية مؤذية وبيا فعهم اختلال في اعصابهم ، وفساد في حسهم الادبي الى أن لا يروا سلامَ وطننا وغبطته الاّ في انتصار اعدائنا . وهم مندفعون الى أن لا يبحثوا ولا يجدوا الخير الاّ عند اعدائنا والشر عندنا . والحق قال اذ يظهر ان ترتسكي لم يتكلم عبثاً في برست ليتفسك ! فان نظرياته السياسة الخرقاء قد اجتازت حدودنا ووجدت لها ، لاشد الاسباب تبايناً ، أتباعاً في كل طبقات شعبنا وكان العدو ينشر مبادئه هذه سراً وجهاً فاذا بتأثيرٌ متفشٍ ت الدرجات في حياتنا الوطنية القومية

وهكذا بتنا نخشى ان يتحد ضعف شعبنا وضعف جيشنا فيكون علة في دمارنا بدلاً من ان يكون ارادة صادقة لدمار اعدائنا . فلم يكن من دواء لهذه الحالة المحزنة الا انتصاراتنا الحربية. وقد وطنت العزيمة الصادقة، وفي أمل أكيد ، الى الوصول الى صلح صالح لنا اذا ظفرنا بانتصارات جديدة — لكن الشرط الجوهري لهذه الانتصارات هو ان لا نحول الطرف عما بدأنا من الاعمال اعني ان نواصل هجومنا. فاذا سقطت المطرقة من ايدينا أسرع العدو الى اخذها ليضربنا بها

ما كان يمكننا ان نبقى ظافرين الا اذا ظلت الداخلية تقدم لنا القوات المادية والادبية التي لا تزال موفورة لديها، واذا لم يداخلها الجبن، واذا حاولت على الوثوق بنصرنا النهائي واخيراً اذا ظل حلفاؤنا يناضلون الى جوانبنا .

تلك كانت افكاري وعواطفي عند ما عكفت على العمل لمواصلة القيام بالخطة العمومية التي سرنا بموجبها حتى الآن .

هجومنا يحبط !

خطة موقعة ريمس

موقفنا في نتوء المارن في اواخر معارك يونيو كان يبدو انه عملٌ ناقصٌ لا كمال فيه . فما كان يسعنا ان نفكر في المقام به طويلا ونحن على ما نحن . ان تموين نصف هذه الدائرة الرحبية انما كان يتمّ في احوال صعبة وما هو الا على قدر الكفاية في إبان السكينة النسبية لكنه كان يخشى ان يصير موفور العقبات اذا نشبت موقعة طويلة الاجل . وانا لكي نمون جموع الجيوش الكثيفة المتألبة في هذه البقعة المنحصرة بالنسبة ، ما كان لدينا ، كخط اولي للتموين ، الا خط حديديٌّ واحد وهو ضعيف المصادر والموارد زد على ذلك أن هيأة النتوء في ميداننا كانت تطمع العدو في الاغارة علينا من كل جانب

وما كان يسعنا ان نحسن اسباب تموينا وموقعنا الدفاعي الا باستيلائنا على ريمس . وما توفقنا ان نضع يدنا على هذه المدينة في خلال مواقع مايو ويونيو . في ذلك الحين قد وجهنا معظم جهدنا وجهة الغرب خصوصاً فنتج من ذلك أن أخذ ريمس يجب الآن ان يكون موضوع عمل حربي خاص . لكن المعركة التي يتطلبها هذا العمل قد كانت داخلة في نطاق خطتنا العمومية

قد تبدت آنفاً فبهتُ الى انه في نهاية موقعة لا ليس كنا قد عزمنا على ان نضرب الانجليز في فلاندر ضربة حديدة قاضية . وكان ينبغي ان يكون هجومنا في سواسون في هذه الغاية لاننا كنا نحسبُ ان الهجوم يلجىء قيادة الاعداء العليا الى ان تستقدم من فلاندر الفرق الفرنسوية التي كانت تنجد الجيش الانجليزي

وفي هذه الاثناء واظبنا على إعداد معداتنا بقصد الاخذ بهجوم جديد في

فلاندر . فان الفرق المرصدة للاشتراك في هذه الموقعة قد ارسلت الى بلجيكا وشمال فرنسا لتستريح وتتمرن في حين كانوا يتمون الاعمال الضرورية على ساح الهجوم المقبلة.

وما كنت اخشى ، في الحال ، من نحو الانكليز حملة منهم حتى فضلا عن ان الشطر الاكبر من الجيش الانجليزي قد انفسح له مجال واسع ، منذ أشهر ، ليستعيد قوته المحاربة التي نزت هرة عنيفة ، كبيرا ، بالنظر الى الموقع الاصلية التي كنا نحتل في فلاندر ، ما كان منتظراً ان يبدأ الانكليز بهجوم

واعتماداً على الاختبارات السابقة كنت آمل أننا نقضي على مجموع القوات الانجليزية في فلاندر بشرط أن نتوفق الى إبعاد الفرنسويين نهائياً من ساحة القتال هذه . إذن ان العود الى هجماتنا في ناحية ريمس قد كان ينفعنا في غرضنا الاساسي البعيد الا وهو القتال الحاسم الذي كنا نرغب في الاخذ به ضد مجموع الجيش الانجليزي .

في اوائل يوليو كانت الحالة في الميدان الفرنسوي على النحو الآتي : كان مجموع احتياطي الجنرال فوش في منطقة كمبن — فيلر — كوتيره . وانا مع في هذه البقعة في موقف هجومي ملائم جداً وكانوا مستعدين ، من جهة ، ان يصدّونا عن مواصلة هجماتنا على المدينتين اللتين ذكرتهما آنفاً . ومن جهة اخرى ان ينتقلوا باعظم سرعة الى أية نقطة من الميدان الفرنسوي — الانكليزي بفضل كثرة الخطوط الحديدية الفرنسوية . وكان يظهر لي بعيد التصديق أن يُقدم الجنرال فوش على هجوم عظيم قبل أن تصل القوات الاميركية المهمة ما لم يكن قد عمد اليه مدفوعاً بظروف كثيرة الملاءمة أو كثيرة المراءة

وجنوب المارن ما كانت قوات الاعداء عظيمة جداً على ما يظهر . غير أنه في ريمس وفي الارضين الجبلية الواقعة الى جنوب هذه المدينة كان مجموع قوات ذات

شأن قوائمه ، ما خلا الجنود الفرنسويين ، وحدات الجلمزية وايطالية . وأما على سائر اجزاء الميدان الفرنسوي فيمكن القول ان الحالة لم يطرأ عليها تغيير منذ هجماتنا في الربيع . واستبدال الجنود والفرق الخارجة من المعركة منهوكة القوى ، كان ليأتي بتغيير جوهري في موقفهم

ونحن ما كنا توصلنا الى أن نعلم علم اليقين بوصول قوات الاميركية وعددها لكن كان على ألسن العموم أن جنودهم تتدفق على البر الفرنسوي . وكانت غواصاتنا الآن أضعف من ان تمنع او أن تعرقل نقل هؤلاء الجنود كما كانت معينة من قبل عن تقليل محمول بواخر الاعداء فتنقص مشحوناتها . اما فرنسا وانكلترا فبالنظر الى الضرورة القصوى التي وقفتا فيها انتجدا جيوشهما بالامداد الحربية السريعة المهمة ، تدلتا عن ضمان تموين شعوبهما بالاقوات والحاجات الضرورية فلزمنا أن نحاول الانتفاع لتحسين حالنا من هذه الحالة . فاذا وجب أن نوافق الهجمة التي نويناها في ناحية ريمس هجومنا في فلاندر لزمنا ان نحدد سبيلاً نريد أن نطلق فيه هذه الهجمة . فرأينا في بدء الامر ان نكتفي بالاستيلاء على ريمس . لكن كان من الضروري لكي نتمكن من أخذ هذه المدينة ان نتسلط على البقعة الجبلية الوعرة الممتدة من ريمس الى ابرني . فاذن يجب ان نوجه قوة هجمتنا في هذه الناحية . وتسهيلاً لتقدمنا في جبل ريمس اعني لكي نصد العدو عن مضايقتنا في خاصرتنا على الشط الجنوبي من المارن اصدرنا الامر الى قوات مهمة ان تثبت أقدامها على الشط الجنوبي من النهر حوالي دروان ثم تزحف بعد ذلك في جهة ايبرني . اجل أن نعبر المارن أمام عدو واقف لنا بالمرصاد ، ان هذا العمل كثير المراهنة ، وانما اعتماداً على اختباراتنا العديدة التي كنا اختبرناها في أثناء عبور الانهر والجداول مراراً عديدة اتفقنا ، مع ذلك ، على ان هذا العمل لم يكن جليل الخطر . والصعوبة الكبرى ما كانت في عبور المارن لكن في مواصلة القتال فيما وراءه . لان

تمدم مدفعيتنا وتموين جنودنا الهاجمة بالارزاق وعتاد القتال ما كان يمكن أن يتما الا على جسور حربية . وهذه الجسور تصير بلا شك أغراضاً مهمة لمدفعية الاعداء وطياراتهم . وان هجمتنا التي يجب ان يكون حدُّها أخذَ ريمس قد توسعت نحو الشرق حتى الى وسط شمبانيا . وفي أثناء عدة اجتماعات تداولنا فيها الآراء فكانت اسبابُ هذا التوسع ، من جهة ، الرغبةَ في مهاجمة ريمس من الجنوب الشرقي، ومن جهة اخرى ، الاختبارات التي كنا اقتبسناها من قبل والتي كانت توسع لنا الآمال بامكان التقدم في هجومنا حتى شالون — سور — مارن : فقد خابت الباُبنا بتصورنا أننا نأخذ من الاسارى عدداً كبيراً ومن سَلَب الحرب مقادير عظيمة. لكننا نحن نخشى في كل حال ، اذا أردنا توسيع ساحة الهجوم ، من خطر إضعاف قوتنا الهاجمة على النقط الفاصلة .

ومن الطبيعي أنه كان لنا فائدة كبرى في تعجيل أعمالنا الحربية الجديدة لانه ، بناء على وصول الامداد الاميركية ، ما كان الوقت يعمل لنا بل علينا . أما أن ننصب ميزاناً عدْلاً بين ضرورة إعداد هجومنا وبين مقتضيات الحالة العمومية فإنَّ ذلك أمر منوط خصيصاً بهيأة أركان الحرب العامة وهو في الحقيقة من أدقّ الامور التي يُقطع فيها رأياً واصعبها .

فاذا صرفنا الطرف ، مثلاً ، عن المعدات الفنية المحضة من نقل كل وسائل القتال ووضعها في مواضعها فما كان يجب ان يعزب عن بالنا ، مهما أحوجتنا الحالة والحث، المقدماتُ الكثيرة التي تعترض القيادة المرؤوسة بعد كل معركة لتعيد تنظيم وحداتها بقصد معارك جديدة . ان هذه الاعتبارات الجأتنا الى ان نؤجل الى ١٥ يونيو البدء بموقعة ريمس

موقعة ريمس

منذ فجر يوم ١٥ يونيو بدأت مدافعنا ، وهي معدودة بالالوف ، تقصف على ميدان هجومنا الجديد . ونشطت في نفس الوقت شواطىء المارن من جانبنا اما من جانب العدو فليست مدافعه ناشطةً في بدء الحال لكنها أخذت تشتدُّ وتنشط شيئاً فشيئاً وما كنا لحظنا من علامة تدلُّ على تقوية خطوطه ولا قامَ بشيء يسترعي البصر . توفق رجالتنا أن يَطأُوا باقدامهم الشط الجنوبي من المارن وتسلَّطوا على أماكن مدافع المترااليوز وتسلقوا المرتفعَات وأستولوا على المدافع . وقد انتهت هذه المعلومات الينا باكراً جداً ونحن في أفين فكان لنا فيها هزة فرح وارتياح ومكنت فينا الآمال .

ونتبت الموقعة أيضاً في نصف الدائرة الرحيبة المحيطة بريمس ولكنها لم تتناول المدينة وظواهرها القريبة الا أن النتوء الناشىء من المدينة يجب أن يُزال بهجمتين قمنا بهما من الجوانب . وعلى ساحة شمبانيا حتى الى ظواهر الارجون تهدَّم خطُّ دفاع الاعداء الاول بنار مدافعنا ومدّمرات الخنادق . لكن وراء خطوط الاعداء الاولى لا تزال قائمةً منشآتٌ من الخنادق متداخلة كانت قد بُنيت في غضون المواقع السابقة . فما من أحد يسعه أن يعرف هل هذه الخنادق يحتلها العدوُّ كلها أوْلا ؟ . وإذا كانت غير محتلة فايةٌ هي الاجزاء التي يكتفي من الثبات فيها ؟ وعلى كل حال فقد كان له نقطٌ عديدة يرتكز اليها وما هو في حاجة الى ان يقوم بأعمال خصوصية ليصلح هذه النقط ولا ليشيد خطاً دفاعياً جديداً يضاف الى المنشآت القديمة . ومن جهة أخرى بنتج من أول وهلة أن العدو لم يُعِدّ له في شمبانيا عدة ما الدفاع على ما يظهر . فمدفعيته لا تقابل نيراننا بقوة ويبدو أنها متفرقة تباعدة طولاً وعمقاً .

إن مدفعيتنا بعد ان جمعت كل قوة نيرانها على خط دفاع العدوّ الاول ، كما

فعلت في الهجمات السابقة ، اطاقت حاجزها المتدحرج ، كأنه العاصفة الجارفة ، فخربت كل منشآت العدو وتأثره رجالتنا على كل ميدان الهجوم فاخذوا أول خط دفاع للعدو ولما يلاقوا مقاومة ويريدون ان يواصلوا اذا ذاك الهجوم لكن لما تعدى حاجزنا المتدحرج الاغراضَ البعيدة التي يستطيع ان يدركها ليدفعها الى رجالتنا اذا العدو قد ثبت لنا فوراً ونحن لا نتوقع منه مقاومة اشد صلابة . واذا نيران مدافع العدو قد ذكت وانهمرت نيران جنودنا أبو الا التقدم لكن حاولوا عبثاً : واستدعى رجالتنا بطارياتهم فوصلت مدفعاً بعد مدفع يجذبها رجالنا باكفهم لان معظم الخيول ما كانت تستطيع سيراً في ارض الغابات والخنادق ! وما تكاد المدافع تجتمع لتؤلف بطارية حتى تسحقها مدفعية العدو . فظاهرٌ أن العدو قد صان مقاومته العظيمة الى خطه الثاني . اما نيراننا ، نهم بها الهجوم وهي أفعل ما تكون ، فقد ذهبت هباء . ان العدو قد امر واستعمل اسلوباً جديداً في الدفاع ليتخلص من شر مدافعنا الكثير : وقد استطاع ذلك ، كما اعلم ... مما يعد على رؤوس الملا ، بخيانة بعض الجنود الالمان .

وفي شمبانيا بقيت حالتنا سحابة اليوم الاول من المعركة لا تغيرٌ فيها حتى المساء .

وقد صلح لنا سير المعركة جنوب ريمس الغربي وعلى ... فالى جنوب النهر تقدم رجالتنا نحو مسيرة ميل وهم ... في جهة ... و السهرة طاف جندنا وهم يصلون الاعداء قتالاً مستحراً ، ثلث المسافة التي تفصلهم عن هذه المدينة . وتقدم هجومنا ايضاً شمال النهر . ان جبل ريمس اشبه شيء بسفوح شمان — دتي —دام عزيزٌ مناله بانجاده واغواره وقلله المستديرة وقد غطى الشجر شطرها الاكبر يشرف على هذه الناحية . وهذا الموقع كله صالحٌ حداً للدفاع مهما عظم الهجوم لانه عسرٌ جداً على المهاجم ان يجمع نيران مدافعه على

اغراض معينة تماماً الاّ ان رجالتنا يتقدمون وقد وقفوا ، لاول مرة ، في الميدان الغربي امام جنود ايطاليين رهم لا يحاربون كما يظهر ، على الميدان الفرنسوي الا بشيء من حماسة .

وفي مساء ١٥ يوليو اخذنا على جميع الميدان نحواً من خمسين مدفعاً و١٤٠٠٠ اسير فاذا النتيجة لا تشبع آمالنا الكبيرة غير اننا نتوقع الزيادة في اليوم الثاني من لوقيعة .

وانقضى صباح ١٦ يوليو في سمبانيا ولما يسع جهودنا على كل ساحة القتال ان يتقدموا تقدماً محسوساً . فاذا نحن في هذه الناحية امام هذا البرهان ذي الحدين الخطير : ترك القتال او محاولة نيل القول الفصل على الرغم من قلة معداتنا للهجوم ! ونحن مستهدفون إما أن نرى اجنادنا ينالها الاعياء لغير جدوى وإما ، اذا ابتسم لنا النصر ، ان نراهم وقد حلت بهم خسائر فادحة فلا يكونون في حالة تمكنهم من اجتناء ثمرة النصر الذي يكونون قد طالوه حتى الغاية. فيصبح الاستيلاء على شالون وهو غرضنا النهائي ، متكوكاً فيه وبعيد المنال . ولهذه الاسباب وافقت على الامر الصادر الى جنودنا في شمبانيا بوجب عليهم ان ينقلبوا الى الدفاع . غير أننا نواصل هجماتنا جنوب الذار وعلى جبل ريمس . لكننا في خلال النهار اضطررنا ان ننقلب سيئاً فشيئاً الى الدفاع جنوب النهر ويكرّ علينا العدوّ بقوات هامة . لكننا ما زلنا رغم ذلك نربح في الارضين على ضفتي المارن في وجهة إيبرني. وفي المساء كان اجندنا في منتصف الطريق من هذه المدينة التي لا تزال تبعد مسيرة عشرة كيلو مترات . وعلى جبل ريمس اخذنا ندنو رويداً رويداً من طريق إيبرني ـ ريمس على الرغم من كرات العدو عليه كانت عنيفة، وظهر كأن حظ ريمس معلق بخيط . غير انه ، وأن جاز لنا ان نعتبر من الآن ان سائر عملنا الحربي قد ناله الاخفاق بحسب علينا ، على الاقل ، ان نأخذ ريمس فان المدينة انما هي لنا غرضٌ حربيٌّ

جليل الشأن حقيق بنا ان نبذل في سبيله المهج . ولعل الاستيلاء عليه لا ينفصم بدون ان يحدث تأثيراً عظيماً في قلوب اعدائنا .

في ١٧ يوليو سكنت الوقيعة في شمبانيا وأخذت الحالة تسوء علينا شيئاً فشيئاً جنوب المارن وقد ثبتنا على كرات العدو العنيفة لصون الارضين التي ربحنا. لكن عدة دفاعنا كانت كثيرة القرب من النهر وقليلاً ظهيرها حتى أن انكساراً حقيراً ينالنا يمكن ان يستحيل نكبة سوداء . زد على هذا أن الجسور التي كنا أقمناها على المارن اصبحت كثيرة التعرض لنيران مدافع العدو وقذائف الطيارين الفرنسويين . إذن يجب علينا أن نرتد نحو الشمال إذ لا يسعنا ان نتقدم نحو الجنوب ومهما يكن عليّ هذا القرار ثقيلاً فقد أصدرت الامر بان يرجع جنودنا الى ضفة النهر الشمالية . وإذا الرجوع يتم في ليل ٢٠ الى ٢١

وفي جبل ريمس حمل علينا العدو في ١٧ يوليو حملات شعوا فرددناها . ونحن أيضاً ينبغي لنا الآن ان نعود عن تقدمنا ولكي نستطيع اليه سبيلاً ينبغي أن نعود الى ما اعتدنا من التمهيد بالمدفعيه

من جميع الاغراض التي رمينا الى نيلها لم ننل شيئاً كبيراً على ما يظهر — وبدا عملنا الحربي قد أخفق ولم يأتنا بكسب محسوس في الميدان الفرنسوي. لكن لا ينتج من ذلك ان الربح الذي كان يسعنا ان نربحه منه هجومنا في فلاندر قد ضاع وامحى فاذا نحن نلنا على الاقل من جميع الاغراض التي رمنا اليها الغرض الذي قصدنا من إقصاء الجنود الفرنسويين من الميدان الانجليزي إذن لا تكون موقعة ريمس قد وقعت عبثاً

تلك كانت افكارنا واراؤنا عند ما مضى الجنرال لودندرف مساء ١٧ يوليو الى مركز اركان حرب مجموع جيوش روبرخت وليّ عهد بافاريا يفاوضه ماياً في يوم إطلاق هجومنا من عقاله على جناح جيش الانجليز الشمالي

وكان بين الشروط الجوهرية لهجومنا على ريمس شرط هو ان نثبت في الواجهة الغربية من نتوء المارن الواقعة بين سواسون وشاتو—تياري ثباتاً متيناً فيما لو هاجم العدو . لانه كان علينا أن نتوقع أن يحدث هجومنا رداً فعلٍ من نحو القوات الفرنسوية المتجمعة في ناحية كبيين—فيلر— كوتيره . فاذا كان الجنرال فوش في حالة تمكنه من اتخاذ موقف اشد نشاطاً . ولو قليلاً ، كان يجب عليه ان يخرج عن موقف السكون الذي لزمه الى الساعة منذ اطلقنا هجماتنا من عقلتها على المارن وفي وجهة ريمس . قد قلت سابقاً إن القائد الفرنسي كان قد اطلع على خططنا وانفسح له الزمان ليتأهب لها

ان المهمة التي أُلقيت على عواتق جنودنا لحمايتنا ما بين الانين والمارن اذا جاءتهم من ناحية فيلر— كوتيره هجمةٌ من الفرنساويين ، كانت كثيرة الحرج . وعليه فقد ارصدنا وراء الجنود المكلفة الدفاع عن موقعنا الاول فرقاً منجدة . وكنا قد حسبنا أنه يسعنا ان نقوم بهجمتنا الكبرى على ريمس بطمأنينة بال . أجل ان جميع الجند القائم ما بين سواسون وشاتو—تياري ما كان حديث العهد بالقتال لكنه كان قد أبلى البلاء الحسن في المعارك السالفة حتى حسبته أهلاً للقيام بالمهمة التي عُهدت اليه وهي دفاعية محضة . وكان الامر الجوهري ، على ما أرى ، أن لا يعزب عن بال من وُكل اليهم الدفاع عن هذا الميدان امكان وقوع هجمة عليهم قوية من الاعداء أما أن يُعرف هل وقع إهمالٌ من هذا القبيل على ميدان . انين — شاتوتياري فهو أمرٌ ربما يظلُّ الى الابد موضوع خلاف بين الكتبة والمؤرخين . ما أنا ، استناداً الى التعليمات التي أنتهت اليَّ فيما بعد ، فأظن ان الجند الذين كانوا في هذا الميدان قد تراخوا ، في بعض المواضع ، وتناسوا فداحة الخطر الذي كان يهددهم وذلك نظراً الى صلاح الحال الذي رافق هجومنا في المارن وريمس في الفرجة الواقعة بين ١٥ و١٨ يوليو

في أثناء هذه الايام سمع الجنود القائمون على ميدان سواسون — شاتو تياري ضرب مدافعنا في الهجوم واطلعوا على الفوز البدائي المملوء آمالاً طيبة الذي نلناه جنوب المارن . وكما يقع ذلك غالباً أن أخباراً مجسمة عن الانتصارات التي فزنا بها قد أذيعت اليهم ولما تراهت . فتحدثوا عن أخذ ريمس وعن نصر مبين في شمبانيا . لكن السكينة تبعث الثقة في نفس الرجل المحنك ذي الخبرة والمراس لكنها ، لمن لا يدرك الحالة حق الادراك بل هو منقاد الى عواطفه وانفعالاته ، انما هي سكينة تدعو الى الانزعاج راعماً بينة . في ١٥ يوليو أخذوا يعيرون الاستكتشافات التي حدثت في وجهة ... — كوتيره اهتماماً عظيماً لكنهم في ١٧ يوليو انصرفوا عن أهميتها . وان الاستعلامات التي كانت ترسل فوراً بالتلفون في كل وجهة في بدء هجومنا قد توقفت في اليوم الثالث من الوقيعة في بعض المراكز المتوسطة . فان الشعور بالخطر الممكن الوقوع قد خفّ نوعاً وضعفت حمية الجنود وحماستهم التي رافقتهم في بدء الهجوم

وفي صبح ١٨ يوليو أرسل قسمٌ من الوحدات المقاتلة التي لم تكلّف حراسة مواقع الى الحقول ليقوموا باعمال الحصاد واذا مطرٌ من قنابل قد انقضَّ بغتةً على تلك البقعة . أيكون ذا ضرب خديعة من مدفعية العدو ؟ وان مدفعيتنا لم تجب الا بقليل شدة نيرانها ولعلها لم تفعل لأن ضباباً كثيفاً يغطي جميع البقعة . لكن قد سمع المترلسون بما يُسمع دويه على كل خطوط الميدان بظهر خلاف ما توهم من ضرب خديعة وقبل أن نتأكد تماماً مما يجرى نفذت حركات الهجوم التي للاعداء في السهول المرتفعة المرووسة حنطةً . ان العدوّ قد اتخذ خطة الهجوم الحاسم على طول الميدان ما بين لاين والمارن وقد ثقر في بعض النقط خطوطنا المتقدمة . والميدان الواقع بين سواسون وأورك يظهر انه مهدد جدّ التهديد بخطر داهم وبينا فلول جندنا في الخط الاول ، وقد تبعثروا وتفرقوا ، ينازلون العدو مستميتين في

مواقفنا الاولى اذا الأمداد الواقفة الى الوراء يجهدون في تنضيم قوة تجابه العدو وتثبت له حتى تتمكن فرقُ الخط الثاني من الاخذ بكرة عليه . لقد أتى جندنا في هذا الموقف اعمالاً جليلة غراء : في بعض مواقفنا التي سقطت رويداً في أيدي الاعداء لقي جندنا المتجول بعضَ مخابىء المترايوز الالمانية قد سقط رجالها وحولهم صفوفٌ مرصوصة من جثث قتلى الاعداء . لكن ما كانت هذه البسالة لتعيد علينا الحال كما كانت بل انها وقتنا شر الدمار الوبيل . فلقد تقدم العدو وتوغل بين خطوطنا ولا سيما في ناحية سواسون وفيما وليها نوأ الى الجنوب في شدة كان تأثيراً فيناه عنيتُ المكان الذي تتصل فيه الواحة الغربية من نتوءات في المان مع ميدان الاين . لكن بفضل هذا التقدم استطاع العدو أيضاً أن يشعر بوطأته على سائر خطنا الدفاعي حتى شاتو — تييري . واجلٌ من هذا خطراً علينا ان العدو يهدد الخط الحديدي الوحيد الداخل الى نتوء المان وذلك في الموضع لدى ، اذا ترك وادي الاين شرقَ سواسون ، تحوّل نحوَ الجنوب ليدخل في القسم الاوسط من نصف الدائرة الرحيبة التي يتألف منها ميدان قتالنا

ثم ان موقفنا ما كان الا ليبعث في نفوسنا القلق منذ الساعة الاولى فهو مهدد بان يتحول نكبةً سوداء اذ نحن لا نتمكن من ارجاعه الى ما كان عليه قبل هجوم العدوّ او على الاقل الى ان نبقيه موقتاً في حالته الحاضرة . فلو أني لم اصغ الا الى رغائبي ومقاصدي الشخصية لما جت من الناصرة ذهاباً من الشمال فعبر الاين قريب سواسون في الجيب الذي كان العدوُّ قد فتحه في خطوطنا ونسحقُ الجند الواقفين فيه لكن كان لابد من الزمن الطويل لحشد القوات اللازمة لهذا العمل ولزمني ان اعمل بالاعتبارات المنافية التي كانت تقضي ان نحمي ، في بدء الحال الاجزاء المهاجمة من ميداننا ، من الخطر . اذن قد أقحم كل جنودنا المبأين لهذا الغرض حتى يتاح لنا ان نستردّ كل حرية في تقرير حركاتنا. لكن من بواعث

الاسف أن هذه الوسيلة لم تمكننا من إقصاء كل خطر يؤذن بأزمة شديدة لكنها أخرته الى حين ودخل العدوّ خطوطنا من نقط أخر وتفاقمت الحالة خطراً في نتوء المارن.

ماذا يفيدنا ان نرى جنوب الأورك هجمات العدو ينالها الإخفاقُ التام ولا سيما ان نرى قريب شاتو ـ تياري هجمات الاميركيين ، وهي هجمات قوية لكنما يقوم بها جندٌ غيرُ مدرّبين ، تخمد امام خطوطنا القليل حماتُها ؟ اننا لا نقدر ولا ينبغي ان ندع الحالة تطول على هذا المنوال المنقلب : تلك ادن جراءة حمقاء . ولاجل ذلك ثنينا ميسرتنا من شاتو تياري ولويناها نحو الشرق بضعة كيلو مترات ونحن لا نزال نستند الى المارن .

عملا بالقرار الذي قطعناه في ١٧ يوليو كنا قد اخلينا ضفة المارن الجنوبية في وقت ملائم بعد قتال شاق . ان البلاء الحسن يبليه جنودنا الذين صدوا جميع الهجمات الفرنسوية ، قد اتاح لنا ان نتغلب في هذه الناحية على الازمة الخطرة التي كنا نجتازها . وتمت حركة التوائنا بافضل مما كنا نتوقع وما هو الا في ٢١ يوليو أن اندفع العدوّ يهاجم مواقفنا الخالية بعد ان مهدّ لها تمهيداً عظيماً بالمدفعية وليته مركبات الهجوم ثم الجند قوافل قوافل كثيفة وشهدت جيوشنا هذا المشهد من على ضفة المارن الشمالية .

ان النيران التي يوجهها العدو من كل صوب الى نتوء المارن امسى ما انفكّ بارزاً صعّبت كثيراً على قيادتنا [illegible] [illegible] . [illegible] مدفعية [illegible] [illegible] . كانت الحديدية الوحيدة [illegible] [illegible] تقطعها كثيراً عيث سرق سواسون . [illegible] بها طيارات العدوّ ليل نهار ولا [illegible] [illegible] [illegible] فاذا نحن مضطرون الى ان ننزل أمدادنا الى خارج نتوء المارن و [illegible] حتى الى [illegible] . ولما [illegible] الى ميدان القتال ارغم رجالنا على ان يسيروا [illegible] شاقاً مسافة ايام واتفق مراراً أنهم وصلوا في الوقت اللازم ليحلوا محل رفاقهم المنهوكين على ميداننا المتداعي للسقوط

هذه الحال لا يمكن ولا يجب ان تدوم طويلاً فان الوقيعة تهدد باستنفاد جميع قوانا فعلينا ان نجلو عن نتوء المارن ونبتعد عن النهر . ذلك امرٌ مؤلم ليس من الوجهة الحربية لكن من وجهة عواطفنا العسكرية . ما اعظم ما يكون فخار اعدائنا اذا جاء اسم المارن ، للمرة الثانية ، مطابقاً لانقلاب الآلة الحربية ! فكم تتنفس باريس الصعداء وكم تتنفس فرنسا جمعاء ! وما يكون التأثير الذي يمسه هذا النبأ في العالم بأسره ! ألا فليفكروا في الالحاظ العديدة وفي القلوب الكثيرة التي ترقبنا بحسد وبغض وامل !

اما الآن فانما الكلام للوجهة الحربية واما متطلباتها فبسيطة بدِيَّة : الخروج من هذا المأزق . فما من علة توجب علينا اتخاذ وسائل معجلة جداً . اجل ان الجنرال فوش يقذف علينا جميع قواته ويهاجمنا من كل صوب لكن جيوشه لا يتوفقون الا نادراً الى التوغل في اختراق خطوطنا ونحن يسعنا ان نتراجع عن الاردين خطوة خطوة ونصون عتادنا الحربي الثمين الغالي . ويسعنا ان نقيم بنظام في خط الدفاع الجديد الذي تهيئه لنا الطبيعة وراء مقطع الاوين والفل . لقد انتهت حركة ارتدادنا في اوائل ايام اغسطس . وكانت مأثرة غراء في تدبير هذه الخطة وفي تنفيذها .

وكنا قد جلونا عن نتوء المارن ليس لان اعداءنا ردونا عنه بحد السيف بل لان الوقوف اصبح فيه مستصعباً بسبب ما نال جندنا المقاتلين في ثلاث وجهات من مشاق التواصل مع المؤخرة وكان الجنرال فوش قد ادرك هذه المشاق اتم ادراك ووضع نصب عينيه غرضاً عظيماً سامياً وتأثره غير ان سلوك جندنا الباهر لم يتح له ان يحققه تحقيقاً . ولما انقضت الوهلة الاولى قاتل جندنا قتالاً شريفاً فلقد أتوا من جليل الفعال كل ما يسع بشراً إتيانهُ فنتج من ذلك ان رجالتنا خرجوا من هذا المشتجر لا يحسون انهم قهروا . فقد كانوا على علم باقدارهم الشخصية وبهامعتزين .

وهذا الشعور معزوّ بشطرٍ منه الى ما لحظوا من ان اعداءهم باؤوا في غالب الاحيان بالخذلان في هجماتهم عند ما كان ينقصهم المددُ المادي والمددُ الادبي تفرّه لهم مركبات الهجوم . ومتى حُرِم اعداؤنا المركبات يستخدمونها قذفوا علينا باغمارٍ سوداء هي اغمار الجنود الافريقية. ويلٌ لنا اذا ولج هؤلاء الجند خطوطنا ! فكانوا يذبحون جنودنا العزّل او ما هو اشنع واقبح من ذلك يكبدونهم آلام الاستشهاد .

ان البشرية المشمئزة لتشكو ليس هؤلاء الحبوش السود الذين احترموا هذه المحارم والمظالم بل اولئك الذين استقوا الى ارض اوروبا اشباه هؤلاء المصائب واقحموهم في حرب دار فيها القتال لاجل الشرف والحرية والحقّ. هؤلاء السود قد اقتيدوا الى المذبحة الوفاً الوفاً .

انجليزٌ واميركيون وفرنسويون وايطاليون كان يسعهم ان ينقضّوا على رجالتنا بجميع جيوشهم المساعدة، ومتى اقتحموا المعركة رجلاً على رجل كان جندنا يشعر ويبرهن على انه لم يكن له من نظير في حومة الوغى. ثم ان جيوشنا كانوا قد تغلبوا ايضاً على عاطفة الضعف الشخصي الذي شعروا به اذ رأوا مركبات الاعداء . ان رجالتنا تؤيدهم مدفعيتنا كلّ التأييد حاولوا غير مرة اعدام اجسمها طراً ، ادعاها الى الجرأة، ليتملصوا من هذه الخصوم التي تضايقهم. وثمت ايضاً المدفعية الفرنسوية التي اجازت جنودنا ا. وع الازمات. واشدّها تهويلاً نثرت صفوف رجالتنا نثراً وهم معرضون ، الساعات الطويلة والايام العديدة ، لهول معاعيلها لا يستطيعون ان يلتجئوا الى الحفائر: لقد صبر رجالتنا على اشدّ المحن والبلايا . ولما اندفعت اغمار الاعداء عليهم احسوا من نفوسهم انهم ناجون من الهلاك الذي يهددهم وهم لا يملكون دونه غيرَ الضعف والوهن

ولزم جندنا ان يبذلوا كلّ جهد يُبذل ليس فقط اثناء الوقيعة بل اثناء سيرهم وفي ابان استراحتهم حيث لم يوفقوا الى ان يذوقوا طعم الراحة . لقد حُرموا كلّ

شيء ونالهم في اجسامهم الإعياء واذا هو في البابهم اعظمُ . ساءلت جنوداً خارجين من هـذه المعامع فاذا اجوبتهم وسردهم للحوادث ، بسذاجة اللهجة وصدق المقال أفصحُ كلاماً وأبلغ وصفاً من جميع الكتب، عما شهدوا وعملوا وعن عظامة اقدارهم الادبية المخبوءة في نفوسهم . فكيف كان يمكن ان يداخلنا شكٌ في هؤلاء الرجال الامجاد ! أُجل كانوا متعبين تعوزهم راحةُ الاجسام وسلوى النفوس وكنا مستعدين أن نهيئهما لهم لكن كنا على ريب من العدوّ هل يفسح لنا المجال ؟

اذا كنا قد نجونا اثناء معركة المارن من الدمار الذي كان العدوُّ يريد ان ينزله بنا فما كان ينبغي لنا ، والحالة هذه ، ان تعزب عن خواطرنا النتائجُ الـسيمة من هذه الموقعة ومن تقهقرنا .

لقد أرغمنا على ان نترك لاعدائنا دفة الاعمال يديرونها كيف شاؤوا وما كان لدينا في الساعة قوات كافية لنسترجعها منهم وكان لهذه الحالة علينا من الوجهة الحربية أهمية عظيمة مُثقلة بالنتائج فاضطررنا الى ان نأتي نحو المارن بشطر مهم من قواتنا التي كنا اعددناها لهجوم فلاندر وهكذا قد أضعنا فرصة إمكان القيام بالهجوم الحاسم الذي كنا نويناه على الجيش الانجليزي فاذا قيادة الاعداء العلياء قد نجت مما كانت تتخوفه من تأثير هذا الهجوم في إصدار قراراتها وقد أذهبت موقعة المارن هذه أيضاً عن القوات الانجليزية قلقَ الخاطر الذي القيناه عليها منذ اشهر . ان هذا الانقلاب ما كان ليخفى على أعدائنا.ولزمنا ان نتوقع من قيادة العدو العليا ، إن كانت ذات حزم واقدام ، ان تجتني منه بقدر ما يتيسر لها من الجنود المرصدة للقتال . وكان بمكنها ان تجد لذلك فرصة لانه قد اتفق مراراً عـديدة ان مواقعنا الدفاعية ما كان يقوم بها جندٌ كثيف ولا قواتٌ كلها حديثة العهد بالقتال فضلا عن ان هذه المواقع قد آنسمت اتساعاً ذا شأن منذ الربيع واصبحت ابين تأثيراً من الوجهة الهجومية .

اجل قد كان يمكن التسليم بان العدو هو ايضاً قد اعيا إعياء كثيراً اثناء الوقائع الاخيرة : اربع وسبعون فرقةً من جند الاعداء بينها ستون فرقةً فرنسوية قد التحمت في هذه الوقعة منذ ١٥ يوليو الى ٤ اغسطس في حين انمعظم القوات الانجليزية كان قد وفرت له الراحة منذ اشهر وفي هذه الظروف خصوصاً قد كان لوصول الامداد الاميركية مدداً لاجزو له قيمةٌ ثمينةٌ لاعدائنا . فاذا لم تكن هذه الامداد حيث يجب ان تكون من متطلبات الوقائع الحديثة فقد جاءت تزيد صفوف اعدائنا كثرةً راجحة جداً لها شأنها ولاسيما في زمن نكبت فيه جيوشنا بخسائر فادحة

لكن تأثير هذا الانكسار كان على شعبنا وعلى حلفائنا اشدّ وقعاً واوخم نتائج اذا صدقت الاخبار الاولى التي وردت . فكم من آمال انعشتها في النفوس الانتصارات التي حزنا في الاشهر الاخيرة تكون قد ذبلت وماتت ! وكم من حساب هوى وامحى !

غير انه كان يسعنا ان نرتاح بلاً الى اعادة الموازنة السياسية لو اننا توفقنا الى ان نعود فنقبض على ناصية الحالة الحربية ونهيمن عليها

القسم الخامس

فوق قوانا

أرغمنا على خطة الدفاع

يوم ٨ اغسطس

كان جندنا قد وقفوا في مواقفهم الجديدة على ضفاف الاين والفل وكانت آخر حملات هجوم الأعداء تتدفق عليهم كالموج الزاخر ثم تنحدر. والقتال ينشب في أماكن أماكن ثم لا يلبث ان يخمد. وثمت فرق عديدة من الالمان، كان قد أضناها الاعياء وبها الى استعادة تنظيمها حاجة، أحيلت الى الراحة في المؤخرة وضرب بعضها المضارب حول أوبن وتمكنت ان أتفهم بنفسي سرعة الزمن التي يستعيد بها الجندي الالماني قواه وعزائمه. فلو استطاع هذا الجندي أن ينام مرتاحاً ملء عينيه أياماً ولو أمكن تموينه ثم يدعونه يريح على ميعاد لنسي أبدياً جميع الساعات الشاقة التي قد جازها، على ما يبدو، لكن كان لا بدّ له من راحة حقيقية ليسترد العزائم. وكان يعوزه ألاّ تنقل أذنيه القذائف والقنابل يرميها الاعداء، وإذا أمكن، ألاّ يسمع قصف المدافع. لكن من سوء البخت كانت ساعات الراحة الحقيقية نادرة جداً وقصيرة جداً لجيوسنا أثناء هذا الصراع الذي كان ناشباً منذ سنوات. ولقد تراموا من بدن قتال الى ميدان قتال فما انفكرا في تعب الجسم ونصب الحال نصباً غير منقطع ولهذا السبب ... أن المجهودات التي بذلها جندنا تفوق مجهود ... ومنا فوقاً عقلياً

ان قصف المدافع في معرك المارن كان ينتهي حتى الى اوبن فاذا هو يشبه هزيم الرعود المتواصل في عاصفة ... فيسمع تارة بيننا صراخاً و... متبايناً منكراً. والآن قد ساد السكوت وخيّم.

وفي ٨ اغسطس منذ تبلج الصباح قضى على هذا السكوت بغتةً واذا بجلبة تنبيء بمعترك عنيف،قد ترددت اصواتها في وجهة الجنوب الغربي.والتعليمات الاولى التي بلغتنا — انفذها الينا اركان حرب جيش ناحية بيرون — اشعرتنا ان الحالة خطيرة حرجة فكان العدوُّ قد خرق حطوطنا من هنا ومن هناك على طريق أميان — سان كنتان باسراب قوية من « الطناكس » وما استطاعوا ان يزيدونا عن الحالة ايضاحاً . وقد انقشع عنا غيهب الشك رويداً رويداً في ابان الساعات المقبلة وان تكن المواصلات قد قطعت تكراراً . لم يبق من مجال للريب : دخل العدو وتوغّل في مواقعنا وقد خسرنا بطاريات فانفذنا الامر ان استردوها واعيدوا الحال بكرة معجلة وارسلنا ضباطاً الى مكان القتال ليحققوا ما جرى تحقيقاً جداً ويضمنوا وحدة الرأي والنظر فيما بين هيئة اركان الحرب العامة والقيادة المحلية على القسم المتداعي حالياً من ميداننا. فماذا كان قد وقع ؟

كان الانجليز قد قاموا بهجمة قوية « بالطناكس » في ضباب كثيف جداً ولم تصادف مركبات هجومهم في الطريق حائلاً ذا بال بيعياً ، ولا اصطناعياً ، من سوء الطالع . أجل ان جنـدنا كانوا قد فكروا كثيراً في مواصلة الهجوم في هذه الساحة وقليلا في الدفاع

غير انه يجب النظر الى ان حفر الخنادق واقامة المواقع لدفاعية الثانوية تحت قيد العدو قد كان عملا يسبب لنا خسراناً جسيما لان رواد الاعداء يستكشفهم كانوا يرسلون نيران مدافعهم على كل حركة يلحظونها حتى على الرجال المنفردين. ورأى جندنا انه افضل لهم ان يسكنوا الى الحصيد النامي حيث لم يكونوا في حمى من القذائف ولكن حيث لم يكن رواد الاعداء يرونهم. واذ فعلوا ذلك،لا يحركون ساكناً ، حموا انفسهم من خسائر كثيرة لكن ما زالوا يهددهم الخطر من أن ينالهم خصم ان اجسم في طرفة عين .

وما اقتصر الشغل القليل على مواقفنا المتقدمة بل هو متناول أيضاً مواقفنا في الوراء وربما كان النقل ثمة أضعف، وما كان قوام هذه المواقف إلا بضعة خطوط من الخنادق ضعيفة وسائد منشورة. وفي هذه الساحات التي سموها سكنة كان جندنا أقل. أن يزاولوا حفر خنادق ذات شأن فتمد كنا في حاجة الى حفظ قوتنا على الساحات الأخرى لنأخذ بعد ذلك كنا الهجومية

في ٨ اغسطس لزمنا ان نعمل كما كنا نعد أنفسنا من [illegible] عديدة في اثناء هذه الاحوال الصعبة. من الاستعدادات التي [illegible] العدو ما كانت تأخذنا على غرة فقد تدربنا على ذلك منذ سنة ١٩١٦ ١٩١٧ في فردون واراس ونستبيت وكمراي. ومن أمد قريب عرفناه في سواسون وعرفنا كيف نضع لها حداً. لكن في الوقت الحالي كانت الحالة اشد خطورة وحرجاً. ان هجمة «الطناكس» التي قام بها الاعداء في ميدان حرب جداً، وقد دخلوا في الوقت نفسه وتوغلوا كثيراً في خطوطنا، وان مركبات الهجوم، وهي اسرع من قبل قد باغتت بعض اركان حرب الفرق في ملاجئهم وقطعت المواصلات التلفونية التي كانت تصلهم بالجيوش المقاتلة، نتج من كل ذلك أن اركان الحرب الاعلين قد فقدوا كل إمكان لهم بانفاذ أوامر القيادة وبقيت الخطوط الاولى لا يأتيها امر من الاوامر اللازمة. ففي هذا اليوم تفاقمت الحال خطراً وازدادت قلقاً بسبب كثافة الضباب الذي سد الافق عن العيون فلا يرى ماذا يقع في ساحة القتال. اجل ان مدافعنا المضادة للطناكس كانت ترمى القذائف في الجهة التي تسمع منها ضجة المحركات وصليل السلاسل لكنها كثيراً ما باغتتهم بالاشياء التي تنقض عليهم من الوجهة المتباينة. وبدأت اشاعات كاذبة تمتد بين صفوف مقاتلتنا وتنتشر. فزعموا أن جحافل من فرسان الانجليز قد بلغوا مؤخرة خطوطنا الاولى التي يقاتل فيها رجالنا. في الامام قلقت الخواطر وأخذوا يتركون المواقع التي صدوا

عنها، صدراً الى صدر ، هجمات للاعداء شعواء ويبحثون نحو الوراء عن الاتصال بالجيش وقد فقدوه . إن المخيّلة تولد الاشباح وترى فيها أخطاراً حقيقية

كل الحوادث التي وقعت في ساحة القتال والتي إنما هي علة شقائنا الاول الجسيم لا يصعب ادراكها بشريًا : إن الجندي القديم المجرّب يظلُّ ساكن القلب في مثل هذه الاحوال فهو لا يتخيّل بل يفكّر ؛ لكن هؤلاء الجنود القدماء في صفوفنا ما هم الآن الا أقلية صغرى تتضاءل شيئاً شيئاً بلا انقطاع ونفوذهم لا يتناول الآن جميع أطراف الجيوش. فان نفوذاً آخر بدأ يحلُّ المحلّ . فالجبن والوهم اللذان سبّبهما كونُ الحرب لا نهاية لها على الرغم من أن انتصاراتنا قد اثّرا تأثيراً سيئاً في غير واحد من جنودنا البواسل الاشداء : في ميدان القتال خطرٌ وتعبٌ وقتالٌ ولا راحة . وفي الداخل تأتيهم شكوى من الشقاء ، وكثيراً ما كان واقعياً وغالباً ما كان وهمياً. كلُّ هذا عمل ويعمل بدأب على تفكيك الاوصال ولا سيما اذا لم يمكن تبيُّن نهاية لهذه المصائب والضيق والعدو يقول ويكتب في نشراته التي ينشرها الوفاً والوفاً بواسطة طياريه أنه لا يريد أن ينال منّا بقدر ما يزعمون وحسبنا أن نكون متعقلين فنتنازل عن هذا أو ذاك من أرباحنا وإذ ذاك نستعيد حسن الصلات قريباً فيسعنا بعدئذٍ أن نقضي الحياة في سلام مع الشعوب سلاماً أبدياً . إن رجالاً جُدداً وحكومة جديدة قد يسعون لارجاع السكينة الى داخل المانيا وقد تسوق لهم هذه السكينة صلحاً صالحاً بعد جميع هذه المعارك الخائبة . إذن ليس من سبب واحد يبرر مواصلة الحرب

تلك هي العبارات التي يقرأونها ويتباحثون فيها في ساح القتال . ويحسب جنودنا أنه لا يسع أعداءنا أن يلفقوا جميع هـذه التصريحات تلفيقاً وبذلك يسمّم أفكاره ويسمّ أفكار رفاقه

ان أمرنا بالكرة على العدو لا يمكن أن يتم وقوعه في يوم ٨ أغسطس فانه

ينقصنا الجند ثم تنقصنا المدافع خاصةً لتمهد لهجومنا لاننا في النقط التي دخلها العدو قد فقدنا اكثر بطارياتنا . فنحن مرغمون في بدء الحال أن نستجمع وحدات من الرجالة حديثة ونأتي ببطاريات جديدة وذلك بالسيارات النقالة وبالسكة الحديدية . وأدرك العدو الاهمية العظمى التي تقدمها لنا السكك الحديدية في مثل هذا الموقف فأخذت مدافعه البعيدة المرامي تضرب مؤخرتنا من بعيد . وعلى بعض مجتمع خطوط السكك الحديدية ، كبيرون مثلاً ، أخذت اسرابٌ من طيارات العدو اكثرُ عدداً من قبل تحوم فوق المدينة وفوق المحطة وترمي عليها مطراً من القنابل يزخّ زخاً . لكن إذا عرف العدو أن يستخلص له كل المكاسب النافعة من جراء المصاعب المستحكمة حلقاتها في مؤخرة جيشنا فقد جهل ، وهذا من حسن طالعنا ، عظمة نجاحه الهجومي الاولي . فهو في سحابة هذا النهار لا يزحف متقدماً حتى اليوم وان كنا نحن لا نستطيع أن نقيم بوجهه الاّ قوات ضئيلة جداً ضعيفة . ان صباح ٨ يوليو المثقل بجلائل الامور علينا قد تليه مساء هادىء بالنسبة وليلةٌ هادئة . وفي خلال هذه الليلة أنبئت نجداتنا الاولى الى مكان الوقيعة

حالتنا الآن قد اصبحت اسوأ من أن تفسح لنا مجال أمل بالكرة التي نوينا فتعيدَ جندنا الى مواقعهم الاولى . ان هذه الكرة لتتطلب تمهيداً أطول أمداً جنداً أوفر عدداً من الجند الذين كانوا تحت قبضة يدنا في صباح ٩ يوليو . ولذلك لا يسعنا ولا ينبغي لنا أن نعمل متعجلين. لكن الجند في ساح القتال عدموا الصبر فما هم قادرين فينتظروا وخشوا أن يضيعوا فرداً سانحة ملائمة فوقعوا في مآزق ضيقة فنتج من ذلك ان شطراً من قوات الرجالة العزيزة جدا التي وصلت آنفاً الى ميدان القتال ، وهي حديثة العهد بالنزال ، قد فُرّط فيه لنيل انتصارات محلية لا يكون من ورائها نفع عظيم لمجموع الحالة .

ان هجمة ٨ أغسطس قد قامت بها ميمنةُ الجيوش الانجليزية . اما الجند

الفرنسويون الذين كانوا على اتصال مع الجيوش الانكليزية نحو الجنوب فلم يكن لهم الا يدٌ غير حافلة في الموقعة. لكن كان لا بدّ من أن نتوقع الخطوطَ الفرنسوية تزحف إلى الامام مندفعة بانتصارات الانكليز العظيمة شأن . فاذا توفق الفرنسويون الى التقدم بسرعة في جهة نيل نسوء حالتنا جداً ويتحرج موقعنا في المنتوء الواسع الذي أوجده . [illegible] دفعنا نحو الجنوب الغربي . لذلك اضطررنا لامر الى اجتنابنا ان يبلغوا [illegible] [illegible] الجنوب الغربي ويتأخروا حتى الى تخوم هذه المدينة .

نتائج يوم ٨ اغسطس

ومواصلة المعركة على الميدان الغربي الى نهاية سبتمبر

اني ما تعاميتُ قطّ عن النتائج السياسية التي سببها انكسارنا يوم ٨ اغسطس وكانوا يزعمون في المانيا وفي غير المانيا ان المعارك التي وجب علينا أن ننشبها من ١٥ يوليو الى ٤ اغسطس كانت نتيجة عمل حربي جريء لكنه سيء البخت كما يحدث في كل حرب مشبوبة . لكن كل امرىء كان يحسب ان انكسارنا في ٨ اغسطس إنما كان نتيجة ظاهرةً لضعفنا . وكان لدينا أمران متباينان . إما الاخفاق في هجوم وإمّا الانكسار في معركة دفاعية

ان عدد الغنائم التي استطاع اعداؤنا ان ينشروها على اسماع العالم كله انما هي تتكلم وحدها . وآمال شعبنا وآمال حلفائنا اذاً قلقة فاذا ذلك سبب آخر جديدٌ لنا لنحتفظ بسكون القلب وننظر الى الحالة، لا ننخدع بالاوهام لكن من غير ان نستسلم الى التشاؤم المتجسم

كانت الحالة الحربية حرجةً غير اننا كنا لا ننفكّ قادرين ان نسد الحالة في الميدان الذي هوجمنا فيه ونستعيض من العتاد الضائع ونستجمع قواتٍ جديد.

لكن هذه الذرائع ما كانت لتمحو مفعول التأثير الادبي الذي اوقعه انكسارنا . ولزمنا ان نتوقع من العدو ، بجرثه نصره المبين ، أن يأخذ بهجمات جديدة من هذا النوع نفسه على اماكن أخرَ من الميدان . وكان قد لاحظ أن اسلوب الدفاع الحالي يداخله اشكالٌ من الضعف كثيرة قياساً على دفاع سنة ١٩١٧ . واول كل ذلك من الوجهة الدفاعية : فان جيوشنا لم تكن بالاجمال قد اشتغلت بالارض ، كما يجب ، في الميدان الذي انتهت اليه منذ ربيع ١٩١٨ وكانوا قد عملوا في أماكن كثيرة مثلما فعلوا شرقيّ اميان : فكروا كثيراً في مواصلة الهجوم ولم يفكروا الا قليلاً في ضرورات الدفاع . زد على ذلك ان شطراً كبيراً من جندنا في الميدان قد يكونون اتاحوا الاعداء ان يتبينوا على ساحات دفاعنا ان وحداتنا قد اضاعت ارادة الصبر والثبات الشديد التي كانت تزدان بها سنة ١٩١٧ فضلاً عن ان العدو كان قد استخرج معلومات عديدة من هجماتنا الهدية . فانه في اثناء اعماله الحربية الاخيرة كان قد استعمل الاسلوب الذي هيأ لنا مراراً كثيرة أن ننال به الظفر نيلاً . وكان قد رجع عن انشاء اعمال تمهيديه مستغرقة عدة اشهر وما حاول الفوز بعمل فصلٍ مكتفياً بمباغتة زاوية من خطوطنا الدفاعية . فقد هاجمنا على غرة وعلى ساحات واسعة وبجرأ لآن على استخدام خطتنا في الهجوم لانه ادرك مواطن الضعف في خطنا الدفاعي . ولو أن حاول القيام بهجمات جديدة قوية كالتي قام بها لكانت تساعده الاقدار ، بالنظر الى ادمتة جيشنا الحالية ، على عرقلة عدتنا المانعة رويداً رويداً . لكن بما ان العدو من جهة اخرى لم يعرف ، هذه المرة ايضاً . ان يجتني جميع ثمار انتصاراته الاولية فقد كنت على حق في الامل بامكان التغلب على ازمات جديدة قد يمكن وقوعها

ولاجل هذه الاسباب رأيت من الوجوب ، ان اصرح في ١٣ اغسطس في سبا أمام المستشار في خلال مؤتمر سياسي ، أن حالتنا الحربية حرجةٌ لكنه لا يجب ان

ننسى ان جيوشنا ما انفكت تحتلُّ شطراً عظيماً من اراضي الاعداء . ومن الغد جاهرت بهذه الآراء امام امبراطوري عند ما اخذت اتكلم لانهيَ المناقشة بعد ما استغرقت جلسةً طويلة مع اعضاء الوزارة ولم اعترض اقل اعتراض لما ابى المستشار الكونت هرتلنج على الرأي : أنْ يجب علينا ان نتوقع تحسن حالتنا الحربية العامة قبل ان نسلك الى الصلح طريقةً رسمية

ولهذا السبب كنت احسب في منتصف اغسطس أن الساعة لم تأت بعدُ لنشكَّ في نهاية للحرب مرضية . وكنت على يقين ثبت أن جيشنا قادر على الثبات في وجه العدو ، على الرغم من بعض أحداث مقلقة لكنها منفردة ، وقعت على مكان الوقيعة الاخير . وكان لي ايضاً بشعبنا ثقةٌ وظننته يكون من القوة بحيث يتغلب على الازمة الحاضرة . اجل اني ما جهلت قط الضحايا والحرمان اللذين قد قاساهما حتى الساعة واللذين ينبغي له ان يقاسيهما بعد . اذ فرنسا التي رأت الحرب ناسيةً في ارضها منذ اكثر من اربعة اعوام أما كان عليها ان تحمل عبئاً اعظم ثقلاً وان تقاسي متاعب اشدَّ وانكى ؟ أما قامت بجميع الواجب اثناء هذه الفترة كلها على الرغم من انكساراتها : هل استسلمت الى اليأس عند ما كانت قذائفنا تتساقط على عاصمتها ؟ ذلك ظننته مثلاً يتمثله شعبنا دائماً نصبَ عينيه ولا يذهب عن خاطره في اثناء هذه الازمة الشديدة أن خط دفاعنا ما زال ثابتاً متيناً . فلو أدركت هذه النتيجةُ لوجب ، على ما ارى ، ان تحدث تأثيراً في حلفائنا . ان الصدمة التي القيت عليهم من الوجهة الحربية كانت هينة بسيطة وعلى الاقل فيما يختص بالنمسا و بلغاريا

فما همنا ان نحفظ سالماً شرفَ سلاحنا الذي كان له على افكاري نفوذه القوي . ان جيشنا كان قد خطَّ له آي فخر في اثناء هذه السنوات الاربع من الحرب لا يقدر خصومنا على محوها مهما يقع من الحوادث . فان سعادة بلادي كانت هي الوحيد الذي لعب دوراً فاصلاً في قراراتي وفي مشاريعي . فاذا لم يبق لنا امكان في غلبة

اعدائنا في ساح الوغى ومن ثمت نرغمهم على توقيع صلح يكسب وطننا كل ما هو ضروري له ليضمن الى النهاية مستقبله فاننا كنا نستطيع على الاقل ان نسبب انهاك قوات الاعداء فتهيء لنا هذه النتيجة، على ما يظهر، ان نضمن لبلادنا حياة محتملة كافية. وفي نهاية معركة المارن كان الجنرال فوش قد ادرك اتم ادراك ان الانتصارات التي حازها قد تضيع فوائدها اذا هو ترك لجيوشنا وقتاً يستعيدون فيه نظامهم وقواهم وكنت اشعر ان قيادة العدو العليا كانت تعتبر ان الساعة قد دنت لتريش آخر سهم لها

في ٢٠ اغسطس هجم الفرنسيون ما بين الواز والاين متجهين ناحية شوني. وبعد ثلاثة ايام من صراع عنيف رمونا بنا الى هذه المدينة وفي ٢١ اغسطس والايام التالية وسع الانجليز ميدان هجومهم الذي خذوا به منذ ٨ يوليو نحو الشمال حتى الشمال الغربي من بابوم دخل عدونا مواقعنا دفعات متواترة فاضطرنا ذلك الى كي خطنا شيئاً شيئاً. وفي ٢٦ اغسطس حمل الانجليز من ها ومن هناك من اراس متجهين نحو كمبراي فشقوا خطنا، على اننا استطعنا ان نوقفهم وفي ٢ سبتمبر اندفع عينا الاعداء بهجمة شعوا اقتحموا بها خط دفاعنا القائمة على طريق اراس ـ كمبراي فارغمنا على كي جميع خطنا في وجهة [illegible] وجعلنا في الوقت نفسه [illegible] اصل من حط شمال لا بايس [illegible] الى ما وراء جبل كمل [illegible]. فتم ذلك [illegible]. من جميع هذه وسائل [illegible] [illegible] لاهو تشتجي [illegible] الاسبوع [illegible] من سبتمبر [illegible] ان بعد [illegible]. وفقنا على ما [illegible] فيه من حرج.

وفي ١٢ سبتمبر [illegible] دفيعة جديدة في جنوب فردن الشرقي، [illegible] بوتاموسون على قسم من [illegible] ان [illegible] ساد فيه العدو الى [illegible] الآن. كانت مواقفنا قائمة في هذه الناحية على المواضع التي ثبت فيها خطنا بعد هجماتنا في

خريف ١٩١٤ . ان حالتنا الدفاعية قد كانت ثمت سيئة تفسح للعدو ان يحمل علينا فيضربنا ضربة شديدة . وانه ليصعب ان ندرك لماذا سمح لنا الفرنسيون ان نقيم اعواماً في هذا المثلث الزوايا الوسيع الذي تألف منه نتوء نانسي في ميدانهم. فاذا توفق العدو ان يجتث هذا النتوء من اصله بهجمة قوية يقوم بها كان لا مندحة لنا عن ازمة ضيقة جداً تقع علينا . لذلك اعتبروا خطأ أن نكون قد رجعنا عن هذا النتوء منذ مدة بعيدة او على الاقل منذ وقوف هجومنا على فردان وقوفاً نهائياً . لكن هذا الموقع كان يتيح لنا ان نعرقل كثيراً حرية حركة العدو في ناحية فردون وان نسد مؤدى المعاقل العظيمة هيبته في وجه العدو جنوب هذا الموقع. وماهو الا في اوائل سبتمبر حتى ان ابدى العدو نشاطاً اعظم فيما بين الموز والموزل، أن قطعنا رأياً في الجلاء عن نتوء سان ـ ميهيل والرجوع الى الموقع الذي كنا قد اعددناه منذ امد في اصل هذا النتوء . لكن الفرنسويين والاميركان هاجمونا قبل ان يتم رجوعنا وكبدونا كسرة الجبهة .

غير اننا توقفنا الى صد هجمات العدو والاحتفاظ بمواقفنا . وفي ٢٦ سبتمبر حمل الفرنسويون في شماليا : ان اندفاع هجوم العدو لم يحدث في بدء الامر اقل تغيير هام في موقفنا ما بين البحر والارجون لكن في هذا التاريخ نفسه دخل الاميركان مواقفنا بين الارجون والموز . وهذه اول مرة تداخلت فيها قوات الولايات المتحدة، المعبأة جيشاً مستقلاً ، بنوع فاصل في ساحات المعارك في الطور الاخير من اطوار الحرب .

في اواخر سبتمبر لم يكن ميداننا الغربي قد ثُغر وإن احرجتنا الحال ان نلوي دفعات متوالية عندما كان العدو يدخل خطوطنا . لقد تداعى الى السقوط لكنه لم يسقط. غير ان ثغرة كبيرة قد بدت في ذلك الحين في ساحة معارك التحالف الرباعي : لقد سقطت بلغاريا :

قتال حلفائنا

سقوط بلغاريا

لم يحدث في حالة بلغاريا الداخلية تغير جوهري في خلال سنة ٨ ٩ فظلت ذات حرج . الا ان سياستها الداخلية لم تظهر لنا متأثرة من ذلك . وكانت تنتهي الينا من حين الى حين معلومات فيها أن رجالا ليس لهم صبغة رسمية كانوا يتفاوضون مع دول التحالف في ارض سويسرا [illegible] كان أيضا في دار السفارة الاميركية في صوفيا مثابة كانوا يبحثون فيها خططا تؤدي [illegible] المملكة والدمار فسعينا جهدنا الى تقويضها ولما نفلح . فقد اقتضت السياسة ان نعمد الى قفزات قطيفة نلبسها في اثناء مدة الحرب .

وظلت الحرب مشبوبا أوراها فيما بين الاحزاب السياسية البلغارية ثم أخذت تتسرب الى الجيش وتستمر . وفي الخريف توفقت [illegible] رادوسلافوف الى إسقاطه . فأكد لنا رجال الحكومة الجديدة صدق مواعيدهم المسكين للمعاهدة المسوية الالمانية بذلك انما هو الامر الجوهري الذي يهمنا

ثم ان نفور الشعب البلغاري من الحرب قد تزايد في هذه الفترة واثارت مسألة الأقوات مصاعب تشتد كل يوم حراجة فهذا الجيش قد ذاق منها الآلام أو بالحري اذاقوه الآلام من قلة الزاد . فما كان الجندي في بعض الاحيان يتناول من القوت ما يتلفظ به . وكانوا من كسوتهم في حالة سوء رثة حتى اتفق أن عدموا ومن الاثواب أسهم حاجة اليهما وقت بين الجند فتن الا أنهم كتموها اياها في غالب الحين ثم ان الجيش دخله عناصر غريبة فادمجوا فيه رجالا أقتسروهم من الاراضي المحتلة ليحفظوا العاملين فيه في المستوى المرجو . فنتج من ذلك ان زاد

عدد الفارين واربى على كل معتاد . أفكان غريباً ، والحالة كما أشرنا، ان نرى روح الجيش الادبي قد هبط ؟ ويظهر انه في الربيع بلغ هذا الامر اسوأ حالاته وفي ذلك الحين كان أركان حرب الجيش البلغاري العام قد هيأ ، بايعاز من قيادة جميع الجيوش الالمانية ، هجوماً في البانيا غرب بحيرة أخريدة وكان الامل انه اذا نجحت هذه الهجمة يتوصلون الى سد طريق سانتا — كوارنتي — قرصا الجليلة اهميته للاعداء وبذلك ينعشون الروح الادبي في الجيش البلغاري والشعب. لكن في آخر الامر حكم ان هذا الهجوم يتعذر الاخذ به لان الضباط البلغار اعلنوا ان جيوشهم يأبون ان يهجموا وآلت الحال الى اسوأ منها واقلق في شهر مايو . في ذلك الحين الذي لم يبد فيه اعداء البلغار اقل مقاومة للهجوم الذي قادت به الجيوش الفرنسوية واليونانية في وسط الميدان المقدوني وتركوا مراكزهم بغير قتال تقريباً والفرقة المعينة للقيام بكرة على العدو وقعت الفتنة بين معظم مقاتليها

غير ان حالة الجيش البلغري بدت تتحسن في خلال الصيف وعالجنا ما استطعنا حالة ملم اننا نرسل اليهم قسماً من مستودعات الاقوات والاشياء . وإن الانتصارات التي احرزها جندنا في ذلك العهد على الميدان الغربي قد بعثت في الجيش البلغاري حماسة كبرى . لكن كان من البيّن الجلي ان روحه الادبي بهيء وهياً في اذا لحقنا انكسار : أجل ما داخلنا قط شك في هذا الشأن وان نكر قد تلقينا في أواخر شهر يونيو معلومات أحسن مآلاً عن الحالة الادبية في الجيش البلغاري .

أن حالة القرات استمايلة على الميدان المقدوني لم تطرأ عليها تغيرات ما ذي بال ، على ما يظهر ، في خلال سنة ١٩١٨ . بعد إبرام الصلح مع رومانيا استطاعت بلغاريا ان تجمع جميع قواتها في ميدان واحد . وبناء على هذا المدد ما كان يكون لسحب بعض الكتائب الالمانية من مقدونيا أهمية كبرى . وقد نقلت فرقة الانكليزية الى سوريا وانفذت الجيوش الفرنسوية الى فرنسا أحدث مقاتليها سناً والفرق اليونانية

الجديدة التي يلقبونهم « بالملكية » ما أظهرت أنهم تواقة الى الحرب والنزال ولاشك انهم لهذا السبب ناطوا بها الدفاع عن خط ستروما

ومن بعض تصريحات الاسارى أن الشطر الاكبر من هذه الفرق كان مستعداً للانضمام الى صفوفنا لو ان الجند الالماني كان واقفاً على خط القتال في ميدان ستروما . وعلى أثر ذلك أرسلنا الى مقدونيا بضع كتائب ما كان يمكن استخدامها في المعارك الكبرى في الميدان الغربي فوصلت في ساعة كان يبرم فيها حظ بلغاريا

وما هو الا في ١٥ سبتمبر مساء حتى تلقينا أول إفادة فيها الاعلان عن بدء هجوم جيوش الدول المتحالفة في مقدونيا . لقد كان هذا التاريخ شديد التأثير فينا . ألم يكن الجند البلغار قد أعلنوا منذ أيام الربيع أنهم يجلون عن مراكزهم في ذلك اليوم اذا لم تنته الحرب قبل هذا التاريخ ؟

وما كان أقل تأثيرا فينا أن نلاحظ أن العدو قد اختار جهة هجومه الناحية الجبلية التي هي اكثر النواحي وعورة وهي جهة كثيرة المضائق صعب أمرها اذا بدا من الجند البلغار وقواد وحداته الصغيرة بعض ارادة في الصبر والثبات . وبناء عليه حسبنا انما نتوقع نهايه هذه المعركة بثقة وانتظرنا الهجمة الحاسمة يقوم بها العدو في وادي الوردار . وكنا قد لاحظنا منذ عهد بعيد ان الانجليز يبيتون معدات الهجوم في هذه البقعة ومن ناحية بحيرة دوار ان . ونظراً الى عظمة قوة المنشآت الدفاعية الواقعة في هذه المنطقة اعتبرنا هنا ايضاً ان الجيش البلغاري لا يجتاز خطراً ما مهما كان بشرط ان يتخذ الوسائل الضرورية لصد العدو دون القيام بهجومه . لا شك ان القيادة البلغارية كانت الاحتياطات كافية .

ان المعلومات الاولى التي بلغتنا من ... ١٥ سبتمبر لم يكن فيها ما يقلق . أجل ان البلغار كانوا قد خسروا مراكزهم المتقدمة الكبيرة ... كن ... بالشيء المهم في ذاته . وجوهر الامر كان أن العدو ما نجح في ثغر الخط منذ اليوم الاول . أما

المعلومات الاخرى فكانت اشدّ قلقاً فقد دُحر البلغار نحو الشمال الى أبعد مما كان مقدراً منذ بدء الهجوم فان قوة ثبات جند الخط الاول كانت ضعيفةً جداً ، على ما يبدو ، وإرادتهم في القتال أضعف والاحتياطي الذي كان يصل الى مكان الوقيعة والذي كان عليه أن يخوضها كان قليلاً استعدادُهُ للتعرّض لنار العدو . وظهر انهم كانوا يؤثرون ان يتركوا ساحة لوغى مع كونها واقعةً في دوار عقدةِ المواصلات الاجل أهميةً في جميع ميدان الاعمال الحربية في مقدونيا حيثُ جرادسكو .

اذا استولى العدو على جرادسكو أو إذا استطاع أن يطولها بمدافعه يخسر جيش ميمنة البلغار الواقف في ناحية مونستير اهم خط في مواصلاته ويتعذر عليه بعدذلك تموين جنده في مراكزه الجبلية. لكن ما هو اشدّ من ذلك خطراً أن جيش البلغار الواقف في الوسط بين شمخي الوردار يحرم هو أيضاً من كل تواصل بالسكة الحديدية مع داخلية البلاد. ويظهر انه ليس من المعقول ان القواد البلغار لايحسون بالخطر الذي يهددهم ولا يكونون المحال يتذكرا على مزدحم قواتهم كارثة لا اعظم منها كارثة .

وبضد ذلك ترى الجيوش البلغارية الواقفة جنوبَ جرادسكو وهمُ الجند القائمون على حراسة خط القتال المنبسط فيما بين الوردار وبحيرة دراران يقاتلون مستبسلين منذ ١٨ سبتمبر ، وقد حاول الانجليز محالاً في ثغر حطهم هذا . وبرهن البلغار هذه المرة أيضاً على أجمل شجاعة وعلى أثبت إرادة لهم رأيناها . لكن ماينفع القتال بالا تبسال على جوانب بحيرة دواران إذا كان الاجناد جنبَ جرادسكو يستسلمون الى اليأس بل إلى عواطف احطّ منه أيضاً ؟

عبثاً تحاول القيادة الالمانية أن تصون الحالة في جيش الوسط البلغاري باقحامها جنداً المانيين . فماذا يستطيع إتيانه بعض مفرزات المانية ضعيفة والبلغار يولّون الادبار بعنةً ويسرةً . ؟ إن الكتائب الالمانية الزاحفة على العدو تقابل آلايات غفيرة باسرها ترتدّ الى لوراء تأبى القتال والنزال. مشهدٌ غريبٌ ! ثمّ يأتينا رجال

الجيوش البلغار عن مسلكهم بشرح أغرب. يقولون إنهم يرتدون نحو نسائهم وأولادهم يريدون ان يروا منازلهم ودورهم ويحرثوا حقولهم فهم لا يصنعون غالباً بضباطهم شراً. فاذا رضي هؤلاء الضباط ان يرافقوهم الى البيت فينزلون على الرحب والسعة، لكن اذا ارادوا البقاء على ساح الفخار فليبقو وحدهم. ويندفع البلغاري من نفسه عند ما يرى الجنود الالمانيين الزاحفين على العدو قد رفعوا بالارتال ويدفع عجلات بطاريات المدافع الالمانية التي لا تستطيع اجتياز بعض الطرق الصعبة في سيرها الى الوثبة. لكنه يدع الالمان الاتمام بمنازلة العدو. فمقدونيا إذن ضائعة من بلغاريا إذا سلك جندها هذا المسلك! لكن الفلاح البلغاري يتساءل ويقول إن عنده في بلاده كفايةً من الحقول فيرد الى قبع بيته ويدع للغير أن يهتم ويشقى ويحارب لاجل مقدونيا ويدعُ للغير الحلمَ بان يجعل من بلغاريا دولة ذات شوكة وصولة

ان القيادة الالمانيه المسؤولة عن الاعمال الحربية على جبهة القتال الممتدة ما بين بحيرة اخريدة وبحيرة دواران لترى نفسها على أثر هذه الحوادث في حالة اليأس القاتل. فلقد أسرعت تستجمع كل ما يمكن جمعه من الجنود الالمان: رجال المضارب والمدسترم ومجندين جدد جيء بهم جميعاً ليحموا وسط الجيش البلغاري وينقذ ابردءكو. غيرأن المخاطرة بالنجاح أصبحت تضعف شيئاً سيئاً. اما وقد سرى الفساد الى الوسط البلغاري فلم يبق للخلاص إلا وسيلة واحدة: ألاَ وهي إرجاع ميمنة الجيش وميسرته الى الوراء. فمن الوجهة الدفاعيه لا يكون من هذا الارتداد الاَّ مضارٌ خفيفة. ففي مقدونيا وراء كل مركز دفاع مركزٌ آخر مكينٌ وكلما أوغل العدو نحو الشمال تصعبت عليه مواصلاته مع المؤخرة. أجل ان الجلاء عن وادي الوردار يجعل المواصلات البلغارية اسوأ حالاً لكن يظهر ان هذه الذريعة تتيح لنا على الاقلّ ان نصون الجيش من الدمار

ان القواد البلغار ليأتون بأجلّ الاعتراضات خطراً على قرار قيادة مجموع الجيوش الالمانية . فهم يحسبون ان جندهم ثابتون ويثبتون بل انهم يستطيعون أن يقاتلوا وهم في مراكزهم الحالية . ثم إنهم يعتقدون بضد ذلك أن جيوشهم يتمزقون كل متمزق إذا صدر اليهم الامر بالارتداد .

اجل انها لحالة تبعث اليأس في قلوب من يهمّهم الامر . فالبلغار يتذمرون من ان الجند الالمانيين قليل على مواقع القتال ومن أنهم أقتطعوا شطراً من الجيوش التي كانت من قبل لـكن . ماذا كان يرجى من النفع من وجود بعض كتائب المانية في مثل هذا الانطراب العام ؟ وكم كان يلزم ان يرسل من الفرق الالمانية للدفاع عن ميدان مقدونيا ؟ ان المانيا لا يسعها ان تتطالب العمل الفصل في الميدان الغربي تنفذ فرقها الى البلقان في الوقت نفسه . والبلغاري لا يستطيع ان يفهم ان القوات الالمانية ذاتها محدودة . اجل ان قوات بلغاريا تبعد انتنفذ الآن يائسا ارادتها في مواصلة الجهاد قد نفدت

ونحن ايضاً في هيأة اركان الحرب العامة ماثلون امام مسائل في منتهى الاهمية . علينا ان نجرّب لننقذ ما يمكن انقاذه في بلغاريا . علينا أن نرسل اليها النجدات ونرسلها سريعاً مهما يكن علينا من مشقة . وقد شعرنا اتم شعور بهذه الضرورة في ١٨ سبتمبر . الا من يفكر في حراجة القتال الدائرة رحاه على ميداننا الغربي . لقد فاز الاميركان آنفاً بانتصار اسم الـكبرى مابين الموز والموزل ولا بد ان نتوقع امتداد الهجمات في هذه البقعة

ان النجدة الاولى التي يمكننا ان نتصرف فيها انما هو لواء مختلط مهيأ الى ما وراء القوقاز وهو الآن يعبر البحر الاسود فاسترجعناه بالتلغراف اللاسلـكي وصدر اليه الامر ان يسارع الى الوقيعة بطريق ورنا — صوفيا . لـكن هذه القوات ليست بكافية . ويمكن ان نقتطع منه على ميداننا الشرقي بضع فرق وكنا قد نوينا ارسالهم

الى مواقع هادئة من ميدان الغرب لـكن ما قيمة هؤلاء الاجناد ؟ جميع الرجال الذين يؤلفون هذه الجيوش قد جاوزوا الخمسة والثلاثين من سنيهم لان جميع من هم افتى شباباً كنا قد ارسلناهم الى الميدان الغربي . ايمكن ان يتوقع منهم بعد الآن جهدٌ صالحٌ ؟ اجـل قد تـكون فيهم ارادة في القتال صادقةٌ لـكنهم ما كانوا قط ليستخدموا في ميدان مقدونيا لان المناخ هناك قاس وما هم مجهزون لحرب الجبال. ومع ذلك يجب ان نرسلهم اليه لانه في هـذا الخطر المتفاقم ليس الجيش البلغاري وحده بل هي حكومة بلغاريا وقيصر بلغاريا في حاجة الى أيد المانيا

وارسلنا ايضاً نجدات من الميدان الغربي . ان فيلقنا الالبينية التي خرجت من اشد المعارك هولاً ولما يمض عليها بضعة ايام قد حملت على السكة الحديدية الى نيش . واجتمدت النمسا — المجر لمساعدة بلغاريا ووضعت قيد تصرفنا لهذا الغرض عدة فرق . وعلى اثر ذلك رجعنا عن مطالبة اركان حرب الجيش النمسوي العام بان يمدنا بجيوش جديدة للميدان الغربي

ينبغي لنا على الاقل ان نحاول انقاذ مزدحم الجيش البلغاري ريثما تتمكن الجيوش النمسوية — الالمانية من الوصول الى نجدته . ولاجل ذلك اصدرت قيادة مجموع الجيوش الالمانية ، على الرغم من معارضات البلغار ، أمراً الى جيوش الميمنة والقلب البلغارية بالارتداد فكون مواقع بلازيزا شمال بحيرة دويران محوراً لكل حركة

ان جيش ميسرة البلغار لم يهاجم في غضون هذه الفترة ومواقعه على بلازيزا ودراء ست . وما هي منيعة كل المنعة وحسبها بعض مدافع المترااليوز وبعض البطاريات للدفاع عنها . غير ان البلبلة قد سرت ايضاً بين هذا الجيش ففقد الجند الشجاعة وخان القواد حزمهم . ورأت قيادة الجيش ان موقفهم لاثبات له فتوسلت الى القيصر ان يبرم على الفور هدنة فاجاب القيصر : « اقتتلوا وموتوا في المواقف التي تحتلون » ان هذه الـكلمات تدل على ان القيصر هو المهيمن على الحالة واني ما كنت مغروراً بمقدرته.

والامير بوريس وليُّ العهد هو ايضاً ابن بجدتها . فهو يتنقل على الميدان ليصون ما يمكن ان يصان. لكن ما يسع رجلاً وحده ان يأتيه ولو شعر من نفسه بانه مؤيد بحب الكثيرين وباحترام الجمع في هذا الاضطراب العام وفي منهدم الارادات ؟

بدأ جيش القلب حركة ارتداده في ٢٠ سبتمبر وفقاً للاوامر الصادرة . وانقلبت هذه الحركة التي كانت اضطراباً زاد في رتبها كما صار ورتعليمات لا حكمة فيها، لا شيء . إن هؤلاء الذين [illegible] هم بحيث يقودون [illegible] ولا [illegible] اوكان [illegible] حيث ليس ثمت إلاّ رجلٌ واحد يرى [illegible] ارادة صادقة [illegible] كامل [illegible] وهو قائد الجيش .

وعلى جيش الميمنة مهمة صعبة . طريق ارتداده الاولى تؤدي به الى والس ماراً ببريلب وكما ان العدو قد وقف الآن امام جرادسكو فالخطر يهدده تهديداً جداً . وهناك طريق آخر ذاهب من ناحية البحيرات وناحية مونستير لكنه يتباعد نحو الشمال يؤدي الى قلقندان ماراً ما بين جبال البانيا الوعرة ويلتقي في اسكوب بالطريقة الآتية من والس . هذا الطريق الذي يمرّ ما بين جبال البانيا أمين لكنه صعب شاقٌّ ولا يحتمل ان جمعاً من جند كثيف تستطيع ان تجد لها مؤناً في هذه النواحي ولكن على الرغم من هذه الموانع يجب أن نسير وحدات عديدة بهذا الطريق وان وحدات أكثر عدداً ايضاً قد انخرطت في هذه الوجهة لما استولى العدوُّ على جرادسكو ومشى من الجنوب الشرقي على بعض الطريق الممتد ما بين بريلب ووالس وسقطت جرادسكو منذ ٢٦ سبتمبر . إن هذه المحلة الحقيرة التي نعرفها قبل الحرب قد تحولت منذ اربعة أعوام مدينةً كبيرة تشبه بنظامها وعظمتها مدينةً أميركية حديثة العهد . فهناك أقواتٌ ومؤن جليلة تكفي حرباً جمعاء ، قد تكدست فيها . ومن رأى هذه المستودعات فلا يعرف كيف ان الجيوش البلغارية قد مسّتهم الحاجة في الميدان الى شيء من الاشياء مهما قلّ وحقر . والآن جميع هذه المؤن

قد اتلفها البلغار و استحوذ عليها العدو . ولبلغاريا موارد عديدة تتصرف فيها ليس فقط في جرادسكو لكن في اماكن غيرها كثيرة. ولقد ظلت الى ذلك الحين مخبوءة تحميها ارادة قصيرة النظر في الامور على الرغم من اهتمام رجال الدواوين فيها ولذلك تعرقلت حياة الشعب البلغاري على الرغم من شراءتها الواسعة حريتها وعلى الرغم من حرية مجلسها النيابي

ان بلغاريا يمكنها اذن ان تواصل الحرب بشرط ان لا تعتبر أولا تريد ان تعتبر الحرب كأنها خاسرة . وخطتنا التي صادفت من لدن القيادة البلغارية العامة قبولاً هي كما يلي : يرتد جيش القلب منعطفاً نحو تخوم بلغاريا القديمة ويجتمع جيش الميمنة في اسكوب أو الى شمالها . فتعززه الفرق الالمانية او النمسوية السائرة في طريقها . فتكون القوات المحشودة في اسكوب كافية تمام الكفاية للثبات امام العدو ويسعنا ان نأمل أيضاً ، اذا كانت لا تزال الوحدات البلغارية قادرة على القتال ، اننا نستطيع في حين قريب أن نعود الى الهجوم في وجهة الجنوب ذهاباً من اسكوب . ويظهر من المحال ان تستطيع قوات للعدو هامة ان تتعقب الجيش البلغاري حتى اسكوب وحتى تخوم بلغاريا القديمة ولا تريح في مسيرها فكيف يمكن العدو ان يضمن أسباب تموينه ونحن قد خربنا السكك الحديدية والطرق السابلة؟ ونأمل أيضاً ان الاجناد البلغار حين ، يتاخمون ارض بلادهم يستعيدون لهم قوى جديدة ويستشعرون بعاطفة التبعة الملقاة عليهم .

هذا العمل المنوي لا يكون في حيز الامكان الا اذا حميت اسكوب حتى وصول الجند البلغار مقبلين من قلقندار . ان هذه المهمة تبدو سهلة هينة لان العدو بخروجه من جرادسكو لا يتعقب الا بقوات ضعيفة نسبة

في خلال هذه الحوادث الجليلة ظلت صوفيا في سكون وهدوء يدعو الى العجب فان الفصائل الالمانية التي انفذناها الى هذه المدينة لتهدىء روع السكان

ونحمي الحكومة وتؤيدها لم نجد فيها، خلافاً لما كنا نخشاه، قلقاً ولا اضطراباً. أجل صحيح أن الجبهة تحدث فيها شعوراً غريباً : فان جماعات من الجند البلغار الذين هجروا وحداتهم يجتازون المدينة لينتهوا الى منازلهم والرجال يضعون سلاحهم في المستودعات ويستأذنون رفاقهم ورؤساءهم ثم انهم في بعض الاحيان يؤكدون انهم يعودون الى حمل السلاح والقتال ريثما يحرثون حقولهم : مشهد عجيب وحالة في النفس أعجب ! أما تكون هذه الحركة مدبرة من قبل ؟ اما نحن فما لدينا سببٌ ما نصدق انها كانت مدبرة من الجند أنفسهم لكنه من البيّن الجلي ان الامور كلها لا تجري في هذا الاضطراب بسكينة وهدوء لكن الاشاعات التي تنبيء أن قد اقترفت اغلاطٌ غليظة هي في غالب الاحيان مغالىً فيها

وبقيت الحال على ما هي على ميدان القتال وارتداد جموع البلغار ما زال سائراً على قدم ويتعذر توقيفه نهائياً على الرغم من ضعف قوات العدو المكافئة تأثير الجيش البلغاري. ومن العبث محاولة توجيه انظار بعض جموع الاجناد المنفردة للتثبت في وجه العدو لانه لم يبق مجال للكلام عن الوحدات المنظمة. ومن العبث محاولة إعداد مقاومة منظمة في بعض اماكن . فانه متى وصل العدو ترك البلغار مراكزهم لاول طلقة بندقية والاجناد الالمان لا يقدرون على اعادة الدفاع البلغاري. ومن العبث أيضاً ان يجتهد الضباط الالمان والبلغار ان يُشعروا تأثيراً في الجموع التي ، اصبحت لا يهمها أمر ، اذ يؤدون مثال الواجب ويحملون البنادق في أيديهم

إذن أخذ العدو يقترب من إسكوب قبل أن أستطاعت النجدات الالمانية والنمسوية الوصول [illegible] في ٢٩ سبتمبر خرجت فصائل جايلة من جيش ميمنة [illegible] الآن طريق [illegible] الى إسكوب [illegible] على أتم حالة ويمكنهم أن يحاربوا حرباً جداً . ان الازمة الشديدة الخطيرة التي كان يجتازها الجيش البلغاري بدت إذن

وقد تُغلّب عليها . أجل قد يكون ذا صحيحاً من الوجهة الحربية المحض لـكن القضية خاسرة تمام الخسران إذا نظرنا الى الوجهة الادبية . وعمّا قليل لا يبقى لنا مجال للريبة فيها . فان قوات سربية قليلاً شأنها احتلت إسكوب وأجناد ناحية قلقندلن جبنوا وخانوا : إنهم سلموا . وفي ٢٩ سبتمبر من المساء أمضت بلغاريا هدنةً .

اضمحلال الدولة التركية في اسيا

في بدء عام ١٩١٨ نشطت إرادة تركيا في الحرب نشـاط جرأة وإقدام فانها أخذت بالهجوم على أنجاد ارمينيا العليا على الجيوش الروسية قبل انقضاء فصل الشتاء . وفي تلك الانحاء لم تكن قوة روسيا الحربية إلاّ شبحاً لان مجموع جيوشها وجحافلها كان قد داخله الفسـاد واختلّ . ثم إن تقدم الاتراك لم يحل دونه الاّ مقاومة بعض عصابات من الارمن والاتراك هانت عليهم المصاعب في التخلص من هذه العصابات اكثر من انتصارهم على العقبات التي أقامتها الطبيعة دونهم في هذا الفصل على هذه الانجاد العالية . غير أن الهجوم التركي قد كلّل بالظفر وذا دليل على حيوية الدولة العثمانية السـارية فيها . فاجتازت تركيا تخوم أرمينيا وأنقضت على التخوم الواقعة وراء القوقاز يحملها عليه عوامل متباينة : حلمُ التوسع الاسلامي وفكرة الاثئار وأمل بالاستيعاض من الارضين الضائعة ورغبةٌ في اغتنام الغنائم والاسلاب . اضف الى هذه العوامل عاملاً آخر الا وهو الحصول على موارد في الرجال جديدة لان التخوم التركية ولا سيما الانحاء التي يستعمرها أغنياء الاناضوليين قد نفدت تمـام النفاد . ويظهر انه يمكن وجود موارد الرجال جديدة في إزربيجان التي وراء القوقاز وفي شمال غرب القوقاز . ان المسلمين لم يرغبوا في الخدمة العسكرية الاجبارية في روسيا لـكن ينبغي لهم الآن ان يجاهدوا في سبيل الهلال . ان الارقام التي يبلغوننا عن عدد المتطوعة المحتمل الحصول عليه يشهد على غنى مخيلة الشرقيين. واذا وُثق من

البيانات التركية فقد لزم التسليم بان الشعوب العربية في روسيا منذ عهد عهيد لاَ أرغبُ على قلوبهم من أن ينشئوا مع الدولة التركية دولة واحدة تجمع جميع القبائل الدائنة بدين واحد . غير أنه لا يمكن النكران أن تركيا يسعها آن تجد قوات جديدة في هذه التخوم وان انجلترا ينبغي لها بعد ذلك أن توجه انتباهةً خاصة الى الحوادث التي ستقع في هذه البقعة . لكن في الحال يجمل أن يُبرهن على حسن الذوق فلا يأبهوا إلاّ للحقيقة الواقعية . وعلى أثر ذا حاولنا أن نعدّل من آمال الاتراك المغالى بها لتعتدل . لكننا لم نبلغ منهم كل ما رجونا من نجاح . فقد اعترفوا مثلما أعترفنا بان مهمة تركيا الاولية في نطاق الحرب العام إنما هو العمل في سوريا وما بين النهرين أ كثر مما هو في القوقاز وضفاف بحر قزوين . لكن ماذا تنفع وعود الاستانة وصدقُ ارادتها اذا كان القواد الحربيون يعملون ما يرونه حسناً وجميلاً على ميادين القتال البعيدة الاطراف ؟

أرسلنا اجناداً الى الكرج لنصون على الاقل قسما من المؤن الكثيرة من الموادّ الاولية في ما وراء القوقاز لصلاح ونفع مجموع التحالف الرباعي وهكذا رجونا أن يسمح وجودهم للسلطات التركية أن تنشىء حياة اقتصادية في هذه الولايات اكثر ترتيباً ونظاماً

لكن الجامعة الاسلامية ونزوع الافكار في الاستانة الى الحرب والقتال لا يسكن لها خاطرٌ طالما لم تستقل باكر في أيدي الاتراك وذلك في عهد تتداعى فيه سلطة الدولة العثمانية وسيادتها القديمة

واستسلمت تركيا منقادة نحو الشرق برغبة نشر نفوذ عظيم في بلاد العجم بمرورها في ما وراء القوقاز . أرادوا أن يدخلوا العجم ليهاجموا الجيوش الانجليزية التي تقاتل في ما بين النهرين من خاصرتها وهي خطة جميلة جداً في ذاتها لكن وضعها موضع العمل يستدعي زمناً ولا يحتمل أن يدع لنا العدوُّ هذا الزمن . ومع

ذلك فقد يمكن أن توقف حركاتُ الاجناد الاتراك الاولى في شمال العجم من الآن قوات انجليزية فيستطيعوا إنقاذ ما بين النهرين

اذا كانت انجلترا تحاول أن تضمن لها نفوذاً في روسيا مارّةً بالبحر الابيض فاركنجل فهي تحاول أيضاً الحصول عليه مارّةً ببحر قزوين فباكو . فبناء على هذه الاعمال قد كان من صلاحنا ان ندع تركيا تعمل بخططها في العجم وفي ماوراء القوقاز لكن ما كان يلزم، بسبب تركيا ، أن نتغافل عن الدفاع عن ما بين النهرين ولا سيما عن سوريا . وفي كل حال إن استجماع جيش من إحتياطي الاتراك في نواحي حلب يكون على استعداد لاستخدامهِ في جميع الوجهات قد كان يكون أصلح لنا نظراً إلى ما يمكن انجلترا أن تقوم به من هجوم جنوبَ جبال طوروس أو تأتيه من الاعمال الحربية في العجم

إذا لم نعتبر إلاّ الحارطة فالحالة في ما بين النهرين لم تتغير منذ خريف ١٩١٧ أما في الواقع فان الجيوش التركية في ناحية الموصل الجنوبية قد حلت بها نكبة حقيقية . وما كانت تلك نتيجة معركة حربية . وكما حدث في خلال شتاء ١٩١٦ — ١٩١٧ على الانجاد الارمنية العالية هلك عدد عديد من الجند التركي في سهول ما بين النهرين في غضون شتاء ١٩١٧ — ١٩١٨ . يقولون إن ١٧٠٠٠ رجل قد ماتوا جوعاً أو من شدة ما قاسوا من أسباب الحرمان فليس في إمكاننا أن نحقق صحةَ هذه الارقام « فالذي يموت جوعاً يموت بطلاً أيضاً » هذا ما صرّح لنا به أحد الاتراك لم يقله تمحلاً بل عن اعتقاد شريف . وفي ربيع ١٩١٨ لم يبقَ في ما بين النهرين من الجيش التركي القديم الاّ فلولٌ ويبعد بعد الآن امكان إستعادة تنظيمه

نحن نتساءل لماذا لم يُهاجم الجيش الانجليزي في ما بين النهرين أو لنستعمل عبارة أصحّ تعبيراً لماذا لا يندفع عنواً إلى الامام ؟ أيؤثر شبح الدولة التركية القديمة في انجلترا حتى يرغمها على الاحتفاظ احتفاظاً دقيقاً ببرنامج حربها الاستعمارية ؟

اجل إن القيادة الانجليزية قد يكون لها كل الاسباب الممكنة لتسلك في أعمالها الحربية مسلك التؤدة والتأني وعلى كل حال إن لها سبباً لايسعها رفضه ألا وهو قوة خصمها .

بينما كانت الجيوش التركية على انجاد ارمينيا تحتفل بنصرها الجديد كانت الحرب دائرة لا هوادة فيها في سوريا وكان الانجليز قد قاموا في هذه الجبهة بهجمات جديدة مواجهةً ولما يحدثوا في الحالة تغييراً ذا بال وفي ربيع ١٩١٨ ظهرت القيادة الانجليزية متنبة من أن اعمالنا الحربية ضاربة على وتر راحد فاجتهدت لتجد لها خطة جديدة ودخلت من طريق اريحا تلك الناحية شرقَ الاردن وكانت تحسب مقتنعةً أن قبائل عرب تلك التخوم انما كانت تتوقع وصول محرريها لتحمل حالاً على الجيوش التركية تتأثرها على الاعقاب الاّ ان هذه الخطة ذهبت أدراج الريح ، ولا فخر في ذلك عظيماً ءأمام القوات التركية الالمانية الضعيفة بفضل ما أبدته القيادة التركية من المهارة . هذه الحوادث صانت ميدان سوريا اثناء الصيف وساد السكون ذلك الميدان في هذا الفصل بسبب الحر الشديد لكن كان أكيداً ثابتاً أن الانجليز سيجددون هجماتهم في إحدى الجهات وأعتبرنا أنهُ يتسع لنا الزمن ، قبل معاودة الاعمال الحربية لتعزيز ميدان سوريا بارسال قوات تركية جديدة

ظلت حالة الدولة العثمانية الداخلية صعبةً جداً في خلال سنة ١٩١٨ وما كان لموت السلطان في بدء الامر اقلُّ تأثير محسوس في موقف تركيا السياسي . وبدأت في الداخل حركة تحسين تظهر شيئاً فشيئاً . وبدا أن السلطان الجديد رجل عمل وبرهن على حسن إرادة صادقة في الانعتاق من نفوذ الجمعية التي كانت تسيّره الى ذاك الحين وفي الوقوف دون الاضرار الكبرى اللاحقة بالدولة فاصطفى رجال حاشيته من الدوائر العاطفة على الافكار التركية القديمة

كنت قد تعرفت بالسلطان الجديد في كرزناخ إذ كان لا يزال في ذلك الحين

وليّ العهد . وتشرفت بان ضافني في ذلك الآن ونظراً إلى ما لقينا من الصعوبات في مجاذبة الحديث بغير وسيط لان السلطان لا يتكلم إلا التركية اضطررنا أن نتبادل الخطب الرسمية مستعينين بترجمان . فابدى الامير وارث التاج انه صدّق الولاء لمعاهدتنا بالكلام الذي لفظه رداً على خطابي وقد أيدهُ لي فيما بعد بافعاله عندما رقي العرش .

كان السلطان يريد قبل كل شيء ان يؤثر تأثيره الشخصي في جيشه ويريد أيضاً ان يزور أجناده حتى اولئك الذين كانوا يحاربون في أقصى الاقاليم . لا اجروء على القول هل كان يكون لهذه الزيارات نتيجة لمداراة أسباب الضعف الجوهرية في الجيش العثماني ؟

ان البلدان التركية كانت قد نزفتها الحرب نزفاً فما كان في طوقها بعد الآن ان تقدم للجيوش نجدات وعلى ذلك تعذر تثبيت ميدان سوريا وتعزيزه في ابان الصيف . ويصعب القول هل كان في الامكان الحصول على نتائج اصلح على هذا الميدان اذا نظرنا الى احوال المواصلات التي تدعو الى الحزن والاسى . وبقي تموين الجيش سيئاً وما كان الجند ليموتوا جوعاً لكنهم ما استطاعوا قط ان يأكلوا ويشبعوا وعلى اثر ذلك ضعفت اجسامهم ووهنوا ادبياً

قد اضطررنا كما سبقت فتكلمت ان نرجع عن استقدام الجنود الالمان التي كانت لا تزال في ميدان سوريا . فان القيادة الالمانية المحلية كانت تصرّح انها لا تستطيع تحمّل تبعة الحالة الا اذ كان تحت تصرفها اجناد المان . اجل قد اعتبروا ولا سيما بناء على تصريحات الفارين من الحرب الى الهنود ان الروح الهجومي في الجيش الانجليزي — الهندي ما كان افوق كثيراً على الجيش التركي فضلاً عن ان الاعمال التي كانت القيادة الانجليزية قد اتمتها حتى الآن كانت ضئيلاً تأثيرها حتى حسبوا انهم على حق في ان يأملوا أن القوات الضعيفة التي كانت تحت تصرفهم

قد تكون على الاقل كافية لتهيء لهم مخادعة العدو على امكان مواصلة الدفاع والمقاومة . اما طول مدة هذا الخداع فمتعلق على السؤال التالي : أيقرّ رأي العدوّ أم لا يقرّ على الاخذ بهجوم قوي شديد وعلى كسر شوكة مقاومة الجيش التركي ينجده بعضُ الجند الالماني ؟

في ١٩ سبتمبر هاجم الانجليز بغتةً ميمنة الجيش التركي في السهل المجانب فشقروا خطّ العدو ولما يلقوا مقاومة ، اذا جاز القول ، ثم ان سرعة تقدم جمع الخيالة الهنود — الاستراليين جاءت تتم كسرة الجيشين التركيين في ميدان سوريا

وما هو الاّ في هذ الحين حتى منع سقوطُ بلغاريا عن تركيا الحماية التي كانت الى ذلك الوقت مضمونةً لها على تخومها الاوربية فنتج عن هذا ان الاستانة وجدت ، في اوائل الايام التي وليت هذا السقوط ، عادمةً كل دفاع من جهة الغرب . وفي غضون الاشهر الاخيرة تفاقمت حالة جنود الدردنيل سوءاً والجيوش التركية التي كانت تحارب في الولايات النائية كانت قد استنفدت من هؤلاء الاجناد جميع الفصائل التي كانت لا تزال محافظةً على بعض القيمة الحربية . ولم يبق في تراقية من حام يحميها : فما كان يرى فيها الاّ بعض وحدات قليل شأنها في الحرب وهي مكلفة الدفاع عن الشواطىء . وان المنشآت الدفاعية في خط تشطالجة المشهور ما كان قوامها الاّ خنادق مهدّمة كانت لا تنفكّ على الحالة التي هجرها فيها الجند التركي بعد معارك سنة ١٩١٢ — ١٩١٣ وبقية ما بقي ما كان الاّ في المخيلات وعلى خارطات موهومة كلها خطأ فاضح . وبعد هذا يمكن هزّ الرأس عند التفكير في هذه الحالة لكنها ما كانت الا نتيجة الارادة التي برهنوا عليها لما قرّ الرأي على استخدام جميع القوات المهيأة للقتال على الميادين الخارجية حيث يفصل في مصير الحرب . لكن الويل اذا سقط السور الخارجي واذا دخلت غمار الاعداء داخل البلاد وتوغلوا فيها !

وهؤلاء الاعداء كانوا يهددون الآن حتى قلب تركيا. وعلى التأثير الذي احدثته الانباء الاولى التي تنبئ بخطر سقوط بلداريا تألفت بعض فصائل في الاستانة على عجل وارسلت فوراً الى خطوط تشطلجة لكن ما كان ممكناً ان يقاوم العدوّ مقاومة جدية بهؤلاء الجند ونحن اصدرنا امراً ، نقصد منه نتيجة ادبية اكثر منها عملية ، بانفاذ بعض وحدات المانية من الاندوس كانت في روسيا الجنوبية الى الاستانة حالاً وقرّ رأي تركيا ايضاً على ان توجه اولاً نحو تراقية جميع الفرق التي استقدمتها من وراء القوقاز لكن لزم ان ينقضي زمن طويل قبل ان تصل الى الاستانة قواتٌ ذات شأن . ان التعليمات التي انتهت الينا حتى الساعة لا تسمح لنا ان نقول لماذا لم يستخدم اعداؤنا هذه الفترة من الزمان للاستيلاء على العاصمة . لقد صبنت تركيا هذه المرة ايضاً من ورطة دهمة . لكن في اواخر سبتمبر ما كانت هذه الورطة، على ما يظهر ، الا لايام قلائل .

دور النمسا — المجر الحربي والسياسي

بعد ما قام اسيش النمسوي - المجري بهجمات ذهبت ضياعاً في ايطاليا العليا بان اوضح جلاء ان السلطنة الدانوبية كانت قد استنفدت خير وحداتها وآخرها في هذه الحملة وما بقي قط لديها كفاية من القوى المادية والادبية لتقوم بمثل هذه الهجمة . ان حالة الفرق التي انفذتها لنا حليفتنا الى الميدان الغربي اتاحت لنا ان نقف حق الوقوف على اقدار الجيش النمسوي المجري الحقيقية . وقد تعذّر علينا ان نضمهم في خطّ القتال حالاً اذا كنا نريد ان نتقاضاهم فيما بعد الاشتراك في اعمال حربية لها بعض الشأن فقد كانوا في حاجة الى الراحة والتعليم ولا سيما الى العتاد . وضباط هذه الفرق ثم اركان الحرب النمسوي العام قد اعترفوا بحرية بهذه النقائص . اجل ان كل اعضاء القيادة النمسوية — المجرية قد بذلوا اقصى الجهد حتى يصبح الاجناد المرسلون الى الميدان الغربي ما استطاعوا الى ذلك سرعة وسبيلاً ،

اهلاً للمهمة التي تنتظرهم. فاذا كان هذا الغرض لم يدرك كله فلا يمكن ان يعزى هذا النقص الى نقص نشاط الضباط وذكائهم . ورجال الجيش انفسهم برهنوا على كثير من صدق الارادة فان فداحة الخسائر التي نالت الجيش النمسوي — المجري على الميدان الايطالي ونقص الامداد واماتة بعض الوحدات السياسية المشكوك فيها وارتباك الحالة الداخلية في السلطنة الدانوبية صدّت ، لسوء الطالع ، النمسا — المجر عن ان تأتينا بنجدة ذات شأن فاصلة على الميدان الغربي. والجنرال فون أرز بالنظر الى سلامة وطنه كان يحسُّ من قلبه يتفطر على كل فرقة من الفرق التي كان يرسلها الينا . وقد كان شخصياً مقتنعاً أتمّ اقتناع بعظم الاهمية التي كان لهذا المدد لنا ولا استطيع القول هل كان الجميع في كل الدوائر النمسوية — المجرية على استعداد كالجنرال فون أرز ليساعدونا ويظهروا لنا عرفانهم الجميل

لم يحدث في اثناء الصيف حادث هام على الميادين النمسوية — المجرية والعمل الحربي الوحيد الذي يستحقُّ ذكراً وتدويناً قد تمَّ في البانيا . ففي هذه البقعة ظلَّ العدوان واقفين وجهاً لوجه لا حرب بينهما ولا قتال مدى سنين . فالايطاليون ، وقد كانوا نحواً من فيلق، كانوا يحتلون فالونا والبقعة الواقعة شرقاً والنمسويون يحتلون شمال البانيا . هذا الميـدان ما كان يكون له شأنٌ ما حربيٌّ لولا علاقاته بميدان مقدونيا . وكانت بلغـاريا على خوف دائم من ان ميمنة جيوشها تكتنفها قواتُ الاعداء الواقفة غرب بحيرة أخريدا .

من الوجهة الحربية كان يهون الحؤول دون هـذا الاكتناف . وكان يكفي لهذا الامر الجلاء عن بحيرة اخريدا وارتداد ميمنة البلغار نحو الشمال السكر كما تدعت بقات كانت الحالة السياسية الداخلية في بلغاريا تعترض اذ ذاك على الجلاء عن الاراضي الالبانية التي يحتلها جندها . ثم انه من جهة اخرى كان يجب النظر الى المنافسات النمسوية — البلغارية في البانيا التي لم تكسر من حدتها الا بشق

النفس . وقد سألونا مراراً لماذا لم يطرد النمسويون الايطاليين من فالونا وكل واحد كان يدرك الاهمية الكبرى من هذا المسند العظيم الاسطول الذي انما كان احد مصراعي الباب المؤذن باقفال البحر الادرياتيكي . لكن كان الشرط الجوهري لهذا العمل ان تهيء النمسا — المجر في منطقة قتال فوجوزا خطّ مواصلة يسهل العمل فيه بقدر اهمية هذه المهمة . والحال ان هذا الأمر لم يكن كذلك فما كان ينبغي والحالة هذه التفكير في استخدام قاعدة بحرية . اما المواصلات بطرق البر فما كان لها من وجود قبل الحرب في المنطقة الجبلية الوعرة في البانيا وما استطاعت النمسا — المجر ان توسعها وتحسنها في اثناء الحرب تحسيناً كافياً

ان ميدان الاعمال الحربية النمسوي - المجري في البانيا قد كان غائصاً في نوع من الرقاد الهني ما كان يعكره من حين الى حين الاّ تبادل ملاكمة بالايدي غير ذات أهمية وغير ذات نشاط كبير . وما آلت الحال الى اجلّ خطراً في هذه البقعة الاّ في غضون صيف ١٩١٨ عندما أخذ الايطاليون بالهجوم على الساحة الواسعة المنبسطة ما بين الشواطىء وبين ناحية بحيرة دواران . ان الوحدات النمسوية - المجرية التي كان قليلا عديدها وضئيلا قدر معظم رجالها قد طوردت نحو الشمال وللحال عاود البلغار قلقٌ واضطراب بال في صوفيا وميدان مقدونيا وسألونا التداخل مدّعين اننا مكلفون بادارة الحرب العالية وقام تداخلنا على دعوة هيأة اركان الحرب النمسوية العامة الى تعزيز وحداتها في البانيا حتى تتمكن من صيانة الخاصرة اليمنى من الميدان المقدوني فقر رأي هيأة اركان الحرب النمسوية العامة اذ ذاك ان تقوم بكرة في البانيا ففعلت وتقهقر الايطاليون .

ويصح القول هل كان للهجوم ... اغراض سياسية او حربية ابعد مدى . ولا يسعني القول خصوصاً هل كان لهذا الهجوم بعض علاقة بالهجوم الذي قامت به دول الحلفاء فيما بعد على قلب الميدان المقدوني . ونظراً الى العقبات

الـكبرى الناتجة من طبيعة الارض في نواحي البانيا والى تفوّق العدو بعديده قد كانت كرة الجنود النمسوية مأثرة باهرة يسع حلفاءنا ان يفاخروا بها

ان الحالة الداخلية في النمسا ـ المجر التي سبقت فقلت فيها انها مقلقة للبال جداً اما تفاقمت سوءاً في خلال سنة ١٩١٨ وهددت فيننا بعض الحين بكارثة جلي حقيقة على أثر المصاعب الـكبرى التي قاسوها في سبيل تموين الاهالي . وما كان يدعو الى الدهشة هو ان تعمد السلطات النمسوية المجرية الى الوسائل التى هي اكثر مخالفة لمصالحنا الذاتية فتجمع كل الاقوات التي وسعها جمعها إن كان في رومانيا او في اكرانيا . ونظراً الى حالة النمسا ـ المجر السياسية المضطربة ما كان بالامر الغريب ان يفاجئونا كل حين في هذه البلاد بأن السلطنة الدانوبية لا تستطيع مواصلة الحرب بعد ١٩١٨ وقد زادوا وغالوا في اظهار رغبتهم في ان يروا نهاية لهذا الحرب تدنو منهم. لا اريد ان ابحث لاعرف هل الطمع ، قد كان له نفوذ فاصل على مسلك رجل من رجال السلطنة النمسوية ـ المجرية ، كما يدّعون فأطمعهُ في ان يلعب دور رسول اسلام

استقال الـكونت كزرنين من وزارة الخارجية في خلال الصيف وقد برّر هو نفسه استقالته قائلا ان الرسائل التي كان الامبراطوره قد انفذها الى البرنس سكست دي بارم قد اثارت خلافاً في الرأي بين مليكه وبينه لا يتغلب عليه . لم يكن الـكونت بغيضاً عليّ على الرغم من المعارضة التي قامت بين نظرياته السياسية وبين نظرياتي في امور كثيرة وكان هو يدافع عن هذه النظريات جهاراً امامنا كما كنا ندافع عن نظرياتنا جهاراً أمامه .

وكان الـكونت كزرنين عندي مثال الممثل الحقيقي للسياسة النمسوية ـ المجرية الخارجية فكان فطناً ذكياً يدرك اتمّ الادراك مصاعب حالتنا المشتركة وكان ينتقد ، في الوقت الملائم وبغير محاباة ، اسبابَ الضعف ومكامنه في الامة التي كان

مكلفاً تمثيلها . وكانت خططه السياسية في غالب الحين اميلَ الى الاحتراز من الشر، منها الى الانتفاع من انتصاراتنا . وبرهن الكونت كزرنين دائماً على زكن وبعد نظر وطيبة قلب في الدفاع عن مصالح وطنه . لكن فيما يختص بحالة دول التحالف الرباعي العامة قد كان موقفه مخالفاً كل الخلاف : قد كان يعتبر ان التأني انما هو خير وسيلة للخروج من المآزق فكان ينتج من هذه النظريات ان الكونت ما كان يحجم قطٌ عن بسط نطاق قوة السلطنة الدانوبية حتى ولو وقع له ان يتحقق في الوقت نفسه ان الالمان مرغمون على ان يبذلوا بذلاً كبيراً في الحرب لصلاح دول التحالف الرباعي العام . ان الكونت كزرنين كان ، ككل رجال حكومة النمسا ـ المجر في ذلك العهد ، يجهل قدر المجهودات التي كان في طوق وطنه ان يبذلها . ولو كان الأمر غير ذلك لما اعلن ، في ربيع سنة ١٩١٧ بعد استلامه مقاليد منصبه بوقت قريب أن السلطنة الدانوبية لا يسعها الثبات زمناً طويلاً في حين انها استطاعت ان تقاوم بعد ذلك مدة شهور وما كانت قد استنفدت كل قواها عندما قدم استقالته . لقد كان في آراء الكونت كزرنين بعض نقص من الشخصية . أكان ذا لأنه غير قادر على مقاومة أميل امبراطوره السلمية او لأنه كان يوافق عليها هو نفسه كرجل مقتنع بها ؟ أني ما توصلت الى معرفته في جميع المدة التي قضاها في منصبه . ان الكونت قد جهل في كل حال الخطر الناتج من الاعلان، عالياً ولا سيما غالباً، امام أعداء امثال اعدائنا، أننا على استعداد لقبول الصلح . هذا هو السبب الوحيد الذي يشرح لماذا عدم هدوءه السياسي وحمل الرشستاغ الالماني على توقيع قراره لعقد الصلح في حين بدأت حرب غواصاتنا تفعل جميع مفاعيلها واخفق اعداؤنا في هجومهم في الربيع ثم ان الاختلال الداخلي الذي حلّ بروسيا أثر شرّ تأثير في مسلك اعدائنا .

أنا اعتبر ان الكونت كزرنين قد برهن لنا دائماً على الحرية الواجبة بين

الحلفاء حتى عندما قدّم لنا مقترحات تدعو الى العجب حين مفاوضات الصلح في برست ليتوفسك وبوخارست . فقد كان يخشى ، من غير ريب ، في ذلك الحين ، ان لا تستطيع السلطنة الدانوبية ان تتغلب على الازمة التي قد تؤول الى إخفاق المفاوضات وان تضطره المجاعة الضاربة اطنابها في فينا الى ابرام عقد معجل مع اكرانيا .

ان المسألة البولونية ما أمكن فضها ما بين المانيا وبين النمسا - المجر فالملك الكونت كزرنين ظل قابضاً على أزمة الاحكام في وزارة الخارجية . ان ضمّ جميع بولونيا الى السلطنة الدانوبية كان وما انفك أمراً لا نرضى به للاسباب التي ذكرتها من قبل .

وخلف الكونت كزرنين في منصبه الكونت بوريان . وكنت قد أخذت اتعرفه في باس اذ كان وزير الخارجية وخلف الكونت كزرنين . ان تقلب الكونت بوريان الذي كان يبدو في كل المسائل الهامة ما كان يتيح لي ان آمل بحل قريب للمشكلة البولونية غير أنه ينبغي لي ان اقر بحرية ان أفكاري من ذيالك الحين قد شغلت بمسائل جليلة تؤدي إلى نتيجة غير المفاوضات العقيمة التي ما كان يؤمل لها أنتهاء .

اما الكونت بوريان فحين عاد الى استلام مقاليد وزارة الخارجية جهد ان يجد وسيلة تمكنه من تنظيم حالتنا الداخلية باقرب فرصة وهذا أمر في ذاته مفهوم فان تفاقم موقفنا الحربي على الميدان الغربي كان يحمله على ان يضغط ما استطاع من القوة في سبيل عقد الصلح . تلك انما هي عاطفة معية لكني كنت اعتبر انه لا حقّ للدولة من دول التحالف الرباعي ان تنفصل من وحدتنا في الميدان السياسي لتقدم للدولة ... عات صلح منفرد وكان من المستحيل الاعتقادُ بان احدى هذه الدول وجميع دول التحالف الرباعي يمكنها ان تستفيد فائدة حقيقية مّا من مثل هذه

الطرق . ان الصدر الاعظم الذي اقام في سبا في النصف الاول من سبتمبر شاطرني رأيي هذا واعلن القيصر فرديناند هو نفسه في مثل هذا الحين ان بلاده لا يسعها ان تتخذ وسيلة من الوسائل للصلح خارجاً عن مجموع دول التحالف الرباعي لكن اخلّ القيصر كان يشكّ في قلة الاهمية التي كان يعزوها اعداؤنا حتى الآن الى بلغاريا في حساباتهم

ان الاسباب التي بسطتُ حملتني على ان أعتبرَ ما توسلت به النمسا — المجر في منتصف سبتمبر للوصول الى اتفاق منفرد مع دول الحلفاء قليلاً نجاحه وصلاحه فضلاً عن ان اعداءنا قد ضربوا بهذه الوسيلة عرض الحائط. فقد كانوا على اتمّ علم بحالتنا الحقيقية حتى لا ينقادوا الى صلح مفاوضات . فما كان يهمهم كثيراً أن يضطروا بعدُ الى بذل انفس بشرية والتضحية بها . فلقد سيطرت على افكارهم كلّ السيطرة مخافتهم من ان يرونا ، نحن الالمان ، نستعيد على عجل قوانا اذا ترك لنا اقلُّ مجال من الزمن . الى هذا الحد كان عظيماً مفعول اعمالنا الحربية الباهرة التي قد بسطتها وربما تبسطها حتى الآن على اعدائنا !

فما اولانا ان نكون فخورين بين جميع هذه الحوادث الجليلة التي كانت تمرّ آنذاك والتي كان متوقعاً وقوعها حولنا !

نحو النهاية

من ٢٩ سبتمبر الى ٢٦ اكتوبر

اذا كانت صفحة بطولة الجيش الالماني لم تخطّ حتى الآن في كتاب الحرب الكبرى فان الدم الذي سفكه بنونا في الساعات الاخيرة من صراعنا الرائع ليكتبه كتابةً لا تمحى الى الدهر. فكم هي عظيمة المجهودات الجلى التي بذلت في هذه الاسابيع الاخيرة من قوى ضباطنا ومن قوى رجالنا مادية كانت او ادبية في جميع هيآت اركان الحرب وفي جميع وحدات الجند ! ونحن مرغمون الآن مرة اخرى على ان نرمي باجنادنا من وقيعة الى وقيعة. وانه لبالجهد الكثير كفتنا الايامُ التي يلقبونها بايام الراحة لنستعيد تنظيم وحداتنا الممحوّة او المبعثرة فنرسل اليها الامداد، او لنضيف اليها الرجال العاملين من الوحدات المنحلّة في وحدات أخرَ. ان الضباط والجند ليسقطون إعياء لكنهم ينهضون دائماً حين يُدعون لردّ هجمات الاعداء وان ضباطاً من كل الطبقات حتى أولئك المنضوون الى هيآت اركان الحرب الارفع مقاماً يقاتلون في الخط الاول وكثيراً ما يحملون في ايديهم البنادق وغالباً ما تعذّر علينا ان نصدر امراً خلاف الأمر القائل « اثبتوا حتى الموت ! »

اجل « اثبتوا ! » فكم هي جليلةٌ مفاداتهم بعد ايام فخار خالدة وبعد انتصارات باهرة ! ان بعض مشاهد الجبن والفرار لا يمكن ان تقلّل في عينيَّ عظمةَ هذه المواقع الرائعة. في هذا الشجار المبذول فيه كلُّ نفيس وتنقصه الحماسة التي تثيرها عاطفة الظفر لا بدّ لضعف الطبيعة البشرية ان يبسط نفوذه ويخيم به في هذا المقام اكثر من كل مكان سواه !

ان قواتنا غير كافية لتؤلف ميداناً متواصلاً لا تقطُّع فيه. وثبت جندنا جماعات وجماعات صغيرة ربما توفقنا الى ان نثبت في وجه العدوّ الا لانه كان يستنفد هو

نفسه قواه استنفاداً محسوساً . فمتى لم تحضر مركبات هجومه تخط له الطريق ومتى قلّت مدفعيته فلا تنال جميعَ حماتنا فما هو قائم الا نادراً باعمال هجومية كبرى . فهو لا يجرؤ ان يقتحم ميداننا اقتحاماً بل ينسرب قليلاً فقليلاً الى خطوطنا التي يكثر فيها الفراغ والتهدم . ان خطة العدو هذه كانت تقوي آمالنا دائماً واتاحت لي مجال الاعتقاد باننا قادرون على الصبر حتى ينفد صبر الاعداء ويُعيوا

اجل نحن لم يبق لدينا ، كاعدائنا ، جندٌ حديث العهد بالقتال فنقحمه الوقيعة . فبدلاً من ان نقتبل مثلهم عون حليف جديد لم تمسّ موارده لم يكن الى جوانبنا الا رفاق قتال منهكون يكادون يرزحون نَصباً

الى متى يستطيع ميداننا ان يحتمل هذا العبء الثقيل ؟ اني لا أطارح نفسي هذا السؤال وما وجدت أتعب منه عليّ . « متى ينبغي ان ننتهي منه ؟ » فاذا استشير التاريخ وهو أعظم مشيرٍ للبشرية أشار آمراً بالعمل في مثل هذه المواقف ليس بالحكمة والتأني بل بالجرأة والاقدام . وإذا حولت نظري الى صورة مليكنا الاكبر اجابني : « أثبتوا حتى النهاية ! »

أجل ان الايام هي خلاف ما كانت منذ نحو مئة وستين سنة وما هو جيشٌ مأجورين بل هو شعبنا كله أجمع يصنع الحرب وهو يرتمي في سعيرها مختاراً وهو الذي ينزفه الدم فيتوجع لكن إذا بحثتَ فالبشرية ما أنفكت ، كما كانت ، تحتفظ بصفاتها كما احتفظت بضعفها .

فالويل لمن يهن قبل الاوان ! انه ليسعني أن أتحمل على نفسي جميع التبعات أما الوهن قبل الاوان فلا !

وهكذا في حين كان القتال مستحراً في ساح الوغى نشبت وقيعة أخرى مثلها في مكان آخر . لقد نشبت في نفسنا ونحن في هذا القتال وحدنا وما من أحد يبذل لنا النصيحة : إنما هو وجداننا وإنما هو إيماننا يشير علينا بالنصح . فما من

شيء يثبتنا اللهمّ إلاّ الرجاء والإيمان فهما فيّ لا يزالان قويين ليتيحا لي أن أشدد ضعف الآخرين وأثير هممهم الواهية

ان العراك القائم في نفسنا بلغ منا أشدّه في ٢٨ سبتمبر . إذا استطاعت شجاعة أجنادنا أن تصدّ اعداءنا فلا يثغروا ميداننا الغربي ثغرة لا امل بعدها، واذا كانت انجلترا وفرنسا تستنفدان قواهما أمام نواظرنا وإذا كانت أميركا التي تكثرنا كثرة رائعة بعديدها تخسر، عبثاً في يوم واحد، الوفاً من رجالها فان قواتنا لاينقص خسرانها كثيراً . وليرزح جندنا بقدر ما تثير فيهم الانباء الوافدة من الميدان الشرقي من سوء التأثير . فمن يسد الفراغ الذي يقع في ميدان القتال إذا سقطت بلغاريا واضمحلت ؟ نحن يسعنا بعدُ أن نأتي أعمالاً ذات بال لكن لا يسعنا أن ننشيء ميداناً جديداً . في سربيا الآن جيش يُعبأ لكن ما أضعف ما هم الجند الذين يؤلفونه ؟ فان وحدات فيلقنا الألبية ما هي الآن في حالة تمكنها من القتال . وانتهى الينا أن إحدى الفرق النمسوية — المجرية المرسلة نحو سربيا لا يمكن استخدامها لتة لانها مؤلفة من التشك الذين ، على راجح الظن يأبون أن يقاتلوا . ولئن تكن سوريا نائية عن ميدان الحرب الفاصل فان الانكسار الذي حل بتركيا في هذه الناحية ما كان تأثيره السيء أقلّ فعلاً في حليفتنا الامينة التي اصبحت الآن مهددة على تخومها الاوروبية .

وما يكون مصائر رومانيا، وما تصنع فلولُ جيوش روسيا الكثيفة ؟ إن جميع هذه الاسباب تدعو الى تغيير ما لم أقرّ رأياً البحث عن نهاية واكن عن نهاية سريعة . ولا أحد اسطيع أن يقول : « لقد تعجّلت »

تلك هي أفكار التي رآتني في هذه الليلة ليلة ٢٨ سبتمبر لقد نضج هذا القرار في فكري، الى ذلك حين علي رئيس الاركان فالتفتُّ اقرأ في عينيه الفكرة التي قادته نحوي . وكما ان هذا قد وقع لنا مراراً منذ ٢٢ اغسطس سنة ١٩١٤ ان

تتلاقى أفكارنا قبل أن نكون قد نبسنا ببنت شفة . أما وقد كان رائدنا الافكار عينها فقد جزمنا معاً باعزّ قرار عليا واصعبه

وفي صباح ٢٩ سبتمبر عقدنا مؤتمراً مع وزير الخارجية فوصف لنا الحالة الداخلية ببعض كلام : ان جميع الاجراءات التي اتخذناها حتى الساعة لنتفاهم مع أعدائنا قد حبطت ولا سبيل لنا البتة الى الاتصال بحكومات الاعداء بواسطة الدول المتحايدة . ثم بسط لدينا وزير الخارجية الحالة الداخلية : الثورة قريبةٌ فيجب تداركها إما بالحكم المطلق وإمّا باعطاء امتيازات . ويبدو له أن حكومة برلمانية هي خير وسيلة لتداركها

أتلك هي في الواقع الوسيلة الفضلى ؟ إننا نعرف في اية تجربة كبرى سنلقي بشعبنا إذا توسلنا الى المدنة فالصلح . وهي وسيلة تثير فيه ، كما هو متبادر الى الذهن ، ثائراتِ الهموم والمخاوف على حالتنا الحربية وعلى مستقبلنا . أفي هذه الساعة التي حبطت فيها الاماني الكثيرة واجتمع إلى خيبة الآمال الطويلة أشدُّ المرارة والتي يتوقع فيها كلُّ واحدٍ من الاّمسرقتنا ثباتاً . أفي هذه الساعة ينبغي أن يطلق الاهواء السياسية عندنا ؟ وهذه الاهواء في أيّ السبل تسير ؟ انه لمن لا كيد أنها لا تجتهد لتشدّد قوى الامة لكن لتوهنها وتوهنها كثيرا . ان أولئك الذين بذروا الزؤان في حقولنا يعتبرون أن الساعة قد آنت لهم ليحصدوا . لقد بدأنا نزلق .

أيحسبون أنه باعطاء الامتيازات في الداخل بوسعهم أن يسكتوا خصماً ما استطاعوا قهره بحد السيف ؟ ألا فليسألوا من جندنا أولئك الذين وثقوا من كلمات العدوّ الخلابة الجميلة فاستسلموا لهم مختارين . ان العدو خلع النقاب حين وضعوا السلاح واسلموا له . والجنود الالمان الذين أصابهم العمى لم يعاملوا باحسن مما عومل به رفقاؤهم الذين صبروا وثبتوا الى آخر حدٍ بلغته قواهم . فما حدث إذ ذاك قليلاً ما حدث كثيراً وكثيراً جداً

ثم ان لدينا مجالاً واسعاً فنخاف من ان إنشاء حكومة جديدة يؤخر ايضاً توسطنا الذي كنا اجلناه ما استطعنا إلى التأجيل سبيلا . والحق يقال اننا ما اقدمنا عليه متعجلين . أفيجب تأخيره أيضاً بسبب إعادة تنظيمنا السياسي؟

تلك هي مخاوفي وتلك هي مخاوف الجنرال لودندرف .

وتمت بنا نتيجة محادثتنا أن نرفع الى جلالة الامبراطور مقترحاً بشأن محاولة طلب الصلح . الي وحدي يعود شأن تبرير الوساطة السياسية لتي نوينا الاقدام عليها اذا عرض على رئيسنا العظيم الاسمى الحالة الحربية التي لا يجهل خطورتها الحالية . فوافق جلالته على مشروعنا عن قلب ثابت مكين

اليوم وكما كان دائماً اجتمع القلقُ الذي داخلنا على جيشنا الى القلق الذي شعرنا به على شعبنا . فاذا كان الاول لا يسعه بعدُ الصبر والثبات فالثاني هاوٍ معه . والحوادث ستكون اعظم برهان

عاد مليكي الاعظم الى المانيا ولحقتُ به في اول اكتوبر واردت ان اكون في ايام المحنة هذه على كثب من امبراطوري لالبي دعاءه اذا احتاج الى خدمي وكنت بعيداً عن الرغبة في التدخل بالحالة السياسية وكنت مستعداً ان اجيب عن اسئلتها على قدر ما تسمح لي اعتقاداتي وكنت احسبني قادراً على محاربة التشاؤم المشوم وأن انعش الثقة في القلوب لكن حالتنا الداخلية كانت قد بلغت من الاضطراب والتزعزع حداً ما استطعت معه بلوغ هذا الغرض . وكنت آمل ايضاً املاً وثيقاً في هذه الآونة أننا نستطيع، على الرغم من وهن قوانا ، ان نحمي الى اشهرٍ ارضَ بلادنا من الغزوة . فلو توفقت في هذه المهمه لما ضاع لنا كل أمل من الوجهة السياسية . لكنه غنيٌ عن البيان ان الشرط الجوهري للبلوغ الى ذلك الغرض انما كان ألاّ تُهدد حدودنا مشرقاً وجنوباً وان يثابر شعبنا على الجهاد والثبات

ان طلبنا الى رئيس الولايات المتحدة الاميركيه أرسل في ليل ٤ الى ١٠ اكتوبر

وكنا رضينا بالمبادىء التي كان قد وضعها ويلسن في شهر يناير سنة ١٩١٨ للصلح عدل

اما نحن فقد كان واجبنا في الساعة ان نواصل القتال . ان ضعف قوة اجنادنا المحاربة وتناقص رجالنا العاملين والثغرات التي فتحها اعداؤنا في خطوطنا ارغمتنا ايضاً على ارجاع ميداننا الغربي شيئاً شيئاً على مراكز اقصر مدى . والذي ابلغتْ الى حكومتنا في ٣ اكتوبر وضع موضع العمل : تتشبث جندنا ما قدر بارض الاعداء و نفظت حركاتهم ومواقفهم الخطة التي ساروا عليها منذ اواسط اغسطس وظل الروح الهجومي عند الاعداء يتضاءل بقدر ما كانت تتضاءل قوتنا الدفاعية . فاذا كان اعداؤنا يغلطون حينما يقتنعون ان ميداننا سيسقط كنا نغلط نحن ايضاً حين كنا نأمل أنهم لا يبلغون مرادهم حتى يستنفدوا قواهم اتمّ استنفاد . فلم يكن لنا بدٌ اذ ذاك من ان نؤخر نهاية الجلاد الفاصلة الاّ اذا استطعنا ان ننال من شعبنا فنجنّد منه آخر ما عنده من القوات .

ان تجنيداً عاماً من عامة الشعب ليكون قد فعل في خصومنا وفي جيشنا فعلاً عظيماً لكن هل كان باقياً في وطننا قوات تستخدم وحماسة مستعدة لبذل ضحايا جديدة ؟

على كل حال ان الذريعة التي استخدمناها لنستقدم هذه الانجاد الاخيرة الى الميدان قد ذهبت سدى

لقد سقط شعبنا مع الجيش وتعذر علينا مع هذه الظروف ان نعارض معارضة نافعةً للضغط الذي اوقعه رئيس الولايات المتحدة وهو يزداد كل يوم شدةً . ورضيت حكومتنا على امل ان تكون شروط الصلح التي قد ينزلونها بنا اخفّ وطأة واكثر عدلاً

ان القواد الحربيين ورجال الحكومة الالمان قد ساروا هكذا في طرق متباينة . وتعذر بعد الآن ان يزيلوا الخلاف الذي وقع بينهم . والكتاب التالي الذي ارسلته في ٢٤ اكتوبر الى المستشار كان آخر ما بذلتُ من الذرائع للوصول الى وفاق :

[ما يسعني ان اخفي على سموك الغرندوقي اني تأثرت مر التأثر عندما لاحظت ان الخطب الاخيرة في الرشستاغ لم تحتو على دعوة ما حارة لصلاح جيشنا . قد كنت أملت ان الحكومة الجديدة تستدعي وتناشد جميع قوى شعبنا ليضمنوا الدفاع عن وطنناوهذا لم يحدث قط بل بضد ذلك كان، اذا استثنينا بعض الشذوذ، أن دعوا الى التصافي مع اعدائنا الذين يهددون بلادنا لا الى قتالهم. فهذه الخطب قد أجبنت اولاً جيشنا ثم ضعضعته ولنا على ذلك دلائل ظاهرة

وضماناً للدفاع الوطني ينبغي للجيش رجال بل إقناع بضرورة القتال والحماسة التي يستلزمها اتمام مهمةِ العظيمة . ان سموك الغرندوقي هو على اقتناع مثلي بأنهُ على الحكومة والبرلمان ، وهما يدركان حق الادراك الاهمية الكبرى للروح الادبي في امة مسامحة ، ان يثيروا ويؤيدا هذا الروح في الجيش وفي الشعب .

فالى سموك الغرندوقي رئيس الحكومة الجديدة ابعث بهذه الدعوة الخطيرة واستحلفه ان يتمم هذا الواجب المقدس »

لقد قضي الأمر وطلبت السياسة ضحاياها وسلمت اليها اولى الضحايا في ٢٦ اكتوبر . ومنذ هذا المساء عدت قافلاً الى مركز أركان الحرب العام من العاصمة التي اتيتها مع مساعدي العام لارفع تقريري الى مليكي العظيم الاسمى . قد كنت وحدي . فان جلالته قد قبل استعفاء الجنرال لودندرف ولم يقبل استعفائي

ومن الغد دخلت وحدي الى المكتب حيث كنا نشتغل كتفاً الى كتف وشعرت اذ ذاك ، عندما ولجت منزلي الخالي ، بالعواطف التي يُشعر بها عند الرجوع من جنازة نسيب حبيب

الى الآن ما عدت رأيت ، وانا اكتب هذه السطور في شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ ، ذلك الذي كان رفيقي المساعد ومستشاري الامين مدى اعوام طويلة . فقد دعوته الف مرة ومرة بفكري فوجدته دائماً في قلبي الشاكر .

من ٢٦ أكتوبر الى ٩ نوفمبر

سمّى مايسكي الاعظم الاسمى، بناءً على ملتمسي ، الجنرال جرونر في منصب مساعدي العام. كنت قد عرفت الجنرال في المناصب العديدة التي تولاها في اثناء الحرب وكنت اعلم انه حائز صفاتٍ باهرة في حسن النظام والتدريب وله معرفة عميقة بحالة وطننا الداخلية . واستطعت بعد ذلك في غضون عملنا المشترك ان ألاحظ اني ما غلطت في قدر قيمة مساعدي الجديد

ان المهمة التي كان عليه ان يتممها كانت شاقة كنوداً فهي تستدعي نشاطاً لاملال فيه وحرماناً تاماً وتجرداً عن كل فخار الا عن الفخار الذي يفوز به بتتميم واجبه باعظم همة وغيرة وعن كل شكر الاّ عن الشكر الذي يبديه له معاونوه وهم معه ـ وكنا ندرك كلانا عظمة هذه المهمة ومصاعبها

اما حالتنا العمومية فكانت تتفاقم كل يوم سوءاً وانا اريد ان اصفها موجزاً جداً :

في الشرق سقطت آخر مقاومة في الدولة التركية وسقطت حلب والموصل في ايدي الاعداء. ولما تُظهرا من مقاومة وفني كلا الجيشين جيش ما بين النهرين وجيش سوريا وارغمنا على الجلاء عن الكرج ليس لاننا ارغمنا حربياً بل لان خطتنا الاقتصادية فيها لم يعد في الامكان استخدامها او على الاقل ما كان يمكنها ان تأتينا بفائدة . ثم اننا استقدمنا الجند الذين كنا قد ارسلناهم ليعززوا الدفاع عن الاستانة. لكن دول الحلفاء لم تهاجموا تراقية وما كانت الاستانة لتقع في ايديهم عفواً . اما السبب فاجهله وربما يجب البحث عنه في الوساوس الحربية التي كانت تبدو لنا بعيدة الغور في ذلك العهد لكن قد يمكن ايضاً ان تكون اعتبارات سياسية قد بسطت نفوذاً ذا اثر على مسلك دول الحلفاء

ان القوات الالمانية التي كانت لا تزال في تركيا ارتدت في وجهة الاستانة فغادرت البلاد التي دافعت عنها مع حلفائها حاملة معها احترام تركيا الباسلة التي ابدتها في هذا الصراع الذي خيف فيه على كيانها . ان عناصر هذه البلاد الذين انقلبوا اذ ذاك علينا ظهروا من تلك الدوائر التي رأت بعد الاستيلاء ان قد نضج الحصيد الذي زرعته والتي حاولت بمظاهر البغضاء ان تكتسب لها عطف القادمين الجدد وحبهم . اما الاتراك الصميمون فكانوا يعلمون اننا ظهرنا بمظهر الاستعداد لمساعدتهم ليس فقط في اثناء الحرب الحالية لكن فيما بعد في حين تنظيم بلادهم . وكذلك انور باشا وطلعت باشا منصبيهما بينهما خصومهما ولكن صيتهما لم ينتشر قط

وكانت وحداتنا الاخيرة قد غادرت بلغاريا وكثيرهم الذين في هذه البلاد ايضا قد حفظوا من جندنا ذكراً جميلاً وعرفوا لهم شكراً وجميلاً وقد تجسمت هذه العواطف على أفضل صورة في رسالة انفذها الي في ذلك العهد قائد الجيوش البلغارية السابق وتمرب ونا . رأ . هذه الرسالة بي واجد .. لا سطورها الآراء التي رأيتني قد حررتها مراراً في التصريحات السابقة التي ابداها هذا الضابط الشريف : « فلو أنني لم يؤثر في ادنى نفور سياسي لكنت قد نجحت بكسر ذلك من الوجهة العسكرية » فهو ككثير غيره قد بدأ يرى جلياً لكن كان قد قضي الأمر

ودخلت النمسا - المجر غمرة التفكك السياسي والحربي ودفعت الى العدو ليس فقط اراضيها وحدها بل أيضاً تخومنا نحن . وشبت الثورة في المجر بغضاً بالالمان. أكان ذلك ليأخذونا على غرة ؟ وهذا البغض ألم يندغم في العجب المجرى؟ أجل ان الشعب المجري في ابان الحرب كان له عواطف نحونا غير التي نراها الآن عندما هاجم الروس حدود المجر ، وهي هجمة قوية متوالية ! فباي تهاليل الفرح

حيّوا وصول الجند الالماني وباية همة وغيرة قدموا لهم الاقوات بل قل بأي تدلل عندما أريد منهم ان يسحقوا صربيا ! وبأية حماسة استقبلوهم عندما اسرعوا يستردون لهم ترانسلفانيا ! أحل ان عرفان الجميل أمر نادرٌ في هذه الدنيا وهو في حياة شعب سياسية اندرُ

اما في رومانيا فقد برهنا انا بعكس ذلك على عرفان جميل بيّن فلقد ادركوا في هذه البلاد ان الحماة رومانية ما كان يسعها التوسع والتقدم بحرية ، لو اننا لم نسحق روسيا .

ان بعض الدوائر في المانيا تؤنبنا الآن على عواطف البغضاء التي يبديها لنا قسمٌ من حلفائنا القدماء ونرى في هذه العواطف برهانًا على اغلاطنا السياسية والحربية لكنهم ينسون ان كلمات البغضاء هذه قد ترددت ايضاً فيما بين اعدائنا. أوما رأينا جنوداً فرنسويين يضمون اكفهم ويصفعون رفقهم الانكليز ؟ ولم نسمع اصوات فرنسويين تصيح : « ليوم مع أملنا عليكم بدأ على انجلترا منكم ! » اما صاح جندي فرنسوي وهو يرتجف غضبًا في شهر مارس سنة ١٩١٨ رفيقه الانكليزي ، وهو اسير مثله بوجه حراسة كتائبنا المانية ـ كنتنان ، يقول : « هذا صنيعكم ! »

اظن ان دلائل الخلاف الوقتية الآن بيننا وبين قدماء حلفائنا تزول رويداً عندما تنقشع الغمائم الكثيفة التي تستر الحقيقة وعندما يستطيع رفاقنا القدماء رفقاء الحسام ان ينظروا بحرية الى ساح الشرف والفخار حيث قاتل الجندي الالماني الى جوانبهم تحقيقًا لمطامعهم واحلامهم

منذ اواخر اكتوبر اصبح السقوط عاماً شاملاً وما هو الا على البلدان الغربي أن توفقنا الى النجاة من كارثة دهماء . لقد ضعف تقدم عدونا ، ضعفت أيضاً مقاومتنا ورجالنا العاملون في وحداتنا يقلون بلاانقطاع وتوسعت اماكن الفراغ

في خطوطنا . فلو استطعنا فقط ان نأتي ببضع فرق المدنية رجالها جدد لامكننا ان نأتي ايضاً اعمالاً جليلة لكنها تمنيات فارغة واماني فارغة ! اننا هوينا لان شعبنا هوى . فما هو في وسعه ان ينفذ الينا نجدات جديدة فلقد استنفد جميع قواه

في غرة نوفمبر مضى الجنرال جرونر الى ميدان القتال . ان ارتداد خطوط دفاعنا الى مركز انفرس — موز هو همنا الشاغل المعجل . فهذا الارتداد سهل وسهل غير ان القيام به صعب . فقد كان لنا امام هذا المركز عتاد حرب ثمين لكنه ادنى انا واثق ان نتمكن من استقدام الثمانين الف جريح الذين في مستشفياتنا النقالة في الخط الاول . فان عرفان الجميل الذي علينا لرفاقنا الجرحى ليحملنا على تأجيل القيام بالقرار الذي جزمنا به . نعم نحن لا نستطيع ان نتحمل الحالة التي نحن فيها الآن طويلاً لان جنودنا قايلون جداً ومتعبون جداً فضلاً عن ان الضغط الذي تحدثه الجموع الاميركية الحديثة العهد جداً على النقطة التي هي اكثر إحساساً في ميداننا هو قويٌّ جداً . لكن الموقعة التي ازدحمت فيها هذه الجموع ستبيّن فيما بعد للولايات المتحدة ان مهنة السلاح لا تتعلم في بضعة اشهر وان جهل هذه المهنة في ابان الحرب يباع بسيول من الدم

اذا ثبت جندنا في الميدان ثبت جندنا في المؤخرة ايضاً في منطقة الانتقال وهي المنطقة التي تتلاقى فيها الاعصاب الحيويه التي تصل الجيش بداخلية البلاد . مشاعد مقلقة تقع هنا وهناك في هذه المنطقة لكنها في مجموعها لا تزال محافظة على ضمّ ثباتها . غير ان هذه الحالة لا يمكن ان تطول الى الابد . فاذا حلّ اقلُّ تزعزع ، إن كان من الداخل او على ميدان القتال ، فلا بدّ لمنطقة الانتقال من الانهيار . ذلك ما شعرت به في اوائل ايام نوفمبر

ان التزعزع الذي تخوفناه قد وقع فثارت الداخلية ثوراناً . وبدأت الثورة في ٥ نوفمبر فاسرع الجنرال جرونر عائداً الى برلين لانه يرى ماسوف يحدث إن لم يظل

شعبنا على اتحاده في هـذه الساعات الخطيرة . فهو يدافع عن امبراطوره ويبين ما تكون النتائج اذا حرم الجيش من رئيسه الاسمى . لكن عبثاً فعل ! الثورة سائرة في سبيلها ولا شيء يوقفها . وما استطاع الجنرال جرونر وهو عائد الى مركز اركان الحرب العام أن ينجو من ايدي الثوار الا اتفاقاً . نحن الآن في مساء ٦ نوفمبر

وبدأت الحمى تنفض كل جسم شعبنا فلا يسعه بعد الآن ان يفكر بسكون . وما من احد يفكر في الصلاح العام لكن في ما يشبع اهواءه . والاهواء لا ترجع ابداً امام هوجاء المشاريع واشدها حمقاً. فهل من مشروع اشد حمقاً من المشروع الساعي بنزع كل إمكان بالحياة من الجيش ؟ فالفكرة البشرية والبغض البشري هل اقترفا اعظم من هذه الجريمة ؟ ان جسم امتنا اصبح عاجزاً عن الدفاع عن نفسه ضدّ الخوارج فهو يضرب حوله لكنه يسقط . اغريبٌ بعد ذا ان يفعل به اعداؤنا ما شاؤوا وان يفرضوا علينا شروطاً اقسى واصعب من الشروط التي كانوا قد فرضوها من قبل ؟

ان العدو لم يقم بوعد من الوعود التي كانت قد ابدتها صحفه . وبان الثأر عارياً وهو يزأر : « الويل للمغلوبين ! » أنطقهم بهذه الكلمات البغضُ والخوفُ معاً

تلك هي الحالة في ٩ نوفمبر . ولم تنتهِ المأساة في هذا اليوم لكنها غيرت من هيأتها وظفرت الثورة فلا نقفن طويلاً نستطلع طلع اسبابها فهي تضرب وتصرع الى الحضيض قوةَ الجيش الالماني وتنزع من رأسه ، كما قال احد الاجانب ، اغصانَ الغار التي ظفر بها وتضع على جبينه الدامي اكليل الشهداء . ما اشدَّ هذا التشبيه إيلاماً وما اصدقه كلاماً ! لعل هذا التشبيه يُسرُّ بحديثه الى قلب كل الماني !

ان نصر الحكومة الجديدة ظهر بمظهر سقوط الاسرة المالكة وتداعت ايضاً اركان الامبراطورية الالمانية

اعلنوا في بلادنا ان امبراطورنا ومليكنا قد تنازل عن العرش وذلك قبل ان

يقر رأيه عليه. في هذه الساعات وفي هذه الايام الرائعة تمت امورٌ كثيرةٌ طيَّ الخفاء غير انها ان تخفى على ضياء التاريخ

وفكرنا في اعادة النظام في داخل البلاد بجند الميدان الاّ ان قواداً كثيرين، من الوحدات الكبرى، وهم رجال ، ونع الثقة ولهم حكمهم الموفق، قد صرحوا لنا ان اجنادنا يثابرين على مقاومة العدو لكنهم يأبون ان يزحفوا على شعبنا

في هذه الساعات المحزنة وقفتُ الى جانب رئيسي العظيم الاسمى لا افارقه فالقى اليّ مهمة ارجاع جيشنا الى وطننا فلما فارقت امبراطوري بعد الظهر من ٩ نوفمبر كان قد كتب لي ألا اراه بعد الان

كان قد مضى ليفو على وطننا ضحايا جديدة ويتيح له ان يفوز بشروط للصلح اصلح له وافيد

في هذا المشتجر السياسي يا لحربي العظيم خسر الجيش الالماني كلَّ التئام. وان مئات الالوف من الضباط والجند الامناء لم يعرفوا بماذا يفكرون ولا ماذا يعملون. وشبت في نفوسهم أزمات شديدة فرأيت ان أهوّن على كثير من خيرة جندنا حلَّ هذه الازمة باندفاعي في الطريق الذي اشارت عليَّ به ارادة امبراطوري وحبي لوطننا ولجيشنا وشعوري بالواجب. فبقيتُ في منصبي

الوداع :

قد تم كل شيء !

كسيفريد، تحت ضربة هاجن الدامية، سقط ميداننا . وعبثاً حاول أن نسترد حية جديدة من ينبوع موارِدنا القوميــة الذي نضب . فكان واجبنا من الآن فصاعداً أن نصون فلول جيوشنا لنضمنَ نهضة بلادنا في المستقبل . لقد ضاع علينا الحاضر ولم يبقَ لنا بعد الآن الا الاملُ بالغد .

فالى العمل !

اني أُدرك الفكرة التي حضرتْ كثيراً من الضباط ليهجروا العالمحين رأوا كل ما كان كريماً عليهم ومقدساً قد زالَ واضمحلّ . فالرغبة الشديدة في « أن لن نعرف شيئاً » من عالم فيه إستسلامُ الاهواء لقيادها ، يمسخ قيمة شعبنا الباطنية حتى ليجعلها غير معروفة ، إنما هي رغبة يستطيع إدراكها كلُّ امرىء ـ ومع ذلك . . يجب عليّ ان أبوح بفكري بحرية :

يا رفاق الحرب الكبرى ويا جيش المانيا بالامس المفخور بنفسه . كيف تستطيعون النطق باليأس ؟ فكّروا في أولئك الذين حبونا ، منذ اكثر من مئة سنة ، وطناً فيه تنفسُ حياةً جديدة . فقد كان دينهم الاعتماد على أنفسهم والايمان بقداسة قضيتهم وقد بحثوا عن دعائم هذا الوطن الجديد ليس في نشر مذهب كان علينا غريباً لكن في المبادىء التي تتيح للرجل ان يتوسع بحرية في نطاق الامة ولأجل صالحها العام ! ان المانيا لتسير يوماً على هذا الطريق نفسه عندما تستطيعُ ان تعود الى مسيرها .

اني آملُ وثقَ الامل أننا نحافظ في المستقبل ، كما حافظنا في العهد الذي

تكلمت عنه ، على تقاليد ماضينا العظيم المجيد المخصب من جلائل الاعمال. واننا نعيد هذا التقليد من حيث ضاع وامّحى . ان الروح الالماني القديم ليفتح له طريقه لكن يجب عليه أولاً ان يجتاز أتوناً من الآلام والاهواء . واعداؤنا يعرفون قوة هذا الروح فقد كان ملأهم إعجاباً و بغضاً في إبان عملنا في زمن السلم، ودهشة وخوفاً على ساحات الوقائع في الحرب الكبرى . وحاولوا أن يفهموا شعوبهم علة قوتنا مستخدمين عبارة « التنظيم » الجوفاء لكنهم اعتمدوا أن يخفوا عنهم الروح الذي نسج له هذا الغلاف حيث كان يعيش ويتسع . ففي هذا الروح وبهذا الروح نريد ان نعيد بنيانَ وطننا بإقدام وشجاعة .

ان المانياء المركزَ الذي ابثّ فيه وانبعث منه كثيرٌ من الاعمال الخالدة للمدنية والآداب البشرية ، لا تزول طالما هي محافظة على اعتقادها بمهمتها العالمية العظمى ولي الأمل الوكيد أن تعمق أفكار خيرة رجال وطننا وقوة عارضتهم يتوصلان الى مزج الافكار الجديدة بكنوز ماضينا الثمينة فيخرجون منها عملاً خالداً لخير بلادنا الاعظم

ذلك هو الفكر الثابت الذي حفظته عندما هجرت ميدان حرب الشعوب الدامي . لقد شهدت عراك بلادي الباهر وما ظننت قطُّ ولن أظنّ أبداً أن هذا العراك يسبب موتها

سألوني في أشدّ ساعات الحرب حرجاً وخطورةً على أيّ الاشياء بنيتُ ثقتي في نصر ثابت ؟ إن إيماني في عدالة قضيتنا وثقتي بوطننا وجيشنا ذلك هو جوابي الوحيد الذي كنت أستطيع ان أجيب به .

ان الافكار التي داخلتني والعواطف التي شعرتُ بها في الساعات الضيقة في هذه الحرب الطويلة الدامية وفي الايام المحزنة التي وليتها لا يمكن أن يعبّر عنها باحسن من الكلام الذي كتبه المرشال هرمان فون بوابن وزيرُ الحربية البروسي الى

ملكه سنة ١٨١١ وهي عهد أصعب الشقاء السياسي والحربي من وطننا المستعبد إذ قال :

«لست اتجاهل الخطر الجسيم الذي نجوزه لكن حينما لا أستطيع ان أختار الا بين الشرف والاستعباد فالدين يعطيني القوة لاعمل كما يقتضيه الحق والواجب

ان المرء لا يستطيع ان يسبق فيعرف عن ثقة ما تكون نتيجة عمل من اعماله لكن الذي يؤيده اعتقاد فيه راسخ. فلا يعيش الا لاجل واجبه ، فهذا انما هو محمي بترس يشجعه مهما اختلفت الاحوال ومهما جرى من الامور ويتيح له ايضاً ان ينال غالباً نتائج طيبة

وهذه الكلمات ليست هي عبارة عن رعانة في حب الوطن متحمسة لكنها تعبير عن شعور ديني معزو فيه الفضل الى معلمي ومربي الدين علموني منذ حداثتي ان ارى وأحب في ملكي ووطني ما هو اقدس الاشياء على الارض »

والان فانَّ تياراً من الاهواء السياسية الوحشية ومن الخطب الهوجاء قد هدّم كلّ نظامنا القومي القديم وجميع تقاليدنا المقدسة على ما يرتبح . لكن هذا التيار سينهار ويمضي . وإذ ذاك ، من هذا البحر الزاخر الدائم الازباد بحر الحياة الشعبية يرتفع من جديد هذا الصخرُ الذي علق به املُ اباءنا والذي شيِّدت عليه قوتنا منذُ نحو نصف قرن ، مستقبلَ وطننا : ذاك هو الامبراطورية الالمانية !

فإذا ما استعادت فكرتنا القومية ووجداننا القوميُّ نبضَ الحياة فيها إذ ذاك تنبت لنا الحربُ الكبرى التي لا يسع شعباً ان ينظر اليها بأعظم عجب ، و بضمير أشدّ ارتباطاً من شعبنا الذي ظلّ أميناً وتنبت لنا الاوقات الصعبة التي نجتازها الآنَ حصيداً أدبياً جديداً . إذ ذاك لن يكون دم أولئك الذين ماتوا على إيمانهم بعظمة المانيا قد هُدر عبثاً

هذا الامل أختم تذكاراتي وانكل لك — ايتها الشبيبة الالمانية !

(انتهى بعون الله)

١٩٢٤ **مكتبة العرب** ١٣٤٢

لصاحبها

يوسف توما البستاني

شارع الفجالة نمرة ٤٩ صندوق بوستة الفجالة نمرة ٢٩ – تليفون ٦٢٠٣

يطلب منها الكتب الآتي بيانها ويجب ان يكون العنوان واضحاً والدفع مقدماً والثمن يقبل طوابع بريد مصرية او عملة ورق من جميع الدول

ص

٥ كتاب المواكب الرسوم بجبران خليل جبران
١٠ « البدائع والطرائف « « «
١٠ مذكرات سفير اميركا في الاستانة
٤ رسائل من اعماق السجون لاوسكار وايلد
١٠ مذكرات المارشال هندنبرج جزءان
٢٠ يقظة الفرخة وهو بحث مفيد قديد
٤ حياة لودندرف القائد الالماني العظيم
١٥ هداية الاطفال وتربية البنين والبنات
٥٠ الجزء الحادي عشر من دائرة المعارف
٨ روح الاجتماع تعريب فتحي باشا زغلول
٢ صياد النساء او الوحش الفرنساوي لادرو
٨ رسوتين الراهب المحتال تعريب داغر
٥ تاريخ غليوم الثاني امبراطور المانيا لثات
١٢ المرشد الطريف في طالع الجلس اللطيف
٨ القوة الفكرية في المغنطيسية الحيوية
٥ معارضات قصيدة ياليل الصب للحصري
٥ الرحلة السورية في الحرب العمومية
١٢ نوادر الحرب العظمى وهي قصص واقعية
١٥ مذكرات مدام اسكوت تعريب داغر
١ ملك سوين الارلندي تاريخه ووصف صحته
٣٠ الساق على الساق في ما هو الفارياق
١٠ رسائل اليازجي للشيخ ابراهيم اليازجي
٨ أمثال الشرق والغرب وهو حكم وأمثال
٢ براءة الاقباط من طلب تمثيل الاقلية
٨ الدرة الثمينة في صناعة الكولنشية
٢ فتات مسجون وهو ادبي اجتماعي وطني
٢ المصاميون وهم الذين سفوا من العقر
٢ الامتيازات الاجنبية وحقوق الاقليات في تركيا وهي المذكرة المقدمة لمؤتمر لوزان

ص

١٠ تذكرة الكاتب لاسعد خليل داغر
٥ مجموعة خطب سعد باشا زغلول الحديثة
٢٠ ديوان الشهر الاول نظم خليل شيبوب
٣ « البدويات نظم محمد بدوي عبده
٨ « الهجو لاحد الشعراء
٥ رواية مائة الامبراطور فرنسوا جوزيف
٥ « كليوباترا حياتها وموتها
٥ « عمر وجليلة او في ربا لبنان بالصور
٥ « في سبيل الله والقيصر
٤ « ذات الخدر تأليف سعيد البستاني
١٠ مجموعة في اهم المواد والاجراآت القانونية
٢ الداء والشفاء قصيدتان لسليمان البستاني
٥ الطرق الفنية في تكبير الصور الشمسية
١٠ قاموس الاصطلاحات في سير الالات والهندسة وسكك الحديد عربي انكليزي
١٢ فصل الخطاب في اصول لغة الاعراب لليازجي
٥ نزهة الخاطر في ترجمة الامير عبد القادر الجزائري
٢٠ رجاء الوفاء في اخبار دار المصطفى جزآن
٣ تهذيب النفس بقلم فؤاد صروف
١٥ تاريخ الفلسفة من اقدم عصورها الى الآن
٢ كتاب الحال الآتي للرجال رمزي نظيم
٤ مذكرة في تركيب الاجراس الكهربائية
٨٠ مرشد الطالب لتعلم لغة الاجانب انكليزي عربي
٧ الالفاظ الكتابية للهمذاني
٢٠ قصة حمزة البهلوان اربعة اجزاء
٥ احاديث الشباب مقالات ادبية
٣ خطرات مصدور كتاب ادبي تهذيبي
٣ تكرية الجوهري المرحوم عبد الحليم المصري

من اراد ان يشتري جزءاً كبيراً من هذه الكتب يخصم له عشرين في المائة

فهرست الكتاب

القسم الثاني

القسم الثالث

القسم الرابع

القسم الخامس

فهرست هجائي

بأعلام الرجال المذكورة في هذا الكتاب *

* وقع بعض اغلاط في اسماء الاعلام في عرض الكتاب فاعتمدوا اصلاحها على حسب ماوردت في هذا الجدول